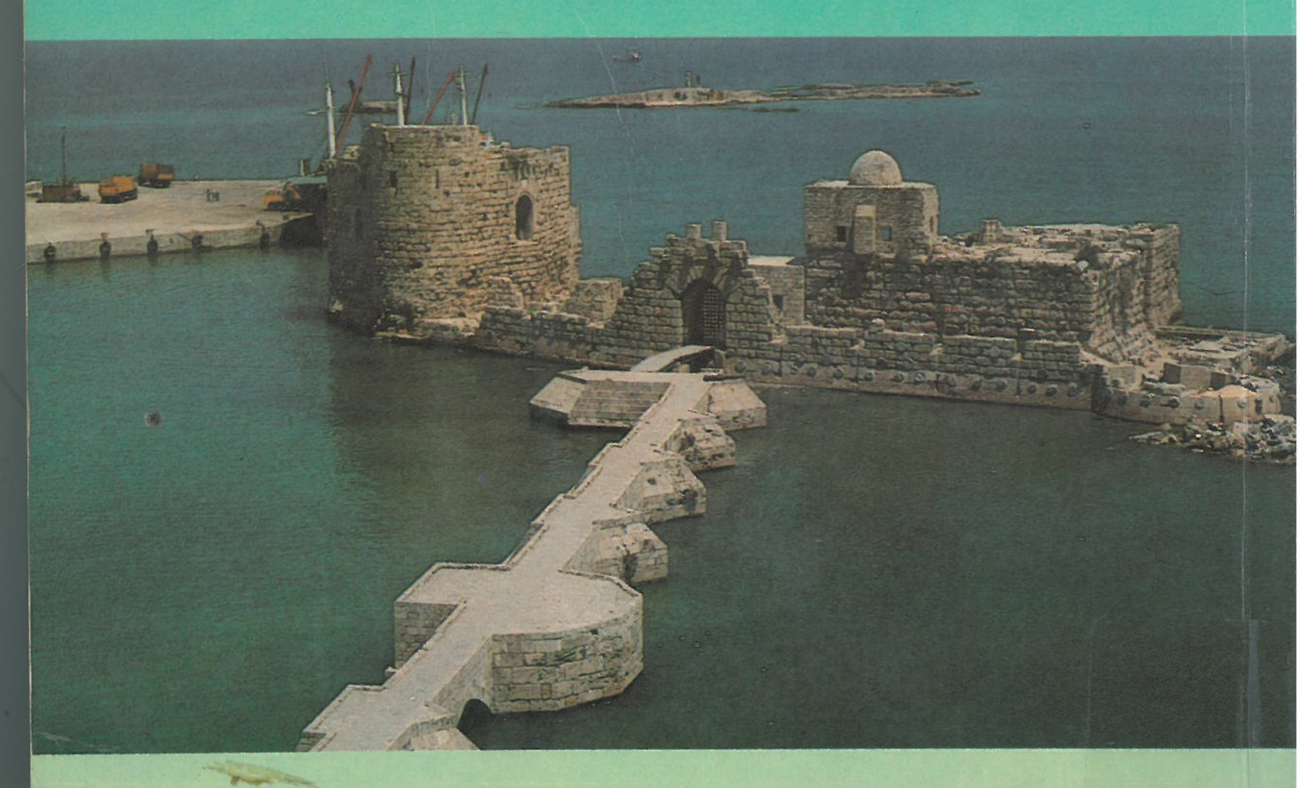
دراسات
في
تاريخ الساحل الشامي

لبنان

من قيام الدولة العبّاسيّة حتى سقوط الدّولة الإخشيديّة

(١٣٢-٣٥٨هـ/٧٥٠-٩٦٩م)



تأليف أستاذ دكتور
عمر عبد السّلام تدمري

جروس برس
طرابلس

دراسات
في
تاريخ الساحل الشامي

لبنان

من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الإخشيدية

(١٣٢-٣٥٨هـ/٧٥٠-٩٦٩م)

تأليف
أستاذ دكتور
عمر عبد السلام تدمري

جروس برس
طرابلس



الطبعة الأولى
١٤١٢هـ - ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م

بين يدي الكتاب

حين وضع المؤرّخ اللبناني الدكتور «فيليب حتّي» كتابه المعروف «لبنان في التاريخ» وجاء في طبعته العربية في (٦٩٧ صفحة مع الفهارس) أفرد فيه (٨) ثماني صفحاتٍ فقط لعصر الخلفاء الراشدين والعصر الأموي، وذكر في الصفحة (٩٧) منه ما نصُّهُ:

«يحيط بتاريخ لبنان في القرون الأربعة والنصف التي تلت الفتحَ العربيَّ حُجُبٌ كثيفة، فإنّنا نجهل تاريخ الحقبة التي تقع بين الفتح العربيّ ومَقْدَم الصّليبيّين جهلاً يكاد يكون تامًّا لولا بعض أحاديث بارزة وخطوط عريضة نتلمَّسُها بشيءٍ من الجهد. فلا المصادر البيزنطية تقول شيئًا، ولا المصادر العربية تُغني طالبًا».

ووضع الأستاذ الدكتور «كمال سليمان الصّليبي» كتابه «منطلق تاريخ لبنان» وخصّص فيه للفترة نفسها (١٥) خمس عشرة صفحة فقط، من القطع الصغير، وقال في مقدّمة الكتاب: إنّه خصّصه «**لمعالجة أوضاع الجبل اللبناني وجواره في فترة «العصور الوسطى» أي في الفترة التي تبتدئ في بلاد المشرق مع ظهور الإسلام، وتنتهي بزوال دولة المماليك في بلاد الشام ومصر على أثر الفتح العثماني لهذين القطرين في أوائل القرن السادس عشر. والمعروف أن هذه القرون السّتّة في تاريخ لبنان هي أكثر**

الفترات غموضا، وذلك بسبب ضآلة المعلومات الثابتة المتوفّرة لدينا عنها». (ص١٥)

أما الأستاذ «محمد علي مكّي» فخصّص في كتابه «لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني» (٣٦) ستّا وثلاثين صفحة فقط من القطع الصغير عن الحقبة ذاتها، وقال في مقدّمة كتابه: **«ونعترف بصعوبة الكتابة والتفتيش عن أخبار المناطق اللبنانية المبثوثة بنَدَارة في بطون الأصول التاريخية، لكن تلك الصعوبة لا تبرّر هذا الإهمال الذي يؤدّي إلى منع توضيح الترابط التاريخي بين حاضر لبنان وماضيه القريب والبعيد. وقد نجم عن هذا الإهمال أنّ كثيرين ممّن عَنَوْا بتاريخ لبنان صاروا يربطون مباشرة ما بين تاريخ لبنان الحديث وتاريخ لبنان القديم، قافزين فوق حقبة زمنيّة ضخمة زمنها تسعة قرون، وفي ذلك فسْخ للتدرّج التاريخي ولحقيقة التكوين الاجتماعي والديني للشعب اللبناني». (ص٧).**

وفي كتاب «تاريخ لبنان» للمؤرّخ «جواد بولس» (٢٢) اثنتان وعشرون صفحة، من القطع الصغير، عن الحقبة نفسها، ولكنّه لا يؤرّخ إلاّ لـ«لبنان الجبل» ولـ«فينيقيا البحرية» و«سوريا الطبيعية»، ويفرد في الفصل (الحادي عشر) عناوين لدمشق، وأنطاكية، وحمص، وحماه، وحلب، والقدس ـ اللّدّ ـ الرملة، وهي ليست «لبنانية»، ثم يحشد «المدن الفينيقية»! أو «مدن الشاطىء اللبناني الفينيقي»: صور، وصيدا، وبيروت، وجبيل، وطرابلس، (هكذا في سطر واحد) دون أن نعرف كيف فتحها العرب المسلمون، على الأقل، فيما يتحدّث عن تغيير اللغة والدّين في البلدان المفتوحة، والفينيقيّين والعرب(!)، وفينيقيا المقتطعة من الغرب، واحتجاب فينيقيا البحرية، واسم لبنان، والجراجمة، والمَرَدَة، والموارنة... (ص٢٠٧-٢٢٩).

وإنّني إذ أكتفي بإيراد هذه الفقرات لأشهر من كتب في «تاريخ لبنان» من الباحثين والمؤرّخين المحدثين، فذلك لأوضح حقيقة أجمعوا عليها، وهي

صعوبة كتابة «تاريخ لبنان» في فترة (العصر الوسيط)، والتي جعلها الدكتور «فيليب حتّي» أربعة قرون ونصف القرن (أي ٤٥٠ أربعمائة وخمسين سنة). وجعلها الدكتور «كمال الصليبي» ستّة قرون (٦٠٠ سنة)، وجعلها الاستاذ «محمد علي مكي» تسعة قرون (٩٠٠ سنة).

فكيف تكون الصعوبة والمعاناة في البحث إذا اقتصرت الفترة على نحو قرنٍ واحدٍ فقط؟

إنّ التأريخ لحركة الفتح الإسلامي للمدن «اللبنانية» وتاريخ «لبنان» في عصر الخلفاء الراشدين، والعصر الأموي يُعتبر من أصعب المراحل وأكثرها غموضًا وتعقيدًا، وقد تصدّيت لذلك في الكتاب الأول الذي صدر من سلسلة «دراسات في تاريخ الساحل الشامي»، ووجد قبولاً وإقبالا من الباحثين والقرّاء الكرام، وها هو الكتاب الثاني من هذه السلسلة أضعه بين أيدي الباحثين والقرّاء لأكشف فيه صفحات مطويّة من تاريخنا، في العصر العبّاسي والعهدين الطولونيّ والإخشيدي، عبر قرنين ونيّف من الزمان.

وعسى أن أكون قد وُفقت، بغضّ النظر عمّا وقع مني من خطأ أو نسيان، فالكمال لله وحده.

طرابلس المحروسة　　　عمر تدمري

القسم الأول
التاريخ السّياسيّ

- «لبنان» في العهد العبّاسيّ
سياسة المنصور ـ حركة المنيطرة ـ التنوخيّون ـ الحركة السُّفيانية ـ القبائل العربية في «لبنان» ـ حركة عيسى بن الشيخ.
- «لبنان» في العهد الطولوني
حركة القرامطة.
- «لبنان» في ظل الدولة العبّاسية من جديد
ليو الطرابلسيّ ـ دَميان الصّوريّ ـ فتوحات المسلمين البحرية ـ غزو أتّاليا ـ غزوة سالونيكا ـ إسقاط الدولة الطولونية ـ غزو قبرس.
- «لبنان» في العهد الإخشيدي
النفوذ الحمداني ـ حملة الإمبراطور نِقفور ـ سقوط الدولة الإخشيدية.

(١)

« لبنان » في العهد العبّاسيّ

كيف بسط العباسيون سيادتهم على « لبنان »

ليس من المعروف إن كانت المدن « اللبنانية » أبدت أيّة مقاومة تجاه الدولة العباسية عند قيامها، فالمصادر التاريخية لا تأتي عنهـا إلا بـالنَّـزْر اليسير من الأخبار في هذه الفترة، وهذه ظاهرة تتّضح لكل من يبحث في تاريخ « لبنان »، وليست هذه الظاهرة إلا واحدة من أهمّ المعوّقات الأساسية في وضع تاريخ مترابط الأحداث عن هذا الجزء الهام من ساحل الشام، والتي نوّهنا بها في مقدّمة الجزء الأول من هذه الدراسة.

وإذا كانت المصادر التاريخية لا تُفصح عن موقف المدن « اللبنانية » تجاه سقوط الدولة الأموية وقيام الدولة العباسية (١٣٢هـ/ ٧٥٠م.) فإنّ من الممكن القول إنها قدّمت ولاءها للدولة الفتيّة، ولكن على مضض، عندما خرج « عبدالله بن علي » بأمر من الخليفة العبّاسي وراء « مروان بن محمد » لقتاله، إذ نزل « عبدالله » مدينة قنّسرين ثم حمص فأقام بها أيّامًا وبايعه أهلها، ثم سار إلى بعلبك وأقام يومين، ثم ارتحل فنزل بعين الجرّ (عنجر) فأقام بها يومين أيضًا، ثم ارتحل حتى دخل دمشق ١٣٢هـ/٧٥٠م[١].

---

(١) تاريخ الطبري ٧/٤٤٠.

ومن المحتمل أنّ «عبدالله» أرسل من قِبَله من يأخذ البَيْعة لأبي العباس السّفّاح من مدن «لبنان» الساحلية، أثناء سيره في البقاع، ويقبض على من يقاوم الدعوة العبّاسية. وقد رافق بسطَ السيطرة العباسية على «لبنان» أعمالٌ انتقاميّة وسفْكٌ للدماء، ومطارداتٌ لمعارضي الحكم الجديد، كما حصل للحَكَم بنَ ضَبْعان الجذامي، الذي قُتل ببعلبك[١].

موقف الأوزاعي من الحكم الجديد

وكان الإمام الأوزاعيّ في مقدّمة المعارضين للدعوة العباسيّة، حيث هرب من بيروت إلى جبل الجليل بشماليّ فلسطين واختبأ هناك في بيت أحد أصحابه من رجال الحديث يُدعى «واصل بن جميل السلاماني»، وكان يخبئه في هُرْيِ العدس، فإذا كان العشاء جاءت الجارية فأخذت من العدس فطبخت ثم جاءته به ليأكل[٢].

ولما دخل «عبدالله بن علي» عمّ السفّاح دمشق واستقرّ بها طلب الأوزاعيّ، فتغيّب عنه ثلاثة أيام ثم حضر بين يديه. ونترك الأوزاعيّ يحدّثنا عن ذلك اللقاء وما دار فيه من حوار.

قال الأوزاعيّ: دخلت عليه وهو على سرير، وفي يده خيزرانة، والمُسَوِّدة[٣] عن يمينه وشماله، معهم السيوف مُصْلَتَةً والعُمُد الحديد، فسلّمتُ عليه، فلم يردّ، ونَكَتَ بتلك الخيزرانة التي في يده ثم قال:

- يا أوزاعيّ، ما ترى فيما صنعْنا من إزالة أيدي أولئك الظَّلَمة عن العباد والبلاد؟. أجهادًا ورباطًا هو؟

(١) تقدّم الحديث عنه في القسم الأول من الدراسة، وانظر: بلادنا فلسطين ـ في الديار اليافية ـ ص٣٧، ٣٨.

(٢) معجم البلدان ١٥٨/٢، تاريخ دمشق (المخطوط) ١٣٧/٤٥.

(٣) المسوّدة: أي الذين يلبسون اللباس الأسود وهو شعار العبّاسيين.

- فقلت: أيها الأمير، سمعت يحيى بنَ سعيد الأنصاريّ، بسَنَده عن عمر بن الخطّاب قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنّيّات، وإنّما لكلّ امرئ ما نَوَى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدُنيا يُصيبها أو امرأةٍ يتزوّجها فهجْرَتُه إلى ما هاجر إليه».

فنَكَتَ عبدالله بالخيزرانة أشدّ مما كان ينكت، وجعل مَن حوله يقبضون أيديهم على قبْضات سيوفهم ثم قال:

- يا أوزاعيّ، ما تقول في دماء بني أُميّة؟.

- فقلت: قال رسول الله ﷺ: «لا يحلّ دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث: النفْس بالنفْس، والثّيب[١] الزاني، والتارك لِدينه المفارق للجماعة».

فنَكَتَ بها أشدّ من ذلك، ثم قال:

- ما تقول في أموالهم؟

- فقلت: إن كانت في أيديهم حرامًا فهي حرام عليك أيضا، وإن كانت لهم حلالاً فلا تَحلّ [لك] إلا بطريقٍ شرعيّ.

فنَكَتَ أشد مما كان ينكت قبل ذلك، ثم قال:

- ألا نُوَلّيك القضاء؟

- فقلت: إنّ أسلافك[٢] لم يكونوا يشقّون عليّ في ذلك، وإنّي أحبّ أن يتمّ ما ابتدأوني به من الإحسان.

(١) الثّيب: هو المتزوّج المُحْصَن، وجزاؤه القتْل إذا ثبت عليه جُرم الزنا.

(٢) يقصد بذلك الأمويّين. وقد روى عُقبة بن علقمة البيروتي فقال: أرادوا الأوزاعيّ على القضاء فامتنع، فقيل: لِمَ لَمْ يُكْرِهُوه؟ فقال: هَيْهات! هو كان أعظم في أنفسهم قدرًا من ذلك. (تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/٢٤٠ـ ٢٤٢).

- فقال: كأنّك تحبّ الإنصراف.

- فقلت: إنّ ورائي حُرَمًا وهم محتاجون إلى القيام عليهنّ وسترهنّ، وقلوبهنّ مشغولة بسببي.

قال: وانتظرت رأسي أن يسقط بين يديّ، فأمرني بالإنصراف. فلما خرجت إذا برسوله من ورائي، وإذا معه مائتا دينار، فقال: يقول لك الأمير استنفِق هذه. قال: فتصدّقت بها، وإنّما أخذتها خوفًا. قال: وكان في تلك الأيام الثلاثة صائمًا، فيقال: إنّ الأمير لما بلغه ذلك عرض عليه الفِطْر عنده فأبى أن يفطر عنده[1].

ويتّضح من هذا الحوار أنّ الأوزاعيّ كان راضيًا عن الحكم الأمويّ، ربّما لأنه كان عهدَ تسامح مع أبناء الطوائف غير الإسلامية، وهذا يتّفق مع مذهبه، فقد اشتهر عنه صُحبته للنصارى في «لبنان» والقيام بنُصْرتهم، ولذلك كان غير مرحّب بقيام الحكم العبّاسي الذي راح يضطّهد أهل الذّمّة ويُثْقل كاهلهم بالضرائب، وخرج على سياسة التسامح الأمويّة، فلما أظهر الأوزاعيّ عدم ترحيبه بالحُكّام الجُدُد ونَدّد بسياستهم الصارمة طلبوه بعسكرهم ليقبضوا عليه أو يقتلوه، ففرّ من بيروت، حتى مثُل بين يديّ «عبدالله بن علي» بدمشق كما تقدّم.

ولا ريب في أنّ الكثيرين من أتباع الأوزاعيّ من مسلمي «لبنان» كانوا على موقف إمامهم المعارض للعهد الجديد، فضلاً عن النصارى الذين توجّسوا خيفةً من سياسة العباسيّين الصارمة بعد أن اطّلعوا على مذابحهم في أفراد

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٢٧/٢٣ وقد روى العباس بن الوليد البيروتي فقال: عندما دخل محمد بن عبدالله دمشق هرب الأوزاعيّ، فبقي ثلاثة أيام صائمًا يطوي ولا يجد ما يأكله، فقصد صديقا له عند الإفطار، فقَدَّم إليه وقال: لو علمت قبل هذا لَتَقَدَّمنا لك، فقام الأوزاعيّ وخرج عنه ولم يُفطر. (تاريخ دمشق ١٧٧/٢٣) ويقال إنّ اللقاء والحوار كان في مدينة حماه. (تاريخ الإسلام ٢٣٥/٦ طبعة القدسي).

البيت الأمويّ. وقد قال أبو إسحاق الفَزَاريّ: ما رأيت مثل رجُلَين: الأوزاعيّ و[سُفيان] الثوريّ، فأمّا الأوزاعي، فكان رجل عامّة، والثوريّ كان رجل خاصّة. ولو خُيِّرْتُ لهذه الأمّة لاخترتُ لها الأوزاعيّ لأنه كان أكثر توسُّعًا، وكان والله إمامًا إذ لا نُصيب اليوم إمامًا. ولو أنّ الأمّة أصابتها شدّة والأوزاعيّ فيهم لرأيت لهم أن يَفْزَعُوا إليه.

وقال «بقيّة بن الوليد الحمصيّ»: إنّا لَنَمْتحن الناس بالأوزاعيّ، فمن ذكره بخيرٍ عَرَفْنا أنه صاحب سُنّة.

وقال محمد بن عَجْلان: لا أعلم كان أنصحَ للأمّة منه[1].

إذًا، فالأوزاعيّ هو إمام الأمّة، وليس «لبنان» فحسب، وأتباعه وتلاميذه هم بالمئات في المدن «اللبنانية» على الأقل، وهم يقتدون به في مواقفه، وإن كانوا لم يبلغوا الجُرأة والمكانة التي بَلَغَها، ولهذا لم تذكر المصادر التاريخية غير موقف الأوزاعيّ المعارض، مما يعني أنّ العباسيّين فرضوا سيادتهم بقوّة السلاح على «لبنان» وأهله. ووجد أعداء البيت الأموي فرصتهم في ملاحقة أنصارهم وأتباعهم لقتلهم، ومن ذلك ما قام به «سُدَيف بن ميمون المكّي» حيث راح يتحرّى عن أحفاد «بُسْر بن أبي أرطأة» الذي كان عاملاً لمعاوية على اليمن، حتى عرف أنهم بساحل دمشق - أي في الساحل «اللبناني» بين طرابلس وصيدا - فظفر باثنين من أحفاد «بُسْر» فقتلهما انتقامًا لقتل «بُسْر» جدّهما: ابني «عبدالله بن العباس بن عبد المطّلب» باليمن[2].

(١) تهذيب التهذيب ٦/٢٤٠-٢٤٢.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٧٠/٥ وكان «سُدَيف» شاعرًا مشهورًا ومولى آل أبي لهب. وكان يهجو الأمويّين ويذمّهم، وهو مولى بني العباس وشاعرهم، وحين قام إبراهيم بن عبدالله بن العباس يدعو لنفسه بالخلافة انحاز إليه «سُدَيف» فنقم عليه أبو جعفر المنصور وأمر بقتله. فقيل إنه دُفن حيًّا.

أنظر عنه في: الشعر والشعراء لابن قتيبة ٦٤٧/٢، ٦٤٨ رقم ١٧٢، والكامل في الأدب للمبرّد ٨/٤، وأنساب الأشراف للبلاذري ١٢٦/٣ و١٦١- ١٦٣ و٢٢٤، =

وهكذا سيطر العباسيّون على «لبنان» وقهروا معارضيهم بقوّة السيف والبطش، فاستسلم لهم أهله مُكْرَهين.

ومهما يكن من أمرٍ، فقد أصبح «لبنان» تابعًا لإمارة «عبدالله بن علي» الذي ولي لأبي العباس السفّاح على كُوَر الشام، واشتملت إمارته على: حمص، وقِنّسرين، وبعلبك، والغوطة، وحَوْران، والجَوْلان، والأردنّ، وكُوَر دمشق، من سنة ١٣٢هـ إلى سنة ١٣٦هـ/ ٧٥٠ - ٧٥٤م[1]. ومن المعروف أن «لبنان» كان يُعتبر من كُوَر دمشق الساحليّة[2]، وخصوصًا من شماله إلى مدينة صور، فيما كانت صور وجنوب «لبنان» من كُوَر الأردنّ، وبما أنّ الكورتين من كوَر الشام، فقد كان «لبنان» بكامله ضمن إمارة «عبدالله بن عليّ» الذي كان يقوم بتعيين الوُلاة على مُدنه الرئيسة، ويُعيّن قادة الجُنْدَ، وأمراء البحر، وعمّال الخراج، والقُضاة، على غرار ما كان متّبَعًا في العهد الأموي»[3].

البيزنطيّون يهاجمون طرابلس

يخبرنا أحد المؤرّخين المتأخّرين أنّ طرابلس تعرّضت لهجوم بيزنطيّ بعد ثلاث سنوات من قيام الدولة العباسية، كما يخبرنا عن وقوع قتال بين المسلمين والنصارى في «لبنان». ونحن نسوق هذه الأخبار بتحفّظ لعدم تأييدها في

= والضعفاء الكبير للعُقيلي ٢/١٨٠- ١٨١ رقم ٧٠١، والحماسة البصرية ١/٩١، وطبقات الشعراء لابن المعتز ٣٨، والأغاني ٤/٣٤٧ و١٦/٨٦، وشرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد ٧/١٢٥ و١٢٧، والعقد الفريد لابن عبد ربّه ٤/٣٤٧، ولسان الميزان لابن حجر ٣/٩ رقم ٣٥، وقد نشر ديوان سُدَيف مرتين، نشره المُعَيْبد، ثم نشره عطوان. وانظر عنه أيضًا في: مقاتل الطالبيين للأصفهاني. ص٣١٥ و٤٧٧.

(١) تاريخ الطبري ٧/٤٥٨ و٤٦٠ و٤٦٥ و٤٦٧ و٤٧٤.

(٢) البلدان لليعقوبي ٣٢٧. والكورة تعني الناحية أو المنطقة إدارياً.

(٣) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة - لابن شدّاد الحلبي - نشره الدكتور سامي الدّهّان - ج٢ ق٢/١٠٦ - دمشق ١٩٦٢، تاريخ ابن الفرات ٨/٧٧.

المصادر الإسلامية الأساسية.

ومن تلك الأخبار ما ذكره «الأمير حيدر الشهابيّ» نقلاً عن كتب الروم، في حوادث سنة ١٣٥هـ/٧٥٣م، مع ملاحظة عدم التصريح بأسماء تلك الكتب أو مؤلّفيها، فقد ذكر ما نصُّه:

«إنهم في هذه السنة (يقصد الروم البيزنطيّين) انتخبوا «أرتاميوس» ملكًا عليهم، وتَوَّجه البطريرك - وكان أول القُضاة - ولما تملّك[1] «أرتاميوس» أقام «لاوون الأيصوريّ» قائدًا على جيشه ببلاد الأناضول، ونفى «تاودروس» و«جاورجيوس» البطارقة إلى تسالونيكي»[2]. وعزل «يوحنّا» البطريرك الهرتوقي الذي كان أقامه «فردانوس»، وأقام مكانه «جرمانوس الفاضل». ثم بلغ الملك أنّ المهاجرين أرسلوا إلى طرابلس الشام ليقطعوا أشجارا لأجل عمل المراكب، فأرسل مراكبه ليحرقوا تلك الأخشاب. وفي مسيرهم اتفق الجنود مع قائدهم «يوحنّا» (المفروض أن يكون «لاوون»)! على عزل الملك، ورجعوا إلى القسطنطينية وقد انتخبوا «تاودروس» ملكًا، فهرب الملك «أرتاميوس» إلى مدينة «نيقية» فحاصر العسكر المدينة ستة أيام، فهرب الملك إلى «أدرنة» وجمع عساكر كثيرة ورجع إلى القسطنطينية، وكان تملُّكه ثلاث سنين»[3].

ويضيف «الشهابي» في تاريخه بعد ذلك مباشرة:

«وفي هذه السنة، سار المقَدَّم الياس في جبل لبنان إلى البقاع، فنهب تلك القرايا وقتل أهلها، فأرسل والي الشام من قِبَل أبي العباس إليه رُسُلاً ليجعل

(١) في النسخة المطبوعة «تملّق» بالقاف، وهو غلط.

(٢) تسالونيكي، هي سالونيكا المدينة اليونانية، وسيأتي الحديث عنها مفصَّلاً، عند الحديث عن «ليو الطرابلسي».

(٣) الغُرَر الحِسان في تواريخ حوادث الأزمان - للأمير حيدر أحمد الشهابي - نشره وأضاف عليه نعّوم مغبغب - ج١/١٠٠ - طبعة السلام بمصر ١٩٠٠.

معه صُلحًا، ثم أرسل وهاجمه في قرية «المُروج»[1] وقتله. وبعد رجوع عسكر الشام رجع أصحابه ودفنوه بقرب الجامع الذي في القرية، ومنذ ذلك الحين سُمّيت «قبر الياس» المعروفة بـ«قبّ الياس» وكانت القرية تُسمّى المروج. ثم أقيم مقدّمًا على الجيش «سمعان» ابن أخت المقتول، فسارت إليه عساكر الشام، وكانت الحرب بينهم في قرية شرقيّ قرية الشّويْر[2]، فانكسرت عساكر الشام وارتدّت راجعة، ودام القتال بين عساكر الإسلام ونصارى تلك البلاد مدّة طويلة»[3].

ويتّضح من قراءتنا للمقطع الأول من النصّ أنه لا يختلف في مضمونه عمّا هو موجود في كتاب «الشدياق» الذي أتى بروايات يكتنفها التهويل والمبالغة، وتصوّر ضَعْف الدولة الأمويّة في عهد «عبد الملك»، وسطوة النصارى على بلاد الشام، ودخول جيش الدولة البيزنطية إلى قلب بلاد الشام تقتل وتخرّب وكأنّها في ديارها وداخل أراضيها. (أنظر ذلك في موضعه من الجزء السابق من هذه الدراسة)، ولكن هذه الرواية تختلف عن الرواية السابقة ببعض الأسماء، وخاصّة اسم الإمبراطور، وكذلك في تاريخ أحداث تلك الرواية - وهذا هو المهمّ - إذ تأتي هنا بعد قيام الدولة العباسية، ومرور نحو نصف قرن أو أكثر على تاريخ روايات الشدياق. وهذا القول ينسحب أيضًا على الفقرة الثانية من النّصّ الذي ذكرناه قبل قليل بالمقارنة مع روايات الشدياق وغيره، والتي أوضحنا عدم صحّتها فيما تقدّم.

أما المصادر الإسلامية المتقدّمة فتذكر أنّ البيزنطيّين تمكّنوا من دخول

(١) المروج: تُعرف الآن بالمرَيْجات، قرية قرب قبّ الياس في الشمال الغربي منها عل ارتفاع ١٥٢٥ مترًا عن سطح البحر.
(٢) الشُوَير: هي ضهور الشوَيْر الحاليّة في الشمال الشرقي من بيروت وفي الجنوب الشرقيّ من جونيه.
(٣) الغرر الحسان ١/١٠٠.

طرابلس عن طريق حملة بحرية، بمساعدة من نصارى «لبنان» في البرّ، وأنّ الروم الذين في قبرس هاجوا اللاذقية وطرابلس ودخلوهما في سنة ١٤٠هـ/٧٥٨م[1]. ثم تبع ذلك قيام نصارى الجبل بحركة تمرُّد على الدولة العباسية استدعت نقل جماعة من التنوخيين اللخميّين من شمال الشام إلى وسط «لبنان» للحدّ من خطر المتمرّدين كما سنوضحه بعد قليل.

سياسة المنصور في «لبنان»

عندما توفي «أبو العبّاس السفّاح» أول خُلفاء العباسيّين في سنة ١٣٦هـ/٧٥٤م. وصل الخبر إلى «عبدالله بن علي» وهو في الدرب[2] متوجّهًا يريد غزو البيزنطيّين، فدعا الناس لمبايعته، ولكنّ أبا جعفر المنصور تخلّص منه، واغتنم الإمبراطور «قسطنطين» فرصة انشغال المنصور في تثبيت مُلكه، فقام بحملة إلى مَلَطْية[3] قادها بنفسه ودخل المدينة فقهر أهلها وهدم سورها في سنة ١٣٨هـ[4]. (وقيل ١٣٩هـ) ٧٥٦م. فغزا «العباس بن محمد بن علي» غزوة صائفة ومعه «صالح بن علي» الذي بني ما كان البيزنطيّون هدموه من مَلَطْية[5]. ويبدو أنّ الإمبراطور كان يرغب في فداء الأسرى المسلمين الذين لديه، بينما يأبى المنصور ذلك، حتى كتب إليه الإمام الأوزاعيّ رسالة شديدة اللهجة بالمبادرة إلى الفداء، ومنها قوله: «...فلْيتّقِ الله أميرُ

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٣/٤٩٤.
(٢) الدرب: إذا أُطلق لفظ الدرب أُريد به ما بين طَرَسُوس وبلاد الروم لأنه كالدرْب، وإيّاه عنى امرؤ القيس بقوله:
بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه … وأيقن أنّا لاحقان بقيصرا
فقلت له: لا تبك عينك إنّما … نحاول مُلكًا أو نموت فنُعْذَرا
(معجم البلدان)
(٣) مَلَطْية: بلدة من بلاد الروم مشهورة مذكورة تتاخم الشام. (معجم البلدان).
(٤) تاريخ خليفة ٤١٧.
(٥) تاريخ الطبري ٧/٤٩٧، الكامل في التاريخ ٥/٤٨٦.

المؤمنين ولْيتّبع بالمفادات بهم من الله سبيلاً »[1]. فنزل المنصور عند كتاب الأوزاعيّ، وجرى الفداء فاستنقذ الأسرى المسلمين، واستحقّ الأوزاعيّ منذ ذلك الوقت لقب « عالم الأمّة »[2].

وفي سنة ١٤٠هـ/٧٥٨م. خرج الإمبراطور « قسطنطين » في مائة ألفٍ من جنوده ونزل بهم جَيْحان[3]، وهناك بَلَغَه كثرة المسلمين فأحجم عنهم[4].

وفيما كان البيزنطيّون يضغطون على منطقة الثغور[5] في الشمال، كان أسطولهم يتجمّع في قبرس حيث انطلَقَ منها نحو ساحل الشام، فأتى إلى اللاذقية وأحرقها، وواصل هجومه على الساحل حتى نازَل طرابلس ودخلها في السنة المذكورة ١٤٠هـ/٧٥٨م[6]. ولكنّه لم يُطِل الإقامة عندها حيث ارتدّ إلى قبرس. ولم تمدّنا المصادر التاريخية بتفاصيل أوسع عن تلك الغزوة.

ولقد دفعت هذه الغزوة بأبي جعفر للإنتقال إلى دمشق ليكون على كثبٍ من أوضاع مدن الساحل، وهناك قام باتّخاذ بعض التدابير والإجراءات الكفيلة بحمايته، ومنها أنه قام بعزل « يونس بن الليث العبْسيّ » عن غازية بحر الشام - وكانت غزوة الأسطول البيزنطي إلى طرابلس والساحل جرت في ولايته - وولّى مكانه « العباس بن سفيان الخثْعميّ »[7]. ووجّه إلى صيدا أحد رجال حَرَسَه وهو « نصر بن حرب »[8] ليتولّى قيادتها. واستقبل الأميرين

---

(١) أنظر نصّ كتاب الأوزاعي إلى المنصور في: حلية الأولياء للأصفهاني ١٣٥/٦.

(٢) المعرفة والتاريخ للفَسَوي ٤٠٨/٢.

(٣) جَيْحان: نهر بالمصّيصة بالثغر الشامي ومخرجه من بلاد الروم ويمرّ حتى يصبّ بمدينة تُعرف بكفربَيّا بإزاء المصّيصة. (معجم البلدان).

(٤) تاريخ الطبري ٥٠٠/٧، الكامل في التاريخ ٥٠٠/٥.

(٥) الثغور Ville Frontières عند كُتّاب العرب ومؤرّخي الإسلام هي مدن بين بلاد الإسلام وبلاد الروم، وأشهرها ملطية بولاية ديار بكر. (معجم الخريطة التاريخية- ص٤٠).

(٦) تاريخ دمشق ٥٩٥/١٣، تهذيبه ٣٤١/٥.

(٧) تاريخ دمشق ٣٤٠/٣٤.

(٨) كان محدّثًا أيضًا، حدّث بصيدا وأخذ عنه محمد بن عقبة الصيداوي. (الطبري ٧٩/٨).

التنوخيَّيْن اللخْميَّيْن: « المنذر بن مالك » و« أرسلان » وقد قدما عليه من بلاد المَعَرَّة، فرحّب بهما واختارهما للسُكْنى في « لبنان » مع عشيرتهما بعد أن سمع بشجاعتهم، ليحفظوا طريق الساحل حيث تفاقم خطر أنباط (نصارى) الجبل ووصلوا بتعدّياتهم إلى حمص وحماه، وعجز عمّال البلاد الساحلية عن القضاء على سطوتهم لتحصّنهم في الجبال. وطلب منهم أن يسكنوا في الجبال القريبة من بيروت إذ كانت خالية، ورغّبهم بالإقامة هناك بأن أنعم عليهم بإقطاعات معلومة في « لبنان » موثّقة بمراسيم[1].

وعن مجيء التنوخيّين إلى « لبنان » ننقل ما جاء عند الشدياق في أخبار الأمراء الأرسلانيّين:

« سنة ٧٥٨ مسيحية (الموافقة لسنتي ١٤٠-١٤١هـ) لما قدِم الخليفة أبو جعفر المنصور العباسي إلى دمشق سار إليه من بلاد المَعَرَّة الأمير المنذر بن مالك وأخوه الأمير أرسلان بجماعة من عشيرتها، فأنِس بهما وأكرمهما وطابت نفسه بهما وبرجالها وخيولهما.

وكان قد بلغه قوّة مَرَدَة لبنان ومنعهم أبناءَ السبيل عن المرور في الطرقات المجاورة لبلادهم، وأنّ غزواتهم قد اتّصلت إلى بلاد حماه وحمص وغيرهما. ولم يتمكّن الإسلام من بلادهم لسطوتهم وتحصّنهم في الجبال العاصية. فاستصوب أن يقيم بعض العشائر في البلاد الخالية المجاورة بلادهم لقهرهم وتملّك بلادهم. وكان مهتمًّا بمن ينتدبه لهذا الأمر. فلما رأى ما عندهم من

---

(١) أبو جعفر المنصور وعروبة لبنان - عجّاج نُوَيهض - ص١٩ - طبعة بيروت ١٩٦٢ وفيه قيل إن المنصور جاء إلى لبنان ليتفقّد أحواله نقلاً عن الأخبار التي دوّنها « محسن بن حسين بن زيد الطائي في ٢ شعبان ١٤١هـ. وانظر: عروبة لبنان - لمحمد جميل بيهم - ص٢٢، والعرب والعروبة، لمحمد عزّة دروزه - ج١٥٨/١ وهو ينقل عن كتاب « روض الشقيقين » لشكيب أرسلان - ص٢٤٠ وقد نشر فيه عدّة مراسيم موثّقة من قضاة الشام عن نسب الأسرة التنوخية التي ينحدر منها، كما نشر الشدياق مرسومًا منها في « أخبار الأعيان ».

الحماسة والقوّة أطلعهم على إرادته بذلك، فلبّوه مخلصين، فأمرهم بالسُكْنى في جبال بيروت الخالية، وأنعم عليهم بإقطاعات معلومة في لبنان وأعطاهم مناشير بها واستنهضهم للذهاب. ولما سار من دمشق على طريق الرَّقّة ذهبوا معه مسافة يومين وأتوا إلى منازلهم ونادوا بالرحيل في عشائرهم، فرحلوا جميعًا لشدّة ما كان حالاً بهم من قحط البلاد ومضايقة بني أميّة من قبل. فنهض الأمير أرسلان أمير الجيش بسوابق العشيرة إلى وادي التيم ونزل في الحصن المعروف بحصن أبي الجيش منتظرًا قدوم أخيه بباقي العرب»[1].

وتابع المنصور سياسته في العناية بالحصون الساحلية والثغور، فأمر ببناء ثغر المصّيصة، وفرغ بناؤه في سنة ١٤١هـ[2] وتتبّع حصون السواحل ومُدُنها فعمّرها وحصّنها[3]، وولّى «وزير بن عبد الحميد النضري» غازية البحر لفترة، ثم عزله بعد أن ولّى «صالح بن علي» جُنْدَ دمشق والأردن والبحر، فأعاده صالح وولاّه البحر من جديد[4]، ثم ولي البحر بعده «عبدالله بن سعد»[5].

النظام الدفاعيّ في الساحل

ويظهر أن النظام الدفاعي الذي كان متَّبَعًا أيام الدولة الأموية، كان لا يزال معمولاً به حتى هذا الوقت، وهو أن تأتي الأجناد من المناطق الداخلية إلى الساحل فتلبث فترة قصيرة في المدن والثغور ثم لا تلبث أن تعود إلى قواعدها في دمشق أو حمص أو بعلبك أو تخرج للغزو في بلاد الروم، ولا يبقى في الحصون الساحلية سوى العدد القليل من المرابطين، من أهل تلك

(١) أخبار الأعيان في جبل لبنان ٢/٤٩٥.

(٢) الطبري ٧/٥٠٩، ابن الأثير ٥/٥٠٠.

(٣) البلاذري ١/١٩٣.

(٤) تاريخ دمشق ٤٥/٢٣٩.

(٥) تاريخ دمشق ٢٩/١٩٦.

البلاد، مسلمين وأهل ذمّة، ولما كان الوضع مستمرًا على هذا الحال مما يجعل الساحل عُرْضة للغزوات البحرية، فقد انبرى الإمام الأوزاعيّ لإنذار الخليفة العباسي بخطورة الأمر في الساحل، وطلب منه أن يأمر بتخصيص أعطيات سنوية لأهل الساحل حتى يقووا على المرابطة وحراسة الأبراج والحصون الساحلية، صيفًا وشتاءً. وقد حفظ لنا «ابن أبي حاتم الرازي» المتوفّى سنة ٣٢٧هـ. نصّ كتاب الأوزاعيّ إلى الخليفة العباسي بهذا الخصوص، نذكر هنا أهم ما جاء فيه:

«..وقد كان أمير المؤمنين ـ حفظه الله ـ قصر بأهل الساحل على عشرة دنانير في كل عام سلفًا من عطيّاتهم، وأمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ إن نظر في ذلك عرف أنه ليس في عشرة دنانير لامرىء ذي عيالٍ عشرة أو أدنى من ذلك أو أكثر كفاف. وإن قوّت وقتّر على عياله، فربما جمع الرجال عشرته في غلا السعر في شراء طعام لعياله ما يجد منه بُدًّا، ثم يُدان بعد ذلك في أدامهم وكسوتهم وما سوى ذلك من النفقة عليهم في عشرة بقابل. ولو أجرى عليهم أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ في أعطياتهم سلفا في كل عام خمسة عشر دينارا ما كان فيها عن مصلح ذي عيالٍ فضلٌ ولا قدْر كفاف. وأهل الساحل بمنزلٍ عظيمٍ غَناؤه عن المسلمين، فإنه لا يستمرّ لبُعوث أمير المؤمنين فُصُولٌ إلى ثغوره ولا سياحةٌ في بلاد عدوّهم حتى يكون من وراء بيضتهم وأهل ذمّتهم بسواحل الشام من يدفع عنهم عدوًّا إنْ هجم عليهم. وإنهم إذا كان القيظ تناوبوا الحَرَس على ساحل البحر رجالاً ورُكبانا. وإذا كان الشتاء قاسوا طول الليل وقرّه ووحشته حَرَسًا في البروج، والناس خلفهم في أجنادهم في البيوت والإدفاء، فإن رأى أمير المؤمنين ـ حفظه الله ـ أن يأمر لهم في أُعطياتهم قدْر الكفاف ويُجْريه عليهم في كل عامٍ، فعل، وقد تصرّمت السنة التي كانت تأتيهم فيها عَشَراتهم ودخلوا في غيرها حتى اشتدّت حاجتهم وظهر عليهم ضَرُّها، وهم رعيّة أمير المؤمنين والمسؤول عنهم، فإنه راعٍ، وكل راعٍ

مسؤولٌ عن رعيّته »[1].

ولا شكّ أن هذا الكتاب كان له دوره المؤثّر على سياسة المنصور، إلى جانب عوامل أخرى، حيث اتّجه لإسكان التنوخيّين في « لبنان » وقتذاك، مقتديًا بسياسة معاوية الذي أسكن المدن الساحلية جماعة من الفرس المستعربين وغيرهم، كما مرّ في القسم الأول من هذه الدراسة.

ويمكن أن نستخلص من كتاب الأوزاعيّ عدّة أمور تُعطينا فكرة عن بعض جوانب الحياة الاجتماعية والدفاعية في سواحل الشام، ومنها « لبنان » في عهد المنصور:

١ - إن الخليفة حدّد سلفةً قدرها عشرة دنانير تُدفع لكل أسرة من أهل الساحل، من أصل العطايا التي يستحقّونها، وهذه العطايا تأتي في الأصل من المغانم والأسلاب التي يغنمها المسلمون في غزواتهم ضدّ الروم البيزنطيين.

٢ - إنّ مبلغ العشرة دنانير لا يكفي لإعالة أسرة من عشرة أولاد، ولا حتى أقل من ذلك، ولو لدرجة الكفاف. ولو زاد الخليفة السلفة من عشرة الى خمسة عشر دينارا لما تغيّر الأمر ولبقي المبلغ دون الكفاف. فكيف إذا مرّ العام ودخل عام آخر دون أن يحصل الناس على شيء من سُلَف أعطياتهم، حتى اشتدّت حاجتهم وظهر عليهم ضرُّها.

٣ - إن بُعوث الخليفة من الجند تبقى مستمرّة في الخروج من مواقعها، إما إلى الثغور (في الحدود المتاخمة للبيزنطيين) للرباط والدفاع، أو للسياحة والغزو داخل بلاد العدوّ (البيزنطيّين)، وبذلك يصبح أهل سواحل الشام من المسلمين وأهل الذّمّة عُرْضة لهجمات العدوّ، ولا يبقى من يحميهم أو يدفع عنهم، وهنا تكمن الثغرة العسكرية في توفير الحماية الدائمة لأهل الساحل.

(١) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ١/١٩٣- ١٩٥ طبعة حيدر أباد ١٩٥٢، نشرة اليماني.

٤ - إن أهل الساحل - على قلّتهم وضعف إمكاناتهم - كانوا يتناوبون على حراسة سواحلهم في القيظ وشدّة الحرّ، رجالاً وفرسانًا، ويقاسون البرد القارس مع طول الليل في الشتاء، وهم يحرسون في البروج بينما الناس في أجنادهم في الداخل ينعمون في بيوتهم بالدفء.

٥ - إن مطلب توفير الحماية والأمن من الدولة لم يكن قاصراً على المسلمين فقط، بل هو واجب الدولة نحو المسلمين وغيرهم من الرعايا الذين يُطلق عليهم « أهل الذمّة ».

حركة المُنَيْطِرَة (١٤٢هـ/٧٥٩-٧٦٠م).

من الملاحظ أنّ معظم الذين أرّخوا لهذه الفترة المتقدّمة من تاريخ ساحل الشام عموما، و« لبنان » خصوصا، في الدور العباسيّ الأول، أعيَتْهم الحِيَل في قلّة المصادر وندرة المعلومات، فلم يكتبوا مطلقا عن سياسة المنصور، الدفاعية والاقتصادية التي نفّذها بعد عودته من رحلته إلى الحجّ سنة ١٤٠هـ. في بلاد الشام، ولا سيما الساحل منها، والعُذْر في هذا أنّ المصادر التاريخية القديمة لا تأتي بأيّة تفصيلات عن تلك الرحلة، فالطبريّ يكتفي بالقول: إنّ أبا جعفر المنصور خرج حاجًّا فأحرم من الحيرة، ثم رجع بعد ما قضى حَجّه الى المدينة، فتوجّه منها الى بيت المقدس.. ولما قَدِم أبو جعفر بيت المقدس صلّى في مسجدها، ثم سلك الشام منصرفا حتى انتهى إلى الرَّقّة فنزلها[1]. وكذا قال اليعقوبيّ، والمسعوديّ، ومؤرّخ مجهول، وابن الأثير، وكل من أتى بعدهم من المؤرّخين ونقل عنهم.

إنّ معلومة عاديّة، كهذه، لا تعطي أيّ إشارة للدوافع والأسباب المباشرة

(١) الطبري ٧/٥٠٣، ٥٠٤، اليعقوبي ٢/٢٧٠، المسعودي (مروج الذهب) ٣/٣١٤، العيون والحدائق في أخبار الحقائق لمؤرّخ مجهول ٣/٢٢٧، ابن الأثير (الكامل) ٥/٥٠٠، سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية - حسن فاضل زعين العاني - طبعة دار الرشيد - بغداد ١٩٨١- ص٤٠٩، ٤١٠.

التي أدّت إلى قيام حركة التمرّد والعصيان على الدولة العباسية في « جبل لبنان ».

ولكن هناك رواية، انفرد بها مؤرّخ روميّ من نصارى مدينة مَنبج يدعى « أغابيوس (محبوب) بن قسطنطين الرومي المنبجي » في كتاب له باسم « العنوان المكلَّل بفضائل الحكمة » أرسله إلى « رجل فاضل يقال له: عيسى بن الحسين »[1] يمكن أن تكون مؤشرا مهمًّا لتوضيح السبب المباشر لهذه الحركة - الثورة، رغم أن النصّ المخطوط لهذا الكتاب نُشِر مضطربا دون تحقيق وضبط، حيث اعتراه التقديم والتأخير، وخاصّة في النصّ الذي نستشهد به هنا، ولهذا السبب وأسباب أخرى تصدّينا لتحقيق هذا الكتاب وخاصّة القسم الأخير منه الذي يتناول تاريخ المسلمين، ونشرناه[2]، وضبطنا فيه النصّ المشار إليه وهو:

« ... إنّ المنصور مضى بجيوشه كلها وسار إلى الجزيرة وأقام بها أيامًا، ثم عبر الفرات، وصار إلى فلسطين، فعسف الناس جيعا، وألزمهم نوائب وكُلَف لم يتقدّمْه فيها أحد من الملوك، وضيّق عليهم تضييقًا شديدًا، حتى لم يبق إنسان من صانعٍ، ولا طوّاف، ولا حمّال، ولا حفّار القبور، ولا فلاّح، ولا متصدّق، ولا صنف من صنوف الناس حتى ألزمهم الخراج وأخذ أموالهم، واشتد بالناس البلاء، وبلغ الجهد حتى أنّ بعضهم حفر القبور وأخذ الجيَف وطحنها وأكلها وذُبحت الكلاب وشُويت وبيعت في الأسواق، وفنيت الدراهم من أيدي الناس، ولَحِقهم من البلاء ما لا يوصف. ومن تمام المكروه عليهم أنه خرجت لهم طواعين... »[3].

إنّه، لا شكّ، نصّ وحيد فريد في موضوعه، انفرد به « المنبجيّ ». وقد

(١) نشره الأب لويس شيخو سنة ١٩٠٧ بمطبعة الآباء اليسوعيين، ببيروت.

(٢) نشرناه باسم « المنتخب من تاريخ المنبجي » - وصدر عن دار المنصور بطرابلس ١٩٨٦.

(٣) المنتخب من تاريخ المنبجي - ص ١٢٩، ١٣٠.

يتساءل البعض عمّا إذا كان المنبجيّ مؤرّخًا ثقة لنعتمد روايته هذه، فنقول مجيبين على التساؤل بأن المؤرخ والجغرافيّ الكبير « المسعوديّ » لم يتّهمه أو يُضعف من شأنه، بل أشاد بكتابه حيث قال: « وأحسن كتاب رأيته للملكيّة في تاريخ الملوك والأنبياء والأمم والبلدان وغير ذلك، كتاب محبوب بن قسطنطين المنبجي »[1].

إذن، فالمؤشّر بات واضحًا، وهو سياسة الضرائب المباشرة، وغير المباشرة، التي فرضتها الدولة العباسية على سكّان بلاد الشام، وخصوصا في المناطق الساحلية الممتدّة من نواحي الفرات شمالاً إلى فلسطين جنوبًا، مرورًا بـ« لبنان » بحيث أثقلت كاهل « الناس جيعا » دون تفرقة بين مسلم ونصرانيّ، حسب مفهوم رواية المنبجي.

ولدينا إشارة أخرى تدعم هذا التوجُّه في تحليلنا لأسباب الحركة، وهذه الإشارة واردة عند المؤرّخ الحافظ « ابن عساكر الدمشقي » في تاريخه يقول فيها إن الخليفة المنصور أرسل في سنة ١٤٠ أو ١٤١هـ؛ (٧٥٨م.) كبار المعدِّلين من الفقهاء لإجراء تعديل في ما تُحصّله الدولة من عائدات ماليّة عن الأراضي، فأرسل « عبدالله بن يزيد » إلى حمص، و« إسماعيل بن عيّاش » إلى بعلبك، وغيرهما من الفقهاء العُدُول إلى بقيّة المدن، فعدّلوا ما بقي بيد الأنباط (النصارى) من بقيّة الأرض على تعديل مسمّى، ولم تُعدَّل الغوطة قُرب دمشق في تلك السنة، وكان أهلها يؤدُّون العُشْرَ، فأعفاهم المنصور من أداء الخراج ووضع الخراج على ما بقي من أرضها بأيدي الأنباط[2].

والأنباط أو النَّبَط هم السريانيّون، كما ينقل « المسعودي »[3]، أو هم من

(١) التنبيه والإشراف للمسعودي ١٣٢.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ١/١٨٥، تاريخ الإسلام، للذهبي (بتحقيقنا) - (حوادث ووفيات ١٨١- ١٩٠هـ) ص٧١.

(٣) مروج الذهب ١/٢٠٧.

بقايا الآراميّين، كما يقول المستشرق « هنري لامنس » واعتنقوا النّصرانية[1].

لقد وضح ممّا سلف أنّ السياسة الماليّة والإجراءات المتشدّدة في تحصيل الخراج كانت السبب المباشر لاندلاع الثورة، ولا ريب في أن الدولة البيزنطية استغلّت هذه الأوضاع لتؤلّب نصارى « جبل لبنان » ليثوروا على الخلافة العباسية، ونجحت في التحالف مع جماعة منهم، فيما بقي جماعة أخرى خارج هذا التحالف، وهذا ما أثبتته وقائع حركة المنيطرة وما نتج عنها. وكان لنجاح الغزوة البيزنطية على طرابلس أكبر الأثر في تشجيع نصارى الجبل على إعلان تمرُّدهم ورفع راية العصيان، معتمدين على دعم خارجيّ يوفّره لهم أسطول الإمبراطورية، ومن هنا نفهم التدابير الصارمة التي اتّخذها العبّاسيون بحقّ نصارى « لبنان ».

وقائع الحركة

أما عن وقائع حركة المنيطرة فيُعتمد على « البلاذري » و« ابن عساكر » للوقوف على تفاصيلها الأساسية التي تحكي أنه ظهر في جبل لبنان رجل يُدعى « بُنْدار »[2] من أهل المنيطرة في سنة ١٤٢هـ/٧٥٩ أو ٧٦٠م. ونادى بنفسه ملكًا، ووضع التاج على رأسه وأظهر الصليب، فاجتمع عليه أبناء جبل لبنان وغيرهم من أهل الذمّة، وأعلنوا عصيانهم وامتناعهم عن أداء الخراج للدولة

(١) تسريح الأبصار فيما يحتويه لبنان من الآثار ٢/٤١.

(٢) هكذا عند ابن عساكر، وعند الشدياق « الياس »، وعند الدكتور عادل إسماعيل « توادوروس ». أنظر له:

Histoire Du Liban du XVIIs à nos jours - Adel Ismail T.1 p.184 N.379. Paris 1955.

ونحن نعتقد أنّ « توادوروس » هو أحد قادة الأسطول البيزنطي الذي هاجم طرابلس، وليس زعيم النصارى المتمرّدين في جبل لبنان، الذي صرّح ابن عساكر باسمه، وليس هو الياس كما جاء عند الشدياق.

العباسية، وخرجوا في طلب « اسماعيل بن الأزرق » العامل على الخراج ببعلبك وقصدوا قتله، وظهر أنّ تحرّكهم لم يكن ابن ساعته، وإنما كان يُهيَّأ له منذ مدّة، ولعلّهم بدأوا بذلك منذ سقوط الدولة الأموية وانتقال الخلافة للعباسيّين الذين استخدموا البطش والعنف وسفْك الدماء في إقامة مُلكهم، ولم تؤآتهم الفرصة للتحرّك علانية إلاّ في هذا الوقت، وشجّعهم على ذلك البيزنطيّون في غزواتهم الناجحة إلى ساحل الشام والتي هاجموا فيها اللاذقية وطرابلس[1]، فخرجوا بجُموعهم المنظّمة والمشحونة بالسلاح، بحيث « أمسك الناس عن قتالهم رهبة »[2] فاستفحل أمرهم، وسبوا بعض قرى البقاع فقاتلوا المسلمين وأخذوا ما وجدوا من المغانم، وعاد « بندار » فكتب إلى أهل بعلبك يتهدّدهم وينذرهم بمسيره إليهم ويأمرهم بتقديم الطاعة له ـ وهذا يعني أنه نصّب نفسه ملكًا في جبل لبنان ـ وعندما رفض أهل بعلبك إنذاره جاءهم في نحو من خمسة آلاف رجل. وكانوا قد تأهّبوا لدفعه عن مدينتهم، وقاموا بتنفيذ خطّة دفاعية ناجحة، حيث أخرجوا خيلاً لهم إلى أسفل الجبل المجاور للمدينة لتكمُن للمهاجمين، وعندما وصل المهاجمون إلى المدينة ووقع القتال، أظهر أهل بعلبك الهزيمة وأطمعوا النصارى فيهم وهم يفرّون باتّجاه الجبل، فأمعن الأنباط في طلبهم حتى ابتعدوا عن قُراهم، وعند ذلك خرجت الخيل من ورائهم وأحاطت بهم، ووقع القتل في أقفيتهم حتى لقي عدد كبير منهم مصرعه، وانهزم من بقي منهم إلى ناحيتهم واعتصموا بقلعتهم المنيطرة[3].

ورأى « صالح بن علي الهاشمي » أمير الشام ومصر وقتذاك أن يستأصل شافة الخارجين على الدولة، فكتب الى عامله على دمشق « رباح بن عثمان

(١) تاريخ سورية ولبنان وفلسطين، للدكتور فيليب حتى - ج٢/١٦٧.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٣/٥٩٥.

(٣) المنيطرة: حصن قريب من طرابلس (حسب ياقوت في معجم البلدان) وهو بين بعلبك وجبيل في جبل المنيطرة المعروف باسمه.

المرّي»[1] يأمره بإنفاذ الخيل إليهم لقتالهم، فخرج جمع غفير من الناس من أهل الديوان (أي الجنود والمقاتلة النظاميّين المكتتبة أسماؤهم في ديوان الجُنْد) وغيرهم من التجّار والمطوّعة، وعقد عليهم لابنه «يزيد بن عثمان»[2]، وكتب إلى صاحب بعلبك ليخرج بأهلها، وكتب إلى «الوليد بن عثمان المرّي» الوالي على ساحل دمشق (أي ساحل لبنان) ليقوم بتجييش من كان بالساحل من أهل الديوان المكتتبين وغيرهم، حتى اجتمع على الأنباط ومن معهم جمع ضخم من أنحاء «لبنان» وبلاد الشام، فصعدوا جبل لبنان وهاجوهم في المنيطرة، وواقعوهم أسفل قلعتها وشدّدوا الضغط والتضييق عليهم حتى ألجأوهم إلى الاعتصام بالقلعة، فامتنعوا فيها لبعض الوقت. وحين أيقن «بندار» أن سقوط القلعة بات وشيكًا في قبضة المسلمين قام بالتسلّل منها مع جماعة من أصحابه وفرّوا تحت جُنح الظلام إلى الساحل حيث أبحروا إلى بلاد الروم. وتمكّن المقاتلة من أهل بعلبك أن يعتلوا سور قلعة المنيطرة الخلفي، وينقضّوا على من فيها، وما هي إلا لحظات حتى سقطت بأيديهم، وتحوّل المهاجمون بعد ذلك إلى قرى الأنباط في جبال لبنان فدخلوها. وكتب صالح بن عليّ إلى الوُلاة يأمرهم بإخراج من بقي من أنباط لبنان من قراهم في الجبال وتفريقهم في بلاد الشام وقراها[3].

وكانت هذه هي المرّة الثانية التي يقتحم فيها المسلمون جبال لبنان، وكانت المرّة الأولى في عهد الخليفة الأمويّ «عبد الملك بن مروان» - كما تقدّم في القسم الأول من هذه الدراسة - وذلك خلال أقل من قرن واحد من الزمان، واقتحم السلطان «نور الدين محمود زنكي» حصن المنيطرة في قلب

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٥/٣٤٤.
(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٧/١٩٠.
(٣) فتوح البلدان ١/١٩٢، تاريخ دمشق ١٣/٥٩٥، ٥٩٦، تهذيبه ٥/٣٤١، خطط الشام ١/١٨٠، ١٨١، لبنان في التاريخ ٣٢٧، العباسيون الأوائل للدكتور فاروق عمر ١/٢٢٧ و٢/٢٥٣.

جبل «لبنان» واستولى عليه سنة ٥٦١هـ/١١٧٧م. وعجز الصليبيّون عن استرداده. وتمكن المسلمون من اقتحام جبال «الجُرْد» وكسروان أيضا في مطلع القرن ٨هـ/١٤م. في ظروف مماثلة في عصر المماليك على عهد السلطان الناصر محمد بن قلاوون - كما سيأتي في قسم لاحقٍ من هذه الدراسة - وبذلك تكون خيول العرب والمسلمين قد جاست خلال قرى لبنان وجباله أربع مرّات على الأقل، وهذا يُبْطل ادّعاءات القائلين بأن جيوش العرب والمسلمين لم تستطع اقتحام «لبنان»[1].

ولقد نتج عن تعقّب النصارى الخارجين على الدولة العباسية أن أُجْلي عدد من أهل الذمّة من جبل لبنان ممّن لم يكن ممالئًا للخارجين، فأُبعِدوا بجريرتهم دون ذنبٍ اقترفوه، مما دفع بالإمام الأوزاعيّ لأن يكتب رسالة مطوّلة إلى «صالح بن عليّ» اختصرها كلٌّ من «أبي عُبيد القاسم بن سلام» و«البلاذريّ» نذكر ما أورده «ابن سلاّم» الذي مهّد لنصّ الكتاب بما يلي:

«..وقد كان نحوٌ من هذا قريبا إلى الآن في دهر الأوزاعيّ بموضع بالشام، يقل له جبل اللبنان(!)، وكان به ناس من أهل العهد، فأحدثوا حَدَثًا، وعلى الشام يومئذٍ صالح بن علي، فحاربهم وأجلاهم، فكتب إليه الأوزاعيّ - فيما ذكر لنا محمد بن كثير[2] - عنه برسالة طويلة فيها:

(١) تاريخ الموارنة للأب بطرس ضو ٣/٢٧٩.
(٢) كان مولى لثقيف، من صنعاء الشام وأصله من ناحية اليمن، نشأ بدمشق، وسكن المصّيصة، روى كثيرًا عن الإمام الأوزاعي، وتوفي في أواخر سنة ٢١٦هـ. أنظر عنه في: التاريخ الكبير للبخاري ١/٢١٨، والطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٤٨٩، وكتاب المجروحين والضعفاء لابن حبّان ١/١٤٤، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٨/٦٩، والسنن الكبرى للبيهقي ٢/٤٣٠، والمستدرك على الصحيحين ١/٣٠، والسُنَن للنسائي ٤/١٧٥، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٣٩/٢٢٩، ٢٣٠، ومصوّرة موسكو ٥٣٣، والكفاية في علم الرواية للخطيب البغدادي ٢٩٩، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٩/٤١٥- ٤١٧، موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان (بتأليفنا) ج٤/٣٣٢ - ٣٣٤ رقم ١٥٧٥.

قد كان من إجلاء أهل الذمّة من أهل جبل لبنان، مما لم يكن تمالأ عليه خروج من خرج منهم، ولم تُطبق عليه جماعتهم، فقتل منهم طائفة ورجع بقيّتهم إلى قراهم، فكيف تؤخذ عامّة بعمل خاصّة فيخرجون من ديارهم وأموالهم، وقد بلغنا أنّ من حكم الله جلّ وعزّ أنه لا يأخذ العامّة بعمل الخاصّة، ولكن يأخذ الخاصّة بعمل العامّة، ثم يبعثهم على أعمالهم، فأحقّ ما اقتدى به ووقف عليه حكم الله تبارك وتعالى. وأحقّ الوصايا بأن تُحفظ وصيّة رسول الله ﷺ، وقوله (من ظلم معاهدًا أو كلّفه فوق طاقته فأنا حجيجه)[1]، من كانت له حُرمة في دمه، فله في ماله والعدل عليه مثلها، فإنهم ليسوا بعبيد، فتكونوا من تحويلهم من بلد إلى بلد في سعة، ولكنهم أحرار أهل ذمّة، يُرجم محصنهم على الفاحشة، ويُحاصّ[2] نساؤهم نساءنا من تزوّجهنّ من القِسَم، والطلاق، والعدّة، سواء، ثم ذكر رسالة طويلة»[3].

ويبدو أن «اسماعيل بن الأزرق» عامل الخراج في بعلبك وُضع في السجن لأمر غير معروف، كما حُبس أحد أعوانه ويُدعى «يزيد بن يحيى الخُشَني»[4] وطالت مدّة حَبْسه، حتى كتب الأوزاعي إلى أبي عبيدالله وزير المنصور يحثّه على تخليصه من السجن وأن يكتب المهديّ إلى والده الخليفة بذلك، كما كتب الأوزاعيّ إلى المهديّ مباشرة لتخليص «ابن الأزرق» من السجن، وجاء في نصّ كتابه:

---

(١) رواه أبو داود في السُنَن عن: صفوان بن سُليم، عن عدّةٍ من ابناء أصحاب رسول الله، عن آبائهم، أن رسول الله ﷺ قال: «من ظلم معاهدًا أو انتقصه أو كلّفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئًا بغير طيب نفْس فأنا حجيجه يوم القيامة». قال الحافظ المنذري: والأبناء مجهولون.

(٢) يُحاصّ: من المحاصّة: وهي المساواة في الحصص أي النصيب والمقدار.

(٣) كتاب الأموال لابن سلاّم ٢٤٧، ٢٤٨، وانظر: فتوح البلدان ١/١٩٢.

(٤) هو أخو الحسن بن يحيى الخشني الذي يروي عن الأوزاعي. روى عنه: هارون بن زياد الحنّائي. أخرج الحكم النيسابوري حديثاً من طريقه، عن الأوزاعي. (الأسامي والكنى ـ مخطوطة خزانة محمد عبده بدار الكتب المصرية ـ ج١ ورقة ٢٣٧ب) وفي مكتبتي نسخة مصوّرة منه.

«...إنّ يزيد بن يحيى الخشني في حَبْس أمير المؤمنين أصلحه الله، وكان من أعوان ابن الأزرق، ولم يبلغني عنه سوء قُرِف به، وقد طالت إقامته فيه، فإن رأيت ـ رحِمَك الله ـ أن يكون من المهديّ كتاب إلى أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ فيه يذكر من أمره ما نرجو تخلّصه به ممّا هو فيه من ضرر الحبْس، فعلت...».

«...وقد كان ـ أصلح الله الأمير ـ اسماعيل بن الأزرق، في ولايته على بعلبك، فلم يبلغنا عنه إلاّ عفافًا وقصْدًا، وقد كان من عقوبة أمير المؤمنين ـ أصلحه الله ـ إيّاه في بشره وشَعْره، ووضعه في الحبْس قِبَلَه، ما قد علم الأمير، فلم يبلُغنا أنّ ذلك كان عن خيانةٍ ظهرت منه ولا وُصف بها، إلاّ أن يكون تعلّق عليه لضَعف...»[1].

ويظهر أنّ مسؤولية «ابن الأزرق» المباشرة على تنفيذ السياسة المالية في جبل لبنان، جعلته في مقدّمة المستهدفين في حركة الخارجين على الدولة، ولم توضح لنا المصادر التي تحدّثت عنه ظروف سجنه ولا تاريخ ذلك، هل كان قبل حركة المنيطرة، أو في أثنائها، أو بعدها.

وقد اختصر «البلاذريّ» واقعة المنيطرة بقوله:

«حدّثني محمد بن سعد، عن الواقديّ قال: خرج بجبل لبنان قوم شَكَوْا عامل خراج بعلبك، فوجّه صالح بن علي بن عبدالله بن عباس مَن قتل مقاتلتهم وأقرّ من بقي منهم على دينهم وردّهم إلى قراهم، وأجلى قومًا من أهل لبنان»[2].

أما ابن عساكر فقد ربط بين دخول الروم البيزنطيّين إلى طرابلس، وحركة أنباط الجبل وهو يحكي وقائع هذه الحركة، فقال:

---

(١) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ١/١٨٩.

(٢) فتوح البلدان ١/١٩٢ رقم ٤٢٨.

«ومن الوقائع في زمن رياح[1] أنّ الروم دخلوا أطرابلس، ثم ظهر في لبنان رجل من أهل المنيطرة، شابّ ممتلئ الجسم، وذلك في سنة اثنتين أو سنة ثلاثٍ وأربعين ومائة، وسمّى نفسه الملك ولبس التاج وأظهر الصليب، واجتمع عليه أنماط (الصحيح: أنباط) جبل لبنان وغيرهم، ثم استفحل أمرهم فسبوا بعض قرى البقاع، فقتلوا المسلمين وأخذوا ما وجدوا، وكتب بُنْدار الملك إلى أهل بعلبك يُعلمهم بمصيرهم ويأمرهم بقتالهم، فتأهّبوا وقاتلوهم في أسفل جبل لبنان، ثم أظهروا الهزيمة فأمعنوا في الطلب، فلما بعدوا عن الجبل كرّت عليهم خيل بعلبك فقتلوا منهم مقتلة عظيمة، وانهزم بقيّتهم. ثم إنهم هاجموهم في قلعتهم فظهروا عليهم وامتلكوها منهم. وهرب بندار إلى بلاد الروم، فكتب حينئذٍ صالح بن عليّ يأمر بإخراج من بقي من الجبل وتفريقهم في بلاد الشام وكُفُورها، يعني قُراها»[2].

وعلى هامش هذه الوقائع، يُذكَر أنّ والي الشام - ونرجّح أنه رياح بن عثمان المُرّي - كان ناقمًا على الإمام الأوزاعي، وحاول أن يتخلّص منه إبّان حركة نصارى الجبل، ولكن الأمر لم يتمّ له، لخوفه من غضبة أهل الشام، وعن ذلك يحدّثنا «بشر بن بكر»[3] قال:

---

(١) رياح هو: رياح بن عثمان المرّي، وسيُذكر قريبًا.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٣٤٤/٥، وانظر عن حركة المنيطرة من وجهة نظر المستشرق بيلياييف، في كتابه: العرب والإسلام والخلافة العربية، ترجمة د. أنيس فريحة - طبعة الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣- ص٣٠٦.

(٣) هو: أبو عبدالله البجلي الدمشقي التنّيسي، وُلد سنة ١٢٤ بدمشق ودخل مصر ومات بدمياط سنة ٢٠٥هـ (أنظر عنه في: التاريخ الكبير ٧٠/٢، وصحيح ابن حبّان ٢٧٤/١ رقم ١١٠، والسنن الكبرى للبيهقي ١١٢/١ و١١٤ و٤٤٢ و٦٠/١٠، وسنن النسائي ٢٥٣/٣، ومشكل الآثار للطحاوي ٢٥/١، والمستدرك للحاكم ١٧٨/١ و٣٨٣ و٤٩٦ و٥٧٠، وتاريخ بغداد ١٠٥/٩، ومعجم الأدباء ١٢٢/١٠، وتاريخ دمشق (المخطوط) ١٢٧/٢٣، وتحقيق دهمان ٣٠/١٠-٣٣، والتهذيب ٢٢٨/٣، والكاشف للذهبي ١٥٤/١، ولسان الميزان ٩٣/٥، وحسن المحاضرة ١١٤/١ وتاريخ الثقات للعجلي ٨٠ رقم ١٤٨، =

«كان والٍ بالشام قد أراد الأوزاعيّ على شيءٍ فلم يجده عنده، فهَمَّ به أن يؤذيه، فقال له بعض من يعتاده، لا تفعل، فإنه لا مُقام لك بالشام مع الأوزاعيّ، فإن يكن من أمير المؤمنين شيء، كان منك، فكفَّ عنه.

فبينما هم كذلك إذ جاءه كتاب أن يخرج إلى فلان الثائر فيقاتله، فقال له أولئك: الآن حان ما تحبُّ منه، لو ضربت رَقَبَته لم يهمّك فيه شيء، فأرسل إليه فاجتمع به، واجتمع من كان يؤلّبه على الأوزاعيّ وغيرهم، فقال له الوالي: يا أبا عمرو، هذا كتاب أمير المؤمنين لي، وفيه يأمرني بالخروج إلى هذا الظالم الثائر، فقال له الأوزاعيّ ذاكرًا حديث: «إنّما الأعمال بالنّيّات..». فقال الوالي: أخبرك عن كتاب أمير المؤمنين وتعارضني بغيره؟! فقال الأوزاعيّ: أسكت. أخبرك عن رسول الله وتعارضني بغيره! فأشار إليه بعضُ من كان يؤلّبه عليه بيده أن يسكت. فقال له: انصرفْ يا أبا عمرو. فلما قام قال لهم الوالي: هذا رجل معصوم، ثم قال الوالي لمن كان يؤلّبه: إشارتكم إليّ أن أسكُت لِمَ كانت؟ قالوا: لو أشار إلى أهل الشام لضَربت عُنُقك»[1].

التنوخيّون في «لبنان»

جاءت غزوات البيزنطيّين إلى سواحل الشام، وحركة نصارى جبل لبنان، لتُظْهر ثغرة الضعف في هذا الجانب من الدولة العباسية التي أدارت ظهرها لساحل الشام واتّجهت نحو العمق الداخلي بعد أن نقلت قاعدة الخلافة من دمشق الشام، إلى الكوفة والأنبار ثم بغداد القريبة من بلاد فارس، ولا شكّ

= والثقات لابن حبّان ١٤١/٨، والجرح والتعديل ٣٥٢/٢، والجمع بين رجال الصحيحين ٥٣/١، وتهذيب الكمال ٩٥/٤، وتهذيب التهذيب ٤٤٣/١، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ١١/٢، ١٢ رقم ٣٣٨.

(١) تاريخ دمشق ١٩٩/٢٣، ٢٠٠ وجاء في موضع آخر منه: «وقد همّ به بعض الوُلاة مرة فقال له أصحابه: دعه عنك، والله لو أمر أهل الشام أن يقتلوك لقتلوك».

في أنّ انتقال عاصمة الحكم والخلافة من دمشق، إلى بغداد قد أحدث خللاً معنويًا في نفوس الشاميّين أفقدهم توازنهم وأفقدهم المرتبة الممتازة التي كانت لهم في العهد الأموي، وتحوّل مركز الثقل إلى العراق العباسيّ. وتحوّلت بلاد الشام، ومنها «لبنان» إلى بُحيرات تموج بالخصوم والمعارضين للعهد الجديد الذي قام على أكتاف الفرس. وظهر بوضوح أن النظام الدفاعيّ الذي كان متّبعا في العهد الأمويّ لحماية سواحل الشام لم يعُد كافيًا في هذه المرحلة الانتقالية الجديدة، كما أنّ سياسة المهادنة التي كانت ضمن استراتيجية البيت الأمويّ نحو البيزنطيين وأعوانهم ليست بالحلّ الدائم، وكان على العباسيّين أن يطوّروا هذه السياسة بشكل يوفّر حماية دائمة لسواحل بلاد الشام، وطالما أنّ قوّة التدخّل التي تأتي على فترات من القواعد الداخلية للدفاع عن الساحل لا يمكن أن تبقى وتستمرّ في فاعليّتها الدفاعية إلاّ بين سكان مُوالين لها وللسلطة الحاكمة معًا، فالحلّ العملي يقضي بتحويل مجموعات سكانية موالية من أهل الحضَر للسُكنى في المرتفعات الجبلية والحواضر المدينية، وخصوصا في المناطق الجبلية التي تتوسّط الساحل «اللبناني» حول بيروت.

ولقد وجد الخليفة أبو جعفر المنصور ضالّته في العشائر التنوخية اللّخميّة المنتشرة في بلاد المعرّة فأغراهم بسُكْنَى «لبنان» وأعطاهم إقطاعات معلومة فيه، فانتقل «أرسلان» أمير الجيش بطلائع التنوخيين إلى وادي التّيم[1] ونزل في الحصن المعروف بحصن أبي الجيش منتظرًا قدوم أخيه بباقي عرب العشيرة.

وفي سنة ١٤٢هـ/٧٥٩م. قدم الأمير «المنذر» بباقي العرب، ونصب الأميران ورجالها المضارب جنوبيّ المغيثة (بالقرب من صوفر) في جبل لبنان،

(١) يُنسب وادي التيم إلى آل التيم بن أسد بن وبرة بن تغلب بن حلون من قضاعة، الذين استوطنوا هذا المكان بعد حرب قضاعة مع شابور ملك الفرس وذلك قبل الإسلام، ثم نزل به بنو عبدالله وبنو هلال ابنا تيم الله بن ثعلبة أثناء الفتح الإسلامي. (تاريخ وادي التيم، ليحيى حسين عمّار ـ طبعة ينطا ١٩٨٥ـ ص١٤٣).

فكانا يجوبان البلاد بعشائرهما ثم يرجعان إلى المغيثة، إلى أن تحوّلا عنها وتفرّقا بعشائرهما في البلاد، فعمروا جبال بيروت الخالية وتحضّروا. فاستوطن الأمير «المنذر بن مالك» حصن سلحمور (سرحمول حاليا)، وأقام أخوه الأمير «أرسلان» في سنّ الفيل، والأمير «حسّان بن خالد بن مالك» في طردلا[1]، والأمير «عبد الله بن النعمان بن مالك» كفرا[2]، والأمير «فوارس بن عبد الملك بن مالك» في اعبية (عبيّة الحالية)، وتفرّق باقي المقدّمين وعشائرهم في البلاد، وكانوا اثني عشر مقدّمًا. وأخذوا يغزون المَرَدة ويحافظون على أبناء السبيل[3].

وبنتيجة اقتحام المسلمين لجبال لبنان وإخراج النصارى من قراه وتفريق الباقي منهم في بلاد الشام، وبنزول التنوخيين في جبال الغرب من بيروت والأشواف الواقعة بين بيروت وصيدا، فقد انكمشت رقعة انتشار نصارى الجبل (الموارنة)، وتراجعت حدود مواطنهم من الجنوب باتجاه الشمال، فبعد أن كان هذا الخط يمتدّ من انطلياس على ساحل البحر غربًا، إلى ترشيش في الجبل شرقًا، عبر قرى: العطشانة، وبحرصاف، وبحنّس، وبعبدات، وزرعون، والمتين. أصبح خطّهم الأماميّ عند ضفة نهر الكلب اليسرى فوق الجبل المشرف على النهر من جهة الجنوب، عند المكان الذي يُعرف حتى الآن بالبرج حيث دير مار يوسف[4].

وفي الواقع، نحن ندين لسجلّ النسب الأرسلاني بالفضل في الوقوف على هذه التفاصيل المتعلّقة بانتقال التنوخيّين إلى «لبنان»، وهو سجلّ موثّق من قُضاة الشرع في: مَعَرّة النعمان، ودمشق، وبيروت، وصيدا، و طرابلس[5]،

(١) طردلا: قرية دارسة في الشحّار الغربي.
(٢) كفرا: قرية دارسة تقع شرقي قرية عيناب من الغرب الأعلى بلبنان.
(٣) أخبار الأعيان ٢/٤٩٥.
(٤) تاريخ الموارنة ٣/٢٩٥، ٢٩٦.
(٥) يوجد نسخة مخطوطة من السجلّ بحوزة كريمة الأمير شكيب أرسلان السيدة مي جنبلاط، =

وعليه اعتمد « الشدياق » في تاريخه[1].

أما المصادر التاريخية القديمة المتداولة، فلم تصرّح بعملية نقل العشائر التنوخية إلى « لبنان »، بل اكتفى « البلاذريّ » بإثبات رواية « أبي إسحاق الفَزاريّ » التي تقول:

« فلمّا ولي أبو جعفر المنصور تتبّع حصون السواحل ومُدُنها فعَمَرَها وحصّنها، وبنى ما احتاج إلى البناء منها، وفعل مثل ذلك بمدن الثغور »[2].

ومن التنوخيّين الذين نزلوا بيروت في هذه الفترة: « سعيد بن عبد العزيز التنوخي البيروتي المعروف بابن أبي يحيى ». قال عنه ابن عساكر الدمشقي: « هو فقيه أهل دمشق ومُفتيهم بعد الأوزاعيّ » وقال الحاكم النيسابوريّ: « هو لأهل الشام كمالك لأهل المدينة في التقدّم والفضل والفقه والأمانة ». وكان الوليد بن مسلم القرشي يقول: إذا أردت أن أسمع من شيخ سألت عنه الأوزاعي وسعيد بن عبد العزيز ». وهو من مواليد سنة ٩٠ وتوفي سنة ١٦٧هـ. على الأرجح »[3].

الانتقام من البيزنطيّين

كان على المسلمين، بعد الانتهاء من إخماد حركة نصارى جبل لبنان، أن يقتصّوا من أهل قبرس الذين ساعدوا البيزنطيّين في غزوتهم إلى اللاذقية

= وقد نشر الأمير شكيب أبرز ما تحتوي عليه النسخة في ذيل ديوان أخيه الأمير نسيب أرسلان « روض الشقيق في الجزل الرقيق » ـ طبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٢٥ ـ ص٢٤٠، وانظر: التنوخيّون، لنديم نايف حمزة ـ طبعة دار النهار ١٩٨٤، ص٢٥، وتاريخ الموحّدين الدروز السياسي في المشرق العربي، للدكتور عباس أبي صالح ـ منشورات المجلس الدرزي للبحوث والإنماء ـ ص٢٤، وفي الكتابين الأخيرين أسماء مصادر أخرى حول هذا الموضوع.

(١) أخبار الأعيان ٢/٤٩٥ وما بعدها.

(٢) فتوح البلدان ١٩٣ رقم ٤٣٠.

(٣) موسوعة علماء المسلمين ٢/٢٨٠ـ ٢٨٣ رقم ٦٢٠.

وطرابلس، ولذلك خرج إليها غازيًا أمير البحر الشامي « العباس بن سفيان الخثعميّ » في سنة ١٤٦هـ/٧٦٣م. فكان أول جيش للمسلمين يغزوها منذ قيام الدولة العباسية[1].

وكان « عبد الملك بن مروان » زاد في أيّامه على أهلها ألف دينار فوق ما كانوا يؤدُّونه بموجب الصُلح الذي سبق أن عقده معهم « معاوية » من قبل، فأسقط « عمر بن عبد العزيز » الزيادة التي قرّرها « عبد الملك ». ولما تولّى الخلافة « هشام بن عبد الملك » عاد ففرض زيادة الألف دينار من جديد، واستمرّ هذا الأمر إلى أن فُتحت الجزيرة في هذه السنة، فأسقط « أبو جعفر » الزيادة وقال: « نحن أحقّ مَن أنصفهم » وردّهم إلى صُلح معاوية[2].

أمّا اللاذقيّة ونواحيها فقد ظلّت تحت سيطرة البيزنطيّين منذ حَمْلتهم البحرية في سنة ١٤٠هـ، حتى خرج « معيوف بن يحيى الحجوري »[3] في غزوة صائفة سنة ١٥٣هـ/٧٧٠م. فوصل إلى حصنٍ من حصون الروم ليلاً وأهله نيام فسبى وأسر من كان فيه، ثم قصد اللاذقيّة المحترقة ـ وكان البيزنطيّون قد عمروها ـ فسبى منها ستة آلاف، سوى الأسرى من الرجال[4].

وواصلت الدولة العبّاسية ضغطها على الدولة البيزنطية حتى اضطر الإمبراطور « قسطنطين » أن يطلب الصلح من الخليفة المنصور وأن يؤدّي إليه الجزية في سنة ١٥٥هـ/٧٧٢م.[5] وفي سنة ١٥٨هـ/٧٧٥م. انتهى صراع الخليفة والإمبراطور بوفاتهما، ولكن دون أن ينتهي صراع الدولتين.

(١) تاريخ دمشق ٣٤/٣٤٠، تهذيبه ٧/٢٢٣.

(٢) فتوح البلدان ١/١٨٢.

(٣) هو من مواليد قرية حجّور التي تُدعى عين ثرماء قرب دمشق، وكانت له فيها قصور معجبة، أحرقها المُضَريّة في فتنة أبي الهيذام (١٧٤ـ ١٧٧هـ) أنظر: تهذيب تاريخ دمشق ٧/١٩٤ طبعة دار المسيرة.

(٤) الطبري ٨/٤٣، ابن الأثير ٥/٦٣٠، العباسيون الأوائل ١/٢١٥، ٢١٦.

(٥) الطبري ٨/٤٦.

«لبنان في عهد المهدي (١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م).

في عهد الخليفة المهديّ بن المنصور تجدّدت غزوات المسلمين البحريّة عن طريق مواني الشام، وتشير المصادر التاريخية إلى غزوتين في سنتين متتاليتين قام بها أمير البحر «الغَمْر بن العباس الخثعميّ»[١] في سنة ١٦٠ و١٦١هـ، ولكننا لم نعرف وجهة هاتين الغزوتين[٢]. وكان «الغمر» قد وُلّي غازية بحر الشام بعد «عامر بن ربيعة السُّلَميّ» في الفترة الأخيرة من عهد المنصور.

وحول ذلك التاريخ استشهد الشيخ الزاهد «إبراهيم بن أدهم» وهو يقاتل في موقعة جرت في إحدى جُزر بحر الشام[٣]. فحُمل إلى مدينة صور ودُفن فيها، حسب قول أبي نُعَيْم الأصبهاني[٤]. مع أنّ المشهور أنّ قبره في مدينة جبلة[٥]. وكان «ابن أدهم» قد خرج في عدّة غزوات بحرية كما يبدو من «حلية الأولياء» وكان معه في بعضها:

(١) ويقال له: «السكسكي».

(٢) الطبري ١٢٩/٨ و١٤٠، تاريخ دمشق ٣٤٠/٣٤، البداية والنهاية ٤٦/٦ و٥٥، العباسيون ٢٥٢/٢.

(٣) البداية والنهاية ١٤٤/١٠.

(٤) حلية الأولياء ٩/٨، وفيات الأعيان، لابن خلّكان - تحقيق د. إحسان عباس. وفيه أنّ وفاته كانت سنة ١٤٠هـ. نقلاً عن أبي سلمان الداراني ٢٢/١.

(٥) اختلف في مكان وفاته ومدفنه فقيل إنه دُفن في بعض الجزائر ببلاد الروم، ويحدّد الإمام البخاري حصن «سوفتن» من بلاد الروم، ويؤيّده في ذلك «ابن حبّان» و«ابن عساكر»، وانفرد «أبو نُعيم» بالقول بدفنه في صور، وجاء في حاشية إحدى نُسخ «فوات الوفيات» لابن شاكر الكتبي أن وفاته كانت في الساحل قريبًا من طرابلس، وذهب بعضهم إلى أنه توفي بدمشق ودُفن في مرج غوطتها. (أنظر عنه ترجمة موسّعة في: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي - من تأليفنا - ج١/٢٠٠ رقم٧، وانظر أيضًا البحث الذي قدّمناه للمؤتمر العالمي لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية بدمشق الذي انعقد سنة ١٤٠١هـ/١٩٨١م. وهو بعنوان: «الرباط والمرابطون في ساحل الشام من الفتح الإسلامي إلى الحروب الصليبية».

«بقيّة بن الوليد»[١].

و«أبو رجاء الهَرَويّ»[٢].

و«فُدَيْك»[٣].

و«أبو المرتّد»[٤].

و«أبو عبدالله الجوزجانيّ»[٥].

وغزا «ابن أدهم» غزوتين في البحر ولم يأخذ سهمه من الغنائم أو يَفْترض، وذلك زيادة في الزهد[٦]. وقيل إنه كان يغزو مع «حُمَيْد بن معيوف الهَمْداني»[٧] ورابط بساحل «لبنان»، وتنقّل بين طرابلس، وجُبيل، وبيروت، وصيدا، وصور، والجبل.

ومن غُزاة البحر في هذه الفترة: أبو عثمان عمرو بن مرزوق الباهليّ، وهو صاحب «شُعبة» المتوفى سنة ١٦٠هـ. قال ابن أبي حاتم الرازي: «كان رجلاً غزّاءً يغزو في البحر»[٨].

ثم أُوكل أمر الغزو في ساحل الشام إلى «عبدالله بن الأسود المحاربي» ثم الى «جرير بن عبدالله العبْسيّ»[٩] وإن كانت المصادر التاريخية لا تُفصح عن جهودهما بشيء.

(١) حلية الأولياء ٥/٨.

(٢) حلية الأولياء ٦/٨.

(٣) حلية الأولياء ٧/٨.

(٤) حلية الأولياء ٧/٨.

(٥) تهذيب الكمال للمزّي ٣٦/٢.

(٦) حلية الأولياء ٣٨٨/٧.

(٧) ورد في الحلية: «أحمد بن معيوف» والتصحيح عن «فتوح البلدان ٢٧٩/١» وابنه هو: «محمد بن حُميد بن معيوف»، وقد سمع: محمد بن المُعَافَى الصيداوي المحدّث. (تاريخ دمشق ٤٢٣/٣٧) ومن أحفاده: عبد الواحد بن محمد بن عمرو بن حُمَيد، قاضي عين ثرماء. روى عن: خيثمة بن سليمان الأطرابلسي محدّث الشام (معجم البلدان ١٧٧/٤).

(٨) الجرح والتعديل ٢٦٤/٦.

(٩) تاريخ دمشق ٨٦١/١٩.

ولقد حدث في سنة ١٦٣هـ/ ٧٨٠م. أن سار المهدي إلى بيت المقدس يرافقه الأميران التنوخيّان «المنذر» و«أرسلان»، فاغتنم النصارى خروج الأميرين من «لبنان» وقاموا بمهاجمة قوافل التجار والمسافرين بالساحل بين طرابلس وبيروت، وبيروت وصيدا، وحين عاد الأميران قاما بمهاجمة المتمرّدين (حسب تعبير الشدياق) في عدّة مواقع، كان أشهرها موقعتان، إحداهما عند نهر سُمّي بنهر الموت بين بيروت وجبيل، لكثرة ما وقع فيه من قتلى. وكانت الأخرى عند إنطلياس على الساحل شمالي بيروت، قُتل فيها من الفريقين أكثر من ثلاثمائة رجل، وانتهت بانتصار الأميرين وإبعاد خطر المتمرّدين عن الساحل، «وأمِن أبناء السبيل، واشتهر ذكر الأمراء في كل نادٍ»[١]. وأقرَّ المهديّ الأميرين على ولايتها وزاد لهما في النفوذ، وأجرى لهما الإقامات الكافية، وبذلك بدأت في «لبنان» أول إمارة عربية إسلامية، تتمتّع بالحكم الذاتي، هي الإمارة التنوخيّة، مركزها في جبال الشوف وإقليم الغرب في شرق بيروت، ويتاخمها من الشمال في جبال كسروان والجبال الشمالية مقدّمية النصارى الموارنة، وكان ذلك بداية ظهور معالم الكيان الذاتي في «لبنان»[٢].

ولخّص «البلاذريّ» أعمال المهديّ بقوله: «ثم لما استُخلف المهديّ استتمّ ما كان بقي من المدن والحصون، وزاد في شحنها»[٣].

«لبنان» في عهد الرشيد (١٧٠ - ١٩٣ هـ/ ٧٨٥ - ٨٠٨ م.)

واصل نصارى جبل لبنان تمرّدهم في عهد الخليفة الرشيد، وكان التنوخيّون يتحمّلون مسؤولية المواجهة والتصدّي لحركاتهم، ويتوارثون الدفاع عن إمارتهم، فحين توفي الأمير أرسلان بن مالك في سنّ الفيل سنة

(١) أخبار الأعيان في جبل لبنان ٢/ ٤٩٦.
(٢) لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني - لمحمد علي مكي - الطبعة الأولى - ص٦٩.
(٣) فتوح البلدان ١/ ١٩٣.

١٧١هـ/ ٧٨٧م. نُقل إلى بيروت ودُفن فيها عن عُمر يناهز الستين سنة، وقد بالغ «الشدياق» في وصفه فقال: «وكان طويلاً، عريض المنكبين، أسمر، حَسَن الطلعة، مهيبًا، شجاعًا، فارسًا، مغوارًا، كريمًا، محتشمًا، فصيحًا، حليمًا، حَزُومًا، صادقًا، شديد البأس، عليّ الهمّة، جرى له وقائع عديدة مع المرَدَة وخلافهم حتى بلغ شهرة عظيمة ومدحته الشعراء»[١].

وتولّى إمارة العشيرة أخوه الأمير «المنذر بن مالك»، وقام نصارى الجبل بمداهمة ابن أخيه «مسعود بن أرسلان» في قرية «سنّ الفيل» خارج بيروت، فالتقاهم خارج القرية وأزاحهم عنها وهزمهم وقتل منهم مقتلة كبيرة، ثم شنّ هجومًا على بعض قُراهم السفلى وأحرقها، وذلك في سنة ١٧٤هـ/ ٧٩١م[٢].

وعاد المسلمون والبيزنطيّون في السنة نفسها إلى تبادل الغزوات البحرية، فغزا البيزنطيّون إلى ساحل الشام، وردّ المسلمون عليهم بغزوة مماثلة في البحر[٣].

ونقض أهل قبرس الصلح مع المسلمين حول سنة ١٧٤هـ. فأراد والي الثغور «عبد الملك بن صالح بن علي» أن ينقض صُلْحهم لينتقم منهم، وقبل أن يُقدم على ذلك كتب إلى الفقهاء في بلاد الشام والحجاز ومصر يستشيرهم ويستفتيهم في مشروعيّة قتالهم، فلم يوافقوه على رغبته، رغم أن أهل الجزيرة «لم يفوا للمسلمين قط»[٤].

وفي ذلك يقول «أبو عُبيد بن سلاّم»:

«ثم كان بعد ذلك حَدَثَ من أهل قبرس، وهي جزيرة في البحر: بين

(١) أخبار الأعيان ٢/ ٤٩٦.
(٢) أخبار الأعيان ٢/ ٤٩٦.
(٣) الروم وصلاتهم بالعرب، للدكتور أسد رستم - ج١/ ٢٩٧.
(٤) فتوح البلدان ١/ ١٨٣- ١٨٦.

أهل الإسلام والروم، قد كان معاوية صالحهم وعاهدهم على خَرْج يؤدّونه إلى المسلمين، وهم مع هذا يؤدّون إلى الروم خرْجًا أيضًا، فهم ذمّة للفريقين كليهما. فلم يزالوا على ذلك، حتى إذا كان زمان عبد الملك بن صالح على الثغور، فكان منهم حَدَثٌ أيضًا، أو من بعضهم، رأى عبد الملك أنّ ذلك نكْثٌ لعهدهم، والفُقهاء يومئذٍ متوافرون، فكتب إلى عدّة منهم يشاورهم في محاربتهم، فكان ممّن كتب إليه: الليث بن سعد، ومالك بن أنس، وسُفْيان بن عُيَيْنَة، وموسى بن أعْيَن، واسماعيل بن عيّاش، ويحيى بن حمزة، وأبو إسحاق الفَزَاريّ، ومَخْلَد بن حسين، وكلّهم أجابه على كتابه.

قال أبو عُبَيد: فوجدت رسائلهم إليه قد استُخرجت من ديوانه، فاختصرت منها المعنى الذي أرادوه وقصدوا له، وقد اختلفوا عليه في الرأي، إلاّ أنّ مَن أمَرَه بالكَفّ عنهم والوفاء لهم، وإنْ غَدَر بعضُهم، أكثر ممّن أشار بالمحاربة».

وقد اعتمد مُعظم الفقهاء في رُدُودهم على ما ذهب إليه الإمام الأوزعيّ وأفتى به قبلهم.

«..وقد كان الأوزاعيّ يحدّث أن المسلمين فتحوا قبرس فترُكوا على حالهم، وصالحوهم على أربعة عشر ألف دينار، سبعة آلاف للمسلمين، وسبعة آلاف للروم، على أن لا يكتموا المسلمين أمر عدوّهم، ولا يكتموا الروم أمر المسلمين. فكان الأوزاعيّ يقول: ما وفَى لنا أهل قبرس قطّ. وإنّا نرى أنّ هؤلاء القوم أهل عهد، وأنّ صُلحهم وقع على شيء فيه شرط لهم وشرط عليهم، وإنه لا يستقيم نقضُه إلا بأمر يُعرف به غدرهم ونكْثُ عهدهم.

قال أبو عبيد: فأرى أكثرهم قد وكّد العهد ونهى عن محاربتهم حتى يُجمعوا جميعًا على النكْث، وهذا أولى القولين بأن يُتّبع، وأن لا يؤخذ العوامّ بجناية الخاصة، إلاّ أن يكون ذلك ممالأة منهم ورضى بما صَنَعَت الخاصة،

فهناك تحلّ دماؤهم»[1].

ونعود إلى أحداث السنة ١٧٤هـ./٧٩١م. فنجد فيها:

١ - تحرُّك المتمرّدين من نصارى جبل لبنان.

٢ - وغزو البيزنطيين إلى ساحل الشام.

٣ - ونقض أهل قبرس للصلح.

وكل هذه الأحداث الخطيرة وقعت في سنة واحدة، وفي وقت واحدٍ ربّما، ولنا أن نلتفت دائمًا إلى أوضاع الدولة العربية الإسلامية في الداخل وما تشهده من فتنٍ واضطرابات، لنتفهّم سرّ التوقيت في التحرُّك المناوئ للمسلمين على امتداد الساحل الشامي أو بعضه، وبالأخصّ «لبنان».

ففي هذه السنة شهدت بلاد الشام، بما فيها البقاع والمناطق الشرقية من «لبنان» قيام فتنة واسعة بين القيسيّة واليمنيّة، وكان مُثير تلك الفتنة «عامر بن عمارة بن خُريم الناعم» المعروف بأبي الهيذام المُرّيّ[2]، وهو يتزعّم القيسيّة، واستمرّ إوار الفتنة مُسْتَعِرًا أكثر من سنتين (١٧٤-١٧٧هـ.)، اشترك فيها أهل البقاع[3] والجَوْلان والأردنّ من اليمنيّة وحلفائهم، وكان فيهم جماعة من أهل ساحل الشام «لبنان» أيضًا، حيث يذكر «ابن عساكر» أسماء بعض المشاركين من بينهم «أحد» وقيل «محمد» وأخوه «زيد» ابنا «معيوف الهمداني»[4] ونرجّح أنّ «أحدًا» و«محمدًا» تصحيف لاسم «حُمَيْد» الذي كان يتولّى الغزو في بحر الشام، ومعهم أيضًا ابن العمر السكسكي» كما جاء عند ابن عساكر[5]، والذي نرجّح أنه هو «الغمر

---

(١) راجع كتاب الأموال، لابن سلام ٢٤٨- ٢٥٤، فتوح البلدان ١/١٨٣- ١٨٦.

(٢) توفي سنة ١٨٢هـ.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ٧/١٨٢ و١٨٤.

(٤) تهذيب تاريخ دمشق ٧/١٨٠ و١٨٤.

(٥) تهذيب تاريخ دمشق ٧/١٨٤.

(بالغين المعجمة) بن العباس الخثعميّ السكسكيّ » الذي كان أميرًا لبحر الشام أيضا وغزا في سنتي ١٦٠و١٦١هـ. كما مرّ. والأرجح أنّ قرية « السكسكيّة » القريبة من مدينة صور منسوبة إليه وإلى أبناء قبيلته « السكاسك » العربية.

وكان اليمنيّون في نواحي الشام أكثر جمعًا من القيسيّة، فامتلأ بهم البقاع والجولان، وجاء « أبو الهيذام » بالمُضَريّة القيسيّة من نواحي العراق، والتقى الطرفان في قتال بالقرب من دمشق، فدُمّرت أثناء ذلك كثير من القرى والبلدات حول دمشق وحمص وغيرها[١]..

ومن المحتمل أن هذه الفتنة امتدّت إلى ساحل « لبنان » ونواحي صيدا، ولعلّها هي الفتنة التي تحدّث عنها « القاسم بن شهر الدمشقي »، والذي رابط في السواحل والثغور نحوًا من ٤٥ سنة، فقال: « لما عظمت بالفتنة بساحل دمشق وكثُر البلاء تنحّيت عن موضعي الذي كنت فيه وخرجت بأعنُز لي حتى صرت إلى ذروة لبنان مما يقبل على الساحل في موضع يقال له « هرميسيا » بأصل قرية يقال لها « مليخ » من كورة صيدا »[٢] وهناك التقى بشيخ حدّثه عن فتنة وقعت بين أهل صيدا وبين قوم عُرِفوا بالصارمية، حتى تم الصلح بينهم.

إذًا، فما كان يحدث في الداخل من حروب، وفتن كان يؤثّر سلبًا على المناطق الساحلية، فتصبح مستهدَفَة من نصارى الجبل في الداخل، ومن الروم البيزنطيين في الخارج، وهذا يفسّر تلاحق الأحداث في تلك السنة.

---

(١) راجع تفاصيل هذه الفتنة وأسبابها في: تاريخ اليعقوبي ٢/٤١٠ وفيه أن أبا الهيذام قُتل سنة ١٧٦هـ. وهو مخالف للروايات الأخرى، عند الطبري ٨/٢٣٩ حوادث سنة ١٧٤هـ. وصفحة ٢٥١، ٢٥٢ حوادث ١٧٦هـ. وصفحة ٢٦٢، ٢٦٣ حوادث ١٨٠هـ، وابن الأثير ٦/١٢٧- ١٣٣ حوادث سنة ١٧٦ هـ، وتهذيب تاريخ دمشق ٧/١٧٩- ١٩٦، والبداية والنهاية ١٠/١٦٨ حوادث سنة ١٦٨هـ.

(٢) تاريخ دمشق ٣٥/١١٠ و١١١ برواية عثمان بن أبي كريمة الصيداوي في سنة ١٩٧هـ. عن القاسم بن شهر. والقرية في جبل صافي في الجنوب الشرقي من صيدا.

الأمراء التنوخيّون يواجهون البيزنطيين وأعوانهم

وتمرّ عدّة سنوات دون أن نطالع فيها شيئًا عن أحداث « لبنان »، وإذا كان هناك من أخبار تاريخية فإنّ معظمها يتمحور في هذه الحقبة حول الأمراء التنوخيّين ودورهم في مواجهة البيزنطيّين وأعوانهم من نصارى الجبل.

ففي سنة ١٨٢هـ./٧٩٩م. انتقل الأمير مسعود بعشيرته الى الشويفات وبنى فيها مساكن، واتّخذ له مسكنًا، وكانت الشويفات تابعة للبرج ولم تكن معمورة فعمرها حتى صارت قرية كبيرة. وجاوره في السكن أخواه الأمير مالك والأمير عون. أما أخوه فاستوطن رأس التينة، وهي على الساحل جنوبيّ بيروت، والأمير محمود في خلدة، والأميران هُمام وإسحاق في الفيجنيّة.

وفي السنة التالية ١٨٣هـ/٨٠٠م. توفّي عمّه الأمير « المنذر بن مالك » ودُفن بجانب الحصن الذي بناه في سلحمور (سرحمول) وكان سيّد قومه وقُطب مَدارهم، اتّسعت شهرته جدًّا وأناخت بساحته الوفود، وأثنى عليه الشعراء بالمدائح النفيسة، واتفق الأمراء والعشائر فأقاموا الأمير « مسعود بن أرسلان » أميرا عليهم لنجابته ودرايته »[١].

وفي السنة التالية لإمارته قدِمت مراكب الروم البيزنطيّين إلى ساحل بيروت، وأغارت على « عين التينة » وهي على ساحل البحر قرب ضريح الإمام الأوزاعي، فأسر الروم من هناك الأمير « عمر بن أرسلان اللخميّ » مع ثلاثة من أصحابه[٢]. وظلّوا في الأسر حتى فُودِي بهم في سنة ١٨٨هـ/٨٠٤م. وكان الأمير « مسعود » وأخوه الأمير « مالك » قد سارا لمقابلة « القاسم بن هارون الرشيد » وهو في مرج دابق حيث كان معسكره[٣]،

---

(١) أنظر هذه الأخبار في: أخبار الأعيان، للشدياق ٢/٤٩٦.

(٢) أخبار الأعيان ٢/٤٩٦، محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي، نشرها شكيب أرسلان ص٢٠.

(٣) تاريخ الطبري ٨/٣١٣ و٣١٨ وفيه يذكر الفداء بين المسلمين والروم في حوادث سنة =

وطلبا أن يكون الأمير «عمرو» من جملة الفداء، فتم لهم ذلك، ولما عاد «القاسم» إلى بغداد عرض على والده بسالة الأمراء التنوخيّين وقهرهم للمَرَدَة، فأرسل الرشيد منشورًا إلى أمير الثغور الشاميّة «ثابت بن نصر الخزاعيّ»، وإلى غيره من عمّال الشام أن ينادوا في البلاد بالرحيل إلى «لبنان» وسُكناه لتشتدّ قوّة أمرائه على أهل العاصية[1].

وكان على المسلمين أن يلتفتوا دائمًا نحو قبرس التي ما انفكّت تُقلق أمن الساحل الشاميّ بتواطؤ أهلها مع البيزنطيّين، وكان تحرّك السفن البيزنطية نحو ساحل «لبنان» يتوافق مع كل تحرُّكٍ يقوم به نصارى الجبل، ممّا يوحي بتنسيق حربيّ ينفّذ بدقّة هنا وهناك. وكان المسلمون يواجهون ذلك بالإكثار من الغزوات البحرية، وبتطويق المتمرّدين من النصارى في الجبال عن طريق وضع حزامٍ من القبائل العربية حولهم لمنعهم من الاتصال بالأساطيل البيزنطية.

وبالرغم من أنّ فقهاء المسلمين أشاروا على «عبد الملك بن صالح بن علي» حول سنة ١٧٤هـ. بعدم نقض صلح أهل قبرس - مع تكرار نقضهم هم ومُمالأتهم للبيزنطيّين على المسلمين -[2] فإنهم عادوا وأحدثوا ما يوجب قتالهم، ولذلك خرج إليهم «حُمَيد بن معيوف الهمْدانيّ» في سنة ١٩٠هـ./٨٠٥م. - وكان يلي سواحل بحر الشام إلى مصر - ونزل الجزيرة بأسطول ضخم «فهدم وحرّق وسبى من أهلها ستة عشر ألفًا» فأتى بهم إلى الرافقة[3]، فتولّى بيعهم (أبو البختريّ) القاضي الذي تولّى على صيدا[4]، وكان بين

= ١٨٩هـ. ويقول: «فلم يبق بأرض الروم مسلم إلاّ فودي به» ثم ذكر شعرًا. (٣١٨/٨) وانظر حول هذا الفداء تفصيلات مفيدة في: التنبيه والإشراف للمسعودي ١٦٠ و٩٦١.

(١) أخبار الأعيان ٤٩٧/٢.

(٢) الخراج وصناعة الكتابة لقُدامة ٣٠٦.

(٣) الرافقة: بلد متّصل البناء بالرَّقّة على ضفّة الفرات.

(٤) هو القاضي «وهب بن وهب القُرشي»، وسيأتي التعريف به عند الحديث عن مدينة صيدا.

الأسرى أسقف قبرس، فبلغ ثمنه لوحده ألفي دينار[1].

وواصل «حُمَيد بن معيوف» من قبرس غزوه في البحر، فنزل على أقريطش (كريت) وفتح بعضها[2] ومن ناحية أخرى، استولى جيش الرشيد على «هِـرَقْلَـة»[3] في أرض الروم، ممّا أجبر الإمبراطور نفقور (١٨٧-١٩٨هـ/ ٨٠٢-٨١١م.) في آخر الأمر، أن يعقد صُلْحًا مهينًا للإمبراطورية، حسب تعبير «وليم لانجر»[4].

وعاد «هارون الرشيد» ووفى بصُلحه مع أهل قبرس بعد أن استقاموا وأمر بردّ من أسر منهم فرُدُّوا[5].

ويلخّص البلاذريّ جهود الرشيد في العناية بالثغور والسواحل بما قاله «معاوية بن عمرو»: «وقد رأينا من اجتهاد أمير المؤمنين هارون في الغزو ونَفاذ بصيرته في الجهاد أمرًا عظيمًا. أقام من الصناعة ما لم يُقِم قبله، وقَسَم الأموال في الثغور والسواحل، وأشجى الروم وقمعهم»[6].

الحركة السُفيانية (١٩٥-١٩٨هـ/ ٨٠٨-٨١١م.)

بعد وفاة الرشيد وبَيعة ابنه «محمد» الملقّب بالأمين بالخلافة سنة ١٩٣هـ/٨٠٦م. وقعت الفتنة بين الأمين وأخيه «المأمون» وسرعان ما نشبت الحرب بين الاثنين، وبدا آنذاك أن الخلافة انقسمت إلى مُعسْكَرَين قوميّين.

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٤٣١/٢، الطبري ٣٢٠/٨، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ١٣٣/٢، الحدود الإسلامية البيزنطية، لفتحي عثمان ١٦٢/٢، العيون والحدائق ٣١٢/٣، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٨١- ١٩٠هـ). ص٤٣، ٤٤.

(٢) فتوح البلدان ٢٧٩/١، مروج الذهب ٩٨/١.

(٣) هِرَقْلَة: مدينة بآسية الصغرى، كانت قاعدة مملكة الروم لعهد الفتح الإسلامي.

(٤) موسوعة تاريخ العالم، وليم لانجر ٤٨٦/٢.

(٥) فتوح البلدان ١٨٣/١ رقم ٤١٨.

(٦) فتوح البلدان ١٩٣/١.

معسكرٍ عربيّ وقف إلى جانب «الأمين»، ومُعَسْكرٍ فارسيٍّ وقف إلى جانب «المأمون»، وشهد العالم الإسلامي قيام عدّة حركات كانت تهدف للانفصال عن الدولة العباسية، وقد اغتنم القائمون بتلك الحركات فرصة انشغال الدولة بالفتنة لتحقيق أطماعهم وطموحاتهم الشخصية، وكان «لبنان» مسرحاً لإحدى تلك الحركات التي عملت على إحياء «السُفْيانيّة» وتحقيق فكرة إقامة الخلافة الأموية في بلاد الشام من جديد.

تزعّم الحركة «السفيانية»: «علي بن عبد الله بن خالد بن يزيد بن معاوية، السُفيانيّ» المعروف بأبي العُمَيْطر[1]، وأمُّه: نفيسة بنت عُبيد الله بن العباس بن عليّ بن أبي طالب، وكان يقول: أنا من شيخي صِفّين، يعني عليًا ومعاوية.

وعندما خرج دعا لنفسه بالخلافة في أواخر سنة ١٩٥هـ/٨٠٨م. وأعلن أنه هو المهديّ المنتظر، انطلاقًا من الفكرة التي تردّدت عند سقوط البيت الأموي أمام العباسيّين والتي تتلخّص في أنّ رجلا من بني سُفيان سيخرج ليُعيد الحقّ إلى نصابه.

وفور خروج أبي العميطر السفيانيّ، تغلّب على مدينة صيدا «الخطّاب بن وجه الفَلْس» وكان مولى بني أميّة[2] ويسكن قرية «شبعا». واستعان به السفيانيّ لمهاجمة دمشق، فخرج معه وتغلّب على عامل دمشق «سليمان بن أبي جعفر المنصور» فأخرجه عنها[3]. وعندما سيّر «الأمين» أحد قادته للقضاء على الحركة السفيانية أحجم عن ذلك وأقام في الرّقّة ولم يخرج إلى دمشق.

---

(١) لُقِّبَ بأبي العُمَيطر لأنه قال يومًا لجُلَسائه: أيّ شيء كنية الحرذون؟ قالوا: لا ندري! قال: هو أبو العُمَيْطر، فلقّبوه به.

(٢) سيأتي الحديث عنه في مدينة صيدا. (أنظر تهذيب تاريخ دمشق ١٧١/٥) وانظر عن أبيه في: العيون والحدائق ١٤٥/٣ وعن ابنه عبد الرحمن ٥٦٨ ومقاتل الطالبيين ٦٤١، ٦٤٢.

(٣) الطبري ٤١٥/٨، ابن الأثير، ابن كثير ٢٢٧/١٠.

ولما كان كبار أصحاب أبي العُمَيْطر من الكِلابيّين، فقد كتب إلى «محمد بن صالح بن بيهس الكلابيّ» يدعوه إلى طاعته ويتهدّده إن لم يستجب له، فلم يُذْعن ابن بَيْهس، وعندما قصد أبو العُمَيطر قتال القيسيّة كتبوا إلى ابن بَيْهس، فأقبل لنجدتهم، واستطاع بفرسانه ومواليه أن يهزم أصحاب أبي العُمَيطر إلى باب دمشق وان يأسر منهم نحو ثلاثة آلاف، بعد أن جرت المعركة في منطقة شبعا من وادي التيم[1].

وانحصر أبو العُمَيْطر في دمشق وضعُف أمره إلى أن جمع جمعًا وأخرجه بقيادة ابنه القاسم، فقتله ابن بيهس وهزم جمعه، وعاد أبو العُميطر فجمع جمعًا آخر وسيّره مع مولاه «المعتمر»، فكان مصيره مُشابهًا لمصير «القاسم». وساءت أحوال أبي العُمَيْطر وهو قد جاوز التسعين من عمره.

وحدث أن مرض ابن بَيْهس، وحتى لا يعجز عن الكيد لأبي العُميطر، جمع رؤساء بني نُمَير وأشار عليهم أن يبايعوا «مَسْلَمة بن يعقوب» الذي ينتهي إلى جدّه «عبد الملك بن مروان»، فهو ابن أختهم، وبذلك يخرجون من الوصاية والتبعيّة لبني أبي سفيان. وكان ابن بَيهس يهدف من ذلك شقّ الصفّ بين بني أميّة، ونجح في ذلك، إذ أخذ «مَسْلمة» البَيعة لنفسه، وجمع مواليه، وقبض على أبي العُميطر وعلى رؤساء بني أميّة الذين بايعوه، وقرّب إليه القيسيّة وجعلهم خاصّته، وهم الذين أراد أبو العُمَيْطر قتالهم فأخذهم ابن بيهس.

وبعد فترة عُوفي ابن بيهس من مرضه فعاد إلى دمشق وحاصرها. ولما كان القيسيّة يدينون له بالفضل في الدفاع عنهم فقد فتحوا له باب المدينة وسلّموها له، ولكنّ «مَسْلمة» هرب مع أبي العُميطر إلى المِزّة بعد أن تنكّر بثياب النساء في أول سنة ١٩٨هـ/٨١١م[2]. ولا تذكرهما المصادر التاريخية

---

(١) خطط الشام ١٥٤/١، لبنان من الفتح العربي ٧١.

(٢) تاريخ الطبري ٤١٥/٨، وتاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ١١٠/٣٥ و١٠٥/٣٨ و٣٥٥=

بعد ذلك بشيء، مما يعني أن الحركة السفيانية انتهت في سنتين.

وقد دلّت هذه الحركة على:

١ - أن التيّار السُّفْياني الأمويّ كان لا يزال يتّخذ له مواقع داخل «لبنان» رغم السيادة العباسية.

٢ - ازدياد النزاع اليمني القَيْسي على أرض «لبنان» مع ازدياد انتشار القبائل العربية في البقاع، ووادي التيم، والجنوب، وصيدا، وبيروت، والغرب.

اتساع الإمارة التنوخية في عهد المأمون (١٩٨-٢١٨هـ/ ٨١١-٨٣١م)

لم تَمض سنوات قليلة على القضاء على حركة أبي العُمَيطر حتى عادت العشائر العربية تتدفّق إلى «لبنان» من جديد، فقد ذكر «الشدياق» في حوادث سنة ٨٢٠م. (٢٠٤-٢٠٥هـ) أن والي حلب أرسل مشدًّا (أي ناظرًا أو مفتّشًا يقوم بتحصيل الخراج) على الجبل الأعلى، ولما تعرّض المشدّ لبعض حريمهم نهض عليه رجل منهم يسمّى «نبا» فقتله وفرّ بعياله إلى «لبنان» فبنى له قرية شرقيّ كسروان سُمّيت «قصرنبا»[1] واستوطنها، فطلبه الوالي من عشيرته فنهضوا جيعا الى لبنان وتفرّقوا جنوبيّه، وعمروه حسب المناشير الصادرة[2].

واستمرّ التنوخيّون على ولائهم للدولة العباسية، وبلغت إمارتهم أقصى اتساعها في عهد المأمون، وازدادت قوّتهم حتى أنهم شاركوا في الحروب خارج

= و٤٥/٥١٨ و٥٣١، والكامل في التاريخ ٦/٢٤٩، ومرآة الجنان لليافعي ١/٤٤٨، والبداية والنهاية ١٠/٢٢٧، والنجوم الزاهرة ٢/١٥٩، وخطط الشام ١/١٥٤، ١٥٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٢/١١٣.

(١) قرب بدنايل من نواحي بعلبك.

(٢) أخبار الأعيان ٢/٤٩٧.

«لبنان» حيث استعان المأمون بهم لقتال الخارجين عليه في مصر.

وإذا كانت مصادر المؤرّخين المسلمين لا تشير بشيء إلى التنوخيّين في تفاصيل الأحداث التي شهدتها مصر في سنة ٢١٦هـ/٨٣١م. فإن المؤرخ الشدياق ينفرد بالتنويه بدور الأمير «مسعود بن ارسلان» في محاربة أقباط مصر وعربها الذين خرجوا على المأمون وخالفوه وطردوا عمّاله لسوء سيرتهم[1]. فقال إنّ الأمير «مسعود» خلّف ولده الأمير هانيًا مكانه وسار بفرسانه من دمشق إلى مصر مع الخليفة المأمون العباسي. ولما جهّز المأمون جيوشه لحرب القبط أمر الأمير مسعودًا أن يحارب معهم، ولما انتشب الحرب ظهرت منه شجاعة عظيمة، وعند رجوع الخليفة من مصر كتب له توقيعًا بولاية بلاد صفد ومقاطعاتها المتّصلة ببلاده، وأمر عمّاله الذين في الشام أن يساعدوه على الأعداء»[2]. وفي هذا إشارة إلى استمرار المواجهة مع نصارى الجبل.

وقد بقي الأمير التنوخيّ «مسعود» يتمتّع بولايته على بلاد صفد مع إمرته على العشيرة في «لبنان» حتى توفي سنة ٢٢٢هـ/٨٣٧م.[3] واتفقت آراء العشيرة على تنصيب أخيه الأمير «مالك بن ارسلان» أميرًا عليهم، ولكن الأمير «هاني بن مسعود» رفض البيعة لعمّه وعمل على أن تكون الإمارة له، وتفاقم الخلاف إلى القتال، حيث جرت موقعة بينهما في أرض خَلْدة جنوبيّ بيروت، وتمّت الغَلَبَة فيها على الأمير «مالك» فرحل بأهله إلى اللَّجُّون بالأردن ومنها انتقل إلى مصر فاستوطنها، واستقلّ الأمير «هاني» بالإمارة وعلا شأنه[4].

(١) كتاب الولاة والقضاة للكندي ١٩٠، وتاريخ الطبري ٨/٦٢٥ و٦٢٧، والنجوم الزاهرة ١/٦٣٣، والمواعظ والاعتبار للمقريزي ١/١٧٣.

(٢) أخبار الأعيان ٢/٤٩٧.

(٣) أخبار الأعيان ٢/٤٩٧.

(٤) أخبار الأعيان ٢/٤٩٨.

وأثبت الأمير « هاني » جدارته في زعامة التنوخيّين، وفي الدفاع عن الإمارة ومقاتلة المَرَدَة من نصارى الجبل والانتصار عليهم، حيث خاض ضدّهم حروبًا كثيرة انتصر فيها عليهم، كما يقول الشدياق[1]، حتى لُقِّبَ بالغضنفر أبي الأهوال، وذلك في سنة ٢٣٠هـ/٨٤٥م. « وبلغ خبره الأمير خاقان التركيّ، فكتب إليه كتابًا يشكره به على ما فعل ويحثّه على الحرب، ويخبره أنه بلّغ حُسْن سلوكه إلى مسامع الخليفة »[2]، وهو « الواثق بالله ». وبقي الأمير « هاني » مُهابًا في إمارته حتى توفي سنة ٢٣٧هـ/٨٥٢م. وخَلَفَه الأمير « إبراهيم بن إسحاق بن أرسلان » بإجماع العشيرة، ثم أكّد شرعيّة زعامته للتنوخيّين حين حصل على كتاب من الخليفة المتوكّل على الله بولايته على بلاد الغرب[3]، أي الجبال المحيطة ببيروت وذلك في سنة ٢٤٢ هـ / ٨٥٧ م[4].

القبائل العربية في « لبنان »

ويُلاحظ أننا لا نقف على شيء من الغزوات البحرية في ذلك الوقت، وتتلاشى أخبار ساحل الشام بشكل مُلفت في جميع المصادر التأريخية وغيرها، إلى أن نطالع أن زلزالاً قويًّا ضرب سواحل الشام ومُدُنه في سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م. يقول « اليعقوبيّ » عنه: « أصاب الشام كلّه زلازل، حتى ذهبت اللاذقية وجبلة، ومات عالم من الناس، حتى خرج الناس إلى الصحراء، وأسلموا منازلهم وما فيها، واتّصل ذلك شُهُورًا »[5]. وقال الطبريّ: « زلزلت

(١) ينسب الأستاذ محمد علي مكي القول لابن عساكر (لبنان من الفتح العربي ٧٢) وهذا وَهْم، فليس في تاريخ ابن عساكر أيّ ذكر للأمراء التنوخيين، فضلاً عن أنه لم يطلع عليه.

(٢) أخبار الأعيان ٢/٤٩٨.

(٣) بلاد الغرب: اصطلاح جغرافي كان يطلق على القرى الواقعة وراء سلسلة جبال لبنان الغربية المشرفة على بيروت، وذلك بالنسبة إلى دمشق عاصمة بلاد الشام.

(٤) أخبار الأعيان ٢/٤٩٨.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٤٩١.

بالس، والرَّقّة، وحَرّان، ورأس عين، وحمص، ودمشق، وسواحل الشام، ورجفت اللاذقية فما بقي منها منزل، ولا أفلت من أهلها إلاّ اليسير، وذهبت جبلة بأهلها »[1]. وقال المقدسي: « وهاجت الزلزلة وتقطّع الأقرع وسقط في البحر، فمات أكثر أهل اللاذقية من تلك الهدّة »[2].

وقد اهتمّ المتوكّل العباسي بإعادة بناء ما تهدّم وتحصين ما تشعّث من الحصون، فأمر في آخر سنيّ خلافته ٢٤٧هـ/٨٦١م. بترتيب المراكب بعكا وجميع السواحل وشحنها بالمقاتلة »[3].

ويمكن القول إنّ هناك نحو نصف قرن من الدور العباسيّ هذا لا نجد فيه أخباراً عن القسم الشماليّ من « لبنان » مما هو فوق بيروت حتى آخر عكار، مما يعطي انطباعًا عن استقرار الوضع في هذا الجزء.

وفي وسط « لبنان » تقريبًا، يبرز خلال هذه الفترة الصراع الدائر بين التنوخيّين العرب المسلمين ونصارى جبل لبنان الذين كان يُطلَقُ عليهم اسم النَبَط أو الأنباط.

أما نواحي بعلبك والبقاع، ونواحي صيدا وصور والجنوب، فقد كانت تشهد من حين لآخر تحرّكات قبليّة بفعل موجات القبائل العربية التي تفد إلى هذه المناطق، لقُربها من دمشق وحمص من ناحية، ومن فلسطين من ناحية أخرى، وكان ما يحدث في دمشق ونواحيها من اضطرابات يؤثّر بشكل مباشر أو غير مباشر على الأوضاع في المناطق الداخلية من « لبنان » وخصوصا في سهل البقاع. وما كان يحدث في الأردن وفلسطين يؤثّر بشكل مباشر أو غير مباشر على المناطق الجنوبية من « لبنان » وخصوصا في نواحي صور وجبال عاملة والبقاع الغربي، حيث تتداخل امتدادات العشائر والقبائل العربية ببعضها

(١) تاريخ الطبري ٩/٢١٣.

(٢) البدء والتاريخ ٦/١٢١.

(٣) فتوح البلدان ١/١٤٠ و١٩٣.

في الجولان، وجبال حوران، وجبال الجليل، وجبال عاملة، وجبل الشيخ، ووادي التيم، وقد اشتركت هذه المناطق كلها بأحداث الحركة السفيانية التي تقدّم ذكرها.

كما خرج من نواحي «لبنان» جمْع من الجُنْد ورجال القبائل استجابة لنداء «عبد الملك بن صالح بن عليّ» الوالي على الشام والجزيرة في سنة ١٩٦هـ. لحرب «طاهر بن الحسين» الذي كان يقاتل الخليفة الأمين، حيث يذكر «الطبري» أن أهل الشام أتوا إلى «عبد الملك» من كلّ فجّ، واجتمعوا عنده حتى كثروا. ثم وقعت الفتنة بين أعراب الشام وجُند أهل خُراسان عند الرّقّة في الجزيرة، وجرت حروب دامية بين الطرفين قُتل فيها من أهل الشام عدد كبير، وقام رجل من أهل حمص فقال: يا أهل حمص، الهرب أهْوَن من العطب، والموت أهون من الذلّ، إنكم بعُدْتم عن بلادكم، وخرجتم من أقاليمكم، ترجون الكثرة بعد القلّة والعزّة بعد الذِلّة.. وقام رجل من كلب فقال: يا معشر كلب، إنها الراية السوداء، والله ما ولّت ولا عدلت ولا ذلّ ناصرُها، ولا ضعُف وليُّها، وإنكم لتعرفون مواقع سيوف أهل خراسان في رقابكم، وآثار أسِنّتهم في صدوركم، اعتزلوا الشرّ قبل أن يعظُم، وتخطّوه قبل أن يضطرم، شأمكم شأمكم، داركم داركم، الموت الفلسطيني خير من العَيْش الجَزَري.. ثم سار ومعه عامّة أهل الشام[1].

ونحن نعرف أن بني كلاب كانوا في نواحي بعلبك والبقاع منذ العهد الأموي[2]، ولا ريب في أنّ جماعة منهم خرجوا مع إخوانهم من فلسطين في هذه السنة.

ويُعتقد أن أطراف «لبنان» الجنوبية والشرقية اشتركت بشكل أو بآخر في

---

(١) تاريخ الطبري ٨/٤٢٦، ٤٢٧.

(٢) العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام، للدكتور عبد العزيز الدوري - ص٣٢، وانظر ما قيل بلبنان في الشعر العربي، مما سيأتي من الكتاب.

حركة أبي حرب اليمانيّ الملقّب بالمبرقع الذي خرج على الخليفة المعتصم في سنة ٢٢٧هـ/٨٤٢م. وادّعى أنه أُمويّ، واستجاب له حرّاث الأرض من الفلاّحين وأهل القرى بجبال الأردن، ومنها جبال عاملة[1] جنوبيّ لبنان، ونادوا بأنه هو السُفيانيّ المنتظر، وقد استجاب لدعوته جماعةً من رؤساء اليمانية، ومن أهل دمشق[2].

وهكذا اقترن تاريخ «لبنان» في بقاعه وجنوبه بحركات القبائل العربية التي كانت تتحكّم فيها العصبيّة القوميّة، تارة، والطموحات السياسية للأفراد، تارة أخرى. وفي هذا الإطار يمكن أن ندرس حركة «عيسى بن الشيخ» في جنوب «لبنان».

أسرة عيسى بن الشيخ في جنوب لبنان

بعد مُضيّ قرنٍ ونيّفٍ على استيطان التنوخيّين في بلاد الغرب، وإقامتهم إمارةً لهم في وسطِ «لبنان» تتابَع على زعامتها أفرادُ العشيرة من الأسرة الأرسلانية من ذرّية «أرسلان بن مالك»، شهد جنوب «لبنان» قيام أسرة حاكمة أخرى هي أسرة «عيسى بن الشيخ الشيبانيّ» منذ حوالى منتصف القرن الثالث الهجري، كُتب لها أن تحكم صيدا وجنوب «لبنان» حتى أواخر القرن الرابع الهجري/أول القرن الحادي عشر الميلادي[3].

---

(١) تاريخ اليعقوبي ٢/٤٨٠.

(٢) أنظر عن حركة المبرقع في: تاريخ اليعقوبي، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١/٢٠٧، وتاريخ الطبري ٩/١١٦، والكامل لابن الأثير ٦/٥٢٢، والبداية والنهاية لابن كثير ١٠/٢٩٥، وخطط الشام ١/١٦٤، ١٦٥، والعرب والأرض ٣٢، ولبنان من الفتح العربي لمكي ٧٢، وثورات بلاد الشام ٢١٨- ٢٥٦هـ/ ٨٣٣-٨٧٥م. دوافعها ونتائجها - للدكتور بهجت كامل التكريتي - دراسة في مجلة المورد العراقية - المجلّد ٤ عدد ١ (١٣٩٥هـ/١٩٧٥م) ص١٩ والعباسيون ١/٢٤٦.

(٣) أنظر دراستنا الخاصّة المفصّلة عن هذه الأسرة في مجلّة «تاريخ العرب والعالم» العدد ٢٣- بيروت ١٩٨٠- ص٢٣- ٣٠.

ونظرا لأهميّة هذه الأسرة وطول مدّة حكمها (حوالى القرن ونصف القرن)، نُفرِد هذه الدراسة عنها، خاصةً وأنّ أحدًا لم يخصّص لها دراسة مستقلّة في جميع ما كُتب عن تاريخ «لبنان»، لا في الأبحاث الأكاديمية، ولا في الكتب المدرسية. ومن هنا تأتي الضرورة الملحّة لإعادة كتابة «تاريخ لبنان» من جديد، على ضوء المعلومات التاريخية القديمة ـ المستجَدَّة التي نعمل على تسليط الأضواء عليها وإبرازها في دراستنا هذه.

نطالع أخبار هذه الأسرة من خلال شيخها ومؤسّس إمارتها «عيسى بن الشيخ» الذي يمرّ ذِكره في المصادر التاريخية، عند «اليعقوبي» و«المسعودي» و«ابن عساكر» و«ابن الأثير» فهو: عيسى ابن الشيخ عبد الرزاق بن السليل الشيبانيّ من ولد جسّاس بن مُرَّة بن ذُهَل بن شيبان بن ثعلبة الشيباني الرَبَعيّ الذُهَلي[1]، وقد ورد ذكره لأول مرّة وهو في «مَرْنْد» بأذَرْبيجان في عهد المتوكل العباسي سنة ٢٣٤هـ[2]. ثم نجده في عهد المستعين بالله، وهو في فلسطين، حيث يذكره «الطبري» في حوادث سنة ٢٥١هـ/٨٦٥م. فيقول: إنّ حربًا دارت بين عيسى بن الشيخ، والموفق الخارجيّ، تمّ فيها أسر «الخارجيّ»، وأن «ابن الشيخ» طلب من الخليفة المستعين توجيه ما يحتاج إليه من السلاح ليكون عدّةً له في بلده حتى يقوى به جنوده على الغزو. كما طلب منه أن يكتب إلى صاحب مدينة «الصور» في توجيه أربع مراكب إليه بجميع آلتها لتكون قِبَله إضافة لِما عنده منها[3].

والملاحظ في رواية «الطبري» أنها تذكر اسم «صور» بإضافة الألِف واللام في أوله «الصور»، وهذا الرسم لاسم مدينة صور ورد عند «ياقوت الحموي» في معجمه وهو يذكر أحد الصيداويّين فقال: «الصيداء بساحل

(١) أنظر بقية النسب في كتاب الأنساب للسمعاني ٧/٤٣١، ٤٣٢ و٦/٣٠ و٧٦.
(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٤/٢٥، الكامل لابن الأثير ٧/٤٢.
(٣) تاريخ الطبري ٩/٣٠٨، الكامل ٧/١٦٣.

الشام تُعرف بصيداء الصور»[1]. وهذا الرسم لصور ورد أيضًا عند «أبي نُعَيم الأصبهانيّ» في كتابه «ذِكر أخبار أصبهان» وهو يذكر أحد الأصبهانيين فقال: «رابط الصور بالساحل من الشام»[2].

ومن رواية «الطبري» يتّضح لنا أن صور كانت تحتفظ بأسطول بحريّ في ذلك الوقت، ولم يكن ذلك إلاّ ثمرةً لجهود المتوكل على الله العباسي الذي أمر في آخر سنيّ خلافته بترتيب المراكب في جميع السواحل وشحنها بالمقاتلة[3].

أما الحرب التي دارت بين «عيسى بن الشيخ» و«الموفق الخارجيّ» فلم يُفصح «الطبري» و«ابن الأثير» عن مَيْدانها، إلا أنه يمكننا القول إنها كانت في فلسطين، إذ نرى «ابن الشيخ» يمتنع عن مبايعة الخليفة المعتزّ بالله في أوائل سنة ٢٥٢هـ فيسير إليه عامل دمشق «نوشري التركي» لقتاله، فيفرّ إلى مصر، ويدخل «نوشري» الرملة[4].

ويعود «عيسى بن الشيخ» بعد قليل من مصر فيدخل سامرّاء فيصفح المعتزّ عنه، ويولّيه على الرملة من جديد في أول ذي الحجّة من السنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م[5]. ولكنه كان يملك نفسًا طموحة، فما لبث أن استولى على فلسطين كلها، و على الأردن، كما تغلّب على دمشق وأعمالها، وقطع ما كان يُحمل من الشام إلى الخليفة من أموال[6] مغتنمًا اضطراب الأحوال على

(١) معجم البلدان ٣/٤٣٨.
(٢) ذكر أخبار أصبهان، لأبي نعيم ١/٣٣١ ـ طبعة ليدن ١٩٣١.
(٣) فتوح البلدان ١/١٤٠ و١٩٣.
(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٥٠٠.
(٥) الطبري ٩/٣٧٢، مروج الذهب ٤/١٧٧، المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ٢/٤٤.
(٦) سيرة ابن طولون للبلوي ٥، الكامل لابن الأثير ٧/١٧٦، الأعلاق الخطيرة ـ ج٣ق١/٢٩٢.

الخليفة في سامرّاء[1]. ونفهم ضمنًا أنّ قسمًا من « لبنان » وخاصّة الجزء الجنوبيّ منه دخل في جملة ما استولى عليه « ابن الشيخ »، إذ كانت صور وما يليها شرقًا وجنوبًا يدخل ضمن جُنْد الأردن[2]. كما دخل بجوزته قسم من البقاع الذي يدخل ضمن أعمال دمشق، وأصبح نفوذه يمتدّ داخل « لبنان » إلى حدود إمارة التنوخيّين، حيث حالفوه لفترةٍ بعد أن علا أمره.

ولم تقف طموحات « ابن الشيخ » عند ذلك الحدّ، بل كان يتطلّع إلى حكم مصر أيضًا، حيث دخلها يريد الاستقلال بها، و استولى على مبلغ ضخم كان مرسلاً من مصر إلى الخليفة[3]، فبعث إليه « المهتدي » كتابًا بالأمان في سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م. فامتنع عن الاستجابة، ولم يجد المهتدي بُدًّا من تطويق حركته قبل استفحال أمره، فأوكل أمر هذه المهمّة إلى القائد التركيّ « أحمد بن طولون » (مؤسّس الدولة الطولونية). وحين دخل مصر فرّ « عيسى بن الشيخ » إلى فلسطين تاركًا ابنه « محمدًا » على الشُرَط في مصر، فقام ابن طولون بقتله[4].

واستمرّ « ابن الشيخ » متغلّبًا على فلسطين والأردنّ وجنوب « لبنان » حتى جاء « أماجور التركي » وولي دمشق للمعتمد على الله في سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م. فجمع له « ابن الشيخ » نحو عشرين ألف رجل، وأعطى القيادة عليهم لابنه « منصور » ومعه « ظفر بن اليمان » المعروف بأبي الصهباء. وكان « عيسى » قد رفض مبايعة المعتمد بالخلافة، وترك لبْس السواد - وهو شعار العباسيين - تهويلاً[5].

وهنا نجد المؤرّخ « اللبناني » « طنّوس الشدياق » يقدّم لنا بعض المعلومات

(١) تاريخ دمشق ٣٤/٢٦، المختصر لأبي الفداء ٢/٤٤.
(٢) فتوح البلدان ١/١٣٩.
(٣) تاريخ دمشق ٣٤/٢٦.
(٤) كتاب الولاة والقضاة للكندي ٢١٥، ولاة مصر، له ٢٤٢، تاريخ دمشق ٣٤/٢٧.
(٥) تاريخ دمشق ٣٤/٢٧.

من تاريخ « لبنان » تتعلّق بالصراع الذي دار بين « ابن الشيخ » والخلافة العباسية، فيقول إنّ « ابن الشيخ » كان كتب إلى الأمير إبراهيم بن إسحاق بن أرسلان » والي إمارة الغرب يستدعيه إليه برجاله، فاستجاب له وسار إلى حوران سنة ٢٥٦/ ٨٧٠م[1].

التنوخيون بين « ابن الشيخ » والعباسيين

وفي محاولة لشقّ التنوخيّين وإضعاف أنصار « ابن الشيخ » منهم، قام « أماجور » التركي باصطحاب الأمير « النعمان بن عامر بن مسعود الأرسلاني » الذي كان وقتذاك ببغداد يطلب العلم على الجاحظ والمبرّد وغيرهما من الأئمّة[2]. واستعان به لقتال « ابن شيخ »، ووقعت الهزيمة بأصحاب « ابن شيخ » وقُتل ابنه « منصور » على باب دمشق، فكافأ « أماجور » النعمان بتوليته على بيروت وصيدا وجبلها، ولُقّب بأمير الدولة وكتب به إلى الخليفة، وإلى صالح بن وصيف، فصدرت التواقيع بتقريره على الولايات المذكورة، وأمره بالإقامة في بيروت لأجل محافظتها من الروم، ودخل الجبل[3].

وينفرد « الشدياق »، من جهة أخرى، بالقول إنّ الأمير « إبراهيم » اختفى بعد الموقعة، ثم استأمن إلى « أماجور » فأمّنه، فأقام في بيته حتى مات في سنة ٨٧٠م. (٥٦-٢٥٧هـ)[4].

وتضيف المصادر التاريخية أن « عيسى بن الشيخ » لجأ بأهل بيته إلى مدينة صور وتحصّن بها بعد مقتل ابنه وهزيمة أصحابه[5]. فبعث إليه الخليفة « المعتمد » الفقيهين: « اسماعيل بن عبدالله المروزي » ويُعرف بأبي النصر،

(١) أخبار الأعيان ٢/٤٩٨.
(٢) أخبار الأعيان ٢/٤٩٨.
(٣) أخبار الأعيان ٢/٤٩٩.
(٤) أخبار الأعيان ٢/٤٩٩.
(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٥٠٦، ثورات بلاد الشام - ص٢٤.

و« محمد بن عبيدالله الكريزي القاضي » وبعث معهما رسوله « الحسين الخادم » المعروف « بعَرَق الموت »[1]، فعرضوا عليه ولاية أرمينية، على أن ينصرف من بلاد الشام آمنًا، فقبل ذلك، وخرج من صور بطريق الساحل إلى ولايته في السنة ٢٥٦هـ أو ٢٥٧هـ/ ٨٧٠م[2].

وظل على ولاية أرمينية حتى مات هناك في سنة ٢٦٩هـ[3]. ولكن أسرته ستعود للظهور في مدينة صيدا من جديد، وهذا ما سنراه لاحقًا.

قبائل كلب في عكار وشمال « لبنان »

وفي الوقت الذي كان فيه جنوب « لبنان » يشهد تطوّر الأحداث الخطيرة ويتقلّب في تبعيّته للخلفاء العباسيين، وفي الولاء « لعيسى بن الشيخ » الذي خرج على الدولة وعمل للإنفصال عنها، شهد شمال « لبنان » موقعة جرت بين أهل حمص وعاملها « محمد بن إسرائيل »، حيث وثب أهل المدينة على عاملها في سنة ٢٥٥هـ. فخرج منها هاربًا، ونرجّح أنه هرب باتجاه جبال « لبنان » الشمالية ليحتمي بها، فلحق به أحد زعماء الثائرين ويُدعى « ابن عكار » لقتاله، فكانت بينهما وقعة قُتل فيها « ابن عكار »، وعاد « ابن اسرائيل » وتمكّن من أهل حمص فاستعاد ولايته[4].

ونحن نرجّح أن إقليم « عكار » أخذ نسبته من « ابن عكار » هذا، ولعلّه

---

(١) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي ٦٨٢ وكان يتقلّد البريد بمصر (أنظر: الوزراء والكتّاب للجهشياري ٨٢، ونصوصاً ضائعة منه، جمعها ميخائيل عواد - ص٨٥، ٨٦، والكنابة والتعريض للثعالبي ٥٩، القاهرة ١٩٠٨. والأنساب للسمعاني ٨/٤٣٢، ٤٣٣.

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٥٠٨، تاريخ الطبري ٩/٤٧٥، الكامل في التاريخ ٧/٢٣٨، بلادنا فلسطين - في الديار اليافية - ص٣٨٢، ٣٨٣. مدينة الرملة، للدكتور صادق جودة - ص٥٩- ٦٤، خطط المقريزي ١/٣١٥، مصر في عهد الطولونيين والإخشيديين، للدكتورة سيدة اسماعيل الكاشف - ص٢٦.

(٣) تاريخ الطبري ٩/٦٢٧، تاريخ دمشق ٣٤/٢٧، الكامل لابن الأثير ٧/٣٩٧.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٥٠٥.

قُتل في موضع الحصن المعروف الآن بحصن عكار، والذي أقيم في بلدة « عكار العتيقة »، وكان هذا أول ظهور لاقليم عكار على مسرح الأحداث في مصادر التاريخ الإسلامي[1]. وإن كنّا لا نستبعد مشاركة القبائل العربية - ومنها قبيلة كلب على وجه الخصوص - التي كانت تنتشر في أطراف « لبنان » الشمالية الشرقية، في الأحداث التي كانت تشهدها مدينة حمص اعتبارًا من سنة ٢٤٠هـ. وتأثّر إقليم عكار بما يجري من حوله وعلى أطرافه، ويمكن تتبُّع سلسلة من الثورات قام بها أهل حمص على عُمّالهم العباسيّين، منذ سنة ٢٤٠هـ[2]. وسنة ٢٤٨هـ[3]. و٢٤٩هـ. التي استعان فيها أهل حمص بأحياء كلب[4]، وسنة ٢٥٢هـ. حيث وثبت قبائل كلب من كل جانب وهزمت عامل حمص « محمد بن المولّد » الذي أرسله الخليفة « المعتزّ » إلى فلسطين عند خروج « ابن الشيخ » عن الطاعة[5]، وكان « ابن شيخ » قد صاهر الكلبيّين[6]، واستمالهم بذلك لتأييد حركته.

إمارة النعمان بن عامر الوراثية في بيروت

تقدّم أنّ « أماجور التركي » ولّى « النعمان بن عامر بن مسعود » بيروت وصيدا بعد مشاركته الفعّالة في القضاء على حركة « عيسى بن الشيخ »، ولُقّب بأمير الدولة، وأمره الخليفة بالإقامة في بيروت للدفاع عنها من هجمات الروم

---

(١) يقول « ابن شداد » عن حصن عكار: « ويغلب على ظنّي أنه مُحدَث البناء، لأني لم أجد له ذكرًا فيما طالعته من كتب التواريخ المتقدّمة في التأليف والذي وصل علمي إليه، ووقف اطّلاعي عليه، أنّ بانيه محرز بن عكار، ولم يزل في يد عقبه إلى أن ملكه منهم أسد الدولة صالح بن مرداس في سنة ست عشرة وأربعمائة » (الأعلاق الخطيرة ١/١١٣).

(٢) تاريخ اليعقوبي ٢/٤٩٠.

(٣) تاريخ اليعقوبي ٢/٤٩٥، العباسيون الأوائل ١/٣٠٢.

(٤) تاريخ اليعقوبي ٢/٤٩٦ و٤٩٧، العباسيون ١/٣٠٣.

(٥) تاريخ اليعقوبي ٢/٥٠٠.

(٦) تاريخ اليعقوبي ٢/٥٠٢.

البيزنطيين، وحمايتها من نصارى الجبل، وتنفيذًا للأمر فقد استوطن «النعمان» بيروت، وبنى فيها دارا عظيمة، وحصّن سور المدينة وقلعتها، كما يذكر الشدياق في حوادث سنة ٨٧٥م. (٢٦١/٢٦٢هـ)، وهكذا أصبحت بيروت عاصمة للإمارة التنوخية في «لبنان». وفي ولاية «النعمان» قام نصارى الجبل - ويسمّيهم الشدياق: المَرَدَة - بعملية اختراق لحدود الإمارة التنوخية ووصلوا في هجومهم إلى نهر بيروت الواقع في الشمال الشرقي، على بُعد بضعة أميال منها، فتصدّى لهم ودار قتال عظيم بين الطرفين استمرّ عدّة أيام، وانتهى بانهزام النصارى= المردة، فوقع بعضهم بين قتيل وأسير، وكتب «النعمان» إلى «موسى بن بُغا» يخبره بالواقعة، وأرسل رؤوس القتلى مع الأسرى إلى بغداد لعرضهم على الخليفة، فأكرم «موسى» رُسُل «النعمان» وسُرّ بظفره، وكتب إليه الخليفة كتابا يمدح شجاعته ويحرّضه على القتال، وأقرّه على ولايته تقريرًا له ولذُريّته، وأرسل له سيفا ومِنْطقة وشاشًا أسود (شعار العباسيين)، وكتب إليه «الموفّق العباسي» وغيره كتبًا يمدحونه بها، وأعيدت رُسُله مُكْرَمين، فتقلّد الأمير السيفَ، وشدّ المنطقة، ولفّ الشاش، ودعا لأمير المؤمنين، وزُيّنت البلاد والمدن، وهادته الشعراء بالتهاني، واشتدّ أمره، وعظُم شأنه[1].

وفي الواقع، إنّ الشدياق يحشد هذه الأخبار كلها في سنة ٨٧٥م. ولا نجد لها ما يوثّقها في المصادر الأساسية، والأهم من هذا أنه سمّى الخليفة بالمتوكل، مع العلم بأن المتوكل كان قد مات قبل هذا التاريخ بنحو ١٥ عامًا (٢٤٧هـ/٨٦١م)، ونعتقد أنه وهِم في ذلك، إذ أراد «المعتمد» فسبقه القلم وقيّده «المتوكّل» ويؤيّد قولنا أنّ «الموفّق» الذي كتب للنعمان يمدحه هو أخو «المعتمد» وليس «المتوكّل».

(١) أخبار الأعيان ٢/٤٩٩.

وإذا صحّت رواية الشدياق هذه، تكون الإمارة التنوخية في «لبنان» قد أصبحت إمارة وراثية، منذ ذلك التاريخ، بموجب مرسوم من الخليفة العباسي، وهي أول إمارة عربية تنشأ على الساحل الشامي[1]، وأكثر إمارات «لبنان» عُمرًا حيث استمرّت نحو ثمانية قرون متواصلة، وكُتب للنعمان أن يحكم أطول مدّة، ليس في تاريخ الإمارة التنوخية فحسب، بل في تاريخ «لبنان» كله على الإطلاق، من سنة ٨٧٠ إلى سنة ٩٣٦م (٢٥٦-٣٢٤هـ) أي نحو ستٍّ وستين سنة، ميلادية (٦٨ سنة هجرية). وعاصر خلالها تحوّلات خطيرة شهدتها المناطق المحيطة بالإمارة، منها انحسار النفوذ العباسي عن «لبنان»، ودخوله في حوزة الدولة الطولونية، وسقوط هذه الدولة وعودته إلى السيادة العباسية من جديد، ثم قيام الدولة الإخشيدية، ووصول القرامطة إلى «لبنان» وما ارتكبوه من مذابح هائلة، ومع ذلك نجح «النعمان» في أن يحافظ على إمارته وأن يتعامل مع كل الحكام المحيطين به ببراعة وحنكة سياسية مدهشة ونأى بها عن الأخطار[2]، من الخارج، وقضى على كل حركة كانت تعرّض إمارته للخطر، في الداخل، وهذا ما سنعرض له فيما بعد.

(١) التنوخيون ٥٨.
(٢) لبنان من الفتح العربي ٧٩.

(٢)

« لبنان »

في العهد الطولوني

(٢٦٤-٢٩١هـ/ ٨٧٨-٩٠٣م .)

ظل « لبنان » تابعًا للدولة العباسية منذ قيامها حتى سنة ٢٦٤هـ/٨٧٨م. حين أعلن والي مصر القائد التركي « أحمد بن طولون »[١]، استقلال مصر وإقليم برقة عن السلطة المركزية في بغداد، ثم ما لبث أن ضمّ إليه بلاد الشام كلهاحتى أنطاكية شمالاً، وأسّس بذلك الدولة الطولونية دون أن يواجه أيّ مقاومة.

ودخلت المدن والقرى « اللبنانية » ضمن هذه الدولة الجديدة كغيرها من مدن الشام التي رحّبت بقيامها، حيث سارعت كلٌّ من: الرملة، ودمشق، وحمص، وحماه، وحلب، إلى إعلان الولاء لابن طولون[٢]. وحين تم له الأمر، طوّف بالمدن الداخلية والثغور الساحلية، وصرف اهتمامه للعناية بتحصينات الثغور، فمرّ بثغر صور، وعكا ويافا، وأنفق على مرمّات الثغور

---

(١) هو أول والٍ مسلم في مصر يضم الشام إليه. أصله من المماليك الأتراك الذين جُنّدوا أيام هارون الرشيد. قيل إنّ والده أُرسِل مع الخراج من والي بُخارَى إلى الخليفة المأمون حول سنة ٢٠٠هـ./٨١٥-٨١٦م. وارتقى حتى ولي أمر حَرَس الخليفة الخاصّ. وُلد هو في رمضان سنة ٢٢٠هـ/٨٥٥م. وعُيّن نائبًا لقائد مصر الذي كان زوجًا لأمّه، فدخل الفسطاط سنة ٢٤٥هـ. ثم استقلّ بحكم مصر سنة ٢٥٨هـ/٨٧٢م.

(٢) وُلاة مصر للكنْدي ٢٤٦.

وعلى حصن يافا مائتي ألف دينار[1].

وتابع ابنه «خمارويه» (٢٧٠-٢٨٢هـ/ ٨٨٣-٨٩٥هـ) العناية بموانئ الشام، فقام في السنة الأولى لحكمه بإرسال مراكب كثيرة في البحر «فكانت مقيمة بسواحل الشام»[2]. وازدادت العناية بميناء طرابلس في ذلك الوقت، فكان حوضه يتّسع لعدد ضخم من السفن، إذ يصفه المؤرّخ المعاصر «ابن واضح اليعقوبي» المتوفّى سنة ٢٨٤هـ. بأنه «ميناء عجيب يحتمل ألف مركب»[3].

ويبدو أنّ «لبنان» كلّه أخلد إلى الهدوء والسكينة في ظل الحكم الجديد، وتحوّل التنوخيّون إلى موالاة ابن طولون، وابتعدوا عن الخلافة العباسية، وأكدوا موقفهم هذا بعد وفاة «أحمد بن طولون» أيضًا، فقد خلع أمير الشام «ابن بدغياش» طاعة «خُمارَوَيْه» عقب وفاة أبيه مباشرة، وأظهر، الدعوة لأحمد بن الموفق العباسي سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م. وكتب بذلك إلى الأمير النعمان وهو في بيروت ليؤيّد حركته ويُوالي الخليفة العباسيّ من جديد، فلم يوافقه النعمان على ذلك، وبقي على ولائه للدولة الطولونية[4]. رغم أنّ أكثر الوُلاة في بلاد الشام الشمالية استجابوا لحركة «ابن بدغياش» وخلعوا الطاعة للدولة الطولونية.

وقد أثبت «النعمان» أمير بيروت والغرب بُعْد نظره السياسيّ حين رفض الانضمام إلى حركة «ابن بدغياش» إذ وقعت معركة الطواحين في الرملة

(١) سيرة أحمد بن طولون - البلوي - تحقيق محمد كرد علي - ١٨٤ المتن والحاشية من ص٣٥١، دمشق ١٣٥٨هـ.
(٢) وُلاة مصر ٢٥٨، النجوم الزاهرة لابن تغري بردي ٣/٥٠.
(٣) البلدان، لليعقوبي ٣٢٧، وعنه ينقل آدم ميتز في: الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري، ترجمة الدكتور أبو ريده - ج٢/٤٢٦ - طبعة القاهرة ١٩٤١، وول ديورنت في: قصة الحضارة ج١٣/١٥٦- طبعة القاهرة ١٩٦٤.
(٤) أخبار الأعيان، للشدياق ٢/٤٩٩.

بفلسطين بين جيش «خمارويه بن طولون» وجيش الخليفة العباسي ومن معه من ولاة الشام، وكانت الهزيمة المنكرة في صفوف العباسيين، وعودة بلاد الشام بأسرها إلى الطولونيين، وذلك سنة ٢٧١هـ/٨٨٤م[1].

وكما كان يحصل في كل مرة تضطرب فيها الأوضاع داخل بلاد الشام، يغتنم البيزنطيون الفرصة ويقومون بمهاجمة سواحل الشام، وهذه المرة، اغتنموا وفاة «أحمد بن طولون» وخروج الوُلاة الشاميين على الدولة الطولونية فقاموا بغزوة بحرية تجاه سواحل جَبَلة سنة ٢٧٠هـ/٨٨٣م. وهاجموا مركبًا هناك كان على متنه جماعة من المسلمين، وفيهم «خيثمة بن سليمان الأطرابلسي» المحدّث، وكان خرج من ميناء طرابلس بحرًا إلى جبلة، ومنها أبحر يريد أنطاكية، فاعترض البيزنطيون مركبه ووقعت معركة قاتل فيها خيثمة وجماعة المسلمين، ولكن البيزنطيّين كانوا أكثر عدّة وعددًا، فتمكّنوا من فتح ثُلْمة في مقدّمة مركب المسلمين وتعرّض رُكّابه للغرق، فاستسلموا وأخذهم البيزنطيون، وضربوا «خيثمة» ضربًا وجيعًا، وحملوهم أسرى وكتبوا أسماءهم[2]. وبقي «خيثمة» أسيرًا لدى البيزنطيين أربعة أشهر حتى جاء رسول الملك «خُمَارَوَيْه» فافتداه مع عدد من الأسرى المسلمين[3]. وفي هذا إشارة واضحة إلى أن طرابلس وجَبَلة الساحليّتين ظلّتا تابعتين لسلطة الدولة الطولونية، ولم تنزعا الطاعة كما فعلت المدن الداخلية. ويمكن أن نقول إن الساحل الشامي كلّه ظلّ بيد الطولونيين في ذلك الوقت على الأرجح، إذ لا تشير المصادر المعاصرة إلى أيّ حَدَث ذي شأن في المدن «اللبنانية» وساحل الشام عمومًا طوال عشرين عامًا (بين سنتي ٢٧٠-٢٨٩هـ/ ٨٨٣-٩٠٢م)

(١) مدينة الرملة منذ نشأتها حتى عام ٤٩٢هـ/١٠٩٩م. - د. صادق أحمد داود جودة - ٧٣-٧٥- طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار عمّار ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م.
(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (المخطوط) ١٢/٥٨٢، وتهذيبه ٥/١٨٤، وبغية الطلب لابن العديم (المخطوط) ٥/٢٥٠، وكتابنا: من حديث خيثمة بن سليمان الأطرابلسي - ص٣٠، ٣١.
(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٢/٥٨٢.

سوى حادثة محلّية واحدة ذكرها « الشدياق » تتعلّق بالأسرة التنوخية، مفادها أن خلافًا وقع بين الأمير النعمان من جهة، والأميرين: « محبوب » و« هلال » ابني الأمير « إبراهيم بن إسحاق الأرسلاني » من جهة أخرى، وذلك في سنة ٨٩٥م. (٢٨١-٢٨٢هـ)، فذهب الأميران الأرسلانيان يشكوان الأمير « النعمان » إلى « طُغج بن جُفّ الفرغاني » عامل دمشق آنذاك، وحين علم « النعمان » بالأمر أرسل جماعة له فكمنوا لهما في وادي عين الجر المعروف بوادي الحرير، وانقضّوا عليهما وهما في طريق العودة وقطّعوهما بالسيوف إربًا إربًا. ثم أرسل « النعمان » من قتل جميع أولاد الأميرين، وقضى بذلك على نسلهما، وأعطى محلّهم في « الفيجنية » للأمير إياس بن غانم بن عيسى بن مسعود الأرسلاني[1].

ويظهر أن هذه الحادثة لم يترتّب عليها أيّ ردّة فعل من قِبَل عامل دمشق. فلم يتدخّل بالشؤون الداخلية للإمارة التنوخية، وتمكّن « النعمان » من أن يبعد إمارته عن التدخّلات الخارجية، وظلّ قابضًا على حكم الإمارة بحزم وقوّة، ولم يتأثّر بالتحوّلات السياسية التي كانت تشهدها المناطق المحيطة بإمارته، من وقت لآخر.

وبعد وفاة « خُمَارَوَيْه بن طولون » تولّى الحكم ابنه « أبو العساكر جيش » (٢٨٢-٢٨٣هـ/ ٨٩٥-٨٩٦م). فأعلن كلٌّ من « طُغج بن جُفّ » عامل دمشق وحمص والأردن[2]، و« أحمد بن طُغان » أمير الثغور[3] خروجهما عن طاعة « أبي العساكر » في سنة ٢٨٣هـ/٨٩٦م. إذ كان صبيًّا طائشًا اجتمع إليه الأحداث وسفلة الناس[4]. وأُسقط اسمه من الدعاء والخطبة على منابر

(١) أخبار الأعيان، للشدياق ٢/٤٩٩.
(٢) التنبيه والإشراف للمسعودي ٣٢٢، وُلاة مصر للكندي ٢٦٥.
(٣) وُلاة مصر ٢٦٥، النجوم الزاهرة ٣/٩١ (الحاشية رقم ١).
(٤) الكامل في التاريخ لابن الأثير ٧/٤٧٨.

دمشق وأعمالها[1]، ولكن ذلك الأمر لم يطُلْ كثيرا، إذ قُتل « أبو العساكر » في السنة نفسها، ولم يحكم سوى أقلّ من سنة واحدة، وتولّى بعده أخوه « هارون بن خُمارَوَيْه »، وأسرع قائداه « بدر الحمّاميّ » و« الحسن بن أحمد الماذَرَائيّ » بالخروج في جيش كبير إلى الشام فقرّروا جميع أعماله[2]، واستخلفوا على دمشق عاملها الأمير « طُغْج بن جُفّ » وأكّد « هارون بن خُمارَوَيْه » شرعيّة حكمه على مصر والشام حين أقرّه على ذلك الخليفة « المعتضد » العباسي في سنة ٢٨٦هـ/٨٩٩م. لقاء تركه أعمال قِنّسرين والعواصم للدولة العباسية، وتقديم مبلغ (٤٠٠ ألف دينار) سنويًا لبيت المال في بغداد[3]. ووسط هذه الأحداث المتسارعة يمكن القول إن ساحل الشام بما فيه « لبنان » بقي بحوزة الطولونيين طالما أن المصادر المعاصرة لم تتحدّث عن غير ذلك.

القرامطة في « لبنان »

غير أنّ بلاد الشام شهدت بعد وقت قصير أوضاعا مضطربة ومتقلّبة في الولاء السياسي، والتحوّل المذهبيّ، حين ظهر القرامطة حول دمشق في سنة ٢٨٨هـ. ٩٠٢م.

والقرامطة فرقة من الشيعة الاسماعيلية يُنسبون إلى « حمدان بن الأشعث » الذي ظهر أمره في سنة ٢٦٤هـ./٨٧٨م. وكان رجلاً قصيرًا ورجلاه قصيرتين، وخطْوُه متقاربًا، ومَن كان كذلك يُطلق عليه بالعربية « قَرْمَط » ولهذا عُرف باسم « حمدان القَرْمَطيّ » ونُسب أتباعُه إليه فعُرفوا بالقرامطة[4]. وقيل إنهم يُنسبون إلى رجل اسمه « الفرج بن عثمان » الملقّب بقرمط، وهو

(١) النجوم الزاهرة ٣/٩١.
(٢) الكامل في التاريخ ٧/٤٨٨، النجوم الزاهرة ٣/١٠١.
(٣) العيون والحدائق في أخبار الحقائق، لمؤرّخ مجهول ـ تحقيق صديقتنا الأستاذة نبيلة عبد المنعم داود ـ ج٤ ق١/١٥٧ـ طبعة النجف ١٩٧٢، تاريخ الطبري ١٠/٧٠و٧١.
(٤) الدُّرَّة المضيّة (من كنز الدُرر) لابن أيبك صاحب صرخد ـ ص٤٤ وما بعدها.

اسم يُطلق باللغة النبطية على كل رجل أحمر العينين، وقد ادّعى أنه جاء بكتاب، وهو من قرية يقال لها نصرانة[١]، ونشأت الحركة القرمطيّة في سواد الكوفة، وانتشرت في جنوب العراق والبحرين، وتمكّن القرامطة من إنشاء دولتهم في البحرين سنة ٢٨٠هـ/٨٩٣م. وانتشروا في مناطق الإحساء، واليمن.

وقد ساعد على انتشار هذه الحركة في وقت قصير، عدّة عوامل، أهمّها:

١ ـ تدهور الأوضاع السياسية للخلافة العباسية التي كانت تعاني من خطر التفكّك بانفصال واستقلال عدّة ولايات، في المشرق والمغرب عن السلطة المركزية في بغداد.

٢ ـ خروج الحكّام عن النّهج الذي سار عليه الخلفاء الراشدون والسلف الصالح.

٣ ـ تسرُّب الأفكار الفلسفية والعقيدية والمذاهب الدينية عن طريق حركة الترجمة التي نشطت من آداب اليونان والفرس والهند وغيرهم في ذلك الوقت.

٤ ـ دعوة القرامطة إلى تصحيح الأوضاع في العالم الإسلامي بما يحقّق العدالة الاجتماعية بين الأفراد، فكانت دعوتهم أقرب إلى الفكر الإشتراكي، وهو مفهوم اجتماعيّ جديد كان له صدمة الصحوة، فأغرى الكثيرين من عامّة الناس للمطالبة بتحسين وضعهم الاجتماعي.

لهذه العوامل، وغيرها، وجدت الدعوة = الحركة القرمطية المناخ الملائم والتربة الصالحة للنموّ والانتشار، غير أن الأسلوب الدموي والفظائع الوحشية التي قام بها القرامطة عند حركتهم التوسّعية جعل خصومهم لايتهاونون في

(١) تاريخ أخبار القرامطة، لثابت بن سنان، وابن العديم الحلبي، تحقيق د. سهيل زكار ـ ص١٠ ـ طبعة دار الأمانة ومؤسسة الرسالة، بيروت ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

مواجهتهم والقضاء على خطرهم في حروب متلاحقة تحالف فيها العباسيون والطولونيون، والعباسيون والحمدانيون، والعباسيون والبويهيّون، ثم قاتلهم الفاطميون وهم شيعة إسماعيلية مثلهم. حتى توقّف مدُّهم التوسّعي وانحسر انتشارهم، ولكن فكرهم بقي حيًّا في جماعات متفرّقة المَواطِن، منها «وادي التَّيْم» في الجنوب الشرقي من «لبنان» على وجه الخصوص.

فلقد ظهر القرامطة حول دمشق سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م. وحاصروها وبها عاملها «طُغْج بن جُفّ» وحين خرج لقتالهم هزموه في الموضع المعروف ببوادي القردان والأفاعي، (وادي القرن) عند السفح الغربي لجبل الشيخ (حرمون) في آخر شهر رجب من السنة ٢٨٩هـ[١]. وبانتصارهم هذا اجتاحوا سهل البقاع من أسفله إلى أعلاه، وعادوا لحصار دمشق بضعة أشهر، فكانت الحرب سجالاً بين الفريقين، واعتنق الدعوة القرمطية أغلب أهل الغوطة وغيرها مما حول دمشق، وأشار إلى ذلك المؤرّخ المسعوديّ بعبارته: «وتقرمط أكثر من حول دمشق من الغوطة وغيرها»[٢] ثم قدم العسكر الطولوني من مصر فانضمّ إليه عسكر دمشق بقيادة «طغج» وواقعوا القرامطة في الموضع المعروف بكناكر وكوكبا[٣] في أسفل البقاع الغربي، وقتلوا زعيم القرامطة «يحيى بن زكرويه» في غرّة رجب ٢٩٠هـ/٩٠٣م[٤] فخلَفَه أخوه: «الحسن بن زكرويه»، وانهزم العسكر المصري بعد ذلك، فعاد القرامطة لحصار دمشق من جديد، ثم راحوا يهاجمون المدن الداخلية، فدخلوا حمص بعد أن قتلوا من أهلها مقتلة عظيمة، وسبوا نساءها، وعاثوا في نواحيها، وخُطب لزعيمهم «الحسن بن زَكَرَوَيه» على منابرها. وكذلك فعلوا في حماة،

(١) التنبيه والإشراف للمسعودي ٣٢٢.

(٢) التنبيه والإشراف ٣٢٢، تاريخ وادي التيم والأقاليم المجاورة، ليحيى حسين عمّار ـ ص١٥٠ـ طبعة ينطا (لبنان) ١٩٨٥، خطط الشام، لمحمد كرد علي ١/١٨٠.

(٣) التنبيه والإشراف ٣٢٢، منطلق تاريخ لبنان، دكتور كمال سليمان الصليبي ـ ص٦٠ ـ طبعة بيروت ١٩٧٩.

(٤) التنبيه والإشراف ٣٢٢، تاريخ أخبار القرامطة ١٩.

ومعرّة النُّعمان، وهاجموا حلب، ثم عادوا إلى بعلبك، وكانت من أعمال دمشق[١] فأبادوا أهلها».

ودوّن «ثابت بن سنان» أخبار القرامطة وما ارتكبوه من مجازر بزعامة «ابن زكرويه» فقال ما نصّه:

«ثم صار إلى حماة وسَلَمية وبعلبك، فاستباح أهلها وقتل الذراري ولم يُبْقِ شريفًا لشرفه، ولا صغيرًا لصِغره، ولا امرأة لَحُرَمِها، وقتل أهل الذمّة، وفجروا بالنساء، حدّثني من كان معهم قال: رأيت عصامًا سيّافه وقد أخذ من بعلبك امرأة جميلة جدًا ومعها طفل لها رضيع، فرأيته - والله - وقد فَجَرَ بها، ثم أخذ الطفل بعد ذلك فرمى به نحو السماء ثم تلقّاه بسيفه فرمى به قطعتين، ثم عدل إلى أمّه بذلك السيف بعينه فضربها به فبترها»[٢].

وقال في موضع آخر: «ثم توجّه إلى بعلبك فقتل أهلها ولم يبْقَ منهم إلا القليل، ثم سار إلى سَلَمْيَة، فمنعه أهلها ولم يقدر على مقاومتهم، فصالحهم وأمّنهم، ففتحوا له بابها، وكان ذلك في مُستهلّ رمضان، فبدأ بمن فيها من بني هاشم وكانوا جماعة فقتلهم، ولم يبْقِ منهم أحدًا. وقتل الصبيان والفقهاء والشيوخ والبهائم، وخرج منها وليس بها عين تطرف. ودخل في القرى المجاورة لها يسبي ويقتل وينهب ويقطع السبيل ويأتي من المنكرات ما لا عين رأت ولا أُذُن سمعت»[٣].

واجتاحت جموع القرامطة كلَّ المناطق الواقعة ما بين بعلبك وحمص وحلب وأنطاكية، حتى تحالف عسكر العباسيين وعسكر الطولونيين وانتصروا عليهم بنواحي شَيْزَر، واقتيد زعيمهم «الحسن بن زكرويه» إلى بغداد حيث جرى

(١) التنبيه والإشراف ٣٢٢.

(٢) تاريخ أخبار القرامطة ٧٤، ٧٥، كتاب الأحداث (وهو مجموعة نصوص قديمة جمعها الدكتور إحسان عباس ونشرها) ص٢٧.

(٣) تاريخ أخبار القرامطة ٢٠، ٢١، الطبري ١٠/١٠٠.

إعدامه في أوائل سنة ٢٩١هـ[١].

ورغم الهزيمة العسكرية التي لحقت بالقرامطة، فإنّ تأثيرهم الفكري والمذهبي بقي متمثّلا في الجماعات التي اعتنقت مبادئهم وتقرمطت، حيث توزّعت فلولهم في النواحي الجنوبية من بلاد الشام في المحور الذي تلتقي عنده الآن حدود سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، فكان وادي التيم من أهمّ معاقلهم، وكذلك جبال الجليل وحوران ووادي الأردنّ، وقد لجأوا إلى هذه المناطق ليؤمّنوا لأنفسهم حماية طبيعية يصعب على الجيوش اقتحامها، ومن ناحية أخرى، فإنّ الأصول السكانية للقبائل العربية المستوطنة هناك هي من ذات أصول القرامطة القادمين من بلاد تنوخ على الساحل الشرقي للجزيرة العربية، ولهذا وجدت الدعوة القرمطية الأرض الخصبة للحياة، والنفوس المهيّأة للتأييد بدافع من الحميّة والعصبيّة القبلية، على الأقل، دون أن ننسى العادات والتقاليد الجامعة بين العرب المقيمين، والعرب الوافدين.

ونجح القرامطة في نشر دعوتهم بين التنوخيين من سكان وادي التيم وجبال الشوف، وغيرهم من القبائل العربية، وأن يعمروا المناطق التي استوطنوها في «لبنان» وأطلقوا عليها أسماء بلادهم وقراهم التي نزحوا منها في الجزيرة العربية وغيرها، فبنوا: «عين دارا ذكرى لبلدتهم التي كانت بهذا الاسم في الإحساء، وبنوا «العبادية» ذكرى لدُور الدعوة في سواد الكوفة، وبنوا «عُبَيَّة» ذكرى لماءٍ خاصّة ببكر بن وائل، و«المختارة» نسبة لمحلّة كانت لهم في الجانب الشرقي من بغداد، و«دَيْرِكُوشَة» ذكرى لإحدى قراهم القريبة من حلب»، ونزل من القرامطة «بنو الفضل بن معن بن زائدة الشيباني» في دير القمر والمناصف، وفي عَيْسَم، والمُحَيْدَثَة القريبة من راشيّا الوادي، وفي بعلبك، كما نزل بنو هلال في حَوران في المكان المعروف اليوم بجبل الدروز،

(١) الطبري ١٠/١٠٠، التنبيه والإشراف ٣٢٢ ٣٢٣، الدّرة المضية ٦/٧٢ و٧٣، النجوم الزاهرة ٣/١٠٤.

حيث دُعي يومذاك باسمهم جبل بني هلال »[1] .

وهكذا ، فإنّ العهد الطولوني في « لبنان » شهد انضمام مذهب جديد إلى جانب الجماعات الدينية والمذاهب الأخرى التي كانت موجودة ، من المسلمين السُّنَّة ، والنصارى من الروم (الملكية) ، والموارنة ، وبعض الشيعة . ومن الواضح أن المدن الساحلية لم تتأثر مطلقًا بالحركة القرمطية فظلّت بمنأى عنها . كما تجدر الإشارة إلى أن مدينة بعلبك لم تستجب لهذه الدعوة أيضًا ، فكان مصير أهلها الإفناء ، إلاّ اليسير منهم .

وانحسر المدّ القَرْمَطي سريعًا عن سهل البقاع ، بمجرّد الهزيمة العسكرية الساحقة عند شَيْزَر ، وبهذا يمكن ان نشبّه الاجتياح القرمطي خلال أقلّ من سنتين (٢٨٩-٢٩١هـ) للمناطق الشرقية من « لبنان » بالموجة العاتية التي ما لبثت أن ارتطمت بسور ضخم وما لبث رذاذها أن تناثر ، وترسّب عن الموجة تحوّل مذهبيٌّ في الأودية السحيقة والقمم الجبلية ، انحصرت بؤرتها في الجنوب الشرقي من « لبنان » ، وهذه المنطقة بالذات ، هي التي انتشر فيها المذهب الدرزي للموحّدين في العهد الفاطمي ، كما سنرى في الجزء الثالث من كتابنا التالي ، إن شاء الله .

---

(١) الدروز ، لسليم أبو اسماعيل ١٨١ ، تاريخ وادي التيم ١٥٢ ، ١٥٣ .

(٣)

« لبنان »

في ظلّ الدولة العباسية من جديد

(٢٩١-٣٣٠هـ/ ٩٠٣-٩٤١م)

عاد « لبنان » إلى السيادة العباسية من جديد بمجرّد خروج الخليفة « المكتفي » لمواجهة القرامطة في بلاد الشام ، حيث انحسر النفوذ الطولوني في أواخر العام ٢٩٠ وأوائل العام ٢٩١هـ/٩٠٣م . واستمرّت الحقبة العباسيّة الجديدة قرابة الأربعين عامًا ، ليدخل بعد ذلك في سيادة الدولة الإخشيدية .

وتميّزت حقبة العودة إلى السيادة العباسية بارتفاع حرارة الصراع العربي - البيزنطي على جبهة الثغور الشامية وساحل الشام ، وجزر البحر المتوسّط ، فعادت أخبار المدن « اللبنانية » الساحلية تطغى على ما عداها من أخبار المدن والمناطق الداخلية من « لبنان » ، ممّا يدلّ على الهدوء الذي خيّم على : جبل لبنان ، والبقاع ، والشمال ، والجنوب ، بدليل أنَّ المصادر التاريخية لا تسجّل أحداثًا مهمّة في تلك المناطق ، بينما كانت مدن الساحل تشهد أحداثًا مهمّة وخطرة ، كان من أهمّها وأخطرها غزوة « ليو الطرابلسي » إلى مدينة « سالونيكا » باليونان ، - وهي من أهمّ الأحداث التي أغفلتها كُتُب مدارسنا ، ومؤلفات الباحثين والمؤرّخين « اللبنانيين » على السواء ، ثم اشتراك « ليو الطرابلسي » المعروف بغلام زرافة ، مع « دَمْيان الصّوريّ » في حَدَثٍ مهمّ وخطير أيضًا هو إسهامها بشكل أساسي في إسقاط الدولة الطولونية في مصر سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م . وهذا أيضًا من جملة الوقائع التي أهملتها المراجع الحديثة ، فضلاً عن دور هذين القائدين المنسوبين إلى « طرابلس » و« صور »

في الدفاع عن سواحل الشام، والتصدّي لأساطيل الإمبراطورية البيزنطية في البحر المتوسط.

إنّ النّقص الفاضح والمتعمَّد في مناهج الكتب التاريخية بمدارسنا ومعاهدنا، وإسقاط الجوانب المضيئة في تاريخنا، يفرض علينا أن نأخذ بأسلوب السَّرْد والعرض المفصَّل للأحداث والوقائع، بل يُملي علينا - فوق هذا - الغوص في دقائق المعلومات والأخبار التاريخية بجزئياتها، لنقدّمها للقارئ موثّقة بالمصادر الأساسية، فيقف على صفحات مطويّات من تاريخ وطنه وتاريخ أمته، تعمّد بعضهم طمسها، وقصّرت همّة بعضهم الآخر عن استقصائها.

وإنّي لَعَلَى يقينٍ من أن الكثير من الموضوعات التاريخية التي أبحث لها في هذا الكتاب لم يسبق أن وقف عليه القرّاء والباحثون المعتنون بـ« تاريخ لبنان » ولهذا كان من المحتَّم أن أنتهج أسلوب السَّرْد المفصَّل - في أول الأمر - ثم يأتي بعد ذلك التحليل والتنظير وفلسفة الحَدَث، حيث لا يمكن تحليل الحَدَث التاريخي قبل الوقوف على مادّته.

ومن هنا نسأل: من هو « ليو الطرابلسي »؟ وقبله نسأل: من هو صاحبه « زرافة »؟ ثم، من هو « دَميان الصُّوريّ »؟

« زرافة » الحاجب صاحب طرابلس

تفيد المصادر التاريخية أنّ شخصًا يُدْعى « زرافة » كان حاجبًا للمتوكّل على الله العباسي (٢٣٢-٢٤٧هـ/ ٨٤٧-٨٦١م)، ونطالع اسمه لأول مرة في سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م. حين أمر « المتوكّل » بإشخاص الزاهد المعروف بذي النُّون[١] المصري إليه في سامرّاء، وأوصى زرافة به[٢] ثم نطالع اسمه مرة

(١) هو: ثوبان بن إبراهيم الذي له سياحة في جبال لبنان، وستأتي ترجمته في حديثنا عن: « جبال لبنان موطن الزُّهّاد والعُبّاد » من هذا الجزء.

(٢) حلية الأولياء لأبي نُعيم ٣٣٧/٩، وفيات الأعيان ٤٢٩/١.

أخرى حين أوكل إليه « المتوكّل » مهمّة قطع أُذن « أبي عبدالله أحمد بن حمدون النقيب » المنفيّ إلى تكريت[١]. ولم أعرف في أيّ سنة كان ذلك. ثم نطالع اسمه ليلة مقتل « المتوكّل » في الرابع من شوّال سنة ٢٤٧هـ/٨٦١م[٢]. فكان « زرافة » آخر حُجّاب « المتوكّل » وكان عنده ولد وبنت، فعقد « المنتصر من المتوكل » لابن زرافة على بنت « أوتامش »[٣]، ولابن أوتامش على بنت زرافة[٤]، وذلك قُبَيل قتل المتوكل بسُوَيعات قليلة.

وحين قُتل المتوكّل قام قَتَلَتُه من الأمراء الأتراك على رأس « زرافة » بالسيوف، وأمروه بمبايعة ابنه « المنتصر » فبايعه[٥]. وخرج في اليوم التالي ليأخذ البيعة للمنتصر من أهل سامرّاء والماحوزة (الضاحية) بجوارها[٦]. مما يعني أنه عمل حاجبًا للمنتصر، وكذلك للمستعين من بعده.

وكان لزرافة درب كبير في سامراء تُعرف باسمه « درب زرافة » ورد ذكرها في سنة ٢٤٨هـ[٧]. وهو صاحب « دار المتوكّل » التي بمصر[٨].

وفي أعقاب مقتل « عمر بن عبيدالله الأقطع » ثم مقتل « علي بن يحيي

(١) وفيات الأعيان ٤١٢/١، ولم أجد ترجمة لابن حمدون النقيب هذا. الديارات - ص٧.

(٢) تاريخ الطبري ٢٢٥/٩ - ٢٣٠، الديارات - ص٤٠.

(٣) كنيته: أبو موسى. قائد تركي ابن أخي بُغا الكبير، استوزره المستعين بالله (٢٤٨-٢٤٩هـ/ ٨٦٢-٨٦٣م) بعد أن أسهم في مؤامرة قتل المتوكل، ونُفي إلى القيروان. أنظر: تاريخ اليعقوبي ٤٩٢/٢- ٤٩٤، ٤٩٦، وفهرس الأعلام للطبري (١٨٧/١٠) وتجارب الأمم ٥٥٥/٦، ٥٦٢، ٥٦٤- ٥٦٦، والفرج بعد الشدّة للتنوخي ٢٣٨/١، ٢٥٠ و٢١٦/٢-٢٢٠، والتنبيه والإشراف ٣١٥، وفتوح البلدان ٢٧٧، وديوان البحتري ٧٧/١، وفهرس مروج الذهب (١٧٤/٦) وأخبار البحتري ١٠٣.

(٤) الطبري ٢٢٥/٩، ٢٢٦، تجارب الأمم ٥٥٥/٦.

(٥) تاريخ الطبري ٢٢٨/٩.

(٦) الطبري ٢٣٩/٩.

(٧) الطبري ٢٥٧/٩.

(٨) مروج الذهب (الطبعة المصرية) ١٧٦/٤.

الأرمني » بعده بقليل في سنة ٢٤٩هـ، وهما يغزوان الروم، هاج الناس في سامرّاء، حيث كان يقيم الخليفة، وكانوا قد ضاقوا ذَرْعًا بتسلّط الأتراك على الخلافة، واستفظعوا قتلهم للمتوكّل، وقتْلهم من أرادوا قتله، واستخلافهم من أحبّوا استخلافه، فوثب نفر من الناس وفتحوا السجن وأخرجوا من فيه، فوجّه « زرافة » جماعة من الموالي لمطاردتهم، فوثب بهم العامّة وهزموهم في شهر ربيع الأول من السنة[1]. فركب « أوتامش » و« وصيف » و« بُغا » وعامّة الأتراك فقتلوا من العامّة جماعة، وأمر « وصيف » النفّاطين فقذفوا حوانيت التجار ومنازل الناس بالنار، وانتهبت المغاربة منازل جماعة من العامة[2]، ثم انقلب « وصيف » و« بُغا » على « أوتامش » فقتلاه، وأضحى الجوّ مشحونًا بالدسائس والفِتن في سامرّاء، ولذا رأى كبار الأمراء الابتعاد عن هذاالجوّ، فعيّن « المستعين »: وصيفًا على الأهواز، و« بُغا الصغير » على فلسطين في ربيع الآخر ٢٤٩هـ[3]. وتنقطع أخبار « زرافة » منذ ذلك الوقت، مما يجعلنا نرجّح أنه انتقل أيضًا عن سامراء، فتولّى طرابلس الشام، وبقي فيها حتى توفي سنة ٢٥٢هـ/٨٦٦م[4]. ولما لم أجد في كل المصادر التاريخية شخصا آخر يدعى « زرافة » في ذلك العصر، غير هذا، فيكون هو صاحب طرابلس وصاحب « ليو ».

وكما هو واضح، فإنّ المصادر، لا توضح أيضًا، إن كان « زرافة » عربيًا، أم تركيًّا، أم غير ذلك، فقد ورد اسم « زرافة »[5] ـ هكذا ـ مجرّدًا من أيّ إضافة أو نسبة، فلم نعرف اسم أبيه، ولا كنيته، ولا نَسَبَه، ويُحتمل

(١) الطبري ٩/٢٦٢، تجارب الأمم ٦/٥٦٥.

(٢) الطبري ٩/٢٦٣.

(٣) الطبري ٩/٢٦٤.

(٤) مروج الذهب ٤/١٧٦.

(٥) هكذا عند: الطبري، وصاحب « العيون والحدائق » وابن الأثير، والذهبي في: العبر ٢/٨٧، وابن خلدون في تاريخه، مجلّد ٣/ق٤/٧٥٠ طبعة بيروت ١٩٥٨، وابن تغري =

أن يكون « زرافة » لقبًا وليس اسمًا حقيقيًا، فلعلّه كان طويل العُنُق مثل الزرافة فلُقّب بذلك، ولذا انتسب إليه أبناء وأحفاد « ليو الطرابلسي »، فقيل في بعضهم « الزرافيّ » كما سيأتي.

« ليو الطرابلسي غلام زرافة »

هو أعظم قائد للبحرية الإسلامية ظهر في « العصر الوسيط »[1]، اسمه يونانيّ « ليو » وقيل له: « رشيق الوردامي »[2]، وليس هذا إلاّ لقبًا للدلالة على رشاقته ولون بشرته الأحمر كالورد، فالوردامي ـ على الأرجح ـ نسبة مركّبة من « الورد » و« دامي »، وهذا اللّقب يتضمّن وصف « ليو » برشاقة القوام، واحمرار بشرته المشبّهة بالدم الورديّ، وهذا يدلّ على أصله اليونانيّ.

وُلد « ليو » من أبوين نصرانيّين في مدينة « أتّاليا » (أنطالية)[3] من أعمال مقاطعة « بامفيليا » الواقعة على الساحل الجنوبي لآسية الصغرى (تركيا حاليًا)،

= بردي في: النجوم الزاهرة ٣/١٣٢، ومسكويه في: تجارب الأمم، وابن خلكان في: وفيات الأعيان، والديارات للشابشتي ٧ و٤٠، وعيون الأنباء ١/١٨٩ وغيره. وورد « زراقة » (بالقاف) في: مروج الذهب، طبعة مصر، وطبعة أسعد داغر بيروت ١٩٦٥ ـج١/١٤٦، أما المرحوم « محمد كرد علي » فأثبته باسم « ظرافة » (بالظاء)، في: خطط الشام ١/٢٠٨.

(١) مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام للأستاذ محمد عبد الله عنان (الطبعة الرابعة) ـ ص٩٣.

(٢) انفرد المؤرّخ الكندي بهذه التسمية في كتابه « الولاة والقضاة » ٢٤٥، وكتابه « ولاة مصر » ـ ٢٦٨ فقال: « رشيق الوردامي المعروف بغلام زُرافة ».

وهنا أرى من الواجب أن أنقد نفسي إحقاقا للأمانة العلمية و التاريخية، فأقول إنني كنت قد ذكرت في كتابي: « تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور » بالطبعتين: الأولى والثانية، أن « رشيق الوردامي » هو غير « ليو الطرابلسي » ولكنني بعد التأمّل ومراجعة المصادر أقرّر أنني لم أصب بذلك، وأقول هنا: إن رشيقا هو ليو نفسه غلام زرافة.

(٣) أتّالية = أنطالية: بلد كبير من مشاهير بلاد الروم. قال البلخيّ إذا تجاوزت قَلَمية واللامس انتهيت إلى أنطالية، حصن للروم على شط البحر، منيع واسع الرستاق، كثير الأهل، ثم تنتهي إلى خليج القسطنطينية. (معجم البلدان ١/٣٩٥).

في سنة غير معروفة.

وفي إحدى غارات المسلمين على الساحل الجنوبي لآسية الصغرى، أُخذ «ليو» في جملة السَّبي - كما كانت عليه عادة ذلك العصر - وهو ما يزال في حداثة سنّه، فحمله الغُزاة ونزلوا به طرابلس، فكان من نصيب صاحبها «زرافة» الذي استخلصه لنفسه، وربّاه واعتنى به وعلّمه فنون القتال، فكان من غلمانه، ولذا عُرف في المصادر العربية بـ«غلام زرافة».

ومن تتبُّعنا للأحداث التي اشترك فيها «ليو» أستطيع القول إنه جيء به إلى طرابلس بين سنتي (٢٤٩-٢٥٢هـ/٨٦٣-٨٦٦م) وهي الفترة التي تولّى فيها «زرافة» على المدينة، ثم نطالع اسمه في شهر رمضان سنة ٢٩١هـ. وهو يغزو الروم في «أتاليا» مسقط رأسه، ثم وهو يغزو مدينة سالونيكا اليونانية في صيف السنة المذكورة، ثم نراه يشترك مع «دميان الصوري» في دخول مصر أواخر السنة أيضا (٢٩١هـ) ويبقى معه فيها حتى السنة التالية ٢٩٢هـ/٩٠٥م. بحيث يصح القول إنه كان قد بلغ مرحلة الرجولة في ذلك الوقت.

ويُنسب «ليو» في المصادر والمراجع اللاتينية إلى مدينة طرابلس التي نشأ وأقام فيها، وتزوّج، ورُزق بأولاد وأحفاد، ودُفن بها على الأرجح، فعُرف باسم «ليو الطرابلسي Leo of Tripolis» وقد ورد هذا الاسم مصحّفاً أو معرّبًا عن الاسم اللاتيني في عدّة مصادر ومراجع عربية[1]. فالمسعوديّ يسمّيه

(١) ذكر الأستاذ محمد عبدالله عنان في حاشية كتابه «مواقف حاسمة في تاريخ الإسلام» - ص٩٧ من الطبعة الأولى أنّه نقّب في كل المراجع العربية المعتبرة ليظفر بالاسم العربي لهذا البحار المسلم فلم يوفّق... ثم عاد وذكر في الطبعة الرابعة للكتاب سنة ١٩٦٢- ص٩٣: «لقد انتهينا بالبحث والتدقيق إلى القطع بأنه هو أمير البحر أو القائد الذي يُطلِق عليه المؤرّخون المسلمون اسم «غلام زرافة» وليس في الرواية العربية ما يلقي الضياء على نشأته»! ويقول خادم العلم وطالبه مؤلّف هذا الكتاب «عمر عبد السلام تدمري»: وها نحن نلقي الضوء على نشأته، وأرجو الله أن أكون وُفِّقت.

في (مروج الذهب): «لاوي» وكنيته: «أبو الحرب»، وفي نسخة أخرى: «أبو الحارث»[1]. وفي (التنبيه والإشراف) يسمّيه «لاون»[2]. أما ابن عساكر فتارة يسمّيه: «لاو» وتارة «لاوي»[3]. وعرّفه بـ:«الزرافيّ مولى المقتدر بالله العباسي»[4]. وأمّا الذهبيّ فيسمّيه مرة: «لاوي الطرابلسي» ومرة: «لاوي الزرافي»[5].

ويُلاحظ، أنّ جميع المصادر العربية التي وصلتنا لا تأتي على ذكر «رشيق الوردامي» بهذا اللفظ الذي انفرد به الكنديّ، وهي بالتالي لا تشير إلى اشتراكه مع «دميان» في تلك الحملة على مصر[6]، وقد انفرد «الكندي» بذكره أيضاً.

ترعرع «ليو» في طرابلس، ونشأ محبًا لركوب البحر بحكم موقع المدينة القديمة على الساحل، إذ كانت تغصّ برجال البحر وعمّاله، وبالقادة الغزاة والمجاهدين، ومنهم «أبو علي عاصم الأطرابلسي» الذي روى عنه «خيثمة الأطرابلسيّ» كثرة جهاده في البحر[7]. ويمكن أن نقرّر أن عدد البحّارة كان كثيرًا إستنادًا إلى قول «اليعقوبي» إن ميناء طرابلس كان عجيبًا بحيث يحتمل ألف مركب[8]. فنشأ «ليو» وسط هذه الأجواء، وتلقّى دروسه في عُرض البحر على أيدي بحّارة متمرّسين مَهَرة، حتى أصبح بحّارًا ماهرًا خبيرًا بشؤون البحر وأسفاره وحروبه، وأنوائه وعواصفه، وجُزُره وسواحله، ورؤوسه

(١) مروج الذهب ١٢٩/٦ (المتن والحاشية).
(٢) التنبيه والإشراف ١٥٣.
(٣) تاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ٢١٥/٢٤، تهذيبه ٢٣٤/٤.
(٤) كانت خلافة «المقتدر» من سنة ٢٩٥ إلى سنة ٣٢٠هـ.
(٥) العبر في خبر من غبر، وتاريخ الإسلام (مصوّرة دار الكتب المصرية، رقم ٣٩٦ تاريخ) ج٢١/ ١٨٠.
(٦) وُلاة مصر ٢٦٨، الولاة والقضاة ٢٤٥.
(٧) تاريخ دمشق (المخطوط) ٦٠٦/١٨.
(٨) البلدان لليعقوبي ٣٢٧.

وخلجانه، وكلّ أحواله، وتَرَقَّت به الأحوال إلى أن صار أميرًا للبحر ومن رؤسائه الذين يولّون تدبير المراكب والحرب، ثمّ أصبح أميرًا على طرابلس نفسها، وقد التقى به المؤرّخ المسعوديّ أثناء رحلته في البحر الشامي، وذكر ذلك في كتابه «مروج الذهب» فقال: ...وفي مواضع منه (بحر الشام) شاهدت أرباب المراكب في البحر الرومي من الحربية والعمالة، وهم النواتي[1]، وأصحاب الرحل، والرؤساء ومن يلي تدبير المراكب والحرب فيهم، مثل لاوي المكنّى بأبي الحرب، غلام زرافة صاحب طرابلس الشام، من ساحل دمشق، وذلك بعد الثلاثمائة، يُعظمون طول البحر الروميّ وعَرضه، وكثره خلجانه وتشعُّبه»[2].

ووُصِف «ليو» بالذكاء والنشاط والجُرأة[3]، وقد تولّى قيادة أسطول طرابلس، وأسطول طرسوس، وقاد المراكب التي كانت تتجمّع تحت إمرته من جميع المواني والثغور الإسلامية، من طرسوس شمالاً الى الإسكندرية جنوبًا، فضلاً عن سفن بحّارة أقريطش (كريت). واعتنق الإسلام وهو ما يزال في نعومة أظافره، فنشأ صادق الإيمان، متشدّدًا فيه، غيورًا عليه، إذ يُروى عنه أنه ضرب مرّة أحد الطرابلسيّين وسجنه، وهو يُدعى «الحسن بن علي الأطرابلسي»، وذلك إثر وشاية وصلته تتهم الرجل الأطرابلسيّ في دينه، فكتب الرجل وهو في السجن أبياتًا بعث بها إلى ابن ليو، وهو «أبو عبد الإله محمد بن ليو» يشكو له فيها ظلامته ويتبرأ من التهمة التي أُلصِقت به، يقول في مطلعها:

لئن كنت ظُلمًا قد رُميتُ ببدعةٍ ... وعضضتني نابُ حديدٍ من الدهرِ
فـإنّـي على ديـن النبيّ محمدٍ ... وصاحبه في الغار أعني أبا بكرِ

(١) النواتي: جمع نوتي، وهو الملاّح الذي يدبّر السفينة في البحر. (لسان العرب، القاموس المحيط).
(٢) مروج الذهب ١/١٤٦ (الطبعة المصرية) و١/١٢٩ (الطبعة اللبنانية).
(٣) History of the Byzantine- Finlay- Book II P.317.

إلى أن يقول:

لقد نقل الواشون عنّي مقالةً ... مزوّرةً لم تجر يومـا على فكـرِ
أسيرٌ سـوى في أرضـه وبلاده ... لَعَمْرك ذا خَطْبٌ عظيمٌ من الأمـرِ
أروح وأغدو خائفاً مترقّباً ... وتمشي النصارى آمنين من الكفر![1]

كما أنّ حملات «ليو» على الإمبراطورية البيزنطية، وعلى مدينة «أتالية = أنطالية» التي وُلد فيها بالذات، هي في حدّ ذاتها أقوى دليل على حُسْن إسلامه، بحيث وصفه المستشرق «أوستروغوروسكي» بالمرتدّ[2]. فيما ينعته «بابادوبولس» بالطرابلسي اليوناني العاصي[3]!

أسرة «ليو» في طرابلس

من المؤكّد أن «ليو» تزوّج بطرابلس، وأنجب فيها ذُرّيّة، وبقي أبناء أسرته تتردّد أسماؤهم في المصادر العربية نحو قرنين من الزمان، إلى النصف الثاني من القرن الخامس الهجري/ الحادي عشر الميلادي. فقد وصَلَنا اسم اثنين من أبنائه، فدُعي أحدهما - وهو الأكبر - محمد، ويُكنّى أبا عبدالله أو عبد الإله[4]. وكان فاضلا أديبًا. والثاني يُدعى «عبد الصمد» وكنيته «أبو محمد»[5]، كما وصَلَتنا عدّة أسماء لأحفاده، وقفتُ علَيها مُوزّعة في المصادر التاريخية، وكان معظمهم من أهل الفضل والعلم والأدب، أذكر منهم: «محمد بن عبد الصمد بن لاوي الأطرابلسيّ»[6] الذي أخذ الحديث عن «خيثمة

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٠/٢٣٢ و٢٣٣، تهذيبه ٤/٢٣٤.
(٢) History of the Byzantine state- Ostrogorowski Trans- Joan Hussey- P.228 Oxford 1956.
(٣) تاريخ كنيسة أنطاكية، لخريسوستمس بابادوبولس - تعريب الأسقف استفانس حدّاد - منشورات النور ١٩٨٤- ص٥٩٨.
(٤) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٠/٢٣٢، تهذيبه ٤/٢٣٤.
(٥) تاريخ الإسلام (المخطوط المصوّر) ٢١/١٨٠.
(٦) تاريخ الإسلام ٢١/١٨٠.

الأطرابلسي » ثم عقد مجلسًا للرواية فقصده الحافظ « محمد بن علي الصوري »[1]، و« عبد الرحيم بن أحمد البخاري »[2] فأخذا عنه الحديث. وذكره « المؤرّخ الذهبي » في عداد المتوفّين بعد سنة ٤٠٠ هـ. ظنًّا[3]. ومن أبنائه « عبد الصمد » الذي حدّث ببيروت سنة ٤٢٤هـ. وبدمشق[4]. و« عبد السلام » الذي نزل تِنّيس بساحل مصر وحدّث بها[5].

وقد تولّى أفراد أسرة « ليو » المناصب الرفيعة بطرابلس، وكانوا أصحاب جاه وثروة، إذ نرى الشاعر الدمشقيّ « ابن الخياط يمدح بعضهم، ويرثي من يُتوفَّى منهم أثناء إقامته بطرابلس في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري[6]. وله قصيدة يمدح فيها « أبا الفرج علي بن الحسين الزرافي الأطرابلسي »[7]، وله مَرْثيّة يرثي فيها: « أبا محمد الحسن بن محمد الزرافي »، وألقاها وهو يُعزّي أخاه « أبا علي »[8].

وهذه مشجَّرة نسب لآل الزرافي في طرابلس حسبما وفّرته لنا المصادر القديمة:

(١) هو شيخ الخطيب البغدادي المؤرّخ. توفي ببغداد سنة ٤٤١هـ. أنظر ترجمته في « الفوائد العوالي المؤرّخة من الصحاح والغرائب » للتنوخي، ـ بتحقيقنا ـ ص١١-٤٢ ـ طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت، ودار الإيمان بطرابلس (الطبعة الثانية) ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٢) تذكرة الحفاظ للذهبي ج٣/١١١٤ـ طبعة حيدرأباد ١٩٥٧.

(٣) تاريخ الإسلام ١٨٠/٢١.

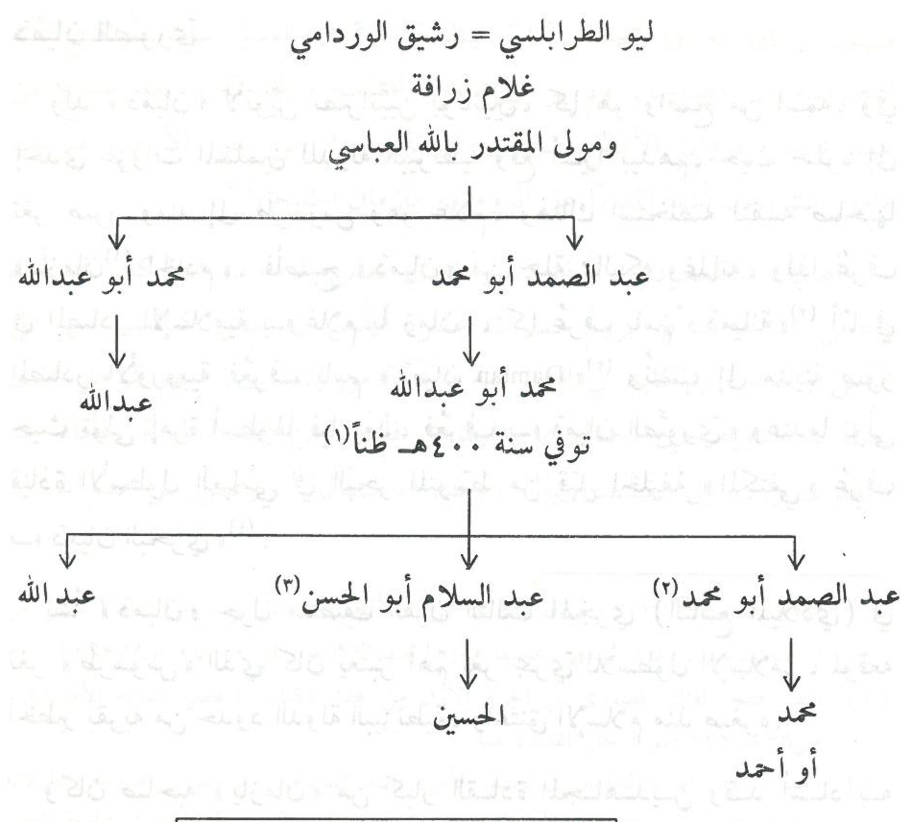
(٤) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٦٣/٢٤.

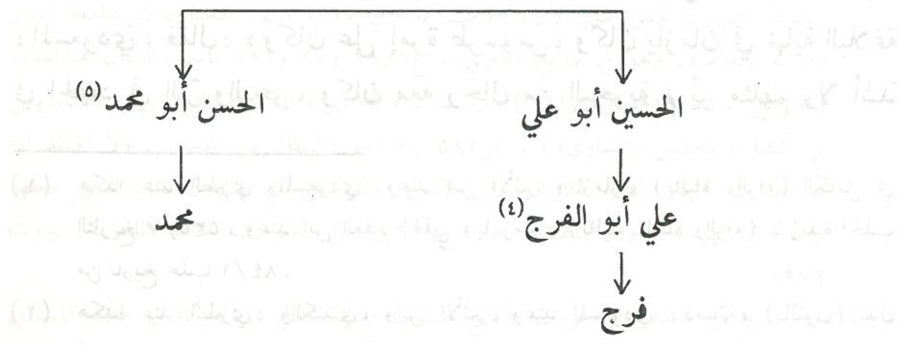
(٥) تاريخ دمشق ١٦٣/٢٤، تاريخ الإسلام ١٨٠/٢١.

(٦) أنظر كتابنا: الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى ـ ص١٠٠- ١٠٣، وكتابنا: دار العلم بطرابلس في القرن الخامس الهجري ـ ص٤٣، ٤٤.

(٧) ديوان ابن الخياط أحمد بن محمد التغلبي، تحقيق خليل مردم بك ـ ص٩٩ ـ طبعة المجمع العلمي العربي بدمشق ١٩٥٨.

(٨) ديوان ابن الخياط ـ ص٩٤.





(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٥٧/٣٨ و٣٥٨ و٦٥١، تاريخ الإسلام (المصوّر) ١٨٠/٢١.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٦٣/٢٤ و١٦٤ و٣٤٧/٣٨، وهو حدّث ببيروت ودمشق.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٢٤/٢٤ و١٢٥، وهو نزل تِنّيس بساحل مصر.

(٤) مدحه ابن الخياط الدمشقي في ديوانه ـ ص٩٩.

(٥) رثاه ابن الخياط في ديوانه ٩٤.

دَمْيان الصُّوريّ

وُلِد « دَميان » لأبَوَيْن نصرانيَّيْن يونانيَّين، كما هو واضح من اسمه، وفي إحدى غزوات المسلمين للدولة البيزنطية وقع أسيرا بيدهم، حيث حملوه إلى ثغر صور ومنه إلى طَرَسوس وهو غلام، وهناك استخلصه لنفسه صاحبها « يازمان[١] الخادم »، فأصبح « دَميان » من جملة مماليكه وغلمانه، ولذا عُرف في المصادر الإسلامية بـ« غلام يا زمان »، كما عُرف باسم « دَميانة »[٢] أمّا في المصادر الأوروبية فعُرف باسم « دَمْيان Damian »[٣] ونُسب إلى مدينة صور حيث تولّى إمرة أسطولها فيما بعد، فعُرف بـ« دَميان الصُّوريّ » وعندما تولّى قيادة الأسطول العباسي في البحر المتوسّط من قِبَل الخليفة « المكتفي » عُرِف بـ« دَميان البحري »[٤].

نشأ « دَميان » حول منتصف القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي) في ثغر « طَرَسوس » الذي كان يُعْتَبر أهمّ ثغر بحريّ للأسطول الإسلامي، لموقعه الخطير بقربه من حدود الدولة البيزنطية، واعتنق الإسلام منذ صِغَرِه.

وكان صاحبه « يازمان » من كبار القادة المجاهدين وقد أشاد به « المسعوديّ » فقال: « وكان على إمرة طرسوس، وكان يازمان في نهاية البلاغة في الجهاد في البرّ والبحر، وكان معه رجال من البحرية لم يُر مثلهم ولا أشدّ

(١) هكذا عند الطبري والمسعودي. وعند ابن الأثير « بازمار » (بالباء والراء) الكامل في التاريخ ٥٣٥/٧، وعند ابن العديم الحلبي « يا زمار » (بالياء المثنّاة والراء) ـ زبدة الحلب من تاريخ حلب ٨٤/١.

(٢) هكذا عند الطبري، والكندي، وابن الأثير. وعند المسعودي « دمنانه » (بالنون) بدل (الياء) ـ مروج الذهب (طبعة الشيخ محمد محي الدين) ٣٠٩/٤، وتحرّف في النسخة المطبوعة على هامش كتاب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب للمقري) ـ ج٤٠٦/٤، إلى: « وهنانة »!

(٣) History of the Byzantine - Finlay - p.331. Book II.
History of the Byzantine state - Ostorogorowski, p.228- Oxford 1956.

(٤) النجوم الزاهرة ١٤٥/٣.

منهم، وكان له في العدوّ نكاية عظيمة، وكان العدوّ يهابه، وتفزع منه النصرانية في حصونها، ولم يُر في الثغور الشامية والجَزَرِيّة ـ بعد عَمرو بن عبيدالله بن مروان الأقطع صاحب مَلَطْيَة، وعلي بن يحيي الأرمني صاحب الثغور الشامية ـ أشدّ إقدامًا على الروم من يازمان الخادم »[١].

وأضاف « المسعودي » أيضًا: « وأخبرني بعض الروم ـ ممن كان قد أسلم وحَسُن إسلامه ـ أن الروم صوَّرت عشرة أنفُس في بعض كنائسها من أهل البأس والنجدة والمكايد في النصرانية والحيلة من المسلمين، منهم الرجل الذي بعث به معاوية حين احتال على البطريق فأسره من القسطنطينية، فأقاد منه بالضرب وردّه إلى القسطنطينية[٢]، وعبدالله البطّال[٣]، وعمرو بن عبيدالله[٤]،

(١) مروج الذهب ٢١٣/٤، وقال الطبري عن « الأقطع » و« الأرمني » إنهما « كانا نابَيْن من أنياب المسلمين، شديدًا بأسهما، عظيمًا غناؤهما عنهم في الثغور التي هما بها ». (٢٦٢/٩)

(٢) أنظر قصّة القائد الصوري في الجزء الأول من هذا الكتاب (عصر الدولة الأموية) ـ ص٢٣٦ـ ٢٤١ فهو الرجل المقصود هنا.

(٣) أحد مشاهير الغُزاة المسلمين في العصر الأموي ضدّ البيزنطيين. يوجد عن غزواته وبطولاته مخطوط مجموع لم يحقّق حتى الآن، اطّلعت عليه في مكتبة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية بالقاهرة، وهو في تاريخ الطبري ـ ج٨٨/٧ و٩٠ و١٩١ باسم « البطّال عبدالله »، وقد قُتل سنة ١٢٢هـ (١٩١/٧) وفي كتاب « المُكدِّين » للجاحظ الذي ينقل عنه البيهقي في كتابه « المحاسن والمساوىء » ـ ص٥٨١ يرد اسم « البطّال بن الحسين »، ولا نعتقد أنه هو عبدالله البطال للبُعد التاريخي بين الاثنين، ولا نتّفق مع « شارل بلا » الذي جعلهما واحدًا في فهرسته لمروج الذهب. أنظر: ج٤٦٩/٧ من مطبوعات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٧٩.

(٤) هو عمرو بن عبيدالله بن مروان الأقطع صاحب مَلَطْيَة، قُتل في المعركة في خلافة المستعين بالله سنة ٢٤٩هـ. (مروج الذهب ٢١٤/٤) ويقال: عمر بن عبدالله (تاريخ اليعقوبي ٤٩٦/٢، وتاريخ الطبري ٢٦١/٩، ٢٦٢، ويقال: عمر بن عبيدالله ويُكنّى أبا حفص (المحاسن ٥٨١) وورد في (لطف التدبير، للإسكافي، تحقيق أحمد عبد الباقي ـ ص٢٢، ٢٣): « عبيدالله المعروف بالأقطع »، وحكى أنه فتح حصنا للروم عن طريق مكيدة في عهد الرشيد، وقال: « وكان قد مكث دهرا في بلاد الروم فعرف أكثرهم. وكان حاذقًا بالرومية شبيه الصورة واللّبسة بالروم ».

وعلي بن يحيى الأرمني[1]، والغُزَيِّل بن بكار[2]، وأحمد بن أبي قَطيفة[3]، وقرنياس البيلقاني[4] صاحب مدينة إبريق ـ وهي اليوم للروم ـ وكان بطريق[5] البيالقة[6]، وكانت وفاته في سنة تسع وأربعين ومائتين، وحرس خارس[7] أخت قرنياس، ويازمان الخادم[8] في موكبه والرجال حوله، وأبو

---

(١) كنيته أبو الحسن. قتل في المعركة مع «الأقطع» سنة ٢٤٩هـ (مروج الذهب ٤/٢١٤) أنظر عنه في تاريخ اليعقوبي ٢/٤٦٤ و٤٧٥ و٤٩٦، وفتوح البلدان للبلاذري ٢٠١، وتاريخ الطبري ٩/١٩١ و١٩٥ و١٩٦ و٢٠٧ و٢١٨ و٢١٩ و٢٥٩ و٢٦١، والتنبيه والإشراف للمسعودي ١٦٢ وهو فيه أمير الثغور الشامية، وتجارب الأمم لمسكويه ٦/٥٦٤، والمحاسن والمساوىء ٥٨١.

(٢) في طبعة الشيخ محمد محيي الدين «العريل» وفي نسخة خطية أخرى «العربل»، ولم يُوفّق المؤرّخ «فاسيليف» في التحقّق من صحّة اسمه، انظر: A. A. Vasiliev. Byzance et les Arabes. éd. Fr. M. Canard II/1 p.123 Bruxelles 1968. وقد ضبطه «شارل پلاّ» في فهرسته لمروج الذهب ٧/٥٤٤ كما أثبتناه في المتن، وفي: المحاسن والمساوىء ص٥٨١: «ابن الغُزَيّل بن الركان المصّيصي» حكى عنه ابنه فقال إنه غزا معه أربع عشرة غزوة سبعًا في البحر وسبعًا في البرّ.

(٣) وفي نسخة خطية اخرى «أحمد بن أبي قطيعة»، وفي: المحاسن والمساوىء للبيهقي نقلاً عن: حكايات المُكدِّين للجاحظ ـ ص٥٨١: «حمدان بن أبي قُطيفة»، ولم يذكره Vasiliev. II/1 123 باسمه. فهرس مروج الذهب لشارل پلاّ ٦/١٢١.

(٤) وفي نسخة خطية أخرى: «قرماس السلقاني»، وهو في «التنبيه والإشراف» ١٥٥ «قربياس مولى آل طاهر بن الحسين». Vasiliev. 1. 256. II/1. 27 فهرس مروج الذهب لشارل پلا ٧/٥٧٣، ولم يذكره البيهقي نقلا عن الجاحظ.

(٥) سبق أن عرّفنا بهذا المصطلح في الجزء الأول من الكتاب ـ ص٣٢، الحاشية رقم (٢).

(٦) البيالقة: طائفة من الروم، مذهبهم واعتقادهم هو مذهب بين النصرانية والمجوسية، ودخلوا في جملة الروم سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م. (مروج الذهب ٤/٢١٤، ٢١٥) وكانت مدينتهم هي قلعة ابريق. (التنبيه والإشراف ١٥٥) وهي في إقليم العواصم الذي يضمّ: ملطية، وشمشاط، وغيرها.

(٧) لم يذكرها شارل پلا في فهرسه لمروج الذهب، ولا Vasiliev.

(٨) أنظر عنه أيضاً في: المختار من تاريخ ابن الجزري ٢٧٦، ٢٧٧.

القاسم ابن عبد الباقي»[1].

وتوفّي «يازمان» وهو يغزو بجيش المسلمين في أرض الروم تحت الحصن المعروف بكوكب فحُمل إلى طرسوس، فدُفن بباب الجهاد، وذلك في النصف من شهر رجب سنة ٢٧٨هـ. وكان معه في تلك الغَزَاة من أمراء السلطان،

---

(١) الأرجح أن أبا القاسم ابن عبد الباقي هو والد «أبي عمير عديّ بن أحمد بن عبد الباقي الأذني» الذي التقى به المؤرّخ المسعودي في رحلته بساحل الشام ووصفه بأنه: «شيخ الثغور الشامية قديمًا وحديثًا، وهو من أهل التحصيل» (أي تحصيل العلم) أنظر فهرس شارل پلا لمروج الذهب ٦/١١٤ و٧/٥٠٠، وقد تحرّفت «الأذني» إلى «الأزدي» في طبعة الشيخ محمد محيي الدين عبد الحميد للمروج ١/٣٢٠، والأذَني نسبة إلى ثغر أذَنَة القريب من ثغر طَرَسوس، وأبو عُمير الأذني مذكور أيضًا في: التنبيه والإشراف ـ ص١٦٤ و١٦٥ وفيه يقول المسعودي: «شيخ الثغر والمنظور إليه فيهم.. وكان ذا رأي وفَهْم بأخبار ملوك اليونانيين والروم، ومن كان في أعصارهم من الفلاسفة، وقد أشرف على شيءٍ من آرائهم»، وهو الذي ذكره «مسكويه» في: تجارب الأمم ١/٥٣ و٥٤ و١٣٩ وفيه: «أبو عمر» و«أبو عمير». وكان محدّثًا حدّث بأذنَة وطرابلس الشام. (أنظر: معجم الشيوخ لابن جُمَيع الصيداوي ـ بتحقيقنا ـ ص٣٥٧ رقم ٣٤١، وتاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوطة التيمورية) ٣٦/٣٣٥، وموسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي (تأليفنا) مجلّد ٣/٢٨٢، ٢٨٣ رقم ١٠١٠).

وفي أول حوادث سنة ٣٠٢هـ. يقول الطبري في تاريخه ١٠/١٤٩: «فمن ذلك ما كان من إشخاص الوزير علي بن عيسى... بن عبد الباقي في ألفي فارس فيها لغزو الصائفة معونة لبشر خادم ابن أبي الساج وهو والي طرسوس من قِبَل السلطان إلى طرسوس، فلم يتيسّر لهم غزو الصائفة، فغزوها شاتية في برد شديد وثلج». وقد وقع في أصل نسخة الطبري بياض، فلم نعرف من هو «بن عبد الباقي»، والأرجح أنه «أبو عمير عديّ الأذني». وهو في: تاريخ بغداد ١/١٠٤، ١٠٥ «أبو عمر عديّ بن أحمد بن عبد الباقي الطرسوسي صاحب السلطان ورئيس الثغور الشامية»، وقد رافق رسول ملك الروم إلى بغداد في خلافة المقتدر بالله سنة ٣٠٥هـ. وهو الذي قتله الأرمن سنة ٣٥٣هـ. (أنظر المنتقى من التاريخ الملحق بتاريخ الأنطاكي (بتحقيقنا) ـ طبعة جرّوس برس ـ طرابلس ١٩٩٠ ـ ص٤٥١).

و«أبو القاسم بن عبد الباقي» لم يذكره Vasiliev ولا الجاحِظ ولا البيهقي، بل يضيفان إلى أسماء الغزاة: «الربرداق بن مدرك» هكذا في الأصل، وهذا لم يذكره المسعودي.

المعروف بالعُجَيفيّ، وابن أبي عيسى[1]. وآخر من غزا معه هو «ابن الغُزَيِّل بن بكار»[2].

وقد خَلَف «يازمان» على إمرة طَرَسوس رفيقُ جهاده «أحمد بن طُغان المعروف بالعُجَيفي»، فكان للعُجيفيّ الفضل في تعيين «دَميان» نائبًا له على طَرَسوس في سنة ٢٨٣هـ/٨٩٥م[3].

إذن، فسنة ٢٨٣هـ/٨٩٥م. هي بداية ظهور «دَميان» ـ لأول مرة ـ على مسرح الأحداث في ثغر طَرَسوس، وهو يتولّى نيابة إمرتها. ولا شكّ أنه قد تجاوز مرحلة الصِّبا ـ على الأقلّ ـ حتى يتسلّم هذا الموقع الخطير، ولذا يمكن القول إنه كان في حوالي الثلاثين من عُمره حينذاك، على أقلّ تقدير، وحين جاء «أحمد بن طولون» ليأخذ طَرَسوس في سنة ٢٦٥هـ. وفيها «يازمان الخادم»[4] كان «دَميان» في سنّ المراهقة آنذاك، وحين جيء به إلى طَرَسوس، لأول مرة، كان غلامًا في العاشرة من عمره تقريبًا، فيكون دخوله إليها في الفترة الواقعة بين سنتي (٢٥٠-٢٥٥هـ/٨٦٤ ـ ٨٦٩م).

وفي أجواء الرباط والغزو والجهاد التي كانت تحياها طَرَسوس، ووسط المشاهير من المرابطين الغُزاة والمجاهدين وغيرهم من أبطال الحروب الذين تقدّم ذكرهم، نشأ «دَميان» واعتنى به صاحبه «يا زمان» فعلّمه الفروسية والقتال في البرّ والبحر، وتمرّس على ركوب الخيل والسفن، وأصبح من القادة والأمراء، ولا يبعد أنه اصطحبه في بعض غزواته داخل بلاد الروم ليزداد خبرة بفنون قتالهم، ويتعرّف على طبيعة أرضهم ودروبهم، حتى أصبح ذا شأن في هذا المجال، واستُشهد صاحبه وأستاذه «يازمان» سنـة ٢٧٨هـ ـ كما مـرّ ـ

(١) مروج الذهب ٤/٢١٣، ولم أقف على «ابن أبي عيسى» في المصادر.
(٢) المحاسن والمساوىء ٥٨١.
(٣) تاريخ الطبري ١٠/٤٦.
(٤) مروج الذهب ٤/٢١٣.

وتولّى بعده إمرة طَرَسوس «أحمد بن طُغان العجيفي»، فكان مواليًا للدولة الطولونية، وحدث في سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٦م. أن ترك «راغب» مولى «الموفّق العباسي» الدعاء لخماروية بن أحمد بن طولون، ودعا لبدر الحمامي مولى «المعتضد» فوقع الخلاف بين «راغب» و«ابن طغان» خرج على أثره «ابن طغان» من طَرَسوس مُغاضبًا، وأناب عنه «دَميان» ثم ضم إليه «يوسف بن الباغمرديّ» ليخلُفَه على طرسوس، فتقوّى به «دَميان»، واتّفق الاثنان على إخراج «راغب» من المدينة، ووقعت الفتنة بين الطرفين، وتمكّن «راغب» من الظفر بهما وبمن عاضدَهما، وأسر الجميع وأرسلهم مقيَّدين إلى المعتضد في بغداد[1].

غير أن «دَميان» استطاع وهو في بغداد أن يتقرّب إلى «المعتضد بالله» ويجد الحظوة عنده، واستطاع فيما بعد أن يوغر صدره على «راغب» بحيث أمر بحبسه، ولم يلبث «راغب» أن مات بعد أيام في سنة ٢٨٦هـ/٨٩٨م. ثم عصا بطَرَسوس «وصيف الخادم»، فأرسل إليه «المعتضد»: «رشيق الحرمي أو الخزامي» ليثنيه عن عصيانه، ولم ينتظر «المعتضد» الجواب، بل أسرع بالخروج إليه بنفسه في سنة ٢٨٧هـ/٨٩٩م. وقبض عليه وحمله إلى بغداد، وحمل معه: أبا عمير عديّ بن أحمد بن عبد الباقي صاحب مدينة أَذَنَه، وغيره من البحرين، مثل: «البُغَيْل» أو «النُغَيْل» وابنه، ورجلاً من أهل الشام يُعرف بابن المهندس[2]. واغتنم «دميان» هذه الفرصة للانتقام من أهل طرسوس الذين عاضدوا «راغبًا» ضدّه، فأشار على «المعتضد بالله» بإحراق المراكب التي كان المسلمون يغزون فيها، فأحرق ذلك كلّه![3]» وكان من بين المراكب نحوٌ من خمسين مركبًا قديمًا، أُنفِق عليها أموال جليلة لا يُعمل

(١) تاريخ الطبري ١٠/٥١، الكامل لابن الأثير ٧/٤٨٤، كتاب الأحداث، جمع د. إحسان عباس ـ ص٢٥.
(٢) تاريخ الطبري ١٠/٧٧-٨٠، مروج الذهب ٤/٢٦٧، ٢٦٨.
(٣) تاريخ الطبري ١٠/٨٠، مروج الذهب ٤/٢٦٧، الكامل في التاريخ ٧/٤٩٨.

مثلها في ذلك الوقت »[1].

ولا نجد تفسيرًا لإحراق المراكب إلاّ خشية « دَميان » من أن يمتنع بها خصومه أو يفرّون بها إلى سواحل الدولة الطولونية، وحتى لا يطمع من يتولّى على طرسوس فيما بعد في العصيان على الخليفة العباسي.

وعندما توفّي « المعتضد » سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م. ظلّ « دَميان » مقدّمًا ومقرّبًا عند الخليفة « المكتفي » الذي كان يعهد إليه بأمور هامّة، ويستشيره في بعضها. ويبدو أنه خرج معه إلى الرقّة حين خرج لحرب القرامطة سنة ٢٩١هـ/٩٠٤م.

وإذا كانت المصادر التاريخية لا تذكر عن مشاركته في تلك الحروب شيئًا، فإن المؤرّخ الطبري يذكر أن الخليفة « المكتفي » استمزج « دَميانة » وأخذ رأيه في كيفيّة إدخال القرمطيّ صاحب الشامة إلى بغداد بعد أن تمّ أسره مع ابن عمّه المدّثر، وصاحبه المطوّق، وغيرهم. فصنع « دَميانة » « كرسيًّا، وركّب الكرسيّ على ظهر فيل، وكان ارتفاعه عن ظهر الفيل ذراعين ونصف ذراع ـ فيما قيل ـ »، وذلك ليسهُل على الناس رؤيته، وأمر الخليفة بهدم طاقات الأبواب التي يجتاز بها الفيل، إن كانت أقصر من ارتفاعه[2].

وبعد ذلك بقليل يخرج « دَميان » من بغداد إلى مصر بطريق البحر، ليسهم ومعه « ليو الطرابلسي » في إسقاط الدولة الطولونية، كما سيأتي في حينه.

(١) المصادر نفسها.

(٢) تاريخ الطبري ١١٢/١٠.

تميّز القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، بالفتوحات المتتالية التي أحرزها المسلمون وانتصاراتهم في شرقيّ البحر المتوسّط وغربيّه على حدٍّ سواء.

ففي سنة ٢١١هـ/٨٢٧م. استولى المسلمون على جزيرة أقريطش (كريت). وفي سنة ٢١٥هـ./٨٣١م. استولوا على مدينة « بلرمو » عاصمة جزيرة صقلّية، ثم استولوا على جزيرة « قوصرة »[1] سنة ٢٢٠هـ/٨٣٥م. وعلى « برنديزي »[2] سنة ٢٢٣هـ/٨٣٨م. وعلى ميناء « مسّينا » عند المضيق الفاصل بين جنوب إيطاليا وجزيرة صقلّية سنة ٢٢٨هـ/٨٥٠م. وفي سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م. استولوا على جزيرة مالطة، وبعدها بسنتين هاجموا « سالرنو »[3] حتى اضطرّت الكنيسة في روما أن تؤدّي لهم الجزية وهي (٢٥٠٠٠ قطعة فضيّة)[4]. وفي سنة ٢٦٢هـ/٨٧٥م. أغار المسلمون على مدينة البندقية وأحرقوا ميناء « كوماتشو » الواقع على مَصَبّ نهر « البو »[5]. وما إنْ أطلّ القرن العاشر الميلاديّ حتى توّج المسلمون انتصاراتهم البحريّة بفتح جزيرة صقلّية كلّها سنة ٢٩٠هـ./٩٠٢م.

وكان فتح جزيرة أقريطش بليّة عُظمى حاقت بالإمبراطورية البيزنطية، عسكريًا وتجاريًا، في حوض البحر المتوسّط، حيث أضحت عاصمتها

(١) قوصرة: جزيرة بين صقلّية وساحل إفريقية. أثبتها بعضهم بالألف. (معجم البلدان ١٨٣/٧).

(٢) برنديزي: مدينة بجنوب إيطاليا على البحر الأدرياتي.

(٣) سالرنو: مدينة بجنوب ايطاليا على خليج سالرنو، وهو مدخل من البحر التيراني.

(٤) قصة الحضارة ٢٧٨/١٣، المسلمون في أوروبا ـ د. إبراهيم علي طرخان ـ ص٢١٧، القاهرة ١٩٦٦.

(٥) نهر البو في إيطاليا الشمالية، مخرجه في بيامونت من نبعين على نحو ٦٠٠٠ قدم فوق سطح البحر وهو يجري شرقًا بطريقة غير منتظمة ومتعرّجة مسافة نحو ٤٥٠ ميلاً قاطعاً كل إيطاليا الشمالية عرضًا ويصبّ في الأدرياتيك. (دائرة معارف البستاني ٦٤٩/٥).

« الخندق »[١] « كانديا » مأوى للبحّارة المسلمين وقاعدة لسفنهم. فالجزيرة بمثابة حزام يمتدّ بعرض ٢٥٧ كيلومترًا، عند مدخل مياه بحر إيجه (الأرخبيل اليوناني). وتُعتَبَر الجزيرة الأمّ للعديد من الجزر اليونانية الصغيرة المنتشرة في بحر إيجه[٢]. وباتت مدينة الخندق تشكّل رأس حربة للأسطول الإسلامي الذي يرتكز إلى قواعد خلفيّة تمتدّ على طول الساحل الشرقي لحوض البحر المتوسّط، وأهمّ تلك القواعد: طَرَسوس، جَبَلَة، طرابلس، صور، عكا، يافا، دمياط، والإسكندرية، فمن هذه المواني العربية كان البحّارة المسلمون يجوبون مياه المتوسّط وبحر إيجه بأشرعة سُفنهم الكثيفة فيتصدّون لسفن البيزنطيين العسكرية والتجارية، فيغنمون الأموال والأمتعة، ويعودون بالأسرى.

ويقدّم لنا « قُدامة » المتوفى سنة ٣٢٠هـ/٩٣١م، تقريرًا مفصّلاً بأسماء الثغور البحرية التي تخرج منها الغزوات الإسلامية في القرن الثالث الهجري، وأوائل القرن الرابع، فيقول: « وأمّا الثغور البحرية وهي سواحل جُنْد حمص: أنْطَرَطوس، وبلنياس، واللاذقية، وجبلة، والهرياذة. وسواحل جُنْد دمشق: عِرْقة، وطرابلس، وجبيل، وبيروت، وصيدا، وحصن الصرفند، وعَدْلون. وسواحل جُنْد الأردنّ: صور، وعكا، وبصور صناعة المراكب. وسواحل جُنْد فلسطين: قَيْسارية، وأرسوف، ويافا، وعسقلان، وغزّة. وسواحل مصر: رَفَح، والفَرَما، والعريش. ومقدار ما يغدو في الغَزَاة من مراكب الثغور الشامية ما يجتمع إليها من مراكب الشام ومصر من الثمانين إلى المائة. وللغزاة إذا عزموا عليها في البحر كوتب أصحاب مصر والشام في العمل على ذلك

(١) أقامها المسلمون على أنقاض بلدٍ قديم على خليج لادا قرب رأس « شاراكس » وحفروا حولها خندقا. فعُرف المكان كلّه بالخندق، ومن ثمّ نشأت المدينة المعروفة باسم الخندق Chandax أو Candia: وهي تحريف لكلمة « الخندق » العربية.

(٢) يبلغ طول بحر إيجه حوالى ٦٤٣،٥ كلم. وعرضه حوالى ٣٢٢ كلم. وبه نيّف و٣٥٠ جزيرة.

والتأهّب له يجتمع بجزيرة قبرس. ويُسمّى ما يجتمع منها: الأسطول، كما يُسمّى ما يجتمع من الجيش في البرّ: المعسكر. والمدبّر لجميع أمور المراكب الشامية والمصرية صاحب الثغور الشامية، ومقدار ما يترتب على المراكب إذا غزَت من مصر والشام نحو مائة ألف دينار »[١].

وكان الخوف من أساطيل البحّارة المسلمين يجبر سكان الجزر والمدن البيزنطية الساحلية على الفرار والإلتجاء إلى البلاد الداخلية[٢]. وكان أسطول المسلمين الذي ينطلق من ميناء الخندق سببًا في إدخال تغييرات هامّة على نُظُم البحرية البيزنطية، حيث أضيف أسطول جديد عند جزيرة « ساموس »[٣]، بالإضافة إلى أسطول « كيبرهايوتس » الذي يفتخر بمكانته بين أساطيل الإمبراطورية، إذ كان يُعتبر قاعدة البيزنطيين الرئيسة للعمل ضد المسلمين والدفاع عن سواحل الأناضول الجنوبية[٤]، إلى جانب أسطول بحر إيجه الذي كان يهتمّ بحماية الشواطئ اليونانية[٥]. وكان الأسطول الملكي في بحر إيجه يرتفع عدد سفنه إلى ٤٠ سفينة حربية، ٧ منها تكون مجهّزة بواسطة جُزُر الأرخبيل، و١٠ بساموس وجُزُر تعتمد عليها، و١٠ بالأرض الأمّ، والعدد الباقي يجهّز من شواطئ مقدونيا وتراس وآسية الصغرى. وهناك سفينة حربية جاهزة للخدمة الفورية تحمل ٢٣٠ مجذّفًا وبحّارًا و٧٠ جنديًّا[٦]. غير أنّ هذه

(١) الخراج وصناعة الكتابة، لقُدامة بن جعفر - شرح وتعليق د. محمد حسين الزبيدي - ص١٨٨ - بغداد ١٩٨١، نُبَذ من كتاب الخراج - ص٢٥٥، طبعة المثنّى، ملحق بالمسالك والممالك لابن خرداذبه.

(٢) الروم وصلاتُهم بالعرب - د. أسد رستم - ج١٩/٢ - بيروت ١٩٥٦.

(٣) ساموس: جزيرة في بحر إيجه على مقربة من ساحل آسية الصغرى الغربي بينه وبين جزيرة باتموس.

(٤) الإمبراطورية البيزنطية - نورمان بينز - ترجمة د. حسين مؤنس ومحمود زايد - ص١٨٦، القاهرة ١٩٥٠.

(٥) القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط - أرشيبالد لويس - ترجمة أحمد محمد عيسى - ص٢٤٤ - القاهرة ١٩٦٠.

(٦) History of the Byzantine – Finlay – p. 331.

الأساطيل كلّها، كانت لعدّة سنوات لا تقوى على الوقوف أمام أسطول «ليو الطرابلسيّ» أمير البحر المسلم.

وقد جهد أباطرة بيزنطة لاسترداد جزيرة أقريطش، ولكنّ جهودهم باءت بالفشل طوال القرن الثالث الهجري (التاسع الميلادي). فكانت الحملة الأولى بقيادة «فيوتنوس Photeinos» سنة ٢١٢هـ/٨٢٨م. والثانية بقيادة «كراتيروس Krateros» الذي جاءها في ٧٠ سفينة ولقي فيها حتفه. وفي سنة ٢٢٨هـ/٨٤٣م. قاد «تيوكتيستوس Theoktistos» حملة بحرية ضخمة فاقت الحملتين السابقتين، ولكنّ أهلها ألحقوا بقوّاته التي تمكّنت من النزول على الجزيرة هزيمة ساحقة[1].

غير أنّ الإمبراطورية البيزنطية وجدت مُتَنَفَّسًا لها بعض الوقت، عندما اعتلى عرشها «باسيليوس الأول» (٢٥٣-٢٧٣هـ/٨٦٧-٨٨٦م.) حيث استعاد الأسطول بعض قوّته. فقد رافق هذا الإمبراطور حُسْن الطالع، إذ أخذت الخلافة العبّاسيّة تعاني من المشاكل الداخلية، بسبب امتداد النفوذ الطولوني نحو بلاد الشام، والذي نتج عنه إهمال مؤقّت لموانئ وسواحل الشام. ممّا أعطى الفرصة للبيزنطيين ليقوموا بتحسين أسطولهم. ولكن ما إن استقرّ الأمر لأحمد بن طولون حتى عمل على شحن سواحل الشام وثغورها بالسفن وأدوات الحرب. ثم ظهر «دَميان الصوريّ» و«ليو الطرابلسيّ» ليتحمّلا عِبء الدفاع عن سواحل الشام والتصدّي للبيزنطيين في وسط البحر المتوسّط، ومطاردتهم في عُقْر ديارهم. وبرز أمير البحر «ليو الطرابلسي» كأعظم بحّار مسلم في العصر الوسيط، فقام بمجهوده الفرديّ فوحّد بين أساطيل المسلمين في آسية الصغرى، والشام، ومصر، وشمال إفريقية، وجزيرة كريت، تحت قيادته، ليقود أكبر غزواته ضدّ الإمبراطورية البيزنطية، ويوجّه إليها أقسى الضربات على الإطلاق.

---

(١) الدولة البيزنطية - د. السيد الباز العريني - ص٢٣٣ و٢٣٤ و٢٥٨ - القاهرة ١٩٦٠.

وإذا كانت اليونان تفخر بأنها هزمت أسطول الامبراطور الفارسي «أكزركسيس» سنة ٤٨٠ قبل الميلاد، رغم أنه كان يقود أكبر جيش رأته الدنيا[1]، لعدّة قرون مضت، ولعدّة قرون تلت زمانه، فإنّ «ليو الطرابلسيّ» بأسطوله المكوَّن من ٥٤ سفينة وبحّارته المُطوّعة من أنحاء البلاد الإسلامية، يأتي بعد أربعة عشر قرنًا، لا ليقتحم مدينة «سالونيكا» فحسب، بل ليطارد قيادة الأسطول البيزنطي عند قاعدته البحرية عبر مضيق الدردنيل[2]. «وليبقى مصدر رُعبٍ لسكان بحر إيجه جيلاً من الزمان»[3].

«ليو» يغزو أنطالية (أتاليا)

كانت غزوة «ليو» لمدينة «أنطالية» (أتاليا) ردًّا على غزوة قام بها البيزنطيون في أوائل سنة ٢٩١هـ/٩٠٣م. على منطقة الثغور. فقد سيّر الإمبراطور «ليو السادس» جيشًا قوامه مائة ألف رجل، وكانت الحملة تتكوّن من عشر فِرَق، كل فرقة من عشرة آلاف رجل، تتقدّمهم راية الصّليب، فتوغّلوا في جبال طوروس ومنطقة الثغور، وقصدت جماعة منهم حصن «الحَدَث Adata»[4] فأغاروا عليه وتمكّنوا من دخوله، وأعملوا في

---

(١) الجغرافيا والسيادة العالمية - جيمز فيرغريف - ترجمة علي رفاعة الأنصاري - ص٥٨- القاهرة ١٩٥٦.

(٢) الدردنيل: اسم لأربع قلاع أو حصون على الشاطىء المقابل للهلسبنطس او بوغاز الدردنيل الذي يصل الأرخبيل المعروف عند القدماء ببحر إيجه ببحر مرمرة ويمتدّ مسافة ٤٥ ميلا. وربّما كان اسمه مشتقًّا من اسم مدينة دردانوس القديمة على الشاطىء الشرقي (دائرة معارف البستاني ٦٥٩/٧).

(٣) أرشيبالد لويس - القوى البحرية ٢٢٦.

(٤) الحَدَث: بالتحريك، مدينة صغيرة من ثغور الشام، وهي ثغر في نحر العدوّ، بينها وبين أنطاكية ٧٨ ميلا (الخراج لقُدامة ٢١٦) وكان بناؤها على يد المهديّ العباسي سنة ١٦٣هـ. وكان فيه دفعٌ للعدوّ وتسديد، ولما بُني عظُم ارتفاق أهل الثغور به. (تاريخ اليعقوبي ٣٩٦/٢).

أهله القتل والأسر، ونهبوا الدّور والأسواق ثم أحرقوها[1].

وجاءت الحملة البيزنطية هذه في وقت وجده الإمبراطور مناسبًا، وهو على علم بأوضاع العواصم والثغور، ومن تلك الأوضاع، إحراق الأسطول البحري التابع لثغر طرسوس بأمر الخليفة العبّاسي المعتضد في سنة ٢٨٧هـ. بإشارة «دميان الصوريّ» - كما تقدّم - «فأضرّ ذلك بالمسلمين، وكسر في أعضادهم، وقوي به الروم، وأمنوا أن يُغْزَوا في البحر»[2]، وكذلك انشغال العباسيين بقتال القرامطة في بلاد الشام.

ووجد «ليو الطرابلسي» أنّ من واجبه المحافظة على القاعدة البحرية في طرسوس لموقعها المتقدّم من الحدود البيزنطية، فانتقل إليها وجمع فيها تحت لوائه أمهر البحّارة وأشدّهم بأسًا، حتى اكتملت استعداداته، ثم قام بغزوة بحرية مُضادّة هاجم فيها مدينة «أنطالية» (أتاليا)[3] - باللام - كما في: تاريخ الطبري، وابن الأثير، والسيوطي[4]. ويذكرها بعضهم «أنطاكية» بالكاف[5]. وهو خطأ وتحريف، إذ أن مدينة أنطاكية كانت بيَد المسلمين في

(١) الطبري ١١٦/١٠، القرطبي ٦، ابن العبري (تاريخ مختصر الدول ١٥٤).
(٢) الطبري ٨٠/١٠، وقال ابن العبري: «وكان عرب طرسوس يتلصّصون في البحر فاستفاد المسيحيّون من ذلك فائدة تُذكر» (تاريخ الزمان - نقَله إلى العربية الأب اسحاق أرملة، تقديم الأب د. جان موريس فييه - ص٤٩، طبعة دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.
(٣) أنطالية، بالعربية و«أتّاليا» بالإنكليزية Attaleia و«ستاليا» باليونانية Satalia، و«أضالية» بالتركية، تقع على خليج يُسمّى باسمها وتقوم على صخرة وعرة ترتفع عن سطح البحر، وهي شبيهة بجدوة الفرس، تحيط بها أسوار ثلاثة، بعضها وراء بعض. بناها الرومان (دائرة المعارف الإسلامية - مادة: أنطالية).
(٤) الطبري ١١٧/١٠، ابن الأثير ٥٣٣/٧، السيوطي، تاريخ الخلفاء القائمين بأمر الله - ص١٥١، مصر ١٣٠٥هـ.
(٥) المسالك والممالك للإصطخري - تحقيق د. محمد جابر الحيني - ص٥٠، القاهرة ١٩٦١، تاريخ حلب للعظيمي - ص٢٧٤، العبر في خبر من غبر للذهبي، ٨٧/٢، البداية والنهاية ٩٨/١١، مشارع الأشواق إلى مصارع العُشّاق لابن النحاس ٩٣٠/٢، ٩٣١، النجوم الزاهرة ١٣٢/٣ وفيه نبّه محققه في الحاشية إلى الخطأ في «أنطاكية» التي كانت بيد =

ذلك الوقت، وبالتالي فالغزوة لم تكن إليها قطعا[1].

وقد أُشْكِل على بعضهم بين «أنطالية» و«أنطاكية»، ونفوا أن تكون أتّاليا هدفًا لحملة «ليو» واعتبروا أنّ الهجوم المشار إليه في المصادر العربية هو الهجوم الذي تحدّثت عنه المصادر اليونانية على مدينة «سالونيكا». ولكنّني أرى أن الحملة التي قادها «ليو» بدأت بـ«أنطالية» وانتهت بـ«سالونيكا» في صائفة عام ٢٩١هـ/٩٠٤م[2].

ومن الملاحَظ أن الأستاذ «عبدالله عنان» يشير إلى روايةٍ لابن الأثير تذكر اسم المدينة «أنطاكية» بالكاف. وبما أنّ أنطاكية كانت بيد المسلمين فقد اعتبر أن المقصود بالغزوة مدينة «سالونيكا» فقط، وليس «أتّاليا»[3]، وقد أخذ برأيه الأستاذ الدكتور «سيّد سالم»[4]. ورأى أنّ الغزوة شملت المدينتين مع مدنٍ أخرى لم تذكرها المصادر العربية، وأتت على ذكرها المصادر اليونانية. وبالمقابل فإنّ حصيلة الحملة من الغنائم والأسرى تختلف في كميّتها في الناحيتين.

يقول «الطبري» عن هذه الغزوة ما نصّه:

«...وفي آخر شهر رمضان من هذه السنة (٢٩١هـ) ورد كتاب من أبي مَعْدان من الرَّقّة - فيما قيل - باتّصال الأخبار به من طَرَسوس، أنّ الله أظهر المعروف بغلام زرافة في غزاةٍ غزاها الروم في هذا الوقت مدينة أنطالية،

= المسلمين آنذاك.
(١) ومن الاتفاقات التي نشير إليها أن قائدًا من الموالي يدعى «صبّاحًا الصَّقْليّ» كان قد غزا «أنطالية» في عهد «الواثق بالله» (٢٢٧-٢٣٢هـ/ ٨٤٢-٨٤٧هـ)، فورد اسمها «أنطاكية» بالكاف. وهو غلط. (أنظر: لطف التدبير، للخطيب الإسكافي - بتحقيق أحمد عبد الباقي - ص١٠٤ - طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ/١٩٧٩م).
(٢) جاء في «الموسوعة العربية الميسّرة» ص١٥٤٨ أنّ الحملة كانت في سنة ٩٠٦م. وهذا غلط.
(٣) مواقف حاسمة لعنان - (الطبعة الرابعة) - ص٩٤.
(٤) تاريخ البحرية الإسلامية ص٥٦.

وزعموا أنها تعادل قسطنطينية[1]. وهذه المدينة على ساحل البحر، وأنّ غلام زرافة فتحها بالسيف عنوةً، وقتل - فيما قيل - خمسة آلاف رجل، وأسر شبيهًا بعدّتهم[2]، واستنقذ من الأسارى أربعة آلاف إنسان[3]، وأنّه أخذ للروم ستّين مركبًا[4] فحمّلها ما غنِم من الفضّة والذهب والمتاع الرقيق. وأنّه قُدِّر نصيب كلّ رجل حضر هذه الغزاة فكان ألف دينار[5]، فاستبشر

(١) لم تكن «أنطالية» يومًا ما تعادل القسطنطينية فهي مدينة صغيرة بالنسبة إليها، أما المدينة التي كانت تعادل القسطنطينية فهي سالونيكا حيث كانت المدينة الثانية في الإمبراطورية البيزنطية. وعند ياقوت الحموي المتوفّى سنة ٦٢٦هـ/١٢٢٨م.: «أنطالية: بلد كبير من مشاهير بلاد الروم». ونقل عن «البلخيّ» قوله: «إذا تجاوزت قلمية واللامس انتهيت إلى أنطالية، حصن للروم على شط البحر، منيع، واسع الرستاق، كثير الأهل، ثم تنتهي إلى خليج القسطنطينية» (معجم البلدان ١/٢٧٠) ومن الاضطراب في رواية الطبري يتّضح النقص الذي يشوبها، ومن هنا يأتي الخلط بين أنطالية وسالونيكا، ذلك أن الطبري ينقل ما «قيل» وما نُقِل من أخبار إلى الرقّة من طرسوس. وجاء في «العبر» للذهبي: إنها مدينة صغيرة قريبة من قسطنطينية العظمى. (ج٢/٨٧).

(٢) هذا العدد يقلّ كثيرًا عن أسرى غزوة سالونيكا. ويقول «ابن تغري بردي» إنه أسر أضعاف الخمسة آلاف (النجوم الزاهرة ٣/١٣٢).

(٣) لا تذكر المصادر اليونانية شيئا عن أسرى المسلمين في سالونيكا. بينما يذكر «عُرَيب القرطبي» وابن الأثير أن ليو أنقذ من الأسارى خمسة آلاف. (صلة تاريخ الطبري ٦، الكامل ٧/٥٣٢).

(٤) لم يُحدّد عدد السفن التي أسرها ليو عند سالونيكا. ويقول عُرَيب القرطبي» إن غلام زرافة «وجد للروم ستّين مركبًا، فغرّقها وأخذ ما كان فيها من الذهب والفضّة والمتاع والآنية».

(٥) وجاء في «خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك» لعبد الرحمن سنبط قنيتو الإربلّي - ص٢٣٨ - نشره مكي السيد جاسم، بغداد: أن الخليفة المكتفي «فتح أنطاكية» وكان الروم قد استولوا عليها!! وقتل منهم ألفًا واستأسر ألفًا واستنقذ من المسلمين أربعة آلاف أسير، وأصاب كل واحد ممن اشترك في الحرب ثلاثة آلاف دينار، وظفر بستين مركبًا كان الروم اتخذوها للغزو».

ويأتي «صاحب الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين» لابن دقماق - ص٤٩ (مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٥٢٢ تاريخ) برواية مشابهة للرواية السابقة. ومن =

المسلمون بذلك. وبادرت بكتابي هذا ليقف الوزير على ذلك، وكُتب يوم الخميس لعشرٍ خلَون من شهر رمضان»[1].

«ليو» يغزو سالونيكا

ينفرد المسعوديّ من بين جميع المؤرّخين المسلمين بالإشارة إلى غزوة «ليو الطرابلسي» لمدينة «سالونيكا» حيث يصرّح باسمها دون غيرها، وذلك لأنه قام بنفسه بجولة في البحر المتوسّط، وتنقّل بين الموانى والثغور التي كانت الغزوات الإسلامية تنطلق منها، والتقى فيها بالبحّارة وأمراء البحر الذين أخبروه عن غزواتهم[2]، بينما لم يذكر الطبري شيئًا عن «سالونيكا»، إذ كان يكتب وهو في بغداد معتمدًا على المكاتبات التي يتلقّاها من البلاد، كما يبدو من روايته لغزوة أنطالية.

على أنّ المسعوديّ، وإن كان أشار صراحة إلى غزو «سالونيكا» فإنه لم يأت بشيء من التفصيل عنها في كتابه «التنبيه والإشراف» الذي وصَلَنا، ولعلّه ذكرها مفصّلة في أحد كُتُبه التي لم تصلنا. وهو يقول في سياق عرضه للعواصم (البنود الرومية):

«بند سالونيكا» التي افتتحها لاون غلام زرافة في البحر سنة ٢٩٠هـ. في

= الواضح أن الغزوة المذكورة هي غزوة ليو الطرابلسي لأنطالية، وليست غزوة «المكتفي» لأنطاكية لأن «المكتفي» لم يخرج بنفسه لمقاتلة الروم، كما لم تكن أنطاكية بيدهم في أيامه وإنما بيد المسلمين.

ويخطىء «ابن النحاس» أيضًا إذ يحدّد هدف الحملة بـ«أنطاكية» القريبة من العلايا وهذا غير صحيح (مشارع الأشواق ٢/٩٣٠).

(١) الطبري، العظيمي، ابن الأثير، الذهبي، ابن خلدون، ابن تغري بردي، السيوطي. أما ابن كثير فيقول: «دخل نائب طرسوس بلاد الروم»!! (البداية والنهاية ١١/٩٨).

(٢) التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسّط، من القرن السابع حتى القرن العاشر الميلادي - د. علي محمود فهمي - ترجمة د. قاسم عبده قاسم - طبعة دار الوحدة - بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨١م ص٢٩.

خلافة المكتفي، وهي مدينة عظيمة، بُنيت قبل القسطنطينية، بناها الإسكندر بن فيلبس الملك »[1].

وفي « مروج الذهب » يقول: إن غلام زرافة غزا إلى سلوقية[2] (وهي تصحيف سالونيكا) بينما تاريخها عند « الطبري » وغيره ممّن نقل عنه هو سنة ٢٩١هـ[3] التي توافق سنة ٩٠٤م. وهذا التأريخ يتّفق مع المصادر اليونانية، لأنه جاء في رواية لمؤرّخ حضر هذه الغزوة ودوّن تاريخها. فقد كُتب لهذه الغزوة أن تُدوَّن على يد قسّيس[4] يونانيّ من أهل سالونيكا يُدعى « يوحنّا كامنياتس John Cameniates »[5] وكان ممّن شهدوا حصار المدينة وسقوطها، ثم وقع أسيرًا بيد المسلمين مع عددٍ من أفراد أسرته. وجاء تدوينه للغزوة بعد فترة قصيرة من وقوعها، حيث دوَّنها وهو في الأسر بطَرَسوس ينتظر الموعد المحدّد لتبادل الأسرى بين المسلمين والبيزنطيين[6]. وروايته تتّفق مع رواية « الطبري » من أن « ليو الطرابلسي » انطلق بغزوته من ميناء طرسوس[7] وإن

---

(١) التنبيه والإشراف ١٥٣.

(٢) مروج الذهب (الطبعة المصرية) ١/٣٢٠.

(٣) تاريخ حلب للعظيمي ٢٧٤.

(٤) كان حاملاً لصليب المطران بسالونيكا .Finlay - p316

(٥) Cameniates. ed. Bonn. 512. 579 - quoted by Jenkins. Speculum. April 1948. 228.

وقد أعاد « فنلاي » صياغة الرواية بأسلوب آخر (التنظيم البحري - د. علي محمود فهمي - ص٦٩ بالحاشية).

(٦) يصف المؤرّخ الإنكليزي « ستيڤن رنسيمان » رواية « كامنياتس » بأنها قصّة جيّدة السبْك، مشرقة الديباجة، غير أنه يصفه بأنه قسّيس عنيد جاهل. (الحضارة البيزنطية - ترجمة عبد العزيز جاويد - ص٢٩٩ و٣٠٠ - القاهرة ١٩٦١) أما « فنلاي » فيقول إن كامنياتس كتب وقائع آلامه وعذابه وهو ينتظر في طرسوس خائفًا من الموت، ولذا فإنَّ على البعض أن لا يدّعوا تضخيم الأسلوب ضعفًا منه وهو في هذه الحالة، وإنّ الأمر الذي يجدر الاهتمام به هو أنه يلام على ثرثرته وشقشقة لسانه .Finlay - p.331

(١) يقول الدكتور سعيد عاشور إن الغارة على سالونيكا كانت من شمال إفريقيا. (أوربا العصور الوسطى، التاريخ السياسي - ج١/٤٣٠، القاهرة ١٩٦٤)، ويقول جاك نانت إن الحملة انطلقت من صور Histoire du Liban - p. 47، وأقول: إن الشمال الإفريقي أسهم =

كان لم يُشِرْ بشيء إلى أنطالية (أتاليا)، وهو يجعل خطّ سَير الحملة على النحو التالي:

طَرَسُوس - مياه الأرخبيل - مضيق الهيليس[1] (الدردنيل) - باريوم - جزيرة تاسوس -[2] خليج سالونيكا - رأس أكفولوس[3] - سالونيكا.

وكانت العودة على النحو التالي:

سالونيكا - جزيرة باثموس[4] - جزيرة تاكسوس[5] - ميناء زنتاريو[6] - جزيرة كريت - جزيرة قبرس - طرابلس الشام.

أهميّة سالونيكا وموقعها

كانت « سالونيكا » عندما غزاها « ليو الطرابلسي » أعظم ثغور الإمبراطورية البيزنطية وأغناها بعد القسطنطينية. ويبلغ سكانها وقتئذٍ زُهاء

= في الغزوة، وكذلك ثغر صور، ولكن الإنطلاقة كانت من ثغر طرسوس.

(١) مضيق الهيليس: الهيليسبوند، هو المعروف عند العرب بلفظ « بنطس » بضم الطاء والسين. وهي كلمة يونانية. وهو خاص بالبحر الذي فيه خليج القسطنطينية أوله في أطراف بلاد الترك في الشمال ويمتدّ إلى ناحية المغرب حتى يتصل ببحر الشام، وقبل اتصاله ببحر الشام يسمّى بنطس (معجم البلدان ٢/٢٩٣).

(٢) تاسوس: الاسم القديم لتاسو، أبعد جزيرة من الأرخبيل اليوناني إلى الشمال وهي تابعة لتركيا حاليًا، وموقعها على الشاطىء الجنوبي من ولاية سلانيك في روم إيلي تكاد تكون مستديرة الشكل مساحتها نحو ٨٥ ميلاً مربّعا (دائرة معارف البستاني ٦/٣٠٥).

(٣) رأس أكفولوس: طرف برّي من شبه جزيرة كلسديسي « خانيكيديه » يقع عند الجهة الشرقية جنوبي سالونيكا مطلاًّ على الخليج المعروف بخليج سالونيكا.

(٤) باثموس: جزيرة في بحر إيجه تقع بالقرب من جزيرة ثاموس في الجهة الغربية الجنوبية، تُعرف الآن باسم جزيرة نيكاريه.

(٥) تاكسوس: جزيرة تقع في وسط بحر إيجه بين الساحل التركي واليوناني في الجنوب الشرقي من جزيرة باروس. وهي إحدى مجموعة سيكلاديس.

(٦) زنتاريو: ميناء صغير في الطرف الشمالي من جزيرة زنتوريون الواقعة في وسط مياه البحر بين ساحل آسيا الصغرى والساحل اليوناني، شمالي جزيرة كريت وبينها وبين جزيرة باروس.

ربع مليون نسمة[1].

وكانت تجارة البلاد البلغارية بأكملها تسير عن طريقها في أواخر القرن التاسع الميلادي[2]. فهي تقع على هضاب جبال «أولمبوس» Olympus و«أوسا» Ossa باتجاه الغرب، وشواطئ «كلسديسي» Chalcidice وشبه جزيرة «كسندرا» Cassandra باتّجاه الشرق[3]. وتشرف على رأس خليج مستطيل يصلح لحماية السفن. وقد حَبَتْها الطبيعة إقليمًا خصبًا غنيًّا بالأنهار، وهي المنفذ الرئيس له على ساحل «دلماشيا» الذي عُرف عند العرب بجبل «القلال». وكانت تشقّ المدينة طريق «الاغناتيان» التي كانت لعدّة قرون طريق المواصلات الرئيسة ما بين روما والقسطنطينية، وتمتدّ هذه الطريق من السور الغربي إلى الناحية الشرقية. وكان سورها الضخم الذي يمتدّ نحو ميل على طول الشاطئ يفصلها عن الخليج، وتحميها من وراء ذلك قلاع حصينة، شيدت على آكام مرتفعة، وكان عندها واديان يمتدّان إلى البحر من القاعدة الجبلية، على الجانبين الغربي والشرقي، يشكّلان لها دفاعًا طبيعيًا، حيث يتّصلان بالسّور المعزّز بأبراج ضخمة. وكانت مناطق العمران في المدينة تعلو تدريجيًا على التلال والهضاب، حيث يتوّجها في أعلى مرتفع منها بناء «الأكروبوليس» Acropolis[4].

---

(١) قيل إن سكان المدينة تراوحوا بين ٥٠ و٧٠ ألف نسمة ولكن كامنياتس يقول إن عدد الأسرى بلغ ٢٢ ألفًا من الشباب والنساء والأطفال. وقد اختيروا لأن لهم أقرباء أغنياء، ويفترض «فنلاي» أنّ الأسرى كانوا عُشْر مجموع السكان، وإذا كان الأسرى من أُسَر غنيّة كما يقول كامنياتس فإن من المشكوك فيه أن تكون الحالة الاجتماعية هذه تشمل جميع السكان، وعليه فقد كان سكانها حوالي ٢٢٠ ألفًا (Finlay - p.317).

(٢) الحضارة البيزنطية ستيفن رنسيمان ٢٤٦، Ostrogorowski - p.228.

(٣) Finlay - p316.

(٤) أكروبوليس: اسم كان الإغريق القدماء يطلقونه على الموقع الجبلي تقوم عليه المدينة أو معابدها. اشهرها جميعا أكروبول أثينا. (الموسوعة العربية الميسّرة ١٨٨).

بدء الحملة

أبحر «ليو» في صيف ٢٩١هـ/٩٠٤م. من ميناء طرسوس ـ بعد أن انتقل إليها بسفنه من طرابلس الشام ـ في ٥٤ سفينة حربية تحمل كلٌّ منها مائتي مقاتل، عدا عن الضبّاط ونخبة من رؤساء البحر، وانضمّ إليه في مسيره أشجع بحّارة الشرق الإسلامي في ذلك الوقت. وقد بدا بأنّ هناك عناية غير معتادة بُذلت في إعداد الأسطول الإسلامي، وتناهت الأخبار إلى قصر الإمبراطور الخامل في القسطنطينية، فتنبّأ بأنّ هجوما جريئًا قد يقع على المستعمرات، ولذا كانت الرغبة بأن يضع الأسطول الإمبراطوري في حالة دفاع عن الجزر وشواطىء بحر إيجه[1].

وبالرغم من أن تجارة اليونان كان بإمكانها أن تمدّ الأسطول ببحّارة أعظم قوّة، إلاّ أنّ إهمال وتقصير الأميرالية كان عظيمًا جدًّا، وظهر بوضوح أن إعادة بناء الأسطول كان يتطلّب عدّة سنوات. وهكذا فإنّ الأسطول الإمبراطوري بقيادة «يوستاسيوس أركيروس» Eustathios Argyros الذي سيّره «ليو السادس» لحماية ثغور الدولة، قد جَبُن عن لقاء سفن المسلمين وآثر النكوص وارتدّ إلى ضفاف «هيلّسبوند» Hellespont (الدردنيل) حيث طارده أسطول «ليو الطرابلسي» حتى «باريوم» Parium[2] وأصبحت بذلك مياه الأرخبيل مفتوحة أمام سفنه، فأبحر بين جزر بحر إيجه دون مقاومة تُذكر، حتى عبر مضيق الدردنيل ـ البوسفور، المؤدّي إلى بحر مرمرة، وهناك انقضّ على مدينة «أبيدوس» Abydos[3] التي تُعتبر الميناء الرئيس للسفن المتّجهة نحو

---

(١) Finlay - p318.

(٢) Finlay - p320.

(٣) قال ابن خرداذبة (المتوفى في حدود سنة ٣٠٠هـ): «أبدس» موضع عند المضيق بين جبلين، وعرض المضيق عنده غلوة سهم، وبين أبدس والقسطنطينية مائة ميل في مستوى من الأرض. وبها عين لمسلمة بن عبد الملك حيث حاصر القسطنطينية (المسالك والممالك ـ ص١٠٣ و١٠٤) وانظر: مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه الهمداني ـ ص١٣٥ ـ نشره =

القسطنطينية عبر المضيق[١]. حيث يقع بها مركز الديوان (الجمرك)[٢]. وكان المتوقّع بعد السيطرة على «أبيدوس» أن يواصل «ليو» الإبحار باتّجاه القسطنطينية، ولكنه قفل راجعًا بصورة مفاجئة إلى مياه الأرخبيل، ثم اتجه إلى الشمال الغربي فوصل إلى جزيرة «ثاسوس Thasos»[٣]، ومنها اتّجه جنوبًا حيث استدار مع شبه جزيرة «كلسديسي» مارًّا بمحاذاة الرؤوس الساحلية الثلاث[٤] الممتدّة نحو الشرق في بحر إيجه.

وفي تلك الأثناء وصل الهاربون إلى القسطنطينية فأذاعوا أن «ليو» يقصد ثغر سالونيكا، وكان «ليو» قد رسا بسفنه على شاطئ جزيرة «ثاسوس» لبعض الوقت، حيث قام بتجهيز الاستعدادات للهجوم المقبل، فأعدّ قاذفات اللهب، وقاذفات الحجارة، وبعض الأدوات الأخرى التي تُستعمل في الحصار والتدمير[٥]. وهناك انضمّت إلى أسطوله سفن إسلامية قادمة من جزيرة أقريطش (كريت) وجماعة من المصريين في عدد من السفن، حتى أصبح تحت إمرته أسطول كبير[٦].

التحصينات الدفاعية لسالونيكا

كانت أسوار سالونيكا في الأصل ذات قوّة عظيمة، ولكنّ التحصينات كانت في حالة إهمال، وكانت المدينة بدون حامية ـ تقريبًا ـ من الجُنْد النظاميين. فالسُّور بجانب البحر كان بحاجة إلى إصلاح، وكانت أجزاء منه

= دي خويه، ليدن ١٣٠٢هـ/١٨٨٥م. والتنبيه والإشراف للمسعوي ١٢٢ وفيه: «أبدو».

(١) Ostrogorowski p.228.

(٢) الدولة البيزنطية ـ د. سيد الباز العريني ـ ص٣٣٢.

(٣) ثاسوس: كانت مستعمرة فينيقية غنية بمناجم الذهب. مساحتها ٤٤٠ كلم^2.

(٤) هي أشباه جزيرة: كسندرا، سيثونيا، أثوس. (الموسوعة ١٤٧٢ مادّة: كلسديسي).

(٥) Finlay p.321.

(٦) العلاقات بين الشرق والغرب ـ د. عبد المنعم ماجد ـ ص٩٠ ـ بيروت ١٩٦٦.

منخفضة لدرجة أنه ليس من الصعب الصعود إلى شُرْفة الأبراج من سواري السفن.

وعلى جانب البرّ كانت أرض الأبراج التي تتاخم السُّور في بعض أماكن منها قد أصبحت في حالة تفتّت، بحيث أنّ اتصالات المدافعين عن السّور كان يعتورُها النقص، وعندما اطّلع الإمبراطور على ضعف دفاعات المدينة، زاد الاضطراب بتدخُّله، وبدا التخبُّط في سياسة الدفاع المرتجلة، فقد أرسل على التوالي عددًا من قادة العاصمة يحملون تعليمات مختلفة، ومستشارين جُدُدًا، وقوّات جديدة[١].

وكما يحدث عادةً في مثل هذه الظروف، فإنّ كلاًّ من ممثلي الإمبراطور قد أعطى لنفسه الصلاحيّة بأن يلغي خطّة الدفاع التي طبّقها سلفه، وكما كان يمكن أن يُتَوَقَّع في مثل هذه الحالات، فقد وصل أسطول «ليو» قبل إصلاح التحصينات، وقبل أن تتمّ ترتيبات الدفاع.

كان الضعف المقلقُ في التحصينات يتمثّل في حالة السّور الذي يمتدّ بطول حدود الميناء مسافة ميل، إذ كان منخفضًا جدًّا، وهو بدون الأبراج اللازمة التي تقدّم الحماية لجناح الدفاع. وكان عمق المياه يسمح، في أماكن عدّة، للسفن، لأن تقترب أكثر، من مرسى السفن الممتدّ تحت الشرفة.

اعتقد «بتروناس Petronas» القائد الأول الذي أُرسل من قِبَل الإمبراطور أنه لا يوجد وقت كافٍ لرفع السّور، أو بناء أبراج جديدة، وبدلاً من ذلك فقد قام بتطبيق إجراءات تمنع سفن المهاجين من الإقتراب، ولكي يتمّ له ذلك، استجلب إلى الميناء النواويس الرخاميّة، وكُتلاً ضخمة من الرخام كانت تزيّن القبور الهلينية في ذلك الوقت، على جانبي طريق «أغناتيا» فضلاً عن البوّابات الغربية والشرقية للمدينة، وبدأ بطرحها في البحر على مسافة من

(١) Finlay p. 318.

الرصيف. وكان هدفه من هذا أن يشكّل حاجزًا يرتفع بضعة أقدام عن سطح الماء، حيث يمكن أن تمرّ السفن المهاجمة، مما يجعلها معرَّضة ـ لبعض الوقت ـ للقذائف، ولنار اليونانيّين المدافعين عن المدينة.

غير أنّ سكان سالونيكا أظهروا عدم اكتراثهم بالخطر قبل اقترابه، كما أظهروا عدم أهليّتهم بالدفاع عن أنفسهم عندما داهمهم الخطر. فقد كانت ثقتهم التامّة موضوعة في القديس « ديمتريوس St. Demetrius »[1] الذي لم يخدعهم أبدا وليست في الإمبراطور الذي كان جيشه وأسطوله في حالة دائمة من الهزيمة. وهم يعتقدون أن سالونيكا صدّت هجومين للصقالبة في القرنين السابع والثامن الميلاديَّين[2]. كما يفخرون بأنّ الوثنيين لم يقدروا أن يحتلّوها، وكانوا يؤمنون بأنه متى حوصرت من قبل المسلمين، فإنّ القديس ديمتريوس سيدرأ عنهم الخطر[3]. وظلّوا عل اعتقادهم هذا رغم تواتر الأنباء المزعجة عن اقتراب الأسطول الإسلامي.

تدهور الأوضاع في سالونيكا

لم يكن « پتروناس » قد قطع شوطًا بعيدًا في أعماله الدفاعية، عندما خَلَفَه القائد الثاني ويُدعى « ليو » الذي عُيّن قائدًا عامًّا لسالونيكا، فقد وجد « ليو » أنّ السّور باتّجاه الميناء لم يكن مرتفعًا بمستوى سواري السفن الضخمة

---

(١) هو شفيع سالونيكا، كانت له سوق سنوية عظيمة تقام في السوق المعروفة باسمه في سالونيكا تغصّ بالوافدين إليها من التجار والمغامرين من كل أنحاء العالم في ذلك الوقت. (الحضارة البيزنطية ـ ص٤٠ و٢٦٠) وكانت سالونيكا تُعرف باسم « مدينة ديمتريوس » نسبة إليه.
أنظر : Ostrogorowski - p.228 .

(٢) الحضارة البيزنطية ٤٠.

(٣) يقول فنلاي إنه قد ثبت عدم وجود جماعة في أيّ مكان على الأرض تقدّس شفيعها بمثل هذا الحجم والغِنى والإخلاص. وقد جاء مصير سالونيكا ليُثبت الجهود الحكيمة التي بُذلت لاستئصال عبادة الصُّوَر والقدّيسين. (أنظر : Finlay - p.320).

المستخدمة في ذلك الوقت، ولذا أمر بإيقاف إجراءات « پتروناس » واتّجه في خطّته لرفع السّور. وأخذت التقارير الواردة من المراقبين لتحرّكات الأسطول الإسلامي تنذر بالخطر أكثر فأكثر كل يوم.

ومهما يكن من أمر، فقد أبدى شعب المدينة استعدادًا للبناء، وللتدريب على عمليات الدفاع، غير أنَّ نشاطهم لم يُسفر عن تقدّم كبير حيث كان ارتفاع السّور يجري بطيئًا، ولم يَبْدُ على فِرَق المقاومة التي تكوّنت بسرعة، أنها قادرة على الدفاع بكفاية، حتى ولو اكتملت تدريباتها.

وفي الوقت العصيب، وصل من القسطنطينية قائد ثالث يُدعى « نيكيتاس ». وكان مجرّد وصوله كافيًا لتسود الفوضى ويختلّ النظام. وزاد الوضع سوءًا بوقوع حادث بعد فترة قصيرة من وصول نيكيتاس ترك كل شيء في ارتباك، وهو أنّ « ليو » و« نيكيتاس » تقابلا على ظهور الخيل في جولة لتفحُّص دفاعات المدينة، فأجفل حصان « ليو » وتراجع إلى الخلف بشدّة فألقى براكبه أرضًا وسبّب له جرحًا في فخذه الأيمن وجانبٍ من جسمه إلى حدّ عرّض حياته للخطر، ولبث على أثر هذا الحادث بضعة أيامٍ غير قادر على الحركة. ونتيجة لذلك فقد تقلّد « نيكيتاس » القيادة العامة.

وبدا « نيكيتاس » وكأنّ لديه خبرة عسكرية أكثر من سلفه، وشعر بأن سكان سالونيكا ـ رغم كونهم شكّلوا الفِرَق المتعدّدة ـ لم يكونوا على مستوى يُركن إليه للدفاع عن المدينة. وبناء على ما وقف عليه من تدهور في الأوضاع، فقد بذل جهده لتشكيل قوّة محترفة ومقاتلة من الجُنْد المعتادين على الحرب، فاستدعى قائد وحدة مقاطعة « ستريمون » Strymon ليمدّه بقوّة من الصقالبة، حلفاء الدولة البيزنطية آنذاك، ولكنّ الحسد والإهمال، إلى جانب الطمع، والنيّة السّيئة لقادة الصقالبة، حالت دون أيّ مساعدة من تلك الحامية، رغم تهديدات « نيكيتاس » بإبلاغ الإمبراطور، وإطلاعه على السلوك السّيّء لقائد « ستريمون ». وهكذا عجز « نيكيتاس » عن دعم رجال الحامية

بقوّات خارجية، سوى الاستعانة بعددٍ قليل من النّبّالة الصقالبة، المجهّزين تجهيزًا سيّئًا جيء بهم من القرى والسهول المجاورة للمدينة.

وكان يبدو أن القادة وضعوا ثقة تامّة في الفطنة البشرية، ومن ناحية أخرى، فإنّ العامّة فضّلوا الاعتماد على القدّيس «ديمتريوس» وعلى السماء، لضمان العون الإلهي، ونظّموا مسيرة ضمّت كل رجال الإكليروس والمواطنين في موكب مهيب، يصحبهم الوافدون والأغراب المقيمون في المدينة. وتقدّم الموكب مطران سالونيكا، واشترك في الموكب رجال السلطتين المدنية والعسكرية، وزاروا كنيسة القدّيس ديمتريوس، وقدّموا صلواتٍ وابتهالات جماعية طوال الليل والنهار خاشعين متوسّلين[1].

«ليو» أمام أسوار سالونيكا

فيما كان سكان «سالونيكا» يغادرون منازلهم في الفجر لحضور الصلاة الصباحية من يوم الأحد ٢٩ تموز (يوليه) سنة ٩٠٤م. سَرَت الأخبار بأنّ الأسطول الإسلامي هو الآن في الخليج، وقد اختفى عن الأعْيُن عند رأس «أكثولوس»، فامتلأت المدينة ـ التي ليست أهلاً للحرب ـ بالنحيب والعويل، والجَلَبة والذُّعر، وأسرع المواطنون للانتظام في فِرَق المقاومة، وحملوا السلاح، وسط دموع النساء والأبناء، وهبّوا مسرعين إلى شرفات السّور، وقد استبدّ القلق بالأهالي، ولم يطُل انتظارهم وترقُّبهم، فقد بدت لهم بعد فترة قصيرة أشرعة السفن التي كانت نسائم البحر تدفعها إلى داخل حوض الميناء، الواحدة تلو الأخرى، وراحت تحيط بالرأس، وقبل أن يحين الظهر من اليوم نفسه كانت السفن كلها قد رَسَت قريبًا من المدينة.

---

(١) سجّل «يوحنّا كامنياتس» بعد ذلك أن تدخُّل القدّيس ديمتريوس أصبح من غير المُتَسنّى، ولذا فقد أعلن بأنّ الإله سمح بتدمير سالونيكا ليظهر للبشرية بأنّ شيئًا ما لا يمكنه أن يجعل السمع الإلهي سهل المنال أمام شفاعة القدّيسين، وأنّ ذلك لا يتحقّق إلا بحياة تقيَّة وعمل صالح. Finlay - p.321 .

كان مدخل الميناء ما بين الرصيفين قد أُغْلق بواسطة سلسلة حديدية، ولمنع كسر هذه السلسلة عن طريق سفن معادية تدفعها رياح البحر القويّة في أشهر الصيف، أُغرقت عدّة سفن بعرض المدخل. ولكنّ «ليو الطرابلسي» استطلع التحصينات بسرعة، وتفحّص العمل غير المنتهي الذي قام به «پتروناس»، ليتأكّد اذا كان ما زال عمليًّا الاقتراب من السّور حيث يتّصل بالرصيف. وبعدما انتهى من تفحُّصه أمر بهجوم متقطّع على المكان ليجلب أنظار الحامية نحوه، وليستميل المدافعين إلى القتال، فتظهر قوّتهم، ويقف على وسائل دفاعهم، وفاعليّة أسلحتهم.

نزل البحّارة المسلمون في اليوم التالي إلى البرّ، وهاجموا البوّابة «روما» الواقعة عند السور الشرقي، ولا تبعد كثيرًا عن الشاطئ. واستخدموا في هجومهم سبْعًا من الآلات التي بُنيت في «ثاسوس»، وقد جُمعت في طابية واحدة، وبُذلت محاولة لتركيز سُلّم التسلّق ضدّ التحصينات، تحت غطاء موجة من الحجارة والقذائف والسهام، ولكن القوّات البيزنطية صدّت هذا الهجوم بهجوم قويّ مُضادّ، واستطاعت أن تُبعد السُّلّم عن السّور، وأحبطت محاولة التسلّق.

وبعد الظهر تغيّرت خطّة الهجوم، فقد تقرّر إيجاد مدخل لاقتحام المدينة عن طريق إحراق اثنتين من البوّابات الأربع في السّور الشرقي. ووقع الاختيار على بوّابتي «روما» و«كَسَنْدرا» الواقعة على طريق «أغناتيان»، وللقيام بهذا الهجوم أُعدّت عربات محمّلة بخشب جافّ، وزفت، وكبريت، وقد غُطّيت بسفن صيد قُلِبت رأسًا على عقب، لمنع المدافعين الذين يعلون السّور من أن يشعلوا النار في الموادّ السريعة القابلة للأشتعال، من مسافة بعيدة، واندفع البحّارة المسلمون بالعربات نحو البوابتين، وعندما اقتربوا منها أشعلوا النار فيها، وعاد الرجّالة إلى رفاقهم مسرعين وهم يضعون الدروع فوق رؤوسهم، بينما كانت النيران تتّقد، والحجارة تنهمر من المجانيق، والسهام تخبل ألباب المدافعين عن السّور، وسرعان ما استحال رتاج البوابة الحديدية إلى جمرة

حمراء، وانصهرت المزاليج من شدّة الحرارة وسقطت البوّابتان، ولكن ما إن خمدت النار بعض الشيء حتى بدت بوّابة داخلية مسدودة بالحجارة ومحصّنة بأبراج مشرفة، مما جعل المهاجمين لا يجنون ربحًا من هذا المشروع.

بَيْد أنّ «ليو» لم يكن يرمي من وراء هذه المقدّمات إلاّ تحويل عناية المدافعين عن غايته الحقيقية حيث الخطر الأعظم. فهو كان يتطلّع إلى دخول المدينة من فوق السّور، ولم يكن أهل المدينة في موقف يُحسدون عليه، فقد رأوا من جُرأة المسلمين وإقدامهم واستخفافهم بالموت ما راعهم وضاعف من خوفهم ورُعبهم.

وفي الليلة التالية من الحصار التي لم يذق فيها كِلا الفريقين طَعْم النوم، كانت هناك حالة تنذر بالخطر، تسيطر على البيزنطيين، وقد وجدوا أنّ من الضروري قيام رقابة وحراسة صارمة على منطقة التحصينات، لئلاّ توجد نقطة أو ثغرة يمكن أن يهتدي إليها المسلمون في الظلام.

وفي الجانب الآخر، كانت على ظهر السفن الإسلامية ضجّة مستمرّة للمَطَارق وصرخات العرب والأحباش، مع تحرّكات مستمرّة للمشاعل، تعلن عن استعدادات نشيطة تجري لتجديد الهجوم.

«ليو» يقتحم سالونيكا

عندما قام «ليو» باستطلاع التحصينات تأكّد له أنّ بإمكان سُفُنه الإقتراب من السُّور في عدّة أماكن، وبدقّة فائقة حدّد النقاط، واستغلّ فترة الهدوء لإعداد كل ما يلزمه في هجومه على الحامية، فعمل على إنجاز استعداداته تحت ستار الليل كي يبقى المحاصرون على جهل بالخطّة حتى لحظة تنفيذها، فقد كان من الضروريّ إقامة منصّات عالية، يستطيع المهاجمون بواسطتها أن يشرفوا على المدافعين عن المكان، ومنها أيضًا بإمكانهم أن ينزلوا على السّور. ونُفِّذ المشروع بمهارة وسرعة وبأسلوب بسيط، إذ تمّ ربْط سفينتين إلى بعضها بقوّة، بالحبال والسلاسل، واتّخذت أعمدة السّواري وضعًا أُفُقيًّا

بدلاً من انتصابها العموديّ، وبذلك أخذت مقدّمتا «السفينة الموحّدة» امتدادًا أكبر، هيّأ لوجود ساحتين، كانتا كافيتين لدعم إطار خشبيّ قادر على أن يحتوي مجموعة من الرجال، الذين كانت تحميهم عوارض خشبية، أقيمت على الجوانب، بينما أبقت حبال السّواري والأشرعة اتصالا ثابتًا مع ظهر السفينة.

ومع إطلالة الفجر كانت الأقفاص المتدلّية من السّواري ترتفع فوق الشُّرُفات حيث كان سور البحر أدنى منها، فبدت للمحاصَرين وكأنها رؤوس إبراج ارتفعت فجأة من البحر، وتقدّمت السفينة المزدوجة إلى هدفها المحدّد، وبدأ القتال، وتبادل المهاجمون والمحاصَرون القذائف من حجارة وسهام وآنيةٍ مملوءة بالموادّ الملتهبة، والنار التي قذفها المهاجمون عبر أنبوب نحاسي، وأمام السّيل الناريّ المنهمر من علٍ لم يكن لليونان سوى الجلاء بسرعة عن الشُّرُفات مما أتاح الفرصة للبحّارة المسلمين، فكان بحّارة السفن الإسكندرانية أول من وضعوا أقدامهم على السّور، وسرعان ما طهّروا خطّ التحصينات المواجهة للبحر من المدافعين، وانطلقوا نحو البوّابات، واندفع من ورائهم بحّارة السفن الآخرين، متدفّقين إلى المدينة، وهم يحملون سيوفهم، ولا يضعون على أجسامهم سوى السراويل[1]. وأمام السَّيْل العَرِم من المهاجمين، لم يجد المدافعون والفِرَق الشعبية المسلّحة سوى الفرار دون أيّ تفكير بالمقاومة. وانهزم الصقالبة عبر بوّابة في القلعة كانوا أعدّوها سلفًا كوسيلة لانسحابهم.

دخل المهاجمون شوارع سالونيكا، وقسّموا أنفسهم جماعات، راحت تقاتل كلّ من يتصدّى لها أو يُبْدي المقاومة أمامها، وتأسر كلّ من يعترض طريقها من رجال ونساء. وفي هذه الأثناء تسارع إلى البوّابة الذهبية التي تشكّل المدخل الطبيعي لطريق «أغناتيان» إلى المدينة من الجهة الغربية، عدد كبير من السكان، وأدّى تزاحمهم إلى استحالة فتح البوّابة، وكانت مؤخّرتهم تضغط

(١) كان القصد من ذلك أن لا يختلس أحدهم شيئًا من الأسلاب ويخبئها في ثيابه.

على مقدّمتهم، مما نتج عنه سحْق المئات تحت الأقدام أو الاختناق، وبذا لم يجد المهاجمون صعوبة في القضاء على البقية الباقية منهم.

في هذه الأثناء، كان «جون كامنياتس» ووالده، وعمّه، واثنان من إخوته، قد هربوا باتّجاه السُّور الذي يفصل البلدة عن القلعة، ينشدون الاختباء في أحد الأبراج حتى يسكن هياج المهاجمين واندفاعهم. ولكنهم ما كادوا يصعدون السّور حتى وصلت زُمرة من الأحباش إلى المكان، وهي تطارد حشدًا من الناس وتقاتلهم، وصعد الأحباش على السّور، وصادف أن كان هناك برج يفصل بينهم، وبين كامنياتس وعائلته، إذ كانت أرضيّة البرج في حالة آيلة للسقوط ولا تقوى على تحمُّل السير عليها، فبدا لهم أنّ من الخطر العبور إليهم، فتوقّف الأحباش عن مطاردتهم، ووجد كامنياتس الفرصة المواتية لطلب الرحمة، فجرى مسرعًا فوق لوح من الخشب، بقي لم يتحطّم، وألقى بنفسه على قدَمي قائد الفرقة ووعده بأنه سيكشف له عن كنزٍ مخبوء، في حالة العفو عنه، والإبقاء على حياته وحياة أقربائه ووثق القائد ومن معه من صدق لهجته، ووجد من بين المهاجمين من يفهم اليونانية، فأعطوا الأمان لعائلة كامنياتس، ووضعوهم تحت حمايتهم، وفيما هم يسيرون في الطرقات، هاجمتهم مجموعة أخرى من الأحباش، فجُرح كامنياتس جُرحين من أحدهم. وفي طريقهم إلى المرفأ حُمل السجناء إلى دير «أكروليوس» حيث كان زعيم الاحباش يجلس في البهو، فأعاد كامنياتس العجوز وعوده بشأن الكنز، فأمر الزعيم أن يقتادوهم إلى قائد الحملة «ليو الطرابلسي».

أصغى «ليو» إلى مقالة كامنياتس، ثم أرسل حارسًا ليحمل الكنز إلى الميناء. وكان حظّ كامنياتس عظيمًا، حيث عُثر على الكنز الذي كان يحتوي على ثروة العديدين من أفراد أسرته، ووُجد دون مَساس. فكان فِداءً لحياته وحياة أقربائه، وأُخذوا أسرى، فأُنزلوا إلى المركب لمبادلتهم في طرسوس بأسرى مسلمين في حوزة البيزنطيين، وفوجئ كامنياتس بوجود «ليو» قائد حامية سالونيكا و«نيكيتاس» المبعوث الثالث للإمبراطور، و«رودوفيل»

الخصيّ، من القصر الملكي[1] بين الأسرى في مركبه، الذي يقوده أمير بحر مصريّ.

عودة الحملة المظفَّرة

أمضى «ليو الطرابلسي» وبحّارته، بضعة أيام في سالونيكا، يجمعون الأسلاب والغنائم، وكانوا يطلقون سراح المعتقلين الذين يتقدّم أصدقاؤهم في المناطق المجاورة، بدفع فدية عنهم. وأجرى «ليو» مفاوضات مع ضابط مبعوث من قِبَل الإمبراطور يُدعى «سيمون» تم على أثرها إطلاق سراح مائتين من الأسرى، بعد أن تعهّد الضابط بإطلاق سراح عدد مساوٍ من الأسرى المسلمين في طرسوس.

وقبل الإبحار في طريق العودة، هدّد «ليو» بإحراق المدينة، ونجح بإجبار قائد «ستريمون» على تسليم الذهب الذي أخذه «رودوفيل» ونجت سالونيكا من دمار محقَّق.

غادر الأسطول ميناء سالونيكا، بعد عشرة أيام من الاستيلاء عليها، واتّجه نحو جزيرة كريت، مبتعدًا عن الشواطئ والجزر اليونانية، تفاديًا للحاميات البيزنطية، إذ كانت سفن المسلمين تمتلئ بالأسرى، ويستحيل عليها القتال والمناورة، فقد كان طاقم المركب التي كان عليها كامنياتس يتألّف من (٢٠٠) مائتي بحّار، بينما كان الأسرى (٨٠٠) من الرجال والنساء والأطفال، يحتشدون في الطابق السفلي من المركب.

وصل الأسطول إلى جزيرة كريت بعد أسبوعين، حيث أبحر إلى جزيرة

(١) كان رودوفيل ينقل ١٠٠ أوقية من الذهب إلى الجيش البيزنطي في إيطاليا، عندما دخل المسلمون سالونيكا، وقام بعد ذلك بتسليمها إلى قائد حامية «ستريمون» فوشى به السُّجَناء من أهالي المدينة، ولما وقف «ليو الطرابلسي» على حقيقة ذلك أمره به فضُرب حتى الموت.

«باثموس» وتوقّف عندها ستّة أيام، ثم إلى جزيرة «ثاكسوس» فتوقّف عندها يومين، وكانت يومئذٍ تحت حكم البحّارة المسلمين في كريت. وأخيرًا، رسا الأسطول عند ميناء «زنتاريون»[١] وهو مقابل جزيرة «دِيا»[٢]، وهو ميناء يوفّر ملاذًا أفضل من ميناء الخندق، ويؤمّن المعزل اللازم لتوزيع الغنائم والأسلاب بين الجماعات المختلفة التي تشكّلت منها الحملة، إذ كان بإمكان الجميع أن يأووا إلى أماكنهم قبلما تبدأ عواصف الخريف.

وفي «زنتاريون» أُنزل الأسرى، ليتبيّن أنّ الأسطول المؤلّف من ٥٤ سفينة حربية، الذي قاده «ليو» في حملته، قد ارتفع عدد سفنه كثيرًا، حيث أخذ المنتصرون سفن رجال الحرب البيزنطيّين ومراكب التجّار من ميناء سالونيكا، ولذلك لم يُفاجأ كامنياتس عندما وجد أنّ عدد الأسرى ـ حتى بعد وفاة الكثيرين منهم أثناء رحلة العودة ـ ما زال مرتفعًا إلى حوالى ٢٢ ألفًا. وباستثناء العدد البسيط الذي احتُفِظَ به للمبادلة في طرسوس، فقد كان معظم الأسرى من الشباب والنساء الذين هم في عمر الصّبا والزهور، ومن الأطفال فائقي الجمال.

وفي مدى ثلاثة أيام، قسّمت الغنائم بالقرعة، ورحلت سفن الأسطول، كلٌّ منها إلى مينائها، فأبحرت من كريت باتّجاه الإسكندرية؛ أو الموانئ المتعدّدة في الشام التي تنتمي إليها. وحُمل العديد من الأسرى، وعُرضوا للبيع في أسواق العبيد في «القطائع» عاصمة مصر، وفي دمشق ومنهم من حُمل إلى الحبشة، والجزيرة العربية، وحتى إلى الأنحاء الجنوبية من إفريقية، أما الذين كانوا من حصّة الكريتيّين، فقد عاد عدد كبير منهم إلى سالونيكا حيث قام أصدقاء لهم بدفع ثمنهم وفِدائهم.

---

(١) زنتاريون: ميناء على الساحل الغربي من جزيرة زنتورين، يفصل مضيق صغير من مياه البحر المتوسط بينها وبين جزيرة ديا.

(٢) ديا: جزيرة صغيرة تقع شمال كريت على مسافة قريبة منها، بينها وبين جزيرة زنتاريون.

وكانت جزيرة كريت سوقًا كبيرًا للعبيد، نتيجة لاتّساع عمليات الغزو البحرية الإسلامية وغزوات سكانها، وكانت تجارة الرقيق في ذلك الوقت أرفع فرع للتجارة في البحر المتوسط. وقد اعتنق قسم كبير من سكان كريت اليونان الإسلام، وأجروا اتصالات مع تجّار العبيد في الإمبراطورية البيزنطية، وتابعوا تجارة منتظمة في بيع وشراء المعتقلين البيزنطيين، من العائلات الغنيّة، ورتّبوا تبادل المحبوسين مع أقربائهم، ولما كانت هذه المبادلات تجري بطريقة إفرادية، أو بشكل سرّيّ وخاصّ ـ بعكس ما يجري في طرسوس حيث يتمّ الفداء، وفق نظام تبادل الأسرى بموجب لائحة منظّمة رسميًا ـ فقد كان على أهل الأسير أو أصدقائه أن يدفعوا مبلغًا محترمًا فداءً له عن الأسر، أو البيع في سوق العبيد، فضلاً عن إطلاق سراح مسلم معتقل لديهم، وكان يُفَضَّل أن يكون الأسير من عائلة غنيَّة أو يتمتّع بجمال خارق ليكون ثمن الفداء مرتفعًا أو بيعه مُرْبحًا.

وبعد انتهاء عملية توزيع المغانم، أبحرت سفن الأسطول نحو ساحل الشام، واتَّجهت إحداها نحو ميناء صيدا، وهي تحمل والدة كامنياتس وزوجته واثنين من أبنائه. ووُضع هو مع والده وعدد كبير من المساجين جانبًا، للمبادلة في طرسوس، تحملهم سفينة حربية بيزنطية مأسورة.

وفي الطريق من كريت إلى ساحل الشام، طرأ حادث أظهر فيه «ليو الطرابلسيّ» أنه ليس قائدًا لقراصنةٍ همُّهم القتل والتخريب، وجَمْع المغانم والأسلاب، بل إنّه رجل قوّة وشجاعة، جدير بمهمّته الجريئة، ولم يكن بأيّ حال من الأحوال أصمّ عن نداءات الإنسانية عند وقوع خطر مريع. فكامنياتس، الذي كتب هذا الوصف المؤثّر لاقتحام البحّارة المسلمين مدينته، وتحدّث عن حالة الرعب التي أصابت سكان سالونيكا، والمصير الذي آلوا إليه ـ وهي طبيعة كل حرب في التاريخ ـ بغضّ النظر عن جنسية أو ديانة المحاربين ـ لم يَسَعْه إلاّ أن يذكر هذه اللمحة الإنسانية، وذلك الموقف الإنساني الذي أظهره القائد المسلم «ليو الطرابلسي» حيث عرّض نفسه في

ساعة حرجة إلى خطر الموت، مع طاقم سفينته، من أجل إنقاذ مئات الأسرى اليونانيّين من الموت غرقًا. فقد هبّت عاصفة قويّة، ضربت سفن الأسطول وهي في عرض البحر، وشطرت إحداها في الوسط، هدّدتها بالتدمير، إذ كانت قديمة وصغيرة، وبحاجة إلى دعامات خشبية على امتداد طولها الذي يميّز السفن القديمة. وكانت تسير بالقرب من سفينة القائد العام «ليو». فتعالى صراخ طاقمها يطلبون الإغاثة، ونادوا على «ليو» يرجونه أن يأمر بحّارة سفينة الحرب البيزنطية - التي كان كامنياتس على ظهرها - بإلقاء المعتقلين في البحر، واستقبالهم هم، مكانهم. فأعطى الأمر بالسّماح لطاقم السفينة بالتخلّي عن السفينة الغارقة، غير أن ثورة الرياح العاتية قذفت السفينة المنكوبة - التي كان كامنياتس قد أُنزل فيها مؤخّرًا - إلى مسافة كافية لأن لا تُلاحظ إشارات أمير البحر.

وفي تلك اللّحظات الحرجة، ووسط اللّجج المتلاطم، أمر «ليو الطرابلسيّ» بحّارة سفينته أن يقتربوا من السفينة القديمة بقدر الإمكان. فقاوموا الرياح والأمواج، مُبحرين بعكس التيار، واقتربوا من السفينة، ونجحوا، ليس فقط في إنقاذ طاقم البحّارة المسلمين، بل وكل نصرانيّ على ظهرها. حيث نُقل الجميع إلى سفينة القائد الإنسان، الذي عرّض نفسه ومن معه للخطر نفسه، فأصبحت سفينته تحمل حوالى (١٠٠٠) شخص من البحّارة والأسرى، ممّا أثار إعجاب ودهشة القائدين البيزنطيين: «ليو» و«نيكيتاس»، اللّذين كانا على ظهر سفينة القائد «ليو» وراحا يقصّان الوقائع على كامنياتس، ويشيدان بجرأة أمير البحر المسلم وإنسانيته، ويعترفان بأنّ تقديرهما عن قدرة تحمُّل سفينتهما لمثل هذا العدد العظيم، كان خاطئًا، رغم أنها أبحرت بصعوبة بالغة حتى جزيرة قبرس.

وفي قبرس قام «ليو» بإجراء الإصلاحات لسفن الأسطول، ثم توجّه نحو ثغر طرابلس فوصلها في ١٤ أيلول (سبتمبر). وفي أثناء وضع الترتيبات لنقل الأسرى إلى طرسوس، توفي والد كامنياتس في طرابلس.

وأخيرًا، نُقل كامنياتس والأسرى إلى طرسوس، وفي أثناء الانتظار لتبادل الأسرى، وفي غمرة الخوف من الموت، كتب كامنياتس هذه الوقائع التي قام المؤرّخ البريطاني «فنلاي» بنقلها من اليونانية إلى الإنجليزية وأثبتها في كتابه[١]، ونقلناها عنه إلى العربية بهذا التفصيل المُسْهَب، ليقف قرّاء العربية على التفاصيل الدقيقة للخطط الحربية عند البحّارة المسلمين في ذلك العصر، وعلى بطولات قادة البحرية المسلمين في سواحل الشام، و«لبنان» على وجه الخصوص، والتي لا نجدها عند جميع المؤرّخين اللبنانيين على اختلاف نزعاتهم على الإطلاق.

ويبدو أن «كامنياتس» أقام في الأسر سنة كاملة حتى فُودي به وعاد إلى بلاده[٢]. فقد ذكر كلّ من «الطبري» و«ابن الأثير» أنّ فداءً للأسرى جرى في عام ٢٩٢هـ/٩٠٥م. فكان من جملة من فُودِي به من المسلمين في يوم ٢٤ ذي القعدة - فيما قيل - ألفًا ونحوًا من مائتي نفس[٣] ولكنّ الروم

---

(١) History of the Byzantine George finlay From Dccxvi Mlvll Book II Ch. IS2. A.D. 886 912 p.p.317 331.

(٢) حصل بعد عودته على وظيفة «حارس مطران» في مسقط رأسه، وأصبح يُعرف بـ«الفاضل أغناتيوس» Finlay p.330.

(٣) كان يُعبَّر عن عملية تبادل الأسرى بين المسلمين والروم بـ«الفداء»، ويتمّ رسميًا عند «اللامس»، وهي قرية على ساحل البحر بعد قلمية بمرحلة إلى البحر. (معجم البلدان ٥/٨) وتبعد نحوًا من ٣٥ ميلاً من طرسوس، عندها نهر اللامس أيضًا على مرحلتين من طرسوس (تاريخ اليعقوبي ٢/٤٨٢) يكون الروم في البحر في السفن والمسلمون في البر يتفادون. (المسالك والممالك للأصطخري ٥٠). وكان يحضر الفداء من اهل الثغور وأهل الأمصار، وغيرهم من المسلمين، ما يقرب من نصف مليون شخص أو أكثر، وهم على أحسن ما يكونوا من العُدَد والخيل والسلاح والقوّة، حتى يضيق بهم السهل والجبل. كما تأتي مراكب الروم الحربية بأحسن ما يكون من الزيّ، ومعهم أسارى المسلمين. (التنبيه والإشراف ١٦١). ويقف المسلمون من جانب النهر الشرقي، والروم من الجانب الغربي، ويعقد على النهر جسر للمسلمين، وجسر آخر للروم، فيرسل المسلمون الرومي على جسرهم، ويرسل الروم المسلم على جسرهم، فيصير هذا إلى هؤلاء، وذاك إلى أولئك (تجارب الأمم ٦/٥٣٣).

غدروا فانصرفوا، ورجع المسلمون بمن بقي معهم من أسارى الروم[1].

إزاء هذه الضربة الموجعة التي نزلت بالدولة البيزنطية، كان لا بُدّ من الالتفاتة إلى تحصين السواحل من جديد، وزيادة فعالية الأسطول، فعملت على إقامة استحكامات جديدة وقويّة في سالونيكا وأتّاليا. واتّخذت من التدابير الفعّالة ما يزيد في قوّة الأسطول[2]. ولكنّ سلاحًا هامًّا كانت تعتزّ به العسكرية البيزنطية، هو «النار الإغريقية» التي كانت من أسباب فشل المسلمين وإخفاقهم عدّة مرات في محاولاتهم لفتح القسطنطينية. هذا السلاح، بات الآن بيد المسلمين أيضًا، ونجح «ليو الطرابلسي» في استخدامه، ولم يعُد وقفًا على البيزنطيين. وهكذا فقد الأسطول البيزنطي سرّ أهم أسلحته[3]. وكان من المستحيل عليه بعد ذلك، أن يحتفظ بسيطرته على مياه البحر المتوسط، إذ لم يعد يتفوّق على الأسطول الإسلامي، بأسلحته وتنظيماته، إلاّ بشيء لا يستحقّ المقارنة.

سقوط الدولة الطولونية

كان الاجتياح القرمطي مقدّمة لانهيار النفوذ الطولوني في معظم بلاد الشام، وبالتالي، لسقوط الحكم في مصر، ولهذا ما إن فرغ «المكتفي بالله» من أمر زعيم القرامطة وقتْله حتى أمر القائد «محمد بن سليمان» بالسَّير إلى مصر، وأمر «دميان الصّوريّ» بالخروج من بغداد ليركب البحر ويمضي إلى مصر ليعمل على قطع الإمدادات عن عسكرها[4]، فخرج إلى ثغر صور - على

(١) يعرّف المسعوديّ هذا الفداء بأنه فداء رستم، إذ كان بإشراف رستم بن بردوا الفرغاني أمير الثغور الشامية. ويُعرف بفداء الغدر لغدر الروم في خلافة المكتفي. (التنبيه والإشراف ١٦٣).

(٢) الإسلام في حوض البحر الأبيض المتوسط د. علي حسني الخربوطلي - ص٩٤ - طبعة دار العلم للملايين، بيروت.

(٣) الدولة البيزنطية ٣٣٢.

(٤) تاريخ الطبري ١٠/١١٨، العيون والحدائق - ج٤ ق١/١٩٠، ١٩١.

الأرجح - إذ كان بها «دار الصناعة»، ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم»[1]، ومنها توجّه إلى سواحل مصر بالأسطول العباسي، في ثمانية عشر مركبًا حربية مشحونة بالرجال والسلاح[2].

وفيما كان القائد العام للجيش العباسي «محمد بن سليمان» يسير إلى فلسطين في طريقه إلى مصر بالبرّ، كان «ليو الطرابلسيّ» قد عاد من غزوته المظفّرة على سالونيكا، فطلب منه أن ينضم بسفنه إلى «دَميان»[3] فسار معه بأسطول طرابلس.

وتمكّن القائدان «الصوريّ» و«الطرابلسيّ» من دخول ثغر تنّيس، ثم دمياط في آخر سنة ٢٩١هـ/٩٠٤-٩٠٥م. واحتوى «دَميان» على جميع المراكب هناك بما فيها، وأخذ منها جملة أسرى من المصريين طيف بهم وشُهّروا فيما بعد[4]. وتراجع «هارون بن خمارويه» أمام تقدّم «دَميان» الذي نزل دَميرة[5]، وظفر فيها بجماعة من الأمراء، وحاول أمراء مصر أن يمنعوا تقدّمه جنوبًا نحو العاصمة، فحشدوا مراكب عدّة بإزائه، ولكنه نجح في الوصول إلى قرية تُعرف بتنوهة[6] من قرى الفُسطاط، ووصل بمراكبه إلى سواحل الفسطاط في نهاية شهر صفر سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م. ودخلها «محمد بن سليمان» وأمر بإحراق «القطائع» عاصمة مصر، فأحرق دَميانة الجسر الشرقي الذي يصلها بالروضة، وأتلف الجسر الغربي الذي يصلها بالجيزة، وتم إحراق القطائع يوم الخميس أول ربيع الأول سنة ٢٩٢هـ/٩٠٥م. وبذلك سقطت

(١) البلدان لليعقوبي ٣٢٧.

(٢) النجوم الزاهرة ٣/١٣٦.

(٣) الولاة والقضاة ٢٤٥.

(٤) النجوم الزاهرة ٣/١٣٨.

(٥) دَميرة: بفتح أوله وكسر ثانيه. قرية كبيرة بمصر قرب دمياط (معجم البلدان ٢/٤٧٢).

(٦) الولاة والقضاة ٢٤٥.

الدولة الطولونية، ولم تعمّر سوى ربع قرنٍ ونيّف[١].

وإذا كانت مهمة «دميان الصوري» و«ليو الطرابلسي» قد نجحت في إنهاء حكم الطولونيين في مصر، فإنّ «دَميان» لم تنته مهمّته هناك، إذ ما إن عاد القائد العباسي «محمد بن سليمان» من مصر حتى تخلّف عنه قائد من قوّادها يُعرف بالخليجي[٢]، استطاع أن يستميل إليه جماعة من الجند، ويعلن مخالفته للمكتفي بالله. فبادر الخليفة إلى إصدار أوامره إلى القائد «فاتك مولى المعتضد» ليقضي على حركة الخليجيّ، وضمّ إليه جماعة من القادة، كان من بينهم «دميان»، الذي استطاع بأسطوله أن يصل إلى الفسطاط من جديد[٣]، ويمهّد بذلك الطريق أمام الأمراء العباسيّين، حيث تمّ القبض على الخليجي في شهر رجب من سنة ٢٩٣هـ/٩٠٦م. وقام «دميان» بحمله مع ثلاثين رجلاً من وجوه أصحابه في أربعة مراكب، حيث تمّ نقلهم إلى بغداد[٤].

«دميان الصّوري» يغزو قبرس

حدث في سنة ٢٨٩هـ/٩٠٢م. أن عادت جزيرة قبرس لسلطان بيزنطية، حيث نقض حاكمها العهد الذي كان قائماً مع المسلمين. وعهدت إليه الإمبراطورية بمهمّة الحيلولة دون اتصال مسلمي كريت، بإخوانهم المسلمين في سواحل الشام، وذلك بالتعاون مع رئيس جماعات المَرَدَة في أنطالية (أتاليا)

(١) وُلاة مصر ٢٦٨-٢٧١، الولاة والقضاة ٢٤٥-٢٤٧، تاريخ الطبري ١١٨/١٠، العيون والحدائق ج٤، ق١٩٠/١، ١٩١، التاريخ المجموع على التحقيق لابن البطريق - ج٧٦/١، النجوم الزاهرة ١٠٩/٣ و١٣٦ و١٥٤، مصر في عصر الطولونيين والإخشيديين، للدكتورة سيدة إسماعيل الكاشف والدكتور حسن أحمد محمود - ص ٨٣ - سلسلة الألف كتاب - القاهرة ١٩٦٠.

(٢) ويقال: «الخلنجي».

(٣) الولاة والقضاة ٢٦٢.

(٤) الطبري ١٢٨/١٠، ١٢٩، الولاة والقضاة ٢٦٣، ولاة مصر ٢٨٠ - ٢٨٢، خطط المقريزي ٣٢٧/١، النجوم الزاهرة ١٥٤/٣.

بآسية الصغرى[١]. ومثل هذه الخطوة لا يمكن التقليل من أهميّتها وخطورتها، فقد نجحت الإمبراطورية بتحقيق هدف استراتيجي، وأفقدت المسلمين قاعدة بحرية رئيسة، حيث كانت قبرس مركز تجمّع سفن الأسطول الإسلامي القادمة من مصر والشام[٢]، غير أنّ ذلك لم يُضعِف من قدرة البحرية الإسلامية، بدليل نجاح غزوة «ليو الطرابلسي» على سالونيكا، ورسُوّ سفنه عند ساحلها الغربي في طريق العودة إلى طرابلس. ولكنّ البيزنطيّين وجّهوا عنايتهم نحو الجزيرة لتكون قاعدة متقدمة، فعملوا على شحنها بالمقاتلة، وإمدادها بالسفن، حيث أخذت تمارس مزيداً من الإزعاج للمسلمين في البحر، وسكان ساحل الشام. وقد تضافرت جميع الجهود والإمكانات البيزنطية بعد غزوة سالونيكا، لردّ الضربة إلى المسلمين. وكان ثمرة تلك الجهود، تحقيق نصر كبير أحرزه الوزير «هيميريوس» على الأسطول الإسلامي في سنة ٢٩٤هـ/٩٠٦م[٣]. وإزاء هذا الوضع اتّخذت الدولة العباسية إجراءات سريعة، منها تسيير «محمد بن العباس بن الحرث الجُمحيّ» قاضي دمشق إلى ثغر صور، فقام بقيادة المراكب الحربية وغزا في البحر غزاة انتصر فيها على الروم حول سنة ٢٩٦هـ/٩٠٨م[٤]. ولكن «هيمريوس» قام بغارة على ساحل الشام في سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م. وسبق هذه الغارة، انتزاع بعض المعاقل الإسلامية التي كانت ما تزال بيد المسلمين في قبرس، فافتتح حصن القبّة بعد حرب طويلة «وعدم أهلها إغاثة مغيث من المسلمين»[٥]. ومن هناك انطلق

(١) القوى البحرية ٢٢٦.

(٢) نُبَذ من كتاب الخراج ٢٥٥.

(٣) الروم وصلاتهم بالعرب. د. أسد رستم ١٩/٢، الدولة البيزنطية ٣٣٣.

(٤) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٥٥/٣٨-١٥٧ وهو مصريّ الأصل، توفي في ٢٢ ربيع الآخر سنة ٢٩٧هـ.

(٥) مروج الذهب ٣٠٩/٤ ويسمّي المسعودي قائد هذه الغارة: «فارس صاحب مراكب الروم».

بسفنه نحو ساحل الشام، فنازل مدينة اللاذقية[1]، وأخذها، وسبى منها خلقًا كثيرًا[2].

وقد أثار وصول الغزوة البيزنطية إلى ساحل الشام، ردَّ فِعْلٍ قويٍ وسريع لدى المسلمين حيث هبّ أمير البحر وصاحب الغزو في البحر الرومي «دَميان الصوريّ» وشنّ هجومًا بحريًا كبيرًا على جزيرة قبرس، انتقاما من أهلها لنقضهم العهد الذي كان في صدر الإسلام بينهم وبين المسلمين. ونزل بجُنْده وبحّارته على أرض الجزيرة، وأقام أربعة أشهر يسبي ويحرق ويفتح مواضع قد تحصّن فيها الروم[3]. وعاد مظفّرًا. ثم قام في السنة التالية ٢٩٩هـ/٩١١م. بغزوة صائفة، من ناحية طرسوس مع والي الثغور «رستم بن بردوا الفرغاني» فحاصرا حصن مليح الأرمنيّ[4]، رئيس جماعات المَرَدَة في أرمينية، الذي ساعد في تأليب أهل قبرس على المسلمين، ودخلا بلده وأحرقاه[5]. ولكنّ الأرمنيّ نجا من الموت.

وعاد «دَميان الصّوري» إلى ساحل الشام، بعد أن وصلته أنباء حملة «هيميريوس» على جزيرة كريت.

(١) البداية والنهاية ١١/١١٢.

(٢) مروج الذهب ٤/٣٠٩، ويجعل قُدامة هذه الغزوة في سنة ٣٠١هـ (الخراج ٣٠٦).

(٣) التنبيه والإشراف ١٦٤.

(٤) كان مليح استولى على بلدة خرشنة من عمل الأرمنياق وعمل الخالدة، وهي مناطق كانت لأقوام يختلفون في ديانتهم عن الروم. وكان هؤلاء مع المسلمين يُعينونهم في غزواتهم، ويتوفّر على المسلمين المعونة بهم. إلى أن رحلوا دفعة واحدة عن هذا الموضع بإساءة أهل الثغور معاشرتهم، وقلّة إشراف المدبّرين على أمرهم، فتفرقوا في البلاد، وسكن مكانهم الأرمن الذين في جملة مليح الأرمني، وابتنوا الحصون المنيعة، ثم صارت لهم العدّة الكثيفة والمعرّة الشديدة (نُبذ من كتاب الخراج ٢٥٤ و٢٥٥).

(٥) الطبري ١٠/١٤٥، ابن الأثير ٨/٦٥، النويري ٢٣/٣٦.

«ليو الطرابلسي» و«دميان الصُّوريّ» يهزمان «هيميريوس»

تشجّع «هيميريوس» بعد أن نزل قبرس، ودخل اللاذقية، على متابعة غزواته البحرية، ودفعه طموحه الى استعادة جزيرة كريت، وطرد المسلمين منها، ليؤمّن لأسطول بيزنطة الحربيّ والتجاري حريّة التّجوال في مياه الأرخبيل، وبين الجزر اليونانية، فبدأ عملياته بتطهير الأرخبيل الواقع تحت سيطرة مسلمي كريت، ثم توجّه على رأس أسطول قويّ تألّف من أربعين سفينة حربية من الحجم الكبير، بالإضافة إلى سفن أخرى أقلّ حجمًا[1]، تُقلُّ على مَتْنها (٧٠٠٠) فارس، و(٣٤٠٠٠) مقاتل بحريّ[2] و(٥٠٠٠) من المَرَدَة، و(٧٠٠) من المرتزقَة الروس[3] الذين يُعتبرون جديرين بمثل هذا التعداد[4]، نحو جزيرة كريت. يحمي مؤخّرته تجمّع بحري وبرّي بقيادة «رومانوس» ـ إمبراطور المستقبل ـ عند جزيرة «ساموس»[5] وكان الهدف واضحًا، هو محاصرة الخندق (كانديا) عاصمة الجزيرة والاستيلاء عليها.

وصلت الحملة إلى الجزيرة في سنة ٢٩٩هـ/٩١٠ـ٩١١م. ولكن «هيميريوس» واجه من الكريتيّين مقاومة عنيدة، فلم يمكّنوه من أن يثبّت قدميه على أرضها، وقاتلوه ببسالة نادرة، حتى اضطّروه إلى الإنسحاب بأسطوله بعد معركة فاشلة وتظاهرات لا قيمة لها، طالت لمدّة ثمانية أشهر[6]، وخلال تلك الفترة وصلت أنباء الحملة إلى أمراء وقادة البحر في الساحل الشاميّ، فهبّ القائدان: «ليو الطرابلسيّ» و«دميان الصوريّ» لنجدة أهل الجزيرة، والتقيا «هيميريوس» وهو في طريق عودته إلى قاعدته، عند جزيرة

(١) Finlay p.330 .

(٢) يجعلهم فنلاي (١٢٠٠٠) بحار فقط (p.330).

(٣) الروم وصلاتهم بالعرب ٢/١٩، ٢٠، الدولة البيزنطية ٣٣٣، القوى التجارية ٢٢٤.

(٤) Finlay p330 .

(٥) و(٦) Finlay .

«خيوس»[1] بعيدًا عن شاطئ «ساموس»[2]. وهناك جرت موقعة رهيبة بين الفريقين أسفرت عن هزيمة ساحقة للأسطول البيزنطي، ولم يتمكّن «هيميريوس» من الفرار إلاّ بصعوبة حيث التجأ إلى «ميتيليني»[3] وعندما عاد إلى القسطنطينية تقرّر إنزاله في الدير[4]. وبذلك ضاعت الجهود الحربية والمالية التي بذلتها الإمبراطورية البيزنطية دون أن تؤدّي إلى نتائج إيجابية. ورافق هزيمة «هيميريوس» وفاة الإمبراطور «ليو السادس» سنة ٣٠٠هـ-٩١٢م.

وفاة «دميان الصّوري»

في سنة ٣٠١هـ/٩١٣م. فقدت البحرية الإسلامية أحد قادتها الكبار «دميان الصّوري»، وكان قبل وفاته قد تولّى إمرة الثغور[5]، فتقلّد مكانه شخص يُدعى «ابن بلك» انفرد بذكره «ابن الأثير»[6] ولم أجده عند غيره مطلقًا، ويبدو أنّ «دَميان» كان له أبناء ظلّوا مقيمين في بغداد، حيث يرِد ذِكرهم في سنة ٢٩٦هـ/٩٠٩م. أثناء فتنة عزل «المقتدر» عن الخلافة، فتمّ القبض عليهم مع جماعة من كُتّاب «ابن المعتز» وخواصّه[7].

وقد أشاد الشعراء بجهاد «دميان الصّوري» ضدّ الروم ونكايته في عسكرهم، وتردّد ذكر بطولاته حتى في شعر الأندلسيّين، نذكر منهم الفقيه الأندلسي «ابن حزم» حين قال ارتجالاً قصيدة طويلة ردّ فيها على القصيدة

(١) خيوس: قبالة ساحل آسية الصغرى الغربي، بين جزيرتي «ساموس» و«لسبوس».
(٢) قبالة ساحل آسية الصغرى الغربي، في الجنوب الشرقي من جزيرة «خيوس».
(٣) ميتيليني = ليسبوس، جزيرة تجاه ساحل آسية الصغرى الغربي، مساحتها ١٦٣٦كلم². وهي شمالي جزيرة خيوس.
(٤) الدولة البيزنطية ٣٣٣.
(٥) الخراج ٣٠٦.
(٦) في: الكامل في التاريخ ٨/٧٧.
(٧) الوزراء، للصابي ١٠١، و٢٥٦.

الأرمنية التي أُرسلت على لسان «نقفور» ملك الأرمن إلى الخليفة العباسي «المطيع لله»، وممّا قاله «ابن حزم» وهو يذكر «دميان» باسم: «دميانة»:

.. بأبناء بني حمدان وكافور صلتمُ ... أراذل أنجاس قِصار المعاظم
دَعيّ وحَجّامٌ سطوتمْ عليهما ... وما قدر مصّاص دماء المحاجم
فهلاّ على «دَميانة» قبل ذاك، أو ... على محلّ أربا رُماة الضّراغم
ليالي قادوكم كما اقتادكم ... أقيال جُرجان بجزّ الحلاقم؟[1]

هزيمة «ليو الطرابلسي» ووفاته

ظلّ «ليو» يزرع مياه الأرخبيل اليوناني وشرقي البحر المتوسّط، بأشرعة سفنه السوداء، حتى ولي عرش الإمبراطورية البيزنطية «رومانوس ليكابينوس الأول» (٣٠٨-٣٣٣هـ/ ٩٢٠-٩٤٤م.) وسبق ذلك قيام سفن الإفرنج بالإغارة إلى ساحل الشام في سنة ٢٩٣هـ/٩١٥م. فوصلت إلى رأس بيروت، ونزل بحّارتها إلى البرّ، فبادرهم الأمير «النعمان بن عامر الأرسلاني» بشرذمة من رجاله فأسر منهم ثمانية رجال، وقتل ستة، فانهزموا، وعادوا ثانية إلى بيروت، ففاداهم على من أسروه من المسلمين[2].

وفي سنة ٣١٣هـ/٩٢٤م. واجه «ليو الطرابلسي» أول هزيمة أمام الأسطول البيزنطي. ففي إحدى غزواته التي كان يقوم بها عند شواطئ اليونان خرج إليه الإمبراطور «رومانوس ليكابينوس» على رأس أسطول كبير وفاجأه عند جزيرة «لمنوس»[3] الواقعة شمالي بحر إيجه، فكانت موقعة بحرية

(١) قصيدة إمبراطور الروم نقفور فوقاس في هجاء الإسلام والمسلمين - تقديم د. صلاح الدين المنجّد - طبعة دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٢- ص٤٦، البداية والنهاية ١١/٢٤٨، ٢٤٩.
(٢) أخبار الأعيان ٢/٥٠٠.
(٣) لمنوس: جزيرةمساحتها ٤٨١ كلم². تحوّلت إلى لاتينية إثر الحملة الصليبية الرابعة وسقوط القسطنطينية وخضعت للبندقية ثم لتركيا حتى سنة ١٩١٢ (الموسوعة الميسّرة).

هائلة، تحطّمت فيها سفن «ليو الطرابلسي»، وقُتل من بحّارته الكثير، غير أنّ «ليو» استطاع أن ينجو من الموت بأعجوبة[1]، وعاد أدراجه إلى كريت.

وإذا كنت لم أقف على تفاصيل هذه الواقعة، فإنّ المؤرّخ «ستيفن رنسيمان» يذكر أنّ الأسطول البيزنطي، استطاع أن يطارد «ليو الطرابلسي» بعد غزوه تسالونيكا ببضع سنين وأن يقتله[2]، ولم أجد ما يؤكّد تاريخ مقتله في الموقعة أمام «رومانوس» وإن كان قد قضى نحبه بين سنتي ٩٢٥-٩٣٠م. إذ تنقطع أخباره بعد ذلك.

وبوفاة «ليو الطرابلسي» لم يبق من رؤساء البحر الكبار سوى «عبدالله بن وزير» صاحب جَبَلة، الذي التقى به «المسعوديّ» بُعَيد سنة ٣٣٢هـ/٩٤٣م. وقال إنه «لم يبق في هذا الوقت أبصر منه في البحر الرومي، ولا أسنّ منه، وليس فيمن يركبه من أصحاب المراكب من الحربية والعمالة إلاّ وهو مُنقاد إلى قوله، ويُقرّ له بالبصر والحِذْق، مع ما هو عليه من الديانة والجهاد القديم فيها»[3].

وقد ظلّت جزيرة كريت محطّ اهتمام البيزنطيين وشُغلهم الشاغل، ولم يهدأ لهم بال حتى انتزعوها من العرب سنة ٣٥٠هـ/٩٦١م. ثم سقطت طَرَسُوس بأيديهم بعد ذلك بأربع سنوات (٣٥٤هـ/٩٦٥م).

★ ★ ★

وهكذا استأثرت أخبار ساحل «لبنان» والشام بهذه الحقبة من الحكم

(١) الروم وصلاتهم بالعرب ٢٧/٢، موسوعة تاريخ العالم - وليم لانجر ٤٩٣/٢، تاريخ كنيسة أنطاكية - ص٥٩٨، ويقول فاسيليف إنّ هزيمة ليو الطرابلسي كانت في سنة ٩١٧م. (٣٠٥هـ).

History of the Byzantine Empire - A.A. Vasiliev - Vi- p.316- 1964.

(٢) الحضارة البيزنطية ١٧٨.

(٣) مروج الذهب ١٢٩/١، تاريخ الأدب الجغرافي العربي، كراتشكوفسكي، ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم - نشرته جامعة الدول العربية، بالقاهرة ١٩٦٥- ق٢/٥٦٦، التنظيم =

العباسي، فيما تراجعت أخبار المناطق الداخلية من «لبنان» مما يدل على استقرار الأمور فيه بشكل عام، وهذا ما شجّع أحد أحفاد الخليفة «هارون الرشيد» لأن يأتي إلى بيروت بعياله في سنة ٣١١-٣١٢هـ/٩٢٤م. ويقيم عند الأمير «النعمان» ضيفًا لمدّة طويلة، ويعقد فيها مجلسًا للعلم ورواية الحديث، فأخذ عليه جماعة من الأمراء وغيرهم، وخطب الأمير النعمان ابنة الأمير العباسيّ وزوّجها لولده مُنذر[1].

وبقي النعمان أميرًا على بيروت وإقليم الغرب حتى تُوُفّي سنة ٣٢٤هـ/٩٣٦م. فَخَلَفه ولده «المنذر» وحذا حذوه في الحكم والإمارة، وعظُم أمره، ولُقِّب «سيف الدولة»[2]. وعاصر خروج «لبنان» من السيادة العباسية للمرة الثانية، وانضوائه تحت ظلّ الدولة الإخشيدية.

وقد شهد «لبنان» فترة من حرب النفوذ والصراع بين القائد العباسي «محمد بن رائق» وبين «محمد بن طغج» والي مصر الذي كان يطمح إلى ضم بلاد الشام إلى مصر كما فعل «أحمد بن طولون» من قبل.

وكان «محمد بن رائق» وُلّي طريق الفرات وجُند قنّسرين وديار مُضَر والعواصم في سنة ٣٢٧هـ[3]. فلم يكتفِ بذلك، بل تطلّع إلى ضمّ بلاد الشام إلى ولايته، فدخل حمص وملكها[4]، وقام «محمد بن طغج» بإرسال المراكب من مصر إلى سواحل الشام ليوقف تقدّم «ابن رائق» كما أرسل جيشًا بطريق البرّ[5]، ولكنّ ذلك لم يَحُلْ دون تقدّم «ابن رائق» إذ أخذ طرابلس وعيّن

= البحري الإسلامي ١٦٨.

(١) أخبار الأعيان ٥٠٠/٢.

(٢) أخبار الأعيان ٥٠٠/٢.

(٣) تجارب الأمم ٤٠٨/١، الكامل لابن الأثير ٣٥٤/٨، وفي: تكملة تاريخ الطبري - ص١١٢: «جند يسابور».

(٤) الكامل في التاريخ ٣٦٣/٨.

(٥) الولاة والقضاة ص٢٨٩.

عليها «بدر بن عمّار الأسدي الطبرستاني» ونرجّح أنه دخل صور أيضًا، حيث أنشده أحد أدبائها بيتين قالها في غلامه مشرق[1]. ثم توجّه نحو دمشق فانتزعها من «بدر بن عبدالله الإخشيدي» في أواخر سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨م[2]. ثم كانت الحرب سجالاً بين عسكره وعسكر ابن طغج حتى تمّ الصلح بينهما في أواخر سنة ٣٢٨هـ/٩٣٩م. على أن تكون مدينة الرملة وما دونها للإخشيد، وأن يكون ما فوق الرملة من بلاد الشام بما فيها دمشق لابن رائق[3]، وبذلك كان «لبنان» بكامله في حوزة ابن رائق.

وحين تُوفّي «الراضي» وتولّى «المتّقي لله» الخلافة في شهر شعبان ٣٢٩هـ/٩٤٠م. كتب إلى «ابن رائق» يستدعيه إلى بغداد ليتولّى إمرة الأمراء، وقبل أن يعود إليها قام بإضافة ساحل الشام والأردن إلى عمل «بدر بن عمّار» صاحب طرابلس، مكافأة له على إخلاصه في حربه للإخشيدية، فمدحه «ابن عمّار» بقوله:

حسامٌ «لابن رايق» المُرجّى   حسام «المتّقي» أيام صالا[4]

وكان الشاعر «المتنبّي» بضيافة «ابن عمّار» في ذلك الوقت بطبرية، فهنّأه بأبياتٍ على إضافة صور وعمل الأردن إلى عمله[5].

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٧/٥١١.
(٢) الولاة والقضاة ـ ص٢٨٩، الكامل في التاريخ ٨/٣٦٣.
(٣) تكملة تاريخ الطبري ١١٧، الولاة والقضاة ٢٩٠، الكامل لابن الأثير ٨/٣٦٤، ولاة مصر ٣٠٧، المختار من ولاة مصر للدكتور إبراهيم العدوي ـ ص٧٠، طبعة وزارة الثقافة، نشرته دار المعرفة، مدينة الرملة ٨٩.
(٤) الوافي بالوفيات ٣/٦٩.
(٥) ديوان المتنبّي، بشرح البرقوقي ١/١٣٦.

(٤)
«لبنان»
في العهد الإخشيدي
(٣٣٠-٣٥٨هـ/ ٩٤١-٩٦٩م)

خرج لبنان من جديد ـ وللمرّة الأخيرة ـ من أيدي العباسيّين اعتبارًا من سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م. حين توفي القائد العباسي «محمد بن رائق»، إذ اغتنم والي مصر «محمد بن طغج»[1] الفرصة وأعلن استقلاله في الحكم وضمّ بلاد الشام إليه، وفي سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م. اعترف له الخليفة العباسي «المستكفي» بالولاية على مصر والشام، ومنحه لقب «الإخشيد»[2]. وبذلك أصبح «لبنان» مرة أخرى تابعًا للحكم الجديد في مصر، على غرار ما حصل في عهد الحكم الطولوني من قبل.

غير أنّ الحمدانيّين أصحاب الموصل بالعراق[3] نازعوا الإخشيديّين سيطرتهم ونفوذهم في بلاد الشام، وتمكّن «سيف الدولة الحمداني» من

---

(١) هو من أصل فرغاني، كان واليًا على الرملة (٣١٦هـ/ ٩٢٨م) ثم الشام (٣٢١هـ/٩٣٣م). ثم مصر (٣٢٣هـ/٩٣٥م).
(٢) الإخشيد: كلمة تركية معناها «بياض الشمس» (القاموس الإسلامي ـ أحمد عطية الله ١/٤٧، القاهرة ١٩٦٣).
(٣) أسّس الحمدانيّون دولتهم سنة ٣١٧هـ/٩٢٩م. على يد «حمدان بن حمدون» زعيم قبيلة تغلب العربية، واتّخذوا مدينة الموصل عاصمة لهم، ثم أصبحت حلب عاصمة لهم على يد سيف الدولة علي بن أبي الهيجاء.

الاستيلاء على حلب سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م[1]. ثم استولى على حمص بعد أن هزم العسكر الإخشيدي بقيادة «كافور»، وفرّ أمير حمص «إسحاق بن إبراهيم بن كَيَغْلَغ» والتجأ إلى طرابلس[2]. وواصل سيف الدولة تقدّمه جنوبًا إلى بعلبك بهدف الوصول الى دمشق والاستيلاء عليها، فدخل عن طريق «البقيعة» إلى «البقاع»، وأقام مُعَسْكره عند «عين الجر» (عنجر)، ومن هناك، ضرب حصارًا على دمشق وغوطتها، وكتب إلى أهلها كتابًا فقرىء على منبر الجامع الأموي، وأُرسلت نسخة منه إلى «الإخشيد محمد بن طغج» في مصر، ونصّه: «بسم الله الرحمن الرحيم. من سيف الدولة أبي الحسن، إلى جماعة الأشراف والعلماء والأعيان والمستورين بمدينة دمشق، أطال الله بقاءكم، وأدام عزّكم وسعادتكم وكفايتكم ونعمتكم. كتابنا إليكم من المعسكر المنصور بظاهر عين الجرّ، عن سلامة وجميل كفاية، لمولاها خالص الدعاء والشكر. وقد علمتم - أسعدكم الله - تشاغُلي بجهاد أعدائي وأعداء الله الكَفَرَة وسبيلهم، وقَتْلي فيهم، وأَخْذي أموالهم، وتخريبي ديارهم، وقد بلغكم خبر التوانين في هذه السنة، وما أولانا الله وخوّلناه وأظفَرَنا به. واستعملت فيهم السُّنّة في قتال أهل الله، فما اتّبعت مُدْبرًا، ولا دفعت على جريح، حتى سلم من قد رأيتم. وقد تقدّمنا إلى «وشّاح بن تمام» بصيانتكم وحفظكم، وحَوْط أموالكم، وفتح الدكاكين وإقامة الأسواق، والتصرُّف في المعاش إلى حين موافاتنا، إن شاء الله»[3].

ولكن أهل دمشق لم يُذعنوا لسيف الدولة، وخرج الإخشيد من مصر لدفعه عن دمشق، فوجده قد رحل عن معسكره في عين الجرّ، فلحِقَ به، إلى

(١) تكملة تاريخ الطبري - محمد بن عبد الملك الهمداني - تحقيق ألبرت يوسف كنعان ص١٤٥، بيروت ١٩٦١.

(٢) العيون والحدائق ٣٩٨/٤.

(٣) نُخَب تاريخية عن سيف الدولة لكانار ٢٧، ٢٨.

قِنَّسرين، فالتقيا ولم يظفر أحدهما بالآخر[1]. وعاد سيف الدولة إلى حَلَب، وما كاد يستقرّ بها حتى قام البيزنطيّون بهجوم على إقليم الثغور الشامية، فخرج إليهم وقاتلهم بالغرب من مَرْعَش.

ويبدو أنّ موقف الجهاد ضدّ البيزنطيين، الذي تحمّل أعباءه سيف الدولة دفاعًا عن المسلمين في شمال الشام، كان له أثره في نفس الإخشيد، فنراه يغلّب مصلحة العالم الإسلامي على مصلحته الخاصة[2]. فعقد صلحًا مع سيف الدولة في ربيع الأول سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م. ينصّ على أن تكون دمشق تابعة للإخشيد، ومعها أعمالها، بما في ذلك طرابلس وبيروت[3]. على أن تكون حلب وشمال الشام لسيف الدولة[4]. وهكذا دخل «لبنان» بسواحله وبقاعه تحت السيادة الإخشيدية، فكان يتولّى على مدنه الرئيسة مثل طرابلس وبيروت وصيدا وُلاة وعُمّال أو أمراء من قِبَل ملوك مصر، ويتمتّعون بكامل سلطاتهم في الحكم الذاتي لمدنهم وما يتبعها من أعمال، متساوين في كثير من الأحيان بوُلاة دمشق وأمرائها. أما بعلبك فيخضع واليها أو عاملها لسلطة والي دمشق نظرًا لقربها وموقعها. أما صور فكانت تلحق - في الغالب - بوُلاة فلسطين، والأردنّ.

ومن أهم الأحداث التي شهدها «لبنان» في العهد الإخشيدي، حملة

(١) الكامل لابن الأثير ٤٤٩/٨.

(٢) العالم الإسلامي في العصر العباسي. د. حسن أحمد محمود وأحمد إبراهيم الشريف ص٤٤٠، القاهرة ١٩٦٦.

(٣) الحركة الصليبية - د. سعيد عبد الفتاح عاشور ٥٧/١، القاهرة ١٩٦٣، طرابلس الشام - د. سيد عبد العزيز سالم ٤٤.

(٤) قيل إن الشام شامان: أعلى وأسفل. أما الأعلى فمن حلب وحماه وحمص وشيزر وكفرطاب وخناصره وقاصرين إلى الرحبة. وأما الأسفل فمن بيت المقدس وعسقلان ونابلس وعكة وصور إلى طرابلس. (شروح سقط الزَّنْد - آثار أبي العلاء - السفر الثاني ق١٢١٦/٣ طبعة الدار القومية ١٩٦٤ بالقاهرة، أصدرته وزارة الثقافة والإرشاد القومي).

الإمبراطور البيزنطي «نيقفور» التي وصل فيها إلى مدينة طرابلس بطريق البرّ.

حملة الإمبراطور «نيقفور» على طرابلس (٣٥٧-٣٥٨هـ/ ٩٦٨م)

تولّى القائد البيزنطي «نيقفور فوكاس» عرش الإمبراطورية في ١٦ آب (أغسطس) ٩٦٣م. بعد أن توّج حياته العسكرية بالاستيلاء على جزيرة كريت سنة ٩٦١م. ثم احتلال حلب سنة ٩٦٢م. وقام باسترداد معظم الثغور والحصون في كيليكية بآسية الصغرى، والإقليم الممتدّ بين نهر الفرات وبين جبل «أمانوس»[١].

وفي سنة ٣٥٤هـ/٩٦٥م. تابع نشاطه العسكري، فاستولى على المصّيصة وقتل من أهلها مقتلة عظيمة، وساق من بقي من الرجال والنساء والصبيان إلى بلاده، وكانوا نحو مائتي ألف شخص[٢]. ثم دخل طَرَسوس وجعل مسجدها الجامع إصطبلاً لدوابّه، وأحرق منبره[٣].

وفي سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م. تُوُفّي سيف الدولة عليّ الحمداني صاحب حلب، ولم يخلفه فيها من هو مثله شجاعة وإقدامًا ورَهْبَةً في البيزنطيّين. ووجد «نيقفور» الفرصة مُواتية للقيام بحملة جديدة إلى بلاد الشام، على أمل الوصول إلى بيت المقدس، حيث كانت الروح الصليبية بدأت تسري في عاصمة الإمبراطور[٤]. فقد ضعُف الحمدانيّون، وتطلّع البُوَيهيّون[٥] للاستيلاء

(١) الدولة البيزنطية - ص٤٠٠ وجبل أمانوس هو المعروف الآن بألماطاغ - أو الجبل الأقرع في شمال الشام عند خليج اسكندرونة.
(٢) تجارب الأمم ٢/٢١١.
(٣) المصدر نفسه.
(٤) الدولة البيزنطية ٤١٩.
(٥) البُويهيّون: أسرة فارسية أسّسها أبو شجاع بُوَيه، وجُلّ أفرادها من الديلم، وهو والد ثلاثة إخوة: علي، الحسن، أحمد، وهم الذين أسّسوا الدولة البويهية أولاً في الهضبة الإيرانية ثم في =

على الموصل، في الوقت الذي كان فيه القادة الأتراك يتنازعون فيما بينهم من أجل الوصاية على أبي المعالي ابن سيف الدولة[١] بالإضافة إلى بدء المدّ الفاطمي الذي أخذ يتّجه نحو مصر الإخشيدية.

في خِضَمّ هذه الظروف الحرجة التي كان فيها المسلمون، قدِم «نيقفور» مجدّدًا إلى الشام في أواخر سنة ٣٥٧هـ. فهزم عسكر حلب، ودخل «معرّة النعمان» وخرّب جامعها وأكثر دُورها، وفعل مثل ذلك في «مَعَرّة مصرين»[٢] ولكنّه أمّن أهلها من القتل، وكانوا ألفًا ومائتي نفس[٣]، وأسرهم وسيّرهم إلى بلد الروم، ثم سار إلى كفر طاب، وشَيْزَر، وأحرق جامعها، ثم إلى حماه، ففعل مثل ذلك، ثم إلى حمص، وأسر عندها من وصل من فلول العسكر وغيرهم، ووصل إلى «عِرْقة» فحاصرها تسعة أيام، وكان لها حصن منيع، ففتحه بالسيف وأخذ منه خلقًا كانوا التجأوا إليه من البلاد المجاورة له، وأخذ منه مالاً كثيرًا. وكان في الحصن أمير طرابلس، وهو أبو الحسن أحمد بن نحرير الأرغلي، لأنّ أهل طرابلس كانوا قد طردوه لجوره، وكان معه ضبنة[٤] كثيرة ومال جزيل، فأسره وأخذ جميع ماله، ثم نفذ إلى

= العراق، دخل أحمد بغداد سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥م. ودام نظام الحكم الذي أقامه حتى سنة ٤٤٧هـ/١٠٥٥م. وقد أنعم الخليفة العباسي عليه وعلى أخويه بألقاب شرقية هي: معزّ الدولة علي، وعماد الدولة الحسن، وركن الدولة أحمد. وهم شيعة (دائرةالمعارف الإسلامية ٨/٤٥٩ وما بعدها).

(١) الحاكم بأمر الله الخليفة المفترى عليه - د. عبد المنعم ماجد - ص١٢٩ - القاهرة ١٩٥٩.
(٢) مَعَرَّة مصرين: بُليدة وكورة بنواحي حلب ومن أعمالها، بينهما نحو ٥ فراسخ. (معجم البلدان).
(٣) زبدة الحلب من تاريخ حلب، لابن العديم - نشره د. سامي الدهّان - ج١/١٥٨ - دمشق ١٩٥١، وذكر الذهبي أنهم أربعة آلاف ومائتي نفس. (حاشية تجارب الأمم ٢/٢٥٤).
(٤) الضبنة: ضبن الهديّة كفّها لغة، في الضاد وأضبنه: أزمنه. والشيء جعله في ضبنة كاضطبنه وضيّق عليه. (القاموس المحيط) والمعنى أنه جمع المال واختزنه في خزائن، ولم ينفق منه لبخله.

طرابلس، فنزل عليها يوم عيد الأضحى، وهو العاشر من ذي الحجة سنة ٣٥٧هـ. وأقام عليها تلك الليلة، وأحرق ربضها ورجع إلى بلدان الساحل فأتى عليها، وحصل في يده من السبي ما لا يُحصَى عدده، وأخذ حصون: أنطرطوس، ومَرَقْية[1] وجَبَلة، وصالح أهل اللاذقية على مالٍ دفعوه، وخرّب من القرى ما لا يُحصى، وعبر أنطاكية عائدًا، وهناك ميّز السبي الذي معه، وأعتق عليها من الشيوخ والعجائز زهاء ألف نفس، وبنى حصن «بغراس»[2] مقابل أنطاكية في فم الدرب[3] ورتّب فيه رئيسًا يقال له «ميخائيل البرجي»، ورسم لسائر أصحاب الأطراف طاعته، ورتّب معه ألف رجلٍ، ورجع هو إلى القسطنطينية[4].

أمّا عند «ابن الأثير» فيختلف خطّ سير الحملة عمّا عند «الأنطاكي» وهو يقول إن ملك الروم سار في البلاد إلى طرابلس، وأحرق بلدها[5]، وحصر قلعة عرقة، فملكها ونهبها وسبى من فيها. وكان صاحب طرابلس قد أخرجه أهلها لشدّة ظلمه، فقصد عرقة فأخذه الروم وجميع ماله، وكان كثيرًا، وقصد حمص، وكان أهلها قد انتقلوا عنها وأخلوها، فأحرقها ملك الروم، ورجع إلى بلدان الساحل فأتى عليها نهبًا وتخريبًا، وملك ثمانية عشر منبرًا، فأمّا القرى فكثير لا يُحصى، وأقام في الشام شهرين يقصد أيّ موضع شاء ويخرّب ما شاء، ولا يمنعه أحد. فأراد أن يحصر أنطاكية وحلب، فبلغه

(١) مَرَقية: بفتح أوله وثانيه، قلعة حصينة في سواحل حمص، كانت خربة فجدّدها معاوية ورتّب فيها الجُنْد وأقطعهم القطائع. (معجم البلدان).

(٢) بغراس: مدينة في لحف جبل اللُّكّام بينها وبين أنطاكية ٤ فراسخ على يمين القاصد إلى أنطاكية من حلب في البلاد المطلّة على نواحي طرسوس (معجم البلدان).

(٣) الدرب: يُقصد به المضيق ما بين طرسوس وبلاد الروم. (معجم البلدان).

(٤) تاريخ يحيى بن سعيد الأنطاكي - بتحقيقنا - طبعة جرّوس برسّ - طرابلس ١٩٩٠ - ص١٢٥- ١٢٧.

(٥) هكذا في متن الكامل لابن الأثير ٥٩٦/٨، وفي الحاشية: «أحرق ربض طرابلس» وهو الأصح في رأينا.

أنّ أهلها قد أعدّوا الذخائر والسلاح وما يحتاجون إليه، فامتنع من ذلك وعاد ومعه من السبي نحو مائة ألف رأس، ولم يأخذ إلاّ الصبيان والصبايا والشبّان، فأما الكهول والشيوخ والعجائز، فمنهم من أطلقه[1].

ويقول المؤرّخ اليوناني «لاون بن باسيليوس» وهو معاصر لحملة نيقفور[2] إنه اجتاز بلبنان إلى طرابلس فلم يتيسّر له فتحها لمناعتها ولتأخُّر سفنه عن الوصول إليها، فمضى إلى عرقة وكانت محصّنة بثلاثة أبراج، فحاصرها تسعة أيام وأخذها وغنم غنائم كثيرة كانت فيها[3].

ومن رواية «لاون» يتّضح أن الحملة كانت بريّة - بحرية، وأنّ خطّة نيقفور في الوصول إلى بيت المقدس قد فشلت فشلاً ذريعًا، وأقصى ما وصله إليه هو ضواحي طرابلس، فلم يتمكّن من الاستيلاء على المدينة ولهذا انتقم من أهلها بتخريب وإحراق رَبَضها[4].

سقوط الدولة الإخشيدية

اغتنم الفاطميّون فرصة ضعف الدولة الإخشيدية، خاصّة بعد وفاة «كافور» إذ تولّى الحكم من بعده «أبو الفوارس أحمد» حفيد الإخشيد «محمد بن طغج» وهو طفل لم يبلغ من العمر أحد عشر عامًا، فأخذوا

(١) الكامل لابن الأثير ٥٩٦/٨، ٥٩٧، وفي تاريخ الزمان لابن العبري ٦٦ أن الأسرى كانوا ألفًا.

(٢) كان موجودًا في القسطنطينية سنة ٥٥- ٣٥٦هـ/٩٦٦م.

(٣) تاريخ سورية، للمطران يوسف الدبس ٤٤٨/٥، ٤٤٩.

(٤) ذيل تجارب الأمم، للروذراوري - نشره آمدروز - ج١٣/٣ - مصر ١٩١٦، تكملة تاريخ الطبري للهمداني - ج٢٠١/١، الكامل ٥٩٦/٨ بالحاشية، تاريخ الزمان لابن العبري ٦٦، زبدة الحلب لابن العديم ١٥٨/١ وفيه: إن أهل طرابلس هم الذين أحرقوا ربضهم. والبداية والنهاية لابن كثير ٢٦٨/١١ وفيه: إن نيقفور «دخل طرابلس فأحرق كثيرًا منها وقتل خلقًا» والصحيح أنه دخل ربض طرابلس أي ضواحيها وليس المدينة نفسها. وهذا يؤكّده الأنطاكي وهو أقرب المؤرّخين المعاصرين، وكذلك «لاون بن باسيليوس» المؤرّخ اليوناني.

يتطلّعون نحو مصر ليُخضعوها لحكمهم، وتحقّق لهم ذلك في خلافة المعزّ لدين الله الفاطميّ الذي بعث قائده « جوهر الصِقلّي » على رأس جيش استطاع أن يُنزل بالإخشيديّين في مصر هزيمة ساحقة بفضل جيشه المنظّم، وقضى على الحكم الإخشيدي في مصر سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م. ثم قام « جوهر » بتأسيس « قاهرة المعزّ » لتصبح العاصمة الجديدة للدولة الفاطمية، وثالث عاصمة للخلافة في العالم الإسلامي، إلى جانب بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وقرطبة عاصمة الخلافة الأموية في الأندلس.

وكان على الفاطميين بعد أن انتزعوا مصر، أن ينتزعوا بلاد الشام من بقايا الإخشيديّين، ليصبحوا بعد ذلك على أبواب عاصمة العبّاسيّين، وكانت الفرصة مهيّأة لهم، إذ كان الإخشيديّون في الشام، ما يزالون يعانون من هزيمة لحقت بهم أمام الروم والقرامطة سنة ٣٥٧هـ/٩٦٨م. ولهذا أسرع القائد « جوهر » بإنفاذ حملة إلى الشام في أواخر سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م. بقيادة « جعفر بن فلاح الكتاميّ » تمكّنت من دخول دمشق في السنة التالية ٣٦٠هـ/٩٧١م.

ويبدو أنّ « لبنان » بمدنه الرئيسة قدّم ولاءه للفاطميّين قبل سقوط دمشق بفترة، فحين جاء « جعفر بن فلاح » لقتال الإخشيديين واستولى على الرملة وطبرية، كتب إلى أمير بيروت والغرب « المنذر بن النعمان » الملقّب بسيف الدولة يدعوه إلى بيعة مولاه المعزّ، فأجابه الأمير جواباً لطيفاً. وبعد أن استولى « ابن فلاح » على دمشق سار إليه أمير بيروت، فخلع عليه وأقرّه على أعماله[1].

ودخلت صور بجوزة « ابن فلاح » في أواخر سنة ٣٥٨هـ أو أوائل ٣٥٩هـ. ونستنتج ذلك مما ذكره « الأنطاكي » في تاريخه، أنّ « تبر الإخشيدي » خرج بمصر على « جوهر الصقلّي » ودخل الفَرَما ونهبها، وحين

(١) أخبار الأعيان، للشدياق ٢/٥٠٠.

أخرج « جوهر » الجيوش لقتاله، فرّ في البحر يريد بلاد الروم، فتصدّى له رجل من أهل صور يُدعى « ابن أبان » في جماعة فأخذه وسلّمه إلى « ابن فلاح » في الشام، ومنها نُقل إلى مصر حيث سُجن إلى أن مات[1]. مما يعني أن صور دخلت في تبعيّة الدولة الفاطمية في وقت مبكر دون قتال.

أما طرابلس، فقد مرّ معنا أنّ أهلها طردوا أميرهم الإخشيدي « ابن نحرير الأرغلي » سنة ٣٥٧هـ. لشدّة ظلمه، وتعرّضت المدينة لحملة الإمبراطور البيزنطي « نيقفور » فكان أهلها بحاجة إلى دولة قويّة تشدّ من أزرهم في البرّ والبحر، ووجدوا أنّ الدولة الفاطمية هي القادرة على ذلك بجيشها وأسطولها، ولهذا أعلنوا ولاءهم للخليفة الفاطمي دون أيّ قتال، وكذلك فعلت عِرْقة والنواحي الشمالية من « لبنان ».

وكذلك قدّمت صيدا ولاءها للفاطميين وهي بإمرة صاحبها « ابن الشيخ » الذي نراه يقاتل إلى جانبهم ضدّ أمير دمشق التركي « هفتكين » كما سيأتي في كتابنا القادم، عن (« لبنان » في العصر الفاطمي).

ويمكن القول إن بعلبك والبقاع، والجنوب دخل بجوزة الدولة الفاطمية قبل سقوط دمشق، مما يجعلنا نرجّح أن « لبنان » بكامله خضع للدولة الجديدة بين سنتي ٣٥٨-٣٥٩هـ/٩٦٩-٩٧٠م.

ومع دخول « لبنان » تحت لواء الدولة الفاطمية، توضّحت بعض ملامح مجتمعاته الطوائفية والمذهبية، حيث أصبح سكّانه من المسلمين السُّنّة في المدن الرئيسية على الساحل: عرقة، طرابلس، جبيل، جونية، بيروت، صيدا، صور، وفي بعلبك، وأعمالها، والبقاع، وإقليم « الغرب » التنوخي، وفي أنحاء من

(١) تاريخ الأنطاكي (بتحقيقنا) ص١٤٤- ١٤٥ وانظر: المقفّى للمقريزي - اختيار وتحقيق محمد اليعلاوي - ص٢١٧ رقم ٢٣ - طبعة دار الغرب، بيروت ١٩٨٧، وعيون الأخبار وفنون الآثار - السبع السادس، للقاضي النعمان - ص١٦٩- ١٧١ حيث يسمّيه: « زبر الإخشيدي ».

الجنوب حيث كان ينتشر مذهب « سفيان الثوري »[١]، وكان الشيعة في بعض المدن مثل عرقة، وطرابلس، وصور، وفي نواحٍ من عكار والظنّيّة والبقاع، والجنوب. وبقي الروم الملكية من النصارى في المدن الساحلية، وإقليم الكورة في الجنوب الشرقي من طرابلس، وفي بعلبك وأعمالها، والبقاع. أمّا القرامطة فتجمّعوا في سفوح جبال حوران بإقليم العرقوب جنوبي البقاع وأطراف وادي التّيم. في حين تزايد الموارنة من النصارى في جبل « لبنان » لاستمرار حركة نزوجهم من نواحي حماه وبلاد الشام الشمالية حيث وفّر لهم الجبل الحماية والاستقرار بمواجهة الضغوط البيزنطية وغيرها[٢]. ولهذا يقول « المسعودي » إنّ أمرهم كان مشهورًا، في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، وأكثرهم بجبل لبنان وسنير وحمص وأعمالها كحماة وشيزر ومعرّة النعمان[٣]. ولا ننسى الإشارة إلى بعض التجمّعات القليلة لليهود في طرابلس وبيروت. وكان التعايش وحُسْن الجوار يسود بين الطوائف والمذاهب في أنحاء « لبنان ».

---

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم للمقدسي - ص١٨٨.
(٢) منطلق تاريخ لبنان للدكتور الصليبي ٦٤.
(٣) التنبيه والإشراف ١٣١.

القسم الثاني
التاريخ الحضاري

- « لبنان » في كتابات المؤرّخين والجغرافيّين المعاصرين
- جبال « لبنان » موطن الزُّهّاد والعُبّاد
- المظاهر العمرانية والاجتماعية والثقافية في المدن والقرى « اللبنانية »

(١)

« لبنان »

في كتابات المؤرّخين والجغرافيّين المعاصرين

حظي « لبنان » بكتاباتٍ متنوّعة عند المؤرّخين والجغرافيّين والأدباء المعاصرين لهذه الحقبة التي نؤرّخ لها في هذا الكتاب، وكانت مَحاور تلك الكتابات تدور حول جبال « لبنان » وسواحله، واتّخاذه موطنًا للزُّهّاد والعُبّاد، ومُرابَطًا للغُزاة والمجاهدين في سبيل الله، وحول مواقع مدنه وتحصيناتها، والمراحل البريديّة التي تفصلها عن بعضها، وأشهر صناعاتها، وتَوَزُّع الأُمَم والقبائل فيها ومِن حولها، وتقسيماته الإدارية، مع الإعجاب بقلعة بعلبك وآثارها، والتأكيد على قُدْسيّة جبل « لبنان »، ولذاذة تُفّاحه، وعُذُوبة مياهه، وكثرة ثماره، وكثافة أشجاره، وارتفاع قممه، وما قاله الشعراء في ذلك.

وفي هذه الدراسة سنحاول أن نستعرض تلك الكتابات والنصوص التاريخية - على تنوُّعها - بشكلٍ لا نخرج فيه عن وحدة الموضوع، فنؤلّف بينها وحدة مترابطة نقف منها على صورة « لبنان » الطبيعية في ذلك العصر، مع أبرز معالمه الجغرافية، والإدارية، والزراعية، والصناعية، والاجتماعية.

قداسة جبل « لبنان »

لقد بالغ المؤرّخون والجغرافيّون المسلمون في وصف جبل « لبنان » وقُدْسيَّته، فذهبوا إلى أنه أحد جبال الجنّة، وأنه أحد الجبال الثمانية التي تحمل

العرش، وأنه أحد أربعة جبالٍ بُني البيتُ الحرام منها.

ففي حديثٍ رفعه المؤرّخ والمفسّر «الطبري» المتوفّى سنة ٣١٠هـ، عن ابن عباس قال: «إنّ آدم عليه السلام بنى البيت الحرام من أربعة جبال، منها لبنان».

وفي رواية عن ابن عباس ايضًا أن البيت الحرام بمكة أُسِّس على خمسة أحجار، منها حجر من لبنان.

وقيل إنّ «لبنان» من جبال الجنّة الأربعة، بل قيل في تفسير الآية الكريمة: ﴿وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَانِيَةٌ﴾[1] إن جبل «لبنان» هو أحد الجبال حَمَلَة العرش يوم القيامة.

وفي حديث من طريق أبي أحمد بن عديّ المتوفّى سنة ٣٦٥هـ. مرفوعًا: «أربعة أَجْبُل من جبال الجنّة، وأربعة أنهار من أنهار الجنة وأربعة ملاحم من ملاحم الجنة، قيل: فما الأَجْبُلُ يا رسول الله؟ قال: أُحُدٌ جبل يحبّنا ونُحبّه جبل من جبال الجنة، والطُّور جبل من جبال الجنة، ولبنان جبل من جبال الجنة...»[2].

وجاء في كتاب «البلدان» لابن الفقيه الهمداني المتوفّى سنة ٢٨٤هـ. قال قَتَادة: بُنِيت الكعبة من خمسة أجبُل: طُورسينا وطور زيتا، وأُحُد، ولبنان، وحِراء، وثبير[3].

(١) سورة الحاقّة، الآية ١٧.
(٢) أنظر: أخبار مكة، للأزرقي - ج١/٥، وتاريخ الطبري - ج١/١٢٤، وتاريخ دمشق لابن عساكر - تحقيق د.صلاح الدين المنجّد - ج٢/١٢٠ و١٢٣ و١٢٤، والمنازل والديار، لأسامة بن منقذ - ص٣٥٦، والأعلاق الخطيرة في أمراء الشام والجزيرة، لابن شدّاد (قسم لبنان) - ص٣٥، والكامل في التاريخ لابن الأثير - ج١/٣٨.
(٣) مختصر كتاب البلدان - ص١٠٥.

وقيل إن جبل «لبنان» كان عصمة الأنبياء وموضع مُناجاتهم ومحلّ كراماتهم، لا سيما موسى عليه السلام - وكان يُعرف بصاحب جبل لبنان - وكذلك هارون، ويوشع بن نون عليهما السلام، فقد نقل ابن قُتيبة الدّينَوَري المتوفّى سنة ٢٦٦هـ. في كتابه «عيون الأخبار» عن التوارة: «أوصى الله تعالى إلى موسى عليه السلام بطور سيناء: يا موسى بن عمران صاحب جبل لبنان، أنت عبدي وأنا إلهك الدّيّان»[1].

وذكر أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله المعروف بابن خُرْداذَبَه، المُتَوَفّى في حدود سنة ٣٠٠هـ. أن مبتدأ سفينة نوح عليه السلام، كانت من جبل لبنان، ثم استوت على الجُودِيّ[2].

وهذه الأحاديث والروايات كلّها ضعيفة وغير صحيحة عند أهل الحديث، ولكنّنا نذكرها للدلالة على الأهميّة التي حظي بها جبل «لبنان» عند المسلمين.

«لبنان» عند ابن الفقيه

يذكر «ابن الفقيه الهمداني» «لبنان» في كتابه «مختصر البلدان» بقوله: «وبدمشق: لبنان، وهو الجبل الذي يكون عليه العُبّاد والأبدال، وعليه من كل الثّمُر والفواكه، وفيه عيون كثيرة عذبة، وهو متّصل ببلاد الروم».

(١) عيون الأخبار - ج٢/٢٦٦.
(٢) المسالك والممالك لابن خُرداذبه - ص٧٦، وفي ذلك يقول «أميّة بن أبي الصَّلْت الأندلسي»:

مُنْج ذي الخير من سفينة نوح ... يومِ بانت لبنانُ من أُخْراها
فارتنّوره وجاش بماءٍ ... طمّ فوق الجبال حتى علاها
قيل للعبد: سر، فسار، وبالله ... على الهَوْل سيرُها وسُراها
قيل: فاهبِطْ فقد تناهت بك ... الفُلْكُ على رأسٍ شاهقٍ مُرساها

(البدء والتاريخ ٣/٢٤)

« وسواحل دمشق ستّة ، منها : صيدا ، وبيروت ، وأطْرابُلُس ، وعِرقة .

وصور : منبرها إلى دمشق وخراجها إلى الأردن » .

« قالوا : من عجائب الشام أربعة اشياء : بُحَيرة الطبرية ، والبُحَيرة المُنْتِنة ، وأحجار بعلبك ، ومنارة الإسكندرية ، فأمّا أحجار بعلبك فإنّ فيها حجرًا على خمسة عشر ذراعًا أقل أو أكثر ، ارتفاعه في السماء عشرة أذرع في عرض خمسة عشر ذراعًا في طول خمسة وأربعين ذراعًا ، هذا حجر واحد في حائط »[1] .

« لبنان » عند « اليعقوبي »

ويهتمّ المؤرخ والجغرافيّ « ابن واضح اليعقوبي » المتوفّى سنة ٢٨٤هـ . بالأصول السكانية في مدن « لبنان » ، فيقول :

« بعْلَبَكّ : وأهلها قوم من الفُرس ، وفي أطرافها قوم من اليمن ، وجبل الجليل وأهلها قوم من عاملة ، ولبنان صيدا ، وبها قوم من قريش ومن اليمن . وجُنْد دمشق من الكُوَر على الساحل : كورة عِرْقَة ولها مدينة قديمة فيها قوم من الفُرْس ناقلة ، وبها قوم من ربيعة من بني حنيفة . ومدينة أطرابلس أهلها قوم من الفُرْس كان معاوية بن أبي سفيان نقلهم إليها ، ولهم مينا عجيب يحتمل ألف مركب . وجبيل وصيدا وبيروت وأهل هذه الكُوَر كلها قوم من الفرس نقلهم إليها معاوية بن أبي سفيان » .

« وجُنْد الأردنّ من الكُوَر : صور ، وهي مدينة السواحل ، وبها دار الصناعة ، ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم ، وهي حصينة جليلة ، وأهلها أخلاط من الناس » .

« ومدينة بعلبك : وهي إحدى مدن الشام الجليلة وبها بُنْيان عجيب

(١) مختصر كتاب البلدان - ص١١٧ و١١٨ .

بالحجارة ، وبها عين عجيبة يخرج منها نهر عظيم ، وداخل المدينة الأجِنّة والبساتين »[1] .

« لبنان » عند « ابن خُرْداذبه »

ويكتفي « ابن خُرداذبه » المتوفّى بحدود سنة ٣٠٠هـ . بتوضيح وضع المدن « اللبنانية » من ناحية التقسيمات الإدارية في القرن الثالث الهجري ، فيقول :

« كورة دمشق وأقاليمها : مدينة بعلبك والبقاع . وإقليم لبنان ، وكورة جونيه ، وكورة طرابلس ، وكورة جبيل ، وكورة بيروت ، وكورة صيدا .

كورة الأردن : كورة صور » .

ثم تتبّع المسافات وطُرق المواصلات ، فقال :

« .. ومن حمص أيضًا إلى دمشق على طريق البقاع ، من حمص إلى جوسية ثلاثة عشر ميلاً ، ومن جوسية إلى إيعات عشرون ميلاً ، ومن إيعات إلى بعلبك ثلاثة أميال من بعلبك يَسْرَة على جبل يُسَمَّى رمي خمسون ميلاً . ومن أخذ من بعلبك إلى طبرية على طريق الدراج ، فمن بعلبك إلى عين الجَرّ عشرون ميلاً ، ومن عين الجَرّ إلى القرعون وهو منزل في بطن الوادي خمسة عشر ، ومن قرعون إلى قرية يقال لها العيون تمضي إلى كفرليلى[2] عشرون ميلا ، ومن كفر ليلى[2] إلى طبرية خمسة عشر ميلا »[3] .

(١) البلدان ، لليعقوبي - ص٣٢٥ و٣٢٧ .

(٢) هكذا في المطبوع ، والصحيح « كفركيلى » أو « كفركِلا » .

(٣) المسالك والممالك ، لابن خُرْداذبه - ص٧٧ و٧٨ و٢١٩ .

«لبنان» عند «الإصْطَخْرِيّ»

ويصف «الإصْطَخْرِيّ» المتوفّى في النصف الأول من القرن الرابع الهجري مدن «لبنان» فيقول:

«وصور: بلد من أحصن الحصون التي على شطّ البحر عامرة خصبة، ويقال إنها أقدم بلد بالساحل، وإنّ عامّة حكماء اليونان منها.

ومن جُنْد دمشق: بعلبك، وهي مدينة على جبل، عامّة أبنيتها من حجارة، وبها قصور من حجارة قد بُنيت على أساطين شاهقة ليس بأرض الشام أبنية حجارة أعجب ولا أكبر منها.

وأطرابلس مدينة على بحر الروم عامرة، وهي ذات نخل، وقصب سُكَّر، وخصب.

وبيروت مدينة على شطّ بحر الروم، خصبة، من عمل دمشق، بها كان مُقام الأوزاعي»[1].

لبنان» عند «ابن حوقل»

ويقول «أبو القاسم بن حوقل النصيبي» في «صورة الأرض» الذي كتبه حوالى سنة ٣٦٧هـ/٩٧٧م.:

«ومن حدّ دمشق: بعلبك، وهي مدينة على جبل وعامّة أبنيتها من حجارة، وبها قصور من حجارة قد بُنيت على أساطين شاهقة، وليس بأرض الشام أبنية حجارة أعجب ولا أكبر منها، وهي مدينة كثيرة الخير والغلاّت والفواكه الجيّدة، بيّنة الخصب والرخص، وهي قريبة من مدينة بيروت التي على ساحل بحر الروم، وهي فُرضتها وساحلها، وبها يرابط أهل دمشق وسائر

(١) مسالك الممالك، للأصطخري - ص٤٥ و٤٦ و٤٨، وكتاب الأقاليم، له - ص٣٢ و٣٣ و٣٥.

جُنْدها وينفرون إليهم عند استنفارهم، وليسوا كأهل دمشق في جساء (جفاء) الأخلاق وغِلظ الطباع. وفيهم مَن إذا دُعي إلى الخير أجاب وأصغى، وإذا أيقظه الداعي أناب.

وببيروت هذه كان مقام الأوزاعيّ، وبها من النخيل وقصب السُكَّر والغلاّت المتوافرة وتجارات البحر عليها دارّة واردة وصادرة، وهي مع حصنها حصينة منيعة السُّور، جيّدة الأهل، مع مَنَعَة فيهم في عدوّهم، وصلاح في عامّة أمورهم.

ومدينة صور من أحصن الحصون التي على شطّ البحر، عامرة خصبة، ويقال إنه أقدم بلد بالساحل، وإن عامّة حكماء اليونانية منها»[1].

«لبنان» عند «المقدسي»

ويمكن القول إن أكثر الرحّالة الجغرافيّين الذين أسهبوا في وصف «لبنان» ومُدُنه بأكثر ممّن سبقوه هو «المقدسي» المعروف بـ«البشاري» صاحب كتاب «أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم» والمتوفّى سنة ٣٩٥هـ. فالمعلومات التي ذكرها شاهدها بنفسه في رحلته خلال النصف الأول من القرن الرابع الهجري، حيث طوّف في «لبنان» من جنوبه إل شماله، وصَحِب عُبّاد جَبَل «لبنان» كما يصرّح في كتابه[2]، وهو الذي أعطى أفضل تحديد لموقع جبل «لبنان» عند الجغرافيّين المسلمين، إذ قال إن «لبنان» جبل ساحليّ مشرف على صيدا وطرابلس، وذكر أن جبل عاملة يتّصل بجبل لبنان، وهو ذو قرى نفيسة، وأعناب، وأثمار، وزيتون، وعيون المطر تسقي زروعهم، وهو يُطلّ على البحر. وجبل لبنان متّصل بهذا الجبل، كثير الأشجار والثمار المُباحة، وفيه عيون ضعيفة، يتعبّد عندها أقوام قد بَنوا لأنفسهم بيوتًا من القَشّ،

(١) صورة الأرض، لابن حوقل - ص١٩٢ و١٦٠.
(٢) أحسن التقاسيم - ص٤٤.

يأكلون من تلك المُباحات، ويرتفقون بما يحملون منها الى المدن من القصب الفارسيّ والمرسين وغير ذلك، وقد قلّوا به.

و«المقدسيّ» يعتبر جبال لبنان من الجبال الشريفة، وكذلك جبل الجَوْلان، ويقول: إنّ فيها عبّادًا عند عيون ضعيفة، قد بَنَوا ثَمّ أخصاصًا من القصب والحَلْفاء، إلاّ أنهم يُلْقُونه في الماء حتى يحلو، ثم إذا جفّ طحنوه وخبزوه وأخلطوا عليه شيئًا من شعير ينبت عندهم مُباح. وفي هذين الجبلين ثمار كثيرة، وهو موضع طيّب. وذكر «المقدسيّ» أنه رأى «أبا إسحاق البلّوطي» وهو رئيسهم، فوجده عاقلاً فقيهًا على مذهب «سفيان الثوري»[1].

ويأتي «المقدسي» على ذكر كثير من مواضع «لبنان» وبلاده في صفحات متفرّقة من كتابه، نستعرضها حسب وُرُودها.

● «وأمّا دمشق: فاسم القَصَبَة أيضًا، ومُدنها: بانياس، صيدا، بيروت، أطرابلس، عِرقة، وناحية البقاع، مدينتها بعلبك، ولها: كامد، وعجرموش.

وأمّا الأردن فقصبتها: طبريّة، ومن مدنها، قدس، صور، عكّا، اللّجون.

● «وصيدا وبيروت مدينتان على الساحل حصينتان، وكذلك طرابلس، إلاّ أنها أجَلّ... (و) بعلبك مدينة قديمة فيها مزارع وعجائب معدن الأعناب، وسائر مدنها طيّبة رحاب».

● وجاء في الحاشية: «وجبل لبنان مشرف على صيدا، وطرابلس ساحلية أيضًا، إلاّ أنها أجلّ، وعِرقة حصينة داخل الحصن مزارع وثَمّ عجائب. وبعلبك بعيدة عن البحر، وهي على نهر المقلوب».

(١) أنظر عن «سفيان الثوري» المتوفى سنة ١٦١ هـ. ومصادر ترجمته في: «تاريخ الإسلام ووَفَيات المشاهير والأعلام» للذهبي - بتحقيقنا، الجزء الخاص بحوادث ووفيات (١٦١-١٧٠هـ)، طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
أمّا «أبو إسحاق البلّوطي» فهو: إبراهيم بن حاتم، وسيأتي ذِكره عند الحديث عن الزُّهاد.

● «وقدس: مدينة صغيرة على سفح جبل كثير الخير، رِستاقها جبل عاملة». وقيل: «إلاّ أنّ رستاقها جليل يسمّى جبل عاملة».

● «وجبل عاملة: ذو قُرًى نفيسة، وأعناب، وأثمار، وزيتون، وعيون المطر يسقي زروعهم، يطل على البحر، ويتّصل بجبل لبنان».

● «وصور: مدينة حصينة على البحر، بل فيه، يُدخَل إليها من بابٍ واحد على جسر واحد، قد أحاط البحر بها، ونصفها الداخل حيطان ثلاثة بلا أرض، تدخل فيه المراكب كل ليلة، ثم تُجَرّ السلسلة التي ذكرها «محمد بن الحسن»[1] في كتاب «الإكراه». ولهم ماء يدخل في قناةٍ معلّقة. وهي مدينة جليلة نفيسة،، بها صنائع، ولهم خصائص، وبين عكا وصور شبه خليج، ولذلك يقال: عكا حِذاء صور إلاّ أنك تدور، يعني حول الماء».

وقيل: صور: «بل هي في البحر، لأنه يدور عليها ويدخل إليها على جسر، ويدخل إليهم الماء في قناة معلّقة، وهي نصفان: نصف كبْس، ونصف حيطان في الماء على ما ذكرنا من عكا. وله باب».

«وإنّما تدخل المراكب هذا الحيّز، وتُجرّ السلسلة كي لا يعبر عليها الروم في الليل. وصور مدينة نفيسة، بها صنائع كالبصرة وخصائص، ومنها أكثر سُكّر الشام. ولهم ماء غزير. ومَزارع القصب بها كثير».

● «وأشد هذا الإقليم بردًا بعلبكّ وما حولها، ومن أمثالهم: قيل للبرد: أين نطلبك؟ قال: بالبلقاء، قيل: فإن لم نجدْك؟ قال: بعلبك بيتي»!

وقيل: «بعلبك شديدة البرد».

● «ومن صور: السُكّر، والخَرَز (وقيل: الجزر؟)، والزجاج المخروط، والمعمولات».

(١) هو: محمد بن الحسن السيباني. (أنظر: التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط، للدكتور علي محمود فهمي، ترجمة د. قاسم عبده قاسم، طبعة دار الوحدة ببيروت ١٩٨١، ص٦٢).

● «ومن بعلبك (وقيل: البقاع): المَلابن. وقفيز صور: مُدي إليا، وكَيْلَجتُهم صاع» (ومُدْي إليا هو ثُلثا القفيز، والكَيلَجَة نحو صاع ونصف).

● ولبنان: «وبه معدن حديد في جبال بيروت، وخير العسل ما رَعَى السَّعْتَر بأيليا وجبل عاملة. وماء صور يَحْصُر».

● «وجبل صِدِّيقا بين صور وقدس وبانياس وصيدا، ثم قبر صِدِّيقا، عنده مسجد، له موسم يوم النصف من شعبان، يجتمع إليه خلق كثير من هذه المدن، ويحضره خليفة السلطان. واتّفق وقت كَوْني بهذه الناحية يوم الجمعة في النصف من شعبان، فأتاني القاضي «أبو القاسم بن العباس» حتى خطبت بهم فحثثتهم في الخطبة على عمارة ذلك المسجد، ففعلوا وبَنَوا به منبرًا».

ويحدّد «المقدسي» بعد ذلك المدّة التي كانت يقضيها المسافر من مدينة إلى أخرى، فيقول: «وتأخذ من دمشق إلى طرابلس أو إلى بيروت أو إلى صيدا.. يومين يومين».

«وتأخذ من بيروت إلى صيدا أو إلى طرابلس مرحلة مرحلة».

«وتأخذ من طبرية إلى.. كفركيلا مرحلة مرحلة».

«وتأخذ من جُبّ يوسف إلى قرية العيون[1] مرحلتين، ثم إلى القرعون مرحلة، ثم إلى عين الجرّ مرحلة، ثم إلى بعلبك مرحلة، وهذا يُسمّى طريق المدارج. وتأخذ من الجش إلى صور مرحلة، ومن صور إلى صيدا مرحلة، ومن صور إلى قدس أو إلى مجدل سَلْم بريدين.

ومن جبل لبنان إلى نابلس أو إلى قدس أو إلى صيدا أو إلى صور مرحلة

(١) المقصود قرية «مرج العيون» أو «مرجعيون» المعروفة الآن بجنوب لبنان.

مرحلة»[1].

«لبنان» في الشعر العربي

حفِل الشعر العربيّ بذكر «لبنان» في مختلف عصوره، وقد تجمّعت لدينا حصيلة موفورة من قرائح الشعراء الذين ضمّنوا «لبنان» شعرهم، وتغنّوا به، وضربوا الأمثال بقممه الشامخة، وكثافة أشجاره واخضراره، وضخامته، وعذوبة مياهه، وغزارة أنهاره وجداوله، ونقتطع منها هنا ما يقع من شعر الشعراء والأدباء خلال هذه الفترة التي نؤرّخ لها للدلالة على شهرة موقعه في ذلك العصر.

ومن ذلك ما قاله أحد القدماء من شعراء «ديوان الحماسة» لأبي تمام حبيب بن أوس الطائيّ:

كأنّ الشماريخ العُلا من صَبيره ... شَمَاريخُ من لبنان بالطول والعرض[2]

وذكر البُحْتُريّ جبل سَنِير ولبنان فقال:

وتعمَّدْتُ أن تظلّ ركابي ... بين لبنان طُلَّعًا والسَّنِير

مُشْرِفاتٍ على دمشقَ وقد أعـ ... ـرض منها بياض تلك القصور[3]

وقال أحد بني الزُّبير يرثي قريبه، وذكر «لبنان» في شِعره:

ونائحةٍ تَنْشو الرزيّة مَوْهِنًا ... فقلت لها: إنّ الرزيّة مُصْعَبُ

(١) أنظر على التوالي في كتاب «أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم» للمقدسي البشاري: ص١٥٤ و١٦٠ و١٦١ و١٦٣ و١٦٤ و١٧٩ و١٨٠ و١٨١ و١٨٤ و١٨٦ و١٨٨ و١٨٩ و١٩٠ و١٩١.

(٢) ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي ـ مختصر من شرح العلاّمة التبريزي ـ تعليق محمد عبد المنعم خفاجة ـ طبعة مصر ١٩٥٥ ـ ج٢/٥٢٥.

(٣) خريدة القصر وجريدة العصر، للعماد الأصفهاني ـ بداية قسم شعراء الشام ـ تحقيق د. شكري فيصل ـ طبعة المجمع بدمشق ١٩٦٨ـ ص٢٦ ـ حاشية رقم (١٠).

..فلو كان من رضوى تسهّل وَعْرُها ... ومن كَبْكَبٍ أنحى إلى السهل كَبْكَبُ

ولو كان من لبنان زال لَهاضَتـهُ ... وزُلزِلَ من لبنانَ فرعٌ ومَنْكِبُ[1]

وقال المتنبّي:

وعِقابُ لبنانٍ وكيف بقطْعها؟ ... وهو الشتاءُ وصيفهنّ شتاء

لبس الثلوج بها عليّ مسالكي ... فكأنها ببياضها سوداء

وكذا الكريم إذا أقام ببلدةٍ ... سال النُضار بها وقام الماء[2]

وقال «أحمد بن محمد بن الحسن الضَّبّيّ» المتوفّى سنة ٣٣٤هـ. وهو في طريقه إلى دمشق:

أقول وقد غادرت حمص وأشرقَتْ ... إكامٌ تمنّينا دمشقَ وقُورُ

وأُدْمُ المَهاري تنبري برحالنا ... كما تنبري إثْرَ البُغاثِ صُقُورُ

إذا جعلت لبنانَ من عن يمينها ... وكان على ذات الشمال سَنيرُ

فإنّ فؤادي طائرٌ أو فإنّه ... إليكم بجثماني معًا سيطيرُ

وقال في رجوعه من دمشق:

أقول وقد خَفّت من دمشق ركائبي ... وجَدّ بها تلقاء حمصَ مسيرُ

وأسرعها عندي من الشوق واقفٌ ... وأطول مسراها لديّ قصيرُ

ولقد صيَّرَتْ لبنان من عن شمالها ... وصار على ذات اليمين سنيرُ

عسى من أرى يعقوب غرّة يوسفٍ ... يُرينَهُمُ، إنّ القديرَ قديرُ[3]

وقال أبو الفتح منصور المعروف بالبَيْني، يمدح محمد بن النعمان، وأبا محمد

(١) الأبيات قالها أحد بني أبي بكر بن عبدالله بن مُصْعَب يبكي مُصْعَب بن عبدالله بن مصعب الزُبَيري - كما في: جمهرة نسب قريش وأخبارها، للزُبير بن بكار (١٧٢- ٢٥٦هـ) - تحقيق محمود محمد شاكر - طبعة المدني بالقاهرة ١٣٨١هـ. - ج١/٢١٧.

(٢) ديوان المتنبي، طبعة صادر - ص١٢٦.

(٣) الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - لأبي الحسن علي بن بسّام الشّنتريني (ت٥٤٢هـ) - تحقيق د. إحسان عباس - طبعة دار الثقافة ١٩٧٠ - ص٨٨ و٨٩.

عبد الوهاب بن حسن بن الحاجب:

سقى الله قومًا حول لبنان مثلما ... ترَشّفْتُ فيه من رِضاب ظِبائه

قبائل من كلبٍ إذا نَزلَتْ به ... فقد نَزلَتْ فيه نجوم سمائه

أضاءت لأهليه الظلامَ وُجوهُهم ... فأغْنَتْهُمُ عن صُبْحِهم وضيائه[1]

وقال أحد المحمَّدين من الشعراء:

سقى بُعْدَنا بالبُعْد من نعم نعمانُ ... وأوحَشَ من لُبْنى على البعد لبنانُ

سقى القَطْرُ ما بين العقيق وضارجٍ ... مَعارِفُ فيها للأحبّة عِرْفانُ[2]

وقال «ابن الأعرابيّ» إنّ رجلاً من العرب قال لرجل آخر: «لي إليك حُوَيجة»، فقال الآخر: «لا أقضيها حتى تكون لبنانية»! أي (عظيمة) مثل لبنان، وهو اسم جبل[3].

تُفّاح «لبنان»

وكان لتفّاح «لبنان» حظُّه من الشعر، ومن الإعجاب بطَعْمه وألوانه، فقال «ابن الفقيه الهمذاني»: إنّ تفّاح لبنان كان يُحمل إلى العراق (إلى قصور العبّاسيّين وأمرائهم)، وهو تفّاح جبل عذْبٍ لا طَعْم له ولا رائحة، فإذا توسّط نهر البُلَيْخ فاحت رائحته. ونهر البُلَيْخ بالرَّقَّة يصبّ في نهر الفرات[4].

(١) أخبار مصر في سنتين (٤١٤- ٤١٥هـ) لمحمد بن عبيدالله المسبّحي - تحقيق وليم، ج، ميلورد - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب - القاهرة ١٩٨٠ - ص٦٨، وترجمة أبي الفتح منصور في (اليتيمة ٤٤٥/١).

(٢) المحمَّدون من الشعراء، للقفطي - ص٤٩٢ بالحاشية، الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة - ج١ ق٣٨٣/١.

(٣) تهذيب اللغة، للأزهري - ج٣٦٤/١٥.

(٤) مختصر البلدان لابن الفقيه الهمذاني - ص ١١٧.

ويُفهم من عبارة «ابن الفقيه» أن تفّاح لبنان كان يُقْطَف ويُحمل إلى العراق قبل أن ينضج حيث تكون رائحته خفيفة حينئذٍ، ثم ينضج أثناء الطريق وتفوح رائحته بعد أن تقطع القافلة نصف المسافة إلى بغداد. ومثل هذا القول نجده عند «القزويني» الذي يقول عن جبل «لبنان»:

«وفي تفّاحه أُعْجُوبة: وهي أنه يُحْمل إلى الشام وليست له رائحة، حتى يتوسّط نهر الثلج (هكذا)، فإنْ توسَّط النَّهرَ، فاحت رائحتُه»[1].

وقد أشاد «الثعالبيّ» بثمار جبل لبنان، و«لا سيما التفاح اللبناني، فإن اللبنانيّ منه موصوف بحُسن اللون، وطيب الرائحة، ولَذاذة الطَعْم، يُحْمَل منه في القرابات إلى الآفاق»[2].

وقال «الحِمْيَريّ»: «وهناك التفّاح الذي لا يُعْدَل به وهو مَثْلُوجٌ أبدًا»[3].

وحول تفاح «لبنان» والأُعْجُوبة في خاصّيته يقول «أبو نُواس» في شِعره:

سُلافُ دَنٍّ إذا ما الماء خالَطَها ... فاحت كما فاح تفاحٌ بلبنان[4]

وذكر «أبو الطيّب المتنبّي» تفاح «لبنان» في شِعره، فقال:

شاميّةٌ طالما خَلَوْتُ بها ... تبصر في ناظري مُحَيّاها

حيث التقى خدُّها وتفّاح لبنا ... ن وثغري على حُمَيّاها[5]

---

(١) آثار البلاد وأخبار العباد، للقزويني - ص٢٠٨.

(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي - ص٢٣٢، ربيع الأبرار في نصوص الأخبار، للزمخشري - ج١/٢٠١.

(٣) الروض المعطار في خبر الأقطار، للحميري - تحقيق د. إحسان عباس - ص٥٠٨.

(٤) ديوان أبي نواس - جمعه ونشره أحمد عبد المجيد الغزالي - طبعة دار الكتاب العربي ببيروت - ص١١٣.

(٥) ديوان المتنبّي، بشرح أبي البقاء العكبري - تحقيق مصطفى السقّا وإبراهيم الإبياري - طبعة البابي الحلبي بمصر ١٩٥٦ - ج٤/٢٧٢.

وجاء في «مقامة المراشد» للزمخشريّ: «يا أبا القاسم، إنّ خِصال الخير كتُفّاح لبنان، كيفما قبَّلْتَها دعتك إلى نفسها»[1].

وأجمل ما قيل في التفاح، ما جاء في رسالة بعثت بها جارية إلى الخليفة المأمون، وقد ذكرها «ابن عبد ربّه الأندلسيّ» في كتابه «العقد الفريد»، بما نصُّه:

«أهدت جارية من جواري المأمون تفّاحة له، وكتبت إليه: إني يا أمير المؤمنين لمّا رأيت تنافُس الرعيّة في الهدايا إليك، وتَواتُرَ ألطافهم عليك، فكّرت في هديّة تخفّ مؤونتُها، وتَهُون كُلْفتُها، ويَعْظُمُ خطرها، ويَجلُّ موقعُها، فلم أجد ما يجتمع فيه هذا النعت، ويكتملُ فيه هذا الوصف إلاّ التفّاح، فأهديت إليك منها واحدةً في العدد، كثيرة في التصرُّف، وأحببت يا أمير المؤمنين أن أُعرِب لك عن فضلها، وأكشف لك عن محاسنها، وأشرح لك لطيف مَعانيها، ومقالة الأطبّاء فيها، وتفَنُّنَ الشعراء في وصفها، حتى تَرْمُقَها بعين الجلالة، وتَلْحَظَها بمُقْلة الصيانة، فقد قال أبوك الرشيد رضي الله عنه: أحسن الفاكهة التفاح، اجتمع فيه الصُّفْرة الدُّرّيّة، والحُمْرة الخمْريّة، والشُّقْرة الذهبيّة، وبَياض الفضّة، ولون التِّبْر، يَلَذُّ بها من الحواسّ العينُ ببهجتها، والأنف بريحها، والفم بطَعْمها. وقال أرسطاطاليس الفيلسوف عند حضوره الوفاة، واجتمع إليه تلاميذه: إلتمسوا لي تفّاحة أعتصم بريحها، وأقضي وطري من النظر إليها. وقال إبراهيم بن هانىء: ما عُلّل المريضُ المبتلى، ولا سكنت حرارة الثَّكْلَى، ولا رُدّت شَهْوة الحُبْلَى، ولا جُمعتْ فكرة الحَيْران، ولا سُلّت حسيفة[2] الغضبان، ولا تَحيَّت الفِتيان في بيوت القِيان، بمثل التفّاح.

---

(١) مقامات الزمخشري (المقامة الأولى) - مقامة المراشد - ص١١ - طبعة التوفيق بمصر ١٣٢٥هـ.

(٢) الحسيفة: الغيظ.

والتفّاحة، يا أمير المؤمنين، إنْ حملتها لم تُؤذِك، وإنْ رُميتَ بها لم تؤلمك، وقد اجتمع فيها ألوانُ قوسِ قُزَحَ من الخُضْرة، والحُمْرة، والصُّفْرة، وقال فيها الشاعر:

حُمرةُ التُّفّاح مـعْ خُضْـرتـه	أقرب الأشياء مـن قـوس قُـزَحْ
فعَلَى التفّـاح فـاشرب قهـوةً	واسْقِنيهـا بنشـاطٍ وفَـرَحْ
ثم غـنِّ الآن كـي تطـربني	طَـرْفُكَ الفتّان قلبي قـد جرحْ

فإذا وصلتْ إليك يا أمير المؤمنين، فتناولها بيمينك، واصرف إليها يقينك، وتأمّلْ حُسْنها بطرفك، ولا تخدشها بظُفْرك، ولا تُبعدها عن عينك، ولا تبذلها لخَدَمك، فإذا طال لَبْثها عندك، ومُقامها بين يديك، وخِفت أن يرميَها الدهر بسهمه، ويقصدها بصَرفه، فيُذْهب بهجتها، ويُحيل نَضرتَها، فكُلْها.

هنيئًا مريئًا غير داء مخامر[1]

والسلام عليك يا أمير المؤمنين ورحمة الله وبركاته».

فقال المأمون: احملوا إليها من كل ما أهديَ لنا في هذا اليوم[2].

وذكر «أبو الرقعمق» أحمد بن محمد الأنطاكي تفاح «لبنان» في شعره، فقال:

ما زلتُ أجني بلحظي وردَ وجْنَته	وأستغير على تفـاح لبنـان
ما زال يأخذهـا صفـراء صافيـة	حتى تـوسّـد يسراهُ وخلاّني[3]

وقال «الثعالبي»: «تفاح الشام يُضْرَب به المثل في الحُسْنِ والطِّيب» قال الشاعر:

---

(١) وعجز البيت: «لعزّة من أعراضنا ما استحلّت»، وهو لكُثَيِّر عزّة.

(٢) العقد الفريد - ج٦/٢٨٧ - ٢٨٩. ديوان المعاني، للعسكري ٢/٣٣ - ٣٥.

(٣) يتيمة الدهر، للثعالبي ١/٢٩٤.

تفـاحـة شـاميّـة	من كفّ ظَبْي غَـزِلِ
ما خُلِقتْ مُذْ خُلِقتْ	لغير تلك القُبَـلِ
كـأنّما حُمْـرَتُهـا	حُمْرة خَدٍّ خجِلِ

وقال الصَّنَوْبَري:

أرى الشـامَ جـاد بتفّـاحـه	لنـا والعـراق بـأُتْـرُجِّـهِ

وكان المأمون يقول: اجتمعتْ في التفّاح الحُمرة الخمرية، والصُّفْرة الوردية مع شعاع الذهب، وبياض الفضّة، يَلْتذُّه من الحواس ثلاث: العين للونه، والأنف لعَرْفه، والفم لطعمه، وكان يُحمَل إلى الخلفاء من خراج حمص ودمشق كل سنة أربعمائة وعشرون ألف دينار، ومن خَراج أجناد الشام ثلاثون ألف تفّاحة»[1].

ونرجّح أن «المأمون» زار أطراف «لبنان» الشرقية أثناء إقامته بدمشق سنة ٢١٧هـ/٨٣٠م. حيث ركب يريد جبل الثلج، فمرّ ببركة عظيمة من برك بني أُميّة وعلى جانبها أربع سَرَوات، وكان الماء يدخلها سَيْحًا ويخرج منها، وفي البِرْكَة سمك[2].

وفي رأينا، فإنّ «جبل الثلج» هو أحد جبال «لبنان» في السلسلة الشرقية، يُحتمَل أنه جبل الشيخ (حرمون) - كما يُستفاد من نصّ عند ابن عساكر -[3] وكما يُستفاد من كتاب «أحسن التقاسيم» للمقدسي، حيث يذكر مدينة بانياس عند حدّ الجبل، ولها نهر شديد البرودة يخرج من تحت جبل

---

(١) ثمار القلوب، للثعالبي - ص٥٣١، ٥٣٢ رقم (٨٧١).

(٢) أنظر: كتاب بغداد، لابن طيفور - ص١٥٥، وتاريخ الطبري ٨/٦٥٧، والأغاني ١١/٣٥٦، وغُرر الخصائص الواضحة، لرشيد الدين الوطواط - طبعة بولاق ١٢٨٤هـ - ص٧٠، والهفوات النادرة، للصابي ٣٨٤.

(٣) أنظر له: تاريخ دمشق (مخطوط التيمورية) ج١٥/١٢٠، وتهذيبه - ج٦/٦٥.

الثلج[1]. وأن البركة التي مرّ بها المأمون عند أحد قصور بني أميّة يُحْتَمَل أنها البركة التي كانت خارج سور «عين الجَرّ» (عنجر)، وقد مرّ ذِكرها في القسم الأول من هذه الدراسة في الجزء الخاص «من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية»[2]. أما تفاح (الشام) الذي يذكره «الثعالبي» فهو ليس إلاّ تفاح «لبنان»، لأن أكثر المؤرّخين والشعراء والمصنّفين كانوا يطلقون «الشام» تعميمًا على كل إقليمٍ منها، من باب تغليب الكلّ على الجزء، وهذا أمر مطَّرِد في المصادر العربية القديمة.

الزجاج والزيت والخمر

وفي هذا الإطار، يمكن القول إن «الثعالبي» حين يتحدّث عن (زجاج الشام) و(زيت الشام) وأن المَثَل يُضرَب بها، يتحدّث تحديدًا - أو ضمنًا - عن زجاج صور، وزيت الكورة قرب طرابلس. فهو يذكر:

زُجاج الشام: يُضرَب به المَثَل في الرِّقّة والصفاء، قال بعض الحكماء: ارفقْ بالعدو كما يُرفَق بزجاج الشام، إلى أن تجد الفرصة، فإمّا أن يضرّ به الحجرُ فيقُضّه، وإما أن تضربه بالحجر فترُضّه.

وقال: زيت الشام: يُضْرَب به المَثَل في الجَوْدة والنّظافة، وإنّما قيل له الزيت الركابيّ، لأنه كان يُحمَل على الإبل من الشام، وهي أكثر بلاد الله زيتونًا، وفيه ما فيه من البركة والمنفعة[3].

وقد اشتهرت المدن «اللبنانية» الساحلية بصناعة الزجاج في تاريخها القديم قبل الفتح الإسلامي، ثم جاء «المقدسي» فأكّد شُهرة مدينة «صور» بصناعة الزجاج المخروط والمعمولات[4]. وذكر الثمار والزيتون في جبل عاملة بجنوب

(١) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٦٠.

(٢) أنظر الجزء الأول من هذه الدراسة، لبنان من الفتح الإسلامي.. - ص١٩٣.

(٣) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، للثعالبي ٥٣٢ رقم (٨٧٢) و(٨٧٣).

(٤) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ص١٨٠.

«لبنان»[1]. والمعروف أن أجود أنواع الزيتون وأنقى الزيت المستخرج منه هو زيت زيتون «الكورة»، وهي المنطقة الواقعة في الجنوب الشرقيّ من طرابلس، وهي المنطقة الوحيدة التي احتفظت بتسميتها «الإدارية التاريخية» منذ صدر الإسلام حتى الآن، فـ«الكورة» هي الإقليم أو الناحية في بلاد الشام، ويقابلها لفظ «طَسُّوج» في العراق وبلاد فارس.

أما الخمرة، فكانت تُستَخرج من زبيب العنب والكَرْمة في «جبل لبنان» والقرى المشرفة على بيروت، وهي قرى النصارى، وتُنقل منها بالقوافل إلى أرض الحجاز، ومنها المدينة، وكانت حركة التصدير هذه معروفة منذ العصر الأموي. وكانت أرض بَيْسان، بين حَوْران وفلسطين، تنافس قرى بيروت في جَوْدة الخمرة وشهرتها، وقد ورد ذلك في شِعر «عبد الرحمن بن أرطأة»، وهو شاعر من أهل الحجاز[2]، حيث يقول مخاطبًا امرأته:

لا يَعْدَمَنّي نديمي ماجدًا أنفًا ... لا قائلاً خالطًا زُورًا ببُهْتانِ

(١) أحسن التقاسيم - ص١٦٢.

(٢) هو: عبد الرحمن بن أرطاة بن سَيْحان بن عمرو - ويُعرف بابن سَيْحان، من حلفاء بني أميّة، وكان شاعرًا إسلاميًّا مُقِلاًّ ليس من الفحول المشهورين، ولكنه كان يقول في الشراب والغَزَل والفخْر والمديح، وهو أحد المعاقرين للشراب والمحدودين فيه، وكان نديمًا للوليد بن عثمان بن عفّان، معاصرًا لمعاوية، وقد ضربه مروان بن الحكم في الخمر ثمانين سَوْطًا، فكتب إليه معاوية: «أما بعد فإنك ضربت عبد الرحمن في نبيذ أهل الشام الذي يستعملونه وليس بحرام، وإنما ضربته حيث كان حلفه إلى أبي سفيان بن حرب».. (الأغاني ٢/٢٥١) أما مناسبة الأبيات، فقد رُوي أنه كان ينادم الوليد بن عثمان على الشراب فيبيت عنده خوفًا من أن يظهر وهو سكران فيُحَدّ، فقالت له امرأته: قد صرت لا تبيت في منزلك وأظنُّك قد تزوّجت، وإلا فما مَبيتُك عن أهلك، فقال لها الأبيات، وفي هذه الرواية اختلاف في البيتين الأوّلين:

لا تعدميني نديمًا ماجدًا أنِفًا ... لا قائلاً قاذِفًا خَلْقًا ببُهتان
أَغَرَّ راووقُهُ مَلآنُ صافيةً ... تنفي القَذَى عن جبينٍ غير خَزْيان
سبيئة من قرى بيروت صافية ... عذراء أو سُبئت من أرض بَيْسان

أُمسي أُعاطيه كأسًا لـدَّ مَشْـرَبُهـا ... كالمِسْك حُفَّتْ بنِسرينٍ ورَيْحـانِ

سَبيئةً مـن قُـرى بيروتَ صـافيـةً ... أو التي سُبِئَـت مـن أرض بَيْسـانِ

إنّـا لنَشْـرَبُهـا حتى تميـل بنـا ... كما تمايـل وَسْنـانٌ بـوَسْنـانِ [1]

ومن البدهيّ أن استخراج الخمرة كان مزدهرًا في العصر العبّاسي أيضًا، وبشكل خاص في جبل لبنان، والبقاع حيث تكثر كرُوم العنب، كما أفادت المصادر التاريخية[2]، فقد نُسِب إلى البقاع الخمر الجيّدة، وفي ذلك يقول الطائيّ:

بقـاعيّـةٌ تُجـرى علينـا كئـوسهـا ... فتُبدي الذي تُخفي وتخفي الذي تُبدي[3]

(١) (الأغاني ٢/٢٥٦ و٢٦٠) والراووق: ناجود الشراب الذي يُرَوَّق به فيصفّى. والشراب يتروّق منه من غير عصر. والسبيئة: أي مسبوءة من قولهم: سبأ الخمر أي اشتراها ليشربها، أو اشتراها ليحملها إلى بلد آخر، كما في كتاب الصحاح وغيره من كتب اللغة.

(٢) أنظر: لبنان في التاريخ، لفيليب حتي ـ ص١٠٠.

(٣) معجم ما استعجم للبكري ١/٢٦٣.

(٢)
جبال «لبنان» موطن الزُّهّاد والعُبّاد

إذا كانت ظاهرة «الرباط والمرابطين» قد طبعت «تاريخ لبنان» في صدر الإسلام، على عهدي الخلفاء الراشدين والأمويّين، ونزل كثير من الصحابة، والتابعين في سواحله وثغوره للرباط، فقد تميّزت المرحلة التالية ـ والتي نؤرّخ لها هنا ـ وخصوصًا في القرنين الثاني والثالث الهجريين، بظاهرة انسياح الزُّهاد والعُبّاد من بلاد المشرق وبلاد المغرب على السواء، إلى ساحل الشام عمومًا، وجبل «لبنان» خصوصًا.

ويمكن أن نعزو هذه الظاهرة إلى عدّة عوامل، منها:

١ ـ الأوضاع السياسية المشحونة بالخلافات والتي سادت العالم الإسلامي نتيجة الإنقسام المذهبي بين السُّنَّة والشيعة بعد قيام الدولة العباسية واستئثار بني العباس بالخلافة والحكم، وإبعادهم لحلفاء الأمس من آل هاشم عن هذا المنصب.

٢ ـ تنامي الثروات الطائلة لدى طبقة من المجتمع، وظهور طبقة الأثرياء والمترفين من الوزراء، والأمراء، والقادة العسكريين، والوُلاة، والتجّار، ومُلّاك الأراضي، بحيث شهد المجتمع العربي الإسلامي تحوّلاً نوعيًا في مختلف جوانب الحياة، انتقلت خلاله حياة المسلمين من طور البداوة والصحراء، إلى طور التمدّن والحياة في المناطق الزراعية، والاتصال بأبناء الشعوب في البلاد

المفتوحة والبلاد المتاخمة لدولة الإسلام، فانتقلت مظاهر الترف والبذخ والثراء الفاحش، وسكنت الطبقات العليا في القصور الفارهة التي حوَت أثمن الأثاث وأفخر الرياش، وأطايب المأكولات وألَذّ المشروبات، وضمّت تلك القصور عشرات الخدم والجواري والقِيان من مختلف الأجناس والأديان، وانتشرت مجالس الغناء والرقص، والشراب، والإنفلات والتحلّل من آداب الإسلام وتعاليمه.

٣ ـ يضاف إلى العاملين السابقين: السياسي، والاجتماعي، عامل ثالث، وهو فكريّ فلسفيّ، تمثّل باضطرام الخلافات الفقهية والجدلية بين القائلين بأنّ القرآن الكريم مخلوق، وبين المخالفين لهذا القول، وما تسبّبت به تلك الخلافات من أحداث دامية بما عُرف في حينه بالمحنة، على عهد المأمون وغيره، وما تعرّض له السلفيّون من اضطهاد وملاحقة، ثم انفتاح الفكر العربي الإسلامي على الفكر الغربي اليوناني الفلسفي، وما أثار هذا الانفتاح من انتعاش لعلم الكلام والجدل (المنطق) وعلم الفلسفة، وما ترتّب عليه فيما بعد من قيام تيّارات وأحزاب فكرية وفلسفية تمثّلت بفِرَق المعتزلة القَدَريّة، وجماعة إخوان الصفا، إلى جانب الحركات العلوية الشيعيّة، والخوارج، والقرامطة، وغيرهم، حتى أصبح المجتمع الإسلامي ـ في الدَّوْر العباسي الأول ـ يمور بالصراعات الفكرية والمذهبية، فضلاً عن تعاظُم النزاعات القوميّة بين العرب، والفرس، والأتراك، وما عُرِف آنذاك بالحركة الشعوبية.

ولقد كانت هذه العوامل كلها سببًا لتألُّم جماعات التُّقاة السلفيّين من المسلمين الذين فضّلوا أن يقفوا على الحياد بين فُرَقاء النزاع، وآثروا الابتعاد عن تلك الصراعات التي لا طائل تحتها، وأن يخرجوا من المجتمع المديني المُتْرَف، ويفرّوا بدينهم إلى عُزْلة العبادة والتنسُّك بعيدًا عن مباهج الحياة وزُخْرُفها، وطلبًا في ثواب الآخرة، فظهرت حركة اعتزال المجتمع المديني بقيام جماعة من الزُّهاد والعُبّاد بالإنسياح والطواف في بلاد الإسلام، للعبادة وطلب العلم في آنٍ، فخرجوا من ديارهم وأوطانهم مخلّفين متاعهم وراء

ظهورهم، قاصدين الجبال والأماكن الخالية من السكان ليتعبّدوا فيها وهم في حالة من صفاء الروح.

ولعلّهم تأسّوا بقول الصحابيّ «العِرْباض بن سارية» المتوفّى سنة ٧٥هـ: «لولا أن يقال فعل أبو نَجيح، لألحقت مالي سُبُلَه، ثم لحِقت واديًا من أودية لبنان فعبدت الله حتى أموت»[1].

وهكذا، فمنذ منتصف القرن الثاني الهجري ـ تقريبًا ـ أخذت جبال «لبنان» وسواحله تشهد سياحات الزُّهّاد والعُبّاد والمتصوّفة والنُّسّاك، وكثير منهم كان يجمع بين الزُّهد والرباط لارتباطها بغاية واحدة، فكانت جبال «لبنان» بما فيها من غابات ومغاور وكهوف وأودية، وثمار مُباحة، وعيون مياه عذبة، توفر ملاذًا مثاليًّا للزّهاد والصالحين والنُّسّاك المنقطعين للعبادة والمرابطة والغزو في سبيل الله.

وقد رأى المؤرّخون وغيرهم في «جبل لبنان» المكان المثاليّ لإقامة هذه الفئة من الناس، وبالغوا في وصف حالهم في الزهادة، وغُلُوّ مرتبة بعضهم بحيث أطلقوا على جماعة منهم لقب «الأبدال»[2]، فيُقال إن أحدهم إذا مات كان يقوم بدله زاهد آخر في رُتبته ودرجة نُسُكه وتَصَوُّفه، وهذه خاصيّة اختصّت بها بلاد الشام، كما تقول بعض المصادر التاريخية القديمة. فقد حُكي أن الأبدال السبعين بأرض الشام، بجبل لُكام وجبل لبنان[3].

قال «الثعالبيّ» في مادّة: (أبدال اللُّكام)، وهو يعتبر «جبال لبنان» من اللّكام: «أبدال اللُّكام يُضرب بهم المثل في الزهد والعبادة ورفض الدنيا، وهم

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٧١/٤، تاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٦١ـ٨٠هـ) ـ (بتحقيقنا) ـ ص٤٨٤، ٤٨٥.

(٢) أنظر عنهم في «ربيع الأبرار» للزمخشري ـ تحقيق د. سليم النعيمي ـ ج٢٠١/١ بالمتن والحاشية ـ طبعة ديوان الأوقاف، بغداد ١٩٧٦.

(٣) نهاية الأرب للنويري ٣٤٠/١.

الزُّهاد والعُبّاد الذين وردت في حقهم الآثار بأنّ الله تعالى إنما يرحم العباد ويعفو عنهم، وينظر لهم بدعائهم، لا يزيدون على السبعين ولا ينقصون عنها، فكلّما توفّي واحد منهم قام بَدَلٌ عنه يسدّ مكانه، وينوب منابه، ويكمّل عدّة الأبدال. ولا يسكنون مكانًا من أرض الله تعالى إلاّ جبل اللُّكام، وهو من الشام يتّصل بحمص ودمشق، ويُسمّى هناك لبنان، ثم يمتدّ من دمشق، فيتّصل بجبال أنطاكية والمصّيصة، ويُسمّى هناك: اللُّكام، قال المتنبّي أبو الطيّب:

بها الجبلان من صخرٍ وفخرٍ ... أنافا، ذا المغيث وذا اللُّكام[1]

فهؤلاء الأبدال يُضافون مرّة إلى لبنان، كما قال الشاعر:

وجاوِرْ جبال الشام لبنان إنها ... معادن أبدالٍ إلى منتهى العَرْج

وتارة يضافون إلى اللُّكام، كما قال أبو دُلَف الخزرجيّ وهو يصف مجاورته لأصحاب الغايات من الدنيا والدّين:

وجاورتُ الملوك ومَن يليهم ... كما جاورت أبدال اللُّكام

ويقال: إن تلك البلاد الشاميّة لم تزل على وجه الأرض متعبّدات الأنبياء والأولياء من عُبّاد بني إسرائيل وزُهّادهم، ومَواضع مُناجاتهم، ومَحالّ كراماتهم، لا سيما موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام، وهي الآن مواطن الأبدال، وفيها عيون عذْبة وأشجار كثيرة، تشتمل على كل الثمرات، لا سيما التفاح اللبنانيّ، فإنّ اللبنانيّ منه موصوف بحُسْن اللون وطيب الرائحة، ولذاذة الطعم، ويُحمَل منه في القرابات إلى الآفاق، وهؤلاء الأبدال يتقوّتون منها ومن السمك، ولا يفتُرون آناء الليل وأطراف النهار عن ذكر الله وعبادته، ولا عن اسمه والخلوة بمناجاته، إلى أن ينتقلوا إلى جواره، فطُوبى لهم وحُسْن مآب»[2].

(١) ديوان المتنبي - ج٤/٧٣.
(٢) ثمار القلوب في المضاف والمنسوب ٢٣٢، ٢٣٣.

وقال «ابن شدّاد»:

«لبنان هو جبل معمور بالأبدال والسُّيّاح المنقطعين إلى الله تعالى عن الخلْق، لِما فيه من الأشجار والأنهار، وفيه سائر الحشائش، ومنها يرتزق الصالحون»[1].

ويصف «الحِمْيَريّ» جبل «لبنان» بأنه «جبل بالشام، قريب من تدمر، وهو سامي الإرتفاع» ممتَدّ الطُّول، يتّصل من البحر إلى البحر، معروف بالزُّهاد والمنقطعين إلى الله تعالى، و فيه البرباريس، وهو هناك أطيب ما يكون. وهناك التفاح الذي لا يُعدل به وهو مثلوج أبداً»[2].

وقال «القزوينيّ» عن جبل «لبنان»:

«به أنواع الفواكه والزروع من غير أن يزرعها أحد، يأوي إليه الأبدال، لا يخلو عنهم أبدًا لِما فيه من القُوت الحلال»[3].

هذا، وقد ذكرت العشرات من الزُّهّاد والعُبّاد الذين طوَّفُوا في جبال «لبنان» وسواحله، مع أخبارهم، في كتابي «موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي»[4]، وأذكر هنا المشاهير منهم، مع بعض أخبارهم وآثارهم المرتبطة بـ«لبنان»، وأبدأ بـ:

- **إبراهيم بن أدهم:** الزّاهد المشهور، له سياحة ومُرابطة ومجاهدة في

(١) الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ص٣٥.
(٢) الروض المعطار في خبر الأقطار - ص٥٠٨.
(٣) آثار البلاد وأخبار العباد - ص٢٠٨.
(٤) صدر القسم الأول من الموسوعة في (٥ مجلّدات) عن المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، بيروت ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م. وكنت كتبت حلقات عنهم في مجلّة «الفكر الإسلامي» التي تصدر عن دار الفتوى الإسلامية ببيروت، فأفاد منها مفتي الجمهورية الراحل الشيخ حسن خالد - رحمه الله - في كتابه: «مسار الدعوة الإسلامية في لبنان» - طبعة دار الدعوة - بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م. ص١٦.

ساحل «لبنان»، وقد تقدّم ذِكره في الكتاب الأول من هذه الدراسة عند حديثنا عن «الرباط في صُور»[١]، فقد اجتاز إلى ساحل «لبنان» حول منتصف القرن الثاني الهجري، فدخل جُبَيْل وأقام فيها مدّة، وعقد مجالس للحديث فقصده الطلبة وسمعوه في جامعها، وكان منهم «خَلَف بن تميم بن مالك التميمي الدارميّ» وقد حدّث عنه فقال: لقيت إبراهيم بن أدهم بجبيل فقلت له: هنيئًا لك الرباط والجهاد. فقال: ما قَدِمتُ الشام مرابطًا ولا مجاهدًا، وإنما قدِمتها لأشبع من خُبز الحلال، تراني أحمل هذا الحطب من الجبل فأبيعه، فلا يراني أحد إلّا قال: فلاّح أو حمّال[٢].

وانتقل «ابن أدهم» إلى بيروت فأقام فيها مدّة وتردّد عل الإمام أبي عمرو الأوزاعي، وسمعه الأوزاعيّ أيضًا وحكى عنه. وكذلك سمعه ببيروت: «أبو الحسن علي بن بكار البصري» الزّاهد الذي سكن طَرَسُوس والمصِّيصة مرابطًا بين سنتي ١٩٩هـ و٢٠٨هـ[٣] و«سهل بن هاشم الواسطي البيروتي»[٤].

رآه الأوزاعيّ يومًا ببيروت وعلى عُنقه حزمة حطب، فقال: يا أبا إسحاق إنّ إخوانك يكفونك هذا، فقال له: أسكت يا أبا عَمْرو، فقد بلغني أنه إذا وقف الرجل موقف مذلّة في طلب الحلال وَجَبت له الجنّة[٥].

ودخل عليه «بقيّة بن الوليد الحمصيّ» المتوفى سنة ١٩٧هـ. وهو في مسجد بيروت، فرآه يبكي ووجهه إلى الحائط، وهو يضرب بيديه على رأسه،

(١) أنظر «لبنان من الفتح الإسلامي إلى سقوط الدولة الأموية» ص٢٣٥.

(٢) تاريخ دمشق، لابن عساكر، (مخطوطة التيمورية) - ج١٢/٥٢٠، وتهذيبه ٥/١٦٩ و٦/٣٢٩، وبغية الطلب في تاريخ حلب، لابن العديم الحلبي - مخطوط مصوّر بمعهد المخطوطات بالقاهرة، رقم ٩٢٩ تاريخ - ج٥/٢٠٨.

(٣) تهذيب التهذيب، لابن حجر - ج٧/٢٨٦.

(٤) الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي - ج٤/٢٠٥، تهذيب التهذيب ٤/٢٥٩.

(٥) تهذيب تاريخ دمشق ٢/١٨٦، البداية والنهاية، لابن كثير ١٠/١٣٩.

فقال له: ما يُبكيك؟ فقال: ذكرت يومًا تتقلّب فيه القلوب والأبصار[١].

وصحِبَه «بقيّة بن الوليد» في بيروت وغيرها من ساحل «لبنان» فقال: كنّا مع «إبراهيم بن أدهم في بعض قرى الشام ومعه رفيق له، فجعلنا نمشي حتى بلغنا إلى موضع فيه حشيش وماء، فقال لأحد رفقائه: أمعكَ شيء؟ فقال: نعم، في المخلاة كِسرات، فجلس متنزهًا وجعل يأكل، فقال: ما أغفل الناس عمّا أنا فيه من النعيم، ما أجد أحدًا يموت ولا أحدًا أهتم به، قال «بقيّة»: فتغير وجهي، فقال لي: أَلَكَ عيال؟ فقلت: نعم، فقال: ولعلّ روعة صاحب عيال أفضل مما أنا فيه[٢].

وسُئل الأوزاعي يومًا: أيّها أحبُّ إليك: سُليمانُ الخوّاص[٣] أو إبراهيم بن أدهم؟ فقال: إبراهيم أحبّ إليّ لأن إبراهيم يختلط بالناس وينبسط إليهم[٤].

وعن كراماته وأحواله يروي شيخ الزُهّاد في مدينة صور «محمد بن المبارك الصوري»[٥] المتوفى سنة ٢١٥هـ. وقد اصطحبه في سياحته، قال: كنت مع إبراهيم بن أدهم في طريق بيت المقدس، فنزلنا وقت القيلولة تحت شجرة رمّان، فصلّينا ركعتين، فسمعت صوتًا من أصل الرُمّان: «يا أبا إسحاق أكرِمْنا بأن تأكل منّا شيئًا» فطأطأ إبراهيم رأسه، فقال ذلك الصوت ثلاث مرات، ثم قال الصوت: «يا محمد بن المبارك» كن شفيعًا إليه ليتناول منّا شيئًا، فقلت: يا أبا إسحاق، لقد سمعت، فقام وأخذ رمّانتين، فأكل واحدة وناولني الأخرى، فأكلتها وهي حامضة، وكانت شُجَيرة قصيرة، فلما رجعنا

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٢/١٨٩ و١٩٠ البداية والنهاية ١٠/١٤١.

(٢) طبقات الصوفية، للسُلَمي - ص١٣، تهذيب تاريخ دمشق ٢/١٨٩، الوافي بالوفيات، للصفدي ج٥/٣١٨ و٣١٩.

(٣) سيأتي ذكره بعد قليل.

(٤) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، لابن أبي حاتم الرازي - ج١/٢٠٦.

(٥) سيأتي ذِكره عند الحديث عن مدينة صور.

مررنا بها فإذا هي شجرة عالية ورُمّانها حلو، وهي تثمر في كل عام مرتين، وسموّها «رمّانة العابدين» ويأوي إلى ظلّها العابدون[1].

وقيل إنه صنع مرة طعامًا في صور ودعا إخوانه، ودعا معهم رجلاً يقال له «خلاّد الصَّيقل» فأكل ثم قال: الحمد لله.. ثم قام. فقال «ابن أدهم» بعد أن قام: لقد أساء في خصلتين: لقد قام بغير إذنٍ، ولقد حَشَم أصحابه[2].

واستضاف «الأوزاعيّ» يومًا «إبـراهيم بـن أدهـم» فقصّـر إبـراهيم في الأكل، فقال: ما لَكَ قَصّرْتَ؟ فقال: لأنك قصّرت في الطعام. ثم عمل «إبراهيم» طعامًا كثيرًا ودعا «الأوزاعيّ» فقال «الأوزاعيّ»: أما تخاف أن تكون مسرفًا؟ فقال: لا، إنما السَّرَف ما كان في معصية الله، فأمّا ما أنفقه الرجل على إخوانه فهو من الدين.

وقال إبراهيم بن أدهم»: وقفت على راهب في جبل «لبنان» فناديته، فأشرف عليّ، فقلت له: عِظْني، فأنشأ يقول:

حِـدْ عـن النـاس جـانبـا ... كـي، يَعـدُّوك راهبـا
إنّ دهـــرًا أظـلَّـني ... قـد أراني العجـائبـا
قلِّـبِ النـاس كيـف مـا ... شئـت تجدْهـم عقـاربـا[3]

وأخبار «ابن أدهم» كثيرة، وآثاره جليلة، اخترت منها ما كان له في «لبنان» على ما صرّحت به المصادر، وقد قال «ابن أدهم» إنه أقام بالشام أربعًا وعشرين سنة، قضى معظمها في سواحل لبنان: طرابلس، وجبيل، وبيروت، وصور، وطوّف في جبال «لبنان»، وكانت أكثر إقامته في صور، وقيل إنه مات في غزوة بحرية ودُفن فيها في موضع يقال له «مَدْفلة»، فأهل

(١) الرسالة القشيرية، للقشيري النيسابوري - ج٢/٦٨٤.
(٢) حلية الأولياء، لأبي نعيم - ج٧/٣٩١.
(٣) تهذيب تاريخ دمشق ٢/١٩٧.

صور يذكرونه في تشبيب أشعارهم، ولا يَرْثون ميتًا إلاّ بدأوا أوّلاً بإبراهيم بن أدهم[1]. وقد استُشْهد بين سنتي ١٦١ و١٦٣هـ[2].

وممّن نزل «لبنان» من الزُّهّاد:

- **إبراهيم بن حاتم بن مهدي، أبو إسحاق التُّسْتَريّ البَلُّوطيّ**، وهو من أهل مدينة تُسْتَر (بضم التاء الأولى وفتح الثانية) بخوزستان. عُرِف بالبلّوطيّ لأنه كان زاهدًا لا يقتات إلاّ من ثمر البلّوط الذي كان يكثر في جبال «لبنان»، وقد رآه الرحّالة «المقدسيّ» قبل منتصف القرن الرابع الهجري في جنوب «لبنان»، وذكره في كتابه وهو يصف العُبّاد في جبل «لبنان» وجبل «الجولان» فقال: «إنّ فيهما عُبّادًا عند عيون ضعيفة، قد بَنَوْا ثم أخصاصًا من القصب والحَلْفاء، ويتقوّتون بشيء يقال له البلّوط على مقدار التمر، عليه قشر، وهو مُرّ، إلاّ أنهم يُلْقونه في الماء حتى يحلو. ثم إذا جفّ طحنوه وخبزوه، وأخلطوا عليه شيئًا من شعير ينبت عندهم مُباح. وفي هذين الجبلين ثمار كثيرة، وهو موضع طيّب. ورأيت رئيسهم أبا إسحاق البلّوطيّ فوجدته عاقلاً فقيهًا على مذهب سفيان الثوريّ»[3].

ويُفهَم من هذا النّصّ أنّ أبا إسحاق البلُّوطيّ، استوطن جنوب «لبنان» مدّة حتى أصبح له أتباع من الزُّهّاد والعُبّاد على طريقته، كانوا يقتاتون البلّوط فنُسبوا إليه أيضًا، وهذا ما يؤكّده المؤرّخ الدمشقيّ «ابن عساكر» إذ يذكر اثنين من تلاميذ أبي إسحاق يُنسبان إليه، ويرويان عنه، هما: «أبو

(١) حلية الأولياء، لأبي نُعيم الأصبهاني - ج٨/٩.
(٢) أنظر ترجمته في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي - ج١/٢٠٠ - ٢١٠ رقم (٧)، وانظر: تاريخ الإسلام، للذهبي - بتحقيقنا - الجزء الخاص بحوادث ووفيات (١٦١-١٧٠هـ) - الترجمة رقم (٢) وفيه قائمة مطوّلة بمصادر ترجمته، وانظر: التدوين في أخبار قزوين للرافعي ٢/٢٤٧، ومجابي الدعوة لابن أبي الدنيا - ص٩٢.
(٣) أحسن التقاسيم، للمقدسي - ص١٨٨.

الحسن زيد بن عبدالله بن محمد البَلّوطي»، و«أبو الحسن علي بن محمد بن إبراهيم البَجَلي البَلّوطيّ»، هذا فضلاً عن غيرهما من التلامذة الذين تخرَّجوا عليه، ومنهم: «أبو الحسن علي بن الحسن بن يعقوب النهروانيّ»، و«أبو الفرج الحسين بن علي بن إبراهيم الفارقي»، و«أبو نصر بن هارون»، و«عبدالله بن بكر الطبراني».

وقد جاء «أبو إسحاق» من بلده «تُسْتَر» بخوزستان، إلى الشام، فحدّث بدمشق، ونزل طرابلس فحدّث بها عن جماعة من شيوخ بلده، وكان ينزل عند عين ماءٍ تُعرف بـ«عين ملكان» بظاهر طرابلس، فأخذ عليه جماعة، عرفنا منهم: «أبا الحسن عليّ بن سعيد بن عبدالله العِرْقي الأزدي»، وهو من أهل عِرقة القريبة من طرابلس.

ونرجّح أن «عين ملكان» هي بركة البدّاوي المعروفة شماليّ طرابلس، على الطريق إلى عِرقة. ثم انتقل أبو إسحاق إلى جنوب «لبنان» فأقام هناك مدّة وبثّ علومه حتى كثُر أتباعه وانتشرت طريقته، وتحوّل أخيرًا إلى قرية «بيت لِهْيا»[1] فتُوُفِّي فيها سنة ٣٥٠هـ[2].

- **إبراهيم بن نصر الكرْمانيّ**، وهو أحد الزُّهّاد الأبدال، خرج من بلده «كَرْمان»، وهي ولاية مشهورة وناحية كبيرة بين فارس ومُكْران وسَجِسْتان وخُراسان[1]، وقصد جبل «لبنان» وأقام به يتعبّد مدّة ثلاثين عامًا، داخل كهف في أحد الأودية، وهو ضرير، وقد لقيه «محمد السَّجِسْتاني» أثناء طوافه في «جِبال لبنان» مع جماعة من الزهاد، وفيهم «أبو نصر بن بُزْراك الدمشقي»، يلتمسون من في «لبنان» من الأبدال. وأقام «السجِستاني» يتعبّد

(١) بيت لهيا: قرية قريبة من عين الجرّ (عنجر) في البقاع، على حدود «لبنان - سورية».

(٢) أنظر ترجمته في: تاريخ دمشق (المخطوط) ٤/١٥٤، تاريخ الإسلام (مصوّرة دار الكتب المصرية) ج٢٠/٨١، وكتابنا: موسوعة علماء المسلمين - ج١/٢١٦، ٢١٧ رقم ١٥.

(١) معجم البلدان ٤/٤٥٤.

مع «الكرماني» أربعة وعشرين يومًا.

ذكره «ابن عساكر» وحكى عنه حكاية طويلة[1].

- **أحمد بن أبي الحواري التغلبي الغطفاني** أحد مشاهير العلماء الزُّهّاد والعُبّاد المذكورين، ممّن عُني بالحديث. أصله من الكوفة، نزل دمشق فسكنها ونُسب إليها، وتخرّج فيها على الزّاهد «أبي سليمان الداراني»، ثم قام بسياحته إلى «لبنان»، فطوّف بين بعلبك، وجبيل، وبيروت، وصور، والتقى بشيوخها فأخذ عنهم الحديث، وروى عن: «عيسى بن عُبَيد الجُبَيلي»، و«موسى بن نُصَير أبي عمران البعلبكي» و«أحمد بن صاعد الصوريّ» و«محمد بن المبارك الصوري»، و«محمد بن بكار العاملي»، كما روى عن: القاضي وكيع، وسُفيان بن عُيَيْنَة، وغيرهم.

ثم عقد مجالس الحديث في «المدن اللبنانية»، فأخذ عنه كثير من رجال الحديث، منهم: «عبدالله بن عيسى بن برت البعلبكي» و«عبدالله بن هلال البيروتي»، و«سعد بن محمد البَجَلي» قاضي بيروت، و«الحسن بن عبدالله العِرقي» من أهلِ عِرقة، و«أبو الجهم أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلّاب القُرَشيّ المشغراني» من أهل مَشْغَرَى البقاعية، كما روى عنه العلماء والرواة الكبار أمثال «أبي داود» و«ابن ماجة»، و«أبي حاتم الرازي» و«أبي زُرعة الرازي» و«أبي زُرْعة الدمشقي» وخَلْق كثير.

ذكره أبو حاتم الرازيّ فأثنى عليه. وقال «يحيى بن مَعِين»: إنّي لأظنّ أنّ الله يسقي أهلَ الشام به. وكان «الجُنَيد بن محمد» يقول: هو ريحانة الشام، وحكى عنه ابن عساكر ما يدلّ على كرامته[2]. وتوفي سنة ٢٤٦هـ.

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٤/٤٥٥، وتهذيبه ٢/٢٩٩-٣٠٢، وموسوعة العلماء ١/٢٦٢-٢٦٤ رقم ٦٣.

(٢) أنظر كتابنا: موسوعة علماء المسلمين ١/٢٧٨، ٢٧٩ رقم (٨٥) وفيه مصادر ترجمته.

- **أحمد بن عبدالله بن سعيد، أبو العباس الدَّيْبُلِيّ** وهو من الدَّيْبُل، مدينة مشهورة على ساحل بحر الهند[1]. وُصف بأنّه من الزُّهّاد والعُبّاد الفقراء، ومن الغرباء الرحّالة المتقدّمين في طلب العلم. وقد تحوّل عن بلده ونزل نَيْسابُور وسكن الخانكاه[2] بها، ولبس الصّوف وتزهّد، وربّما مشى حافيًا وتنقّل بين البلاد طلبًا للعلم والعبادة، فدخل: البصرة، وبغداد، ومكة، ودمشق، وحَرّان، وتُسْتَر، وعسكر مُكْرَم، ومصر، ووصل في رحلته إلى ساحل «لبنان» فنزل بيروت وأخذ الحديث فيها على «أبي عبد الرحمن محمد بن عبدالله بن عبد السلام المعروف بمكحول البيروتي»، وذلك في أوائل القرن الرابع الهجري، لأن مكحولاً البيروتي توفي سنة ٣٢١هـ.

وعاد «الدَّيْبُليّ» من سياحته الطويلة إلى نيسابور حيث خلّف أهل بيته هناك، فسمع منه «الحاكم النيسابوري» صاحب «المستدرك على الصحيحين» وغيره، وتوفي سنة ٣٤٣هـ. بنَيسابور، ودُفن في مقبرة الحيرة[3].

- **أحمد بن عطاء، أبو عبدالله الرُّوذَباري** وهو شيخ الصُّوفيّة في وقته. أصله من رُوذَبار قرية من قرى بغداد، ونشأ ببغداد وأقام بها دهرًا طويلاً، وأخذ عن: القاضي المَحَامليّ، وأبي القاسم البَغَويّ، وأبي بِشْر الدُّولابي، ومن في طبقتهم من الحُفّاظ. ثم انتقلَ فنزل صور مفارقًا موطنه، حتّى توفي ودُفن فيها. وقد بثّ فيها علمه ونشر طريقته، فكان من تلاميذه فيها: «إبراهيم بن علي الدَّيْلمي الصوفي»، و«بُكَير بن محمد المنذري الطرسوسي» الذي حدّث

(١) معجم البلدان ٢/٤٩٥.

(٢) الخانكاه: أو الخانقاه: فارسيّ بمعنى بيت، دخل هذا اللفظ اللغة العربية منذ انتشار التصوّف، وإقامة دُور ينقطع فيها الصوفية للاعتكاف والعبادة، وهي دار موقوفة لسُكْنى الصوفية ومَن إليهم من الزُّهّاد والعُبّاد. (القاموس الإسلامي - ج٢/٢١١، ٢١٢).

(٣) رجال السند والهند إلى القرن السابع، للقاضي أبي المعالي أطهر المباركبوري - طبعة دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٨هـ. - ص٥٧، ٥٨، موسوعة علماء المسلمين ١/٣٢٠، ٣٢١ رقم (١٤٥).

بصيدا، و«الحسين بن سليمان بن بدر الصوري» و«أحمد بن الحسين الواعظ» و«محمد بن عمر البَلْخيّ» و«محمد بن خميس بن جميل البغدادي» و«الحسين بن محمد المنيقير الحلبي» الذي حدّث عنه بجامع دمشق.

قال «القُشَيريّ»: كان شيخ الشام في وقته. وقال «غيث بن علي الصُّوريّ»: كان أحد الصُّلحاء المشهورين والأتقياء المذكورين، ذا هِمّة في التصوُّف عالية وطريقة راجحة وافية، وله فيه عدّة تصانيف، طاف وسمع واستوطن صور.

ومن شعره فيها:

أهلاً بمن زار فما واردٌ — أحقّ بالإكرام من زائر

ونحن لا نَسْأم من أمّنا — ونُضْمر الحُزْنَ على السّائر

وقال «أبو عبد الرحمن السُّلَميّ»: دخل الرُّوذَباريّ دار بعض أصحابه فوجده غائبًا وباب بيته مُقْفَل؟! فقال: إكسروا القفْل، فكسروه، فأمر بجميع ما وجدوا في الدار، فدخل صاحب المنزل ولم يمكنه أن يقول شيئًا، فدخلت امرأته بعدهم الدار وعليها كِساء، فدخلت بيتًا ورَمَت الكِساء وقالت: يا أصحابنا، هذا أيضًا من جملة المتاع فبيعوها، فقال الزوج لها: لم تُكَلّفي هذا باختيارك. فقالت: أسكت، مثل الشيخ يُباسِطُنا ويحكم علينا ويبقى لنا شيءٌ ندّخِره عنه؟!

تُوفّي «الرُّوذَباريّ» في قرية يقال لها «مَنَوَاث» من عمل عكّا في سنة ٣٦٩هـ. وحُمل إلى صور فدُفن فيها في الخربة[1].

- **بِشْر بن الحارث، أبو نصر المعروف بالحافي** الصالح الزّاهد المشهور،

(١) معجم البلدان ٣/٧٧، موسوعة علماء المسلمين - ج١/٣٢٨- ٣٣٢ رقم (١٥٩)، وانظر فيها مصادر ترجمته، والإلماع للقاضي عياض - ص٣٨.

أصله من مدينة مَرْو بخُراسان، وسكن بغداد. وقد خرج في سياحة للعبادة، فطاف في جبال «لبنان» ولقي بها «عليًّا الجرجرائيّ» على عين ماء، وكان موسوسًا، فهرب منه وهو يقول: بذنب منّي لقيت اليوم إنْسيًّا. فغدا «بِشْر الحافي» خلفه وقال له: أوصِني، فقال: أَمُسْتَوْصٍ أنت؟ عانِق الفَقْرَ، وعاشِر الصَّبْر، وعادِ الهَوَى، وعاقّ الشّهوات، واجعل بيتك أحلى من لَحْدك يوم تُنْقل إليه. على هذا طاب المسير إلى الله عزّ وجلّ[1].

قال الخطيب البغدادي: كان ممّن فاق أهل عصره في الورع والزّهد، وتفرّد بوفور العقل، وأنواع الفضل، وحُسْن الطريقة، واستقامة المذهب، وعُزُوف النفس، وإسقاط الفُضُول، وكان كثير الحديث إلاّ أنه لم يُنَصِّب نفسه للرواية، وكان يكرهها، ودَفَن كُتُبَه لأجل ذلك.

وقال الخليفة المأمون: لم يبق أحد في هذه الكُوَر يُسْتَحَى منه غير هذا الشيخ، يعني بِشْر بن الحارث.

وحكى «بِشْر بن الحارث» عن نفسه فقال: أتيت باب «المُعافَى بن عِمران» فدقّقْت الباب، فقيل لي: من؟ فقلت: بِشْر الحافي، فقالت لي بنته من داخل الدار: لو اشتريت نَعْلاً بدانقين ذَهَبَ عنك اسم الحافي!

وكانت وفاته سنة ٢٢٧هـ. وقد حُشِرَ الناس لجنازته، وأُخرجت جنازته بعد صلاة الصبح، ولم يُدْفَن إلاّ في الليل مِن شدّة الزحام، مع طول النهار في الصيف، ولهذا كان «أبو نصر التمّار» و«عليّ بن المَدِينيّ» يصيحان في جنازته: هذا والله شَرَف الدنيا قبل شرف الآخرة[2].

- **ثوبان بن إبراهيم، أبو الفَيْض المعروف بذي النُّون المصريّ** أحد مشاهير الزّهّاد والعُبّاد الذين قاموا بسياحاتهم في جبال «لبنان»، أصله من

(١) حلية الأولياء ٨/٣٣٦، الرسالة القشيرية ١/٨٤، ذمّ الهوى لابن الجوزي ٣٢.

(٢) أنظر ترجمته ومصادرها في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين - ج٢/١٢ - ١٧ رقم (٣٣٩).

النُّوبة، من قرية من صعيد مصر يُقال لها «إخميم». قدِم الشام للسياحة، وطاف بجبل «لبنان» وساحله، وذكر أنه سمع أحد المتعبّدين بساحل «بحر الشام» وهو يصف عباد الله المنقطعين إليه، ويُعتبر هذا الوصف أفضل ما جاء عن الزُّهّاد في «لبنان» وغيره، ونصّه:

«قال ذو النون: سمعت بعض المتعبّدين بساحل بحر الشام يقول: إنّ لله عبّادًا عرفوه بيقينٍ من معرفته، فشمّروا قصْدًا إليه، احتملوا فيه المصائب لِما يَرْجون عنده من الرغائب، صحِبوا الدنيا بالأشجان، وتنعّموا فيها بطول الأحزان، فما نظروا إليها بعين راغب، ولا تزوّدوا منها إلاّ كزاد الراكب، خافوا البَيات فأسرعوا، ورجوا النجاة فأزمعوا، بذِكْره لَهَجَت ألسنتهم، في رضى سيّدهم، نصبوا الآخرة نُصْب أعينهم، وأصغوا إليها بآذان قلوبهم، فلو رأيتهم رأيت قومًا ذُبلاً شفاههم، خُمْصًا بطونهم، حزينة قلوبهم، ناحلة أجسامهم، باكية أعينهم، لم يصحبوا العَلَلَ والتسويف، وقنعوا من الدنيا بقُوتٍ طفيف، لبسوا من اللباس أطمارًا باليه، وسكنوا من البلاد قفارًا خاليه، هربوا من الأوطان، واستبدلوا الوحدة من الإخوان. فلو رأيتهم لرأيت قومًا قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر، وفصل الأعضاء منهم بخناجر التعب، خُمْص لطُول السُّرَى، شُعْثٌ لفقد الكرى، قد وصلوا الكلال بالكلال، وتأهّبوا للنُّقْلة والارتحال».

وحكى ذو النُّون عن امرأة متعبّدة كانت بجبل لبنان فقال: كنت بجبل لبنان أتعبّد فبينما أنا يومئذٍ جالس أبكي إذ براهبةٍ عليها المُسُوح، فأقبلت فجعلت تبكي معي، ثم انصرفت ومرّ الدهر زمانًا وقد نزلت عن الجبل فأنا جالس عند بعض إخواني من البرّارية إذ أقبلت الراهبة بعينها فوقفت عليّ فقالت: يا شيخ، رأيت فرحتك فأبكتني، فما انصرفت بنفسي زماني.

تُوفي سنة ٢٤٥هـ[1] وقد آخاه بلبنان أحد الصوفية ويُدْعَى «زرقان بن

(١) أنظر ترجمته ومصادرها في: موسوعة علماء المسلمين ٢/٤٥- ٥٠ رقم (٣٦٥).

محمد الصوفي»، وعارضه بشعرٍ قاله[1]. والتقى «ذو النون» في جبل لبنان بـ«شيبان» المعروف بالراعي، وهو من كبار الفُقهاء من الزُّهّاد العُبّاد، ومن أكابر أهل دمشق، ثمّ ترك الدنيا وخرج إلى جبل لبنان فانقطع به وأكل المُباحات وصحِب «سُفيانَ الثّوري» وغيره[2].

- **عبّاد بن عبدالله، أبو الخير التيناتي الأقطع** وهو أحد الزُّهاد المشهورين، ممّن دخل طرابلس، قال «الحِمْيَريّ»: التِّينات مدينة بينها وبين طرابلس مسيرة أيام. وقيل: أصله من المغرب وسكن التينات، وقد تنقّل بين بلده، وطرابلس، وجبل لبنان، وتنّيس، والإسكندرية. وعُرِف بالأقطع، لقطع يده وكان سبب ذلك أنه عقد مع الله عقدًا أن لا يمدّ يده إلى شيء مما تنبت الأرض بشهوة، فنسي وتناول عنقودًا من شجرة البَطَم، فبينما هو يلوكه، إذ تذكّر العقد، فرمى بالعنقود وبقي ما في فمه فبصقه وجلس نادمًا.

قال «عبّاد»: فما استقرّ بي الجلوس حتى دار بي فرسان ورجال، وقالوا: قم. فساقوني إلى أن أخرجوني إلى ساحل بحر الإسكندرية، فرأيت هناك أميرًا وبين يديه سُودان قد قطعوا الطريق، فوجدوني أسود اللون ومعي تَرْس وحَرْبَة وسيف، فقالوا: هذا منهم بلا شك، فقطع أيديهم وأرجلهم إلى أن وصل إليّ، فقال لي: قدّم يدك، فمدَدْتُها، فقطعها، فقال: مُدّ رِجْلك، فمَدَدْتُها، ثم رفعت رأسي وقلت: إلهي وسيّدي ومولاي، يدي جَنَت، فرِجْلي

---

(١) موسوعة علماء المسلمين ٢/٢٦١، ٢٦٢ رقم (٥٩٤)، ويُضاف كتاب: الأذكياء لابن الجوزي ٨٤، ٨٥ ـ طبعة الغزالي، والمستطرف للأبشيهي ١/٢١٦.

(٢) عقلاء المجانين، لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب (توفي ٤٠٦هـ) ـ تحقيق د. عمر الأسعد ـ طبعة دار النفائس، بيروت ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م ـ ص٢٤٨، ٢٤٩. تاريخ دمشق (المخطوط) ١٥/٧٩، وتهذيبه ٦/٥٨، والنجوم الزاهرة لابن تغري بردي ـ ج٢/٣٢، وجامع كرامات الأولياء، للنبهاني ١/٩٩، وموسوعة علماء المسلمين ـ ج٢/٣٤٦ رقم (٦٧٩).

ماذا صنعتُ بها؟ فدخل عليه فارس ورمى بنفسه على الأمير وقال: هذا رجل صالح يُعرف بأبي الخير التيناتي، فرمى الأمير نفسه إلى الأرض وأخذ يدي المقطوعة يقبّلها وتعلّق بي يبكي ويعتذر إليّ، فقلت له: جعلتك في حِلٍّ من أول ما قَطَعْتَها وقلت: يدٌ جَنَت فقُطِعَت.

وقال: كنت بطرابلس الشام ليلاً، فذكرتُ الحَرَم وطيبه، فاشتقتُه، فسجدت ورفعت رأسي فإذا أنا في المسجد الحرام.

قال «ياقوت الحموي» و«ابن الأثير»: سكن جبل لبنان، وكان ينسج الخُوص بيده الواحدة، ولا يُدْرَى كيف ينسجه، وكان تأوي إليه السِّباع وتأنس به، ويُذكر أن ثغور الشام كانت في أيامه محروسة حتى مضى لسبيله.

وقد صحِبه «علي بن الحسين بن محمويه النيسابوري» الذي سمع بطرابلس. أرّخ «ابن الجوزيّ» وفاته في سنة ٣٤٣هـ. وكان عمره ١٢٠ عامًا[1].

- **عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان الشامي** أحد العُبّاد الأولياء، قيل إنّ أصله من خُراسان، نزل الشام، وأقام بصيدا، وكان معاصرًا للأوزاعيّ، فقيل: حديث الشاميّين كلّهم ضعيف إلاّ نفرًا، منهم: الأوزاعي، وعبد الرحمن بن ثابت. وقد ذهب إلى بغداد فحدّث بها مع «هشام بن الغاز الصيداوي»، فولاّه الخليفة «المهديّ» على المظالم بها، كما ولّى «هشام» على بيت المال.

وكان «عبد الرحمن بن ثابت» ممّن يُذكر بالزُّهد والعبادة والصدق في الرواية، وفيه سلامة. وكان مُجاب الدعوة. حكى عنه «إبراهيم بن مَخْلَد الجُبَيْليّ» أنه حَمَّل حمارًا له غرارة قمح وخرج إلى الطاحون بصيدا، فلما

---

(١) طبقات الصوفية، للسُلَمي ٣٧٠- ٣٧٢، حلية الأولياء ١٠/٣٧٧، المنتظم، لابن الجوزي ٦/٣٧٦، ٣٧٧، صفة الصفوة له ٤/٢٠٦، الروض المعطار ١٤٧، موسوعة علماء المسلمين ٣/١١ ـ ١٤ رقم ٧٢٤ وفيها مصادر أخرى لترجمته وأخبار، وتحفة الأحباب للسخاوي ٢٥٣.

وصل إليها ألقى الحِمْل عن حماره وتركه، فلما فرغ من الطحن خرج ليأتي بالحمار فوجد السبُع قد افترسه، فجاء إلى السبُع وقال له: يا كلب الله أكلت حمارتنا فتعال احمِلْ طحيننا، فحمّل الغرارة على السبُع، فلما صار إلى باب صيدا، ألقى الغرارة وقال للسبُع: إذهب لا تُفْزِع الصبيان!

مات بحدود سنة ١٦٧ هـ[1].

- **فَيْضُ بن الخضِر، أبو الحارث الأَوْلاسي التميمي** من العُبّاد والزُّهاد الذين لهم سياحة في جبل لبنان، وهو من «أَوْلاس» حصن على بحر الشام من نواحي طَرَسُوس، وفيه حصن يسمّى حصن الزُّهاد[2]. قال «ابن الجوزي»: كان يغنّي في صِباه، فمرّ بمريضٍ على قارعة الطريق فقال له: ما تشتهي؟ قال: الرُّمّان. فجاء به، فقال له: تاب الله عليك، فما أمسى حتى تغيّر عمّا كان عليه، فدخل مكة بعد ذلك وصحِب «إبراهيم بن سعد العلويّ» وانتفع بعلمه، ثم قام بسياحته إلى جبل لبنان. وحكى عن نفسه، قال: بلغني أن بجبل لبنان رجلاً تُطْوَى له الأرض من يومه إلى بيت المقدس. ووُصف لي مكانه فصرت إليه فإذا هو رجل قد أُلْبس، فسألته: من أين المطعم؟ فدعا بظبية كانت قريبًا منه في الجبل، فجاء بها إلى صَخرة فيها نُقْرة فحلبها وسقاني من اللبن!

ومن قول الأَوْلاسيّ: مكثت ثلاثين سنة ما يسمع لساني إلاّ من سرّي، ثم تغيّرت الحال فمكثت ثلاثين سنة لا يسمع سرّي إلاّ من ربّي.

وقد عاد من سياحته إلى طَرَسُوس وتوفي بها في سنة ٢٩٧هـ[3].

---

(١) تاريخ بغداد، للخطيب ١٠/١٧، مشاهير علماء الأمصار، لابن حبّان ١٨١، تاريخ دمشق (المخطوط) ٤/٤٤٠، وتهذيبه ٢/٢٩٦، وموسوعة علماء المسلمين ٣/٤٨، ٤٩ رقم (٧٥٥).

(٢) معجم البلدان ١/٢٨٢.

(٣) حلية الأولياء ١٠/١٥٦، الرسالة القشيرية ٢/٦٨٢، تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٥/٤٥، =

- **محمد بن داود بن سليمان، أبو بكر النيسابوري** الصوفيّ الزاهد النيسابوريّ الأصل، له رحلة طوّف فيها بين البلاد، وقصد في رحلته الى سواحل «لبنان» فنزل ثغر صيدا، وأخذ به الحديث عن «محمد بن المُعافى الصيداوي»، وغيره، ثم جلس هو للحديث فسمع منه كبير محدّثي صيدا وحافظها «أبو الحسين محمد بن أحمد بن جُمَيْع الصيداوي» صاحب «معجم الشيوخ»[1].

وكان قد خرج من نيسابور سنة ٢٧٤هـ ولم يعد إليها حتى سنة ٣٣٧هـ. بعد أن غاب عنها أكثر من ستّين سنة، طوّف في غُضُونها بين خُراسان والعراقين وبلاد الشام، ومصر، والحجاز، وسمع الحديث بدمشق، وبغداد، وصيدا، وبيت المقدس، ومصر، والحجاز، وكان كتب عن كل شيخ لقيه أكثر حديثه، ثم صنّف في الشيوخ وأبواب العلم، وجمع أخبار المتصوّفة. والزُّهاد، وعقد لواء الإملاء عنده، فكان لا يتخلّف عنه من الكُبَراء أحد، حتى روى عنه الحافظ «ابن عُقدة» ومشايخ العراق، وأقام ببغداد مدّة طويلة، وكتب الحديث الكثير. ومات بنيسابور سنة ٣٤٢هـ[2].

- **محمد بن علي بن جعفر، أبو بكر الكتّاني** أحد مشايخ الصوفية، من بغداد أقام بمكة ومات بها سنة ٣٢٢هـ. وله سياحة في ساحل «لبنان»، قال: كنت أنا، وأبو سعيد الخرّاز، وعبّاس بن المهتدي، وآخر - لم يذكره - نسير بالشام على ساحل البحر، إذا شاب يمشي معه محبرة ظننّا أنه من أصحاب الحديث، فتثاقلْنا به، فقال له أبو سعيد: يا فتى، على أيّ طريق تسير؟ فقال:

= صفة الصفوة ٤/٢٨١ و٢٨٢، و٣٤٨، المنتظم ٦/٩٣، موسوعة علماء المسلمين ٤/١٩، ٢٠ رقم (١٢١١).

(١) حقّقناه، ونشرناه، وطُبع مرّتين ببيروت ١٩٨٥ و١٩٨٧ وصدر عن مؤسسة الرسالة الإسلامية، بيروت، ودار الإيمان، طرابلس، وذلك عن المخطوطة الفريدة في جامعة ليدن.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٧/٤٧٩، ٤٨٠، موسوعة علماء المسلمين ٤/١٧٨، ١٧٩ رقم (١٤٠٥).

ليس أعرف إلاّ طريقين، طريق الخاصّة، وطريق العامّة، فأمّا طريق العامّة فهذا الذي أنتم عليه، وأمّا طريق الخاصّة فبسم الله، وتقدّم إلى البحر ومشى حيالنا على الماء، فلم نزل نراه حتى غاب عن أبصارنا![1].

زُهّاد من «لبنان»

ولقد أفرد «ابن الجوزي» عدّة صفحات في كتابه للعُبّاد في جبل لبنان، ومنهم أربعة عُبّاد مجهولو الأسماء، وغيرهم من عُبّاد الساحل، وبيروت[2].

وإذا كان «لبنان» جبلاً وساحلاً قد استقبل الزُهّاد والعُبّاد الذين قصدوه من كل جهة، فإنّ مدن «لبنان» أخرجت بالمقابل عدّة من الزُهّاد الأعلام في الفترة نفسها التي نؤرّخ لها، نذكر بعضهم ونُبذًا من أخبارهم، ومنهم:

ـ **أحمد بن محمد بن جُمَيْع الغسّاني الصيداوي** وهو والد الحافظ والمحدّث الصيداوي الكبير «أبي الحسين محمد بن أحمد» صاحب «معجم الشيوخ».

يُكنَّى أبا بكر، ويُعرف بالصيداويّ العابد. روى عن شيوخ بلده، وسمعوا منه. وكان يقوم الليل كلّه، فإذا صلّى الفجر نام الضُحَى، فإذا صلّى الظُّهْر كان يصلّي إلى العصر، فإذا صلّى العصر نام إلى قبل صلاة المغرب، فإذا صلّى العشاء قام إلى الفجر، وهذه كانت عادته. فجاءه رجل ذات يوم يزوره بعد العصر فغفل فتحدّث معه وترك عادة النوم، فلما انصرف سأله الخادم عنه، فقال: هذا عريف الأبدال يزورني في السنة مرة.

(١) طبقات الصوفية ٣٧٣- ٣٧٧، حلية الأولياء ١٠/٣٥٧، تاريخ بغداد ٣/٧٤-٧٦، تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٨/٥٠٩، الرسالة القشيرية ١/١٩٠ و٢/٧٢٨، نتائج الأفكار القدسية ١/١٩٤، الطبقات الكبرى، للشعراني ١/١١٠، موسوعة علماء المسلمين ٤/٢٧٠، ٢٧١ رقم (١٥٣٢) وفيها مصادر أخرى لترجمته.

(٢) أنظر فهرس الجزء الرابع من «صفة الصفوة» لابن الجوزي - ص٤٥٩ و٤٦١ و٤٦٢.

قال: فلم أزل أرصده إلى مثل ذلك الوقت حتى جاء الرجل فوقفت حتى فرغ من حديثه ثم سأله الشيخ: أين تريد؟ فقال: أزور أبا محمد الضرير في مَغَار، قال الخادم: فسألته أن يأخذني معه، فقال: بسم الله، فمضيت معه، فخرجنا حتى صرْنا عند قناطر الماء، فأذّن المؤذّن للمغرب، فقام ثم أخذ بيدي وقال: بسم الله. قال: فمشينا دون العَشْر خُطَى، فإذا نحن عند المغارة وهي مسير إلى ما بعد الظُّهْر. فسلّمنا على الشيخ وصلّينا عنده، وتحدّثنا، فلما ذهب ثُلث الليل قال لي: تحبّ أن تجلس هاهنا أو ترجع إلى بيتك؟ فقلت: أرجع. فأخذ بيدي وسمّى بسم الله، ومشينا نحو العَشْر خُطَى، فإذا نحن على باب صيدا، فتكلّم بشيء، فانفتح الباب ودخلت، ثم عاد الباب!

وحكى «طلحة بن أبي السكن» خادم جدّ المترجم أنّ «أبا الفتح بن الشيخ»[1] حبسه في القلعة، فاشتكت زوجته إلى عمّها، صاحب هذه الترجمة، فقال لها: نعم. العصر يكون عندكِ إن شاء الله. فانصرَفت إلى بيتي قبل العصر أو العصر، فلما صلّى الشيخ العصر جاء إلى بيتي يتوكّأ على عكّازه، فأختبأت داخل البيت، فقال: أين هو؟ فقالت المرأة: أَلَيسَ كنتُ عندكَ وما سألتَ فيه ولا مضيتَ إلى أحد!؟ فقال: تخرُجْ أو أجيء أُخرِجُك؟ فخرجتُ وبُسْت رأسه!

مات سنة ٣٧١هـ. وقد عُمِّر ٩٧ سنة[2].

(١) هو والي صيدا وأحد أحفاد أسرة «عيسى بن الشيخ» التي حكمت في فلسطين والأردن وجنوب لبنان منذ منتصف القرن ٣هـ. ثم انتقل أفراد الأسرة إل أرمينية، وعاد ظهورهم في صيدا منذ سنة ٣٤٩هـ. وكان أبو الفتح هذا رجلاً جليل القدر. (ذيل تاريخ دمشق، لابن القلانسي - ص١٤).

(٢) معجم الشيوخ، لابن جميع الصيداوي (بتحقيقنا) - ص١٧٩، ١٨٠ رقم (١٢٩)، تاريخ دمشق (المخطوط)، ٣/١٦٢، وتهذيبه ١/٤٤٢- ٤٤٤، موسوعة علماء المسلمين ١/٣٨٢-٣٨٤ رقم (١٩٩) وفيها مصادر أخرى.

- **زرقان بن محمد** أحد الصوفية بجبل لبنان من ساحل دمشق - كما قال ابن عساكر - وكان مؤاخيًا لذي النون المصري المتوفى سنة ٢٤٥هـ.

اجتمع به «يوسف بن الحسين» الذي كان يصحب الزُّهّاد في جبل لبنان، وقال له: سمعت أخاك ذا النّون يقول:

قد بقينا مُذَبذبين حيارى نطلب الصدق ما إليه سبيل
قد رأينا الهوى يخفّ علينا وخلاف الهوى علينا ثقيل

فقال زرقان: لكنّي أقول:

قد بقينا مَدلّهين حَيارَى حسْبُنا ربّنا ونِعْم الوكيل
حيثما الفوز كان مُتساحًا وإليه في كل أمرٍ نميل

قال «يوسف»: فعرضت أقوالهما على «طاهر المقدسي» فقال: رحم الله ذا النّون، رجع إلى نفسه فقال ما قال. ورجع زرقان إلى ربّه فقال ما قال[1].

- **سليمان الخَوّاص** أحد كِبار الزُّهّاد من سُكّان بيروت، كان يجتمع فيها بالأوزاعي، وسعيد بن عبد العزيز، والفرْيابيّ، وإبراهيم بن أدهم، ومحمد بن كثير المصّيصيّ، وغيرهم.

قال «الفرْيابيّ»: كنت في مجلسٍ فيه الأوزاعيّ، وسعيد بن عبد العزيز، وسليمان الخوّاص، فذكر الأوزاعيّ الزُّهّاد، فقال الأوزاعيّ: ما نزيد أن نرى في دهرنا مثل هؤلاء، فقال سعيد بن عبد العزيز: سليمان الخوّاص ما رأيت أزهد منه، وكان سليمان في المجلس ولا يعلم سعيد، فرفع سليمان رأسه وقام، فأقبل الأوزاعيّ على سعيد فقال: وَيْحك لا تقُلْ ما يخرج من رأسك، تُؤذي جليسنا، تُزَكّيه في وجهه!؟

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ١١٦/١٤، وتهذيبه ٣٧٤/٥، وموسوعة علماء المسلمين ٢٦١/٢، ٢٦٢ رقم (٥٩٤)، والمستطرف ٢١٦/١.

ومرّ سليمان بإبراهيم بن أدهم - في بيروت - وهو عند قوم قد أضافوه وأكرموه، فقال: نِعْم الشيء هذا يا إبراهيم إن لم تكن تُكرمه على دَيْن.

ودخل سعيد بن عبد العزيز على سليمان الخوّاص ببيروت، فقال له: مالي أراك في الظُّلْمة؟ قال: ظُلْمة القبر أشدّ. قال: فما لي أراك وحدك ليس لك رفيق؟ قال: أكره أن يكون لي رفيق لا أقدر أن أقوم به. فقال سعيد: خُذْ هذه الدارهم، فإنها لك بها يوم القيامة. قال سعيد: أيّ شيء إلى هذا الذي أحتّني إليه إلاّ بعد كدّ، فأنا أكره أن أعوّد نفسي مثل دراهمك هذه[1].

- **محمد بن المبارك الصوري** شيخ الشام المحدّث الزاهد، قُرَشيّ المَحْتِد. وُلد في صور سنة ١٥٣هـ. وصحب في صِغَره الزاهد المشهور إبراهيم بن أدهم وتخرّج عليه، وخرج الى دمشق فأخذ الحديث على شيوخها، وعاد إلى بلده، فسمعه الكثير من أهل: جُبَيل، وطرابلس، وصور، وجبل عامل، وصيدا، ومن بلاد كثيرة بين سمرقند شرقًا وقُرطبة الأندلسية غربًا، فكانوا بالعشرات، أحصينا أكثريّتهم الساحقة في «موسوعتنا»[2].

قال عنه «ابن السمعاني»: كان من عُبّاد أهل الشام وزُهّادهم[3]. واعتبره الذهبيّ «أحد الأئمّة»[4].

حكى عن نفسه فقال: صعدت جبل لبنان، فإذا أنا برجلٍ عليه جُبّة من صوف مفتّقة الأكمام، مكتوبٌ عليها: لا تُباع ولا تُشْتَرَى ولا توهب. قد

(١) طبقات الصوفية ٩٨، حلية الأولياء ٢٧٦/٨، ٢٧٧، سير أعلام النبلاء (المصوّر) ١٥٩/٨، ١٦٠ موسوعة علماء المسلمين ٣٢١/٢، ٣٢٢ رقم (٦٦١)، المستطرف ٢١٢.

(٢) أنظر ترجمته ومصادرها في الموسوعة ٣٣٧/٤ - ٣٤٩ رقم ١٥٨٠ وقد توفّرت على جمع أخباره وأحاديثه وآثاره المبثوثة في عشرات المصادر في سبيل نشر كتاب مُفْرَد عنه إن شاء الله.

(٣) الأنساب ١٠٤/٨.

(٤) الكاشف ٩٢/٣.

اتّزر بمئزر الخشوع واتّشح برداء القنوع، وارتدى برداء الورع، وتعمّم بعمامة التوكّل، فلما رآني اختفى وراء شجرة بلّوط فناشدته الله أن يظهر فظهر، فقلت: إنكم معاشر العُبّاد تصبرون على الوحدة وتقاسون هذه القفار الموحِشة فكيف ذلك؟ فضحك ووضع كمّه على رأسه وأنشأ يقول:

يا حبيب القلب من لي سواكا؟ ... إرحم اليوم مذنبًا قد أتاكا
أنت سُؤْلي ومُنيتي وسروري ... قد أبى القلب أن يحبّ سواكا
يا مُرادي وسيّدي واعتمادي ... طال شوقي متى يكون لقاكا؟
ليس سُؤْلي من الجنان نعيمًا ... غير أني أريدها لأراكا

ثم غاب عنّي، فتعاهدت ذلك الموضع سنة لأقع عليه فلم أره، فلقيني غلام أبي سليمان الداراني فسألته عنه وأعطيته صفته، فبكى وقال: واشوقاه إلى نظرة أخرى منه قبل الموت، فقلت: من هو؟ قال: ذاك عبّاس المجنون، له أكلتان في كل شهر من ثمر الشجر ونبات الأرض، يتعبّد منذ ستّين سنة[1].

وللصّوريّ حكاية أخرى مع إحدى العابدات التقى بها في جبل بيت المقدس، وعابد آخر لقيه على طريق الحجّ. وله أقوال مأثورة من الحِكَم والمواعظ. وتوفي سنة ٢١٥هـ[2].

* * *

وبعد، فقد تعمّدت أن أطوّل في سرد أخبار هؤلاء الزّهّاد ونقل آثارهم بنصوصها من المصادر، على ما فيها من مبالغات، وما قد يراه البعض فيها من الأساطير، وذلك لإعطاء صورة واضحة عن هذه (الحركة ـ الظاهرة)

---

(١) عقلاء المجانين، لابن حبيب ـ ص٢٥٨ رقم ٤٥٩، موسوعة علماء المسلمين ٣/١٨، ١٩ رقم (٧٣١) وفيها مصادر أخرى.

(٢) أنظر قائمة مطوّلة بمصادر ترجمة «محمد بن المبارك الصوري» في تحقيقنا كتاب «تاريخ الإسلام» للحافظ الذهبي ـ الجزء (١٤) الخاص بحوادث ووفيات (٢١١ـ٢٢٠هـ) رقم ٣٧٨.

التي شهدها «لبنان» في تلك الفترة، والتي أهمل الباحثون في «تاريخ لبنان» الكتابة عنها، كما أهملوا دراسة عدّة موضوعات مهمّة غيرها تعمّدوا الإغضاء عنها لأغراضٍ لسنا بصدد مناقشتها هنا، ولكنّ هذا يقوّي اليقين عندنا بوجوب إعادة قراءة «تاريخ لبنان» ودراسته وكتابته من جديد، لوضع كل الحقائق التاريخية أمام الأجيال وأبناء الأمّة، مع الإلمام بكل التفاصيل التي توفّرها المصادر الأساسية، فظاهرة سياحة الزّهّاد والصّوفيّة والعُبّاد في جبل لبنان ولقاء بعضهم برُهبان الجبل وما كان يدور بينهم من حوار، لأمرٌ جديرٌ بالاهتمام والدراسة.

(٣)

المظاهر العمرانية والاجتماعية والثقافية في المدن والقرى « اللبنانية »

طرابلس

يلاحظ أن أخبار طرابلس تغيب عن المصادر التاريخية لمدة تزيد على قرن من الزمان، منذ قيام الدولة العباسية ١٣٢ هـ / ٧٥٠ م. وحتى حوالى سنة ٢٥٠ هـ / ٨٦٤ م. والخبر الوحيد الذي وَصَلَنا عنها خلال تلك الفترة هو مهاجمة الروم البيزنطيّين لها عن طريق البحر سنة ١٤٠ هـ / ٧٥٨ م[١]. ثم لا يرد ذِكرها إلاّ عند منتصف القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي. وذلك مع أخبار « زُرافة »، ومحدّثها « خيثمة »، وأمير البحر وصاحبها « ليو الطرابلسيّ » وغزواته وجهاده ضدّ البيزنطيّين.

إلى أن يعود ذكرها ـ بشكل أفضل ـ في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/ العاشر الميلادي، مع زيارة « المتنبّي » الشاعر، وما قاله في وُلاتها، وأخيراً في حملة الإمبراطور « نيقفور » إليها سنة ٣٥٧ هـ. / ٩٦٨ م.

وإذا كان هذا هو الحال مع طرابلس ـ على أهمّيّتها ـ لندرة المعلومات التاريخية عنها في هذه الحقبة، فكيف بـ « عِرْقة » في عكّار، وإقليم عكّار الذي لم يرد ذِكره صراحة في المصادر التاريخية منذ الفتح الإسلامي حتى الحروب الصليبية؟ أي طوال خمسة قرون.

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٣ / ٥٩٥، تهذيبه ٥ / ٣٤١.

ولتلمّس الأخبار عن طرابلس والنصف الشمالي من « لبنان » ينبغي أن لا نكتفي بكتب التواريخ البحتة، بل علينا أن نلتفت إلى كتب التراجم والرجال والمعاجم وغيرها لنقف على كمٍّ من المعلومات توضّح جانباً من التاريخ أهملته كتب التاريخ.

إلاّ أنّ عدم ورود الأخبار التي تشير إلى الأحداث الجسام لا يعني تأخّر شأن المدينة وأهمّيتها، بل على العكس من ذلك، فهو يدلّ على استقرار الأوضاع داخل المدينة، ومن حولها، كما يدلّ على نموّها واتّساعها، وازدياد عدد سكانها، وتطوّر عمرانها، وازدهار صناعاتها وحركتها التجارية والاقتصادية، وانصراف أهلها إلى العناية بالنواحي الثقافية والحضارية.
فالإشارات السريعة المبثوثة في المصادر التاريخية والجغرافية تؤكّد هذه الحقيقة، فطرابلس عند « الإصطخري » المتوفّى حول سنة ٣٠٠ هـ. / ٩١٢ م. « مدينة عامرة واسعة ذات نخل، وقصب سُكّر، وخِصْب »[١]، وعند « المقدسي » الذي طوّف بـ « لبنان » في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي: مدينة حصينة على الساحل مثل بيروت وصيدا، إلاّ أنّها أجَلّ منها[٢]. ومن « ديوان المتنبي » نعرف أنّ الطرابلسيّين كانوا يصنّعون السُّكّر بأشكال مختلفة من قصب السُّكّر الذي تشتهر بزراعته، منها قطع من السُّكّر على شكل سمك يسبح في عسل[٣]. وقول « اليعقوبي » - بعبارته الموجزة - إن أهل طرابلس لهم ميناء عجيب يحتمل ألف مركب، له دلالات مهمّة، منها: اتّساع حوض الميناء، ممّا يعني العناية الواضحة بأمر هذا المرفق الحيويّ للمدينة من الناحيتين: العسكرية، والتجارية. فطرابلس على ثغر البحر المتوسّط، عُرضة للهجمات من الأسطول البيزنطي، ولذا كان من مستلزمات الدفاع عنها أن يكون لها أسطولها البحري، وأن يكون للأسطول إمارة وقيادة، ويضمّ بحّارة

(١) المسالك والممالك ٤٦، الأقاليم ٣٥.
(٢) أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ١٦٠.
(٣) ديوان المتنبي، بشرح الواحدي ٨٨.

وخبراء وصنّاع ومهندسين لصناعة السفن وصيانتها وترميمها، وتجهيزها، وما يتبع ذلك من أمور كثيرة.

وإلى جانب الدور العسكري، فثغر طرابلس يتمتّع بموقع جغرافيّ مهمّ على ساحل الشام، ولهذا كان للميناء دور تجاريّ هامّ، وكانت معظم صادرات وواردات المدينة وإقليم عكار والكورة، تُنقل بواسطة المراكب التجارية، وهذا يعكس وضعاً اقتصادياً وتجارياً جيّداً، ويخلق طبقة اجتماعية ارتبطت مصالحها بالبحر وصناعة السفن والتجارة البحرية. وكانت المراكب أيضاً وسيلة انتقال وتنقّل للأشخاص بين ثغر طرابلس وغيره من ثغور سواحل الشام ومصر وآسية الصغرى، وجزر البحر المتوسط، فمحدّث طرابلس « خيثمة » انتقل أثناء طلبه للعلم بطريق البحر إلى جبلة، ومنها بالبحر أيضاً إلى أنطاكية حول سنة ٢٧٠ هـ[١].

ويمكن أن نقرّر أنّ المجتمع الطرابلسي في عهد صاحبها « ليو الطرابلسي » كان يتكوّن من خليط بشريّ من جنسيات وديانات مختلفة، فالمسلمون من السُّنّة والشيعة الإماميّة، مع النصارى من الروم الملكية (الأرثوذكس) من السكان الأصليّين، ومن الروم المستأمنين - ممّن أسلم منهم، أو ممّن بقي على دينه - أو من الرقيق والأسرى من الروم الذين كان يؤتى بهم في الغزوات البحرية، ومن الجالية اليهودية التي سبق أن أسكنها معاوية في طرابلس، والأصول الفارسية التي أسكنها معاوية، ثم عبد الملك، ومن الجالية القبطية المصرية التي كانت تُسهم في صناعة المراكب. وهذا الواقع الاجتماعي والطوائفي لا يقتصر على طرابلس فحسب، بل ينطبق أيضاً على بقيّة المدن الساحلية: جبيل، بيروت، صيدا، صور، وعلى بعلبك أيضاً، ولو ببعض التفاوت.

ورغم الخليط الواسع الذي يتشكّل منه المجتمع الطرابلسي، فإنّ المصادر لم تتحدّث عن أيّة أحداث طائفية أو مذهبية أو عِرْقيّة أثنيّة في تلك المرحلة من

(١) بغية الطلب لابن العديم (المصوّر) ٥/ ٢٥٠، تاريخ دمشق (المخطوط).

التاريخ، بل هي تُعطي انطباعاً عن جو التعايش الطبيعيّ الذي يسودها، ونجد إشارة إلى ذلك في أبيات كتبها أحد شعراء طرابلس وهو في السجن إلى «محمد» ابن أمير طرابلس «ليو الطرابلسي» حيث يقول:

لئِنْ كنتُ ظُلْماً قد رُميتُ ببِدعةٍ — وعضضتني نابُ حديدٍ من الدّهرِ
فإنّي على دين النّبيّ محمدٍ — وصاحبه في الغار أعني أبا بكرِ
وأهدي سلاماً كُلّما ذَرّ شارقٌ — على عُمَر الفاروقِ في السّرّ والجهْرِ
رفيقاه في المحيا، قسماه في الأذى — ضجيعاه بعد الموت في ملحد القبرِ
وأهوى ابن عفّان الذي سبّح الحصا — بكفّيْه أكرمْ بالشهيد أبا عمرو
وكم لعليٍّ من مناقبَ جمّةٍ — إذا ذُكرت أوفت على عدد القطرِ
نجوم بُدور أيُّهم يُقتدى به — ففيه هديُ الضلال في المسلك الوعرِ
... أسيرٌ سوى في أرضه وبلاده — لعَمْرك ذا خطب عظيم من الأمرِ
أروح وأغدو خائفاً مترقّباً — وتمشي النصارى آمنين من الكفْرِ[1]

كما كان النصارى يؤدّون طقوسهم الدينية دون أيّ تضييق أو تحرّج، وفي سنة ٣٥٠ هـ. / ٩٦١ م. تمّ بناء كنيسة لهم عُرفت باسم القدّيس «بهنام»: وهي كنيسة كبيرة للروم الأرثوذكس بنيت تيمُّناً بشهيد المسيحية أيام الرومان[2]. وكان المسلمون عند فتح طرابلس قد أبقوا على كنيسة كبيرة للنصارى، كانت لا تزال قائمة في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، وذكرها المؤرّخ والمحدّث الطرابلسي «معاوية بن يحيى»[3]، ونرجّح أنها كنيسة القدّيس «لاونتيوس»[4].

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٤ / ٢٣٤، الحياة الثقافية في طرابلس الشام، تأليفنا ٢١٣ - ٢١٥.
(٢) أصدق ما كان عن تاريخ لبنان وصفحة من أخبار السّريان، فيليب دي طرازي ١ / ٧٨، بيروت ١٩٤٨.
(٣) تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور (تأليفنا) - ج ١ / ٧٧.
(٤) معبد الشهيد القديس لاونتيوس، للأب موريس فبيه - مجلّة النور - العدد الأول - ص ٢٢ (سنة ١٩٨٣).

وُلاة طرابلس وقُضاتها

ونحن لا نعرف أسماء الكثير من وُلاة طرابلس وعُمّالها في هذه الفترة، فلم يصلنا منهم أحد في العهد العباسي الأول، حتى منتصف القرن الثالث الهجري (حول ٢٥٠ هـ. / ٨٦٤ م.) حيث نقف على اسم «زرافة» كأول والٍ على المدينة، ثم «ليو الطرابلسيّ»، وقد تقدّم التعريف بها. ثم: «**عُبيدالله بن خُراسان الطرابلسي**»[1] الذي امتدحه الشاعر «أبو الطيّب المتنبيّ» حين زار طرابلس - لأول مرة - وهو لا يزال في صباه بين سنتي ٣٢٥ هـ. - ٣٢٨ هـ. / ٩٣٦ - ٩٣٩ م. وقال في قصيدته له أفضل وأشهر بيتين قيلا في أهل طرابلس، والقصيدة هي:

أَظَبْيَةَ الوحش لولا ظبيةَ الأَنَسِ — لما غَدَوت بجدٍّ في الهوى تعِسِ
ولا سقيت الثرى والمُزْن مُخْلِفه — دمعا ينشّفه من لوعةٍ نَفَسي
ولا وقفت بجسم مسْي ثالثةٍ — ذي أرسُمٍ دُرُسٍ في الأرسُم الدُّرُسِ
صريع مُقلتها، سال دمعتها، — قتيل تكسير ذاك الجفن واللّعَسِ
خريدة لو رأتها الشمس ما طَلَعَت، — ولو رآها قضيبُ البان لم يَمسِ
ما ضاق قبلك خلخالٌ على رشأٍ — ولا سمعت بديباجٍ على كنَسِ
إنْ ترمني نكبات الدّهر عن كثبٍ — ترم امرءاً غير رعديدٍ ولا نكِسِ
يفدي بنيك «عُبيدَالله» حاسدُهم — بجبهة العير يُفْدَى حافر الفَرَسِ
أبا الغطارفة الحامين جارَهم — وتاركي اللّيث كلباً غير مفترسِ
من كلّ أبيض وضّاح عِمامتُه، — كأنّما اشتملت نوراً على قَبَسِ
دانٍ، بعيدٍ، مُحبٍّ، مُبغضٍ، بَهِجٍ، — أغرَّ، حُلْوٍ، مُمِرٍّ، ليِّنٍ، شرسِ

(١) لعلّ اسمه الكامل: عبيد الله بن خراسان بن حيدرة الطرابلسي، ويُكنّى: أبا القاسم. كان أبوه «خُراسان» محدّثاً، ذكره ابن عساكر في تاريخ دمشق ١٢ / ٣٩٠، والصفدي في الوافي بالوفيات ٨ / ٣١٧، وفي نسخة البرقوقي من ديوان المتنبي ٢ / ٢٩٤ طبعة بيروت: «عبيد الله بن خلكان الطرابلسي» وهو تصحيف، وفي الجزء ٣ / ٢٩٠ إنه من خُراسان. (معجم البلدان ٤ / ٢٦).

نَدٍ، أبيٍّ، غَرٍ، وأفافٍ، أخي ثقةٍ ... جَعْدٍ، سَرِيٍّ، نَهٍ، نَدْبٍ، رِضًى، نَدُسِ
لو كان فَيضُ يديه ماءَ غاديةٍ ... عزّ القطا في الفيافي موضع اليَبَسِ [1]
أكارمٌ حسد الأرضَ السماءُ بهم، ... وقصّرتْ كلّ مصرٍ عن «طرابُلُس»
أيّ الملوك -وهم قصدي- أُحاذِره، ... وأيُّ قرنٍ -وهم سيفي وهم تُرُسي؟ [2]

وأهدى «ابن خراسان» عامل طرابلس إلى «المتنبي» هديّة فيها سَمَك مصنوع من السُّكّر، ولوز في عسل، فارتجل يمدحه:

قد شغل الناس كثرةُ الأملِ ... وأنت بالمكرُماتِ في شُغُلِ
تمثّلوا حاتماً، ولو عقِلوا ... لكُنْتَ في الجود غايةَ المَثَلِ
أهلاً وسهلاً بما بعثتَ به ... إيها «أبا قاسمٍ» وبالرسلِ
هديّةٌ ما رأيت مُهْدِيها ... إلاّ رأيت العباد في رجلِ [3]
أقلّ ما في أقلّها سمكٌ ... يسبح في بركة من العسلِ

---

(١) ذكر ابن أيبك الدواداري أن قائلاً مدح طرابلس الشام وذلك بمناسبة ذكر الطوفان، وذكر هذا البيت. وأقول: إن عامل طرابلس هو «ابن خراسان»، والقائل هو «المتنبّي».

(٢) ديوان المتنبّي: نسخة د. عبد الوهاب عزّام ٢١٦، ٢١٧، القاهرة ١٩٤٤، ونسخة بشرح الواحدي النيسابوري، نشرها فريدرخ ديتريصي ٣٥، برلين ١٨٦١، ونسخة بشرح البرقوقي ٢ / ٢٩٤.

وقد أورد الأستاذ أحمد الأنصاري أبياتاً من هذه القصيدة في كتابه «نفحات النّسرين والرَّيحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، بهامش الصفحة ٦٣، طبعة بيروت ١٩٦٣»، وهو يتحدّث عن طرابلس الغرب وعلمائها، وهو يقصد أن الأبيات قيلت في طرابلس الليبية، وهذا وهْم منه، لأن المتنبّي لم يصل إلى ما وراء مصر، وقد لحظ ذلك الأستاذ علي مصطفى المصراتي وهو يحقّق الكتاب فنبّه إلى الخطأ، وقال: إنّ أبا الطيّب «يقصد طرابلس الشام لا طرابلس الغرب كما زعم المؤلّف هنا والقصيدة موجودة في ديوان المتنبّي ومناسبتها معروفة».

وقد وهم ياقوت الحموي أيضاً فذكر أبياتاً من القصيدة على أنها في ابن خراسان من طرابلس المغربية (معجم البلدان ٤ / ٢٦).

(٣) هذا البيت في: يتيمة الدهر للثعالبي ١ / ١١٩ وفيه: عبدالله بن خراسان.

كيف أكافي على أجلّ يدٍ ... من لا يرى أنها يد قبلي؟ [1]

وكتب إليه أيضاً على جوانب الجام (الصينية) بالزّعفران:

أقْصِرْ فلستَ بزائدي ودّاً ... بلغ المدى وتجاوز الحدّا
أرسلتَها مملوءة كرماً ... فرددْتُها مملوءة حمدا
جاءتك تطفح، وهي فارغة ... مثنى بها وتَظنُّها فردا
تأبى خلائقك التي شرُفت ... ألاّ يحنّ وتذكُر العهدا
لو كنت عصراً منبتاً زهراً ... كنت الربيع وكنت له الوردا [2]

«**أبو الحسن رائق بن الخضر الغسّاني**» ذكره «أبو صالح الديلميّ» في مخطوط «هداية المسترشد»، فقال: «ومن العارفين الأمير الكبير العارف العامل زين الموحّدين، من فخر العلماء والعارفين أبو الحسن رائق بن الخضر الغسّاني، كان ممّن ملك طرابلس وما يلي من تلك الجهات والنواحي. ثم ملكها بعده: ولده: «**محمد**» فعيَّن والياً عليها من قبله:

«**بدر بن عمّار**» (انتهى ما قاله الديلمي).

وأقول: لم أجد لأبي الحسن رائق أيّ ترجمة مُفْردة في المصادر، فقد ذكره الحافظ «الذهبيّ» ضمن ترجمة ابنه «**محمد**» فقال: «كان أبوه من أجلّ مماليك المعتضد وأذْينهم»[3]. وأشير إليه في «تاريخ الهمداني» إشارة سريعة، وذلك في قول «مؤنس» لـ «ياقوت البريديّ»: «لو دخلت بغداد فأول من يطيعك محمد بن رائق، بالضرورة، ولأنك نظير أبيه»[4]. ومن المعروف أنّ «المعتضد»

---

(١) ديوان المتنبّي: بشرح الواحدي ٨٨ - ٩٢، ونسخة د. عزّام ٢١٦ وفيه: «يلعب في بركة من العسل».

(٢) ديوان المتنبّي، بشرح الواحدي ٣٥ - ٣٧، وشرح الدكتور عزّام ٢١٧.

(٣) سير أعلام النبلاء ١٥ / ٣٢٥.

(٤) تكملة تاريخ الطبري، للهمذاني - ص ٩٦، وفي «العيون والحدائق» لمؤرّخ مجهول، يرد في حوادث سنة ٣٢٩ هـ.: «رائق مولى ابراهيم بن المهدي» (ص ٨٧) ويرد «رائق الكبير»

ولي الخلافة سنة ٢٧٩ هـ. إلى أن توفي سنة ٢٨٩ هـ. ولكن من غير المعروف متى كان تملّك « رائق » لطرابلس.

أمّا « **محمد بن رائق** » فهو يُكنّى أبا بكر، وقد ولي في أول أمره شرطة بغداد « للمقتدر » فكان شهماً عالي الهمّة مِقداماً - كما قال الذهبي[1] -، ثم تولّى البصرة وواسط في عهد « الراضي »، وقلّده إمرة الأمراء ورئاسة الجيش، وأمر أن يُخطب له على المنابر سنة ٣٢٤ هـ. / ٩٣٥ م.[2] وعُزل بعد أقلّ من سنتين، ثم ولاّه طريق الفرات وجُند قنّسرين وديار مُضَر والعواصم سنة ٣٢٧ هـ. / ٩٣٨ م. ومن هناك وسّع ولايته فضمّ بلاد الشام إليه حتى مدينة الرملة بفلسطين، فدخل « لبنان » كلّه بحوزته، وعيّن على طرابلس « بدر بن عمّار » سنة ٣٢٧ هـ. ثم ضمّ إليه مدينة صور وساحل الأردن وعمله سنة ٣٢٩ هـ. وعاد « ابن رائق » إلى بغداد باستدعاء من الخليفة الجديد « المتّقي لله » وأعاده إلى إمرة الأمراء فبقي إلى أن قُتل في الموصل سنة ٣٣٠ هـ. / ٩٤١ م.[3].

وأنّ الراضي ردّ أمر الحريم إليه، (ص ٩٥) من الجزء ٤ ق ٢، فهل هو « رائق بن الخضر » الذي ولي طرابلس؟

(١) في سير أعلام النبلاء ١٥ / ٣٢٥.

(٢) تكملة تاريخ الطبري ٩٩.

(٣) أنظر عنه في: أخبار الراضي والمتّقي ٢٣٠، ومروج الذهب (فهرس شارل پلا) ٢٦٦٣، ٣٥٠٩ و٣٥٣٤ و٣٥٩٩ و٣٦٠٤ و٣٦٠٥، والمحمّدون من الشعراء وأخبارهم للقفطي، طبعة حسين معمري - رقم ٢٨٤ - بيروت ١٣٩٠ هـ./ ١٩٧٠ م.، وتكملة تاريخ الطبري للهمذاني (أنظر الاعلام)، وتجارب الأمم لمسكويه (أنظر فهرس الأعلام)، والولاة والقضاة للكندي، وولاة مصر، له، وتاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية) ١٥/ ١٦٣ ب، ١٦٤ أ، والأذكياء لابن الجوزي ١٠٠، والكامل لابن الأثير ٨/ ٣٢٢ وما بعدها، وسير أعلام النبلاء ١٥ / ٣٢٥، ٣٢٦ رقم ١٦٠، والوافي بالوفيات ٣ / ٦٩، والعيون والحدائق ج ٤ ق ١ / ٣٥٢، و٣٦١ وج ٤ ق ٢ (أنظر فهرس الأعلام)، والأنباء في تاريخ الخلفاء ٨٤ و١٥٩ و١٦٣ - ١٦٥، و١٦٩ و١٧٠، والفخري ٢٨٢، والنجوم ٣ / ٢٧٥، ٢٧٦.

أما « **بدر بن عمّار** » فهو « بدر بن عمّار بن اسماعيل الأسدي المعروف بالطبرستاني » نصَّ « الصفديّ »[1] و« العبّاسيّ »[2] على أنه « صاحب طرابلس الشام »، وقال « الهمداني »: « وكان بدر بن عمّار الأسدي الطبرستاني يتقلّد حرب طبرية لابن رائق، وهو الذي مدحه المتنبّي بقصائد عدّة »[3].

وجميع ما مدحه فيه كان في سنة ٣٢٨ هـ. وهو بطبرية، وليس فيه إشارة إلى أنه كان صاحب طرابلس، وهو الذي يخبرنا أنّ ابن رائق أضاف صور والأردن وساحله إلى ما بيده من عمل[4].

ويُحتمل أن « بدر بن عمّار » بقي يتولّى طرابلس حتى دخلت في حوزة الدولة الإخشيدية سنة ٣٣٣ هـ. / ٩٤٤ م.

« **إسحاق بن إبراهيم بن كَيَغْلَغ** » كنيته أبو يعقوب، ويُلقَّب بالأعور. وهو من بيت إمارة، فأبوه « إبراهيم » كان « المقتدر » قلّده مُدُناً على ساحل الشام: السُّويدية، واللاذقية، وجَبَلة، وصيدا وما يتعلّق بها من أعمالها[5]. وعمّه « أحمد » ولي إمرة دمشق غير مرة في أيام المقتدر. وقبل ذلك كان يتولّى غزو بلاد الروم من طرسوس[6].

وورد ذِكر « إسحاق » لأول مرة في حوادث سنة ٣٣٢ هـ. / ٩٤٣ م. وذلك عند صاحب « العيون والحدائق » حيث يقول إنّ سيف الدولة الحمداني

---

(١) في الوافي بالوفيات ٣/٦٩.

(٢) في معاهد التنصيص ٤ / ٤٧.

(٣) تكملة تاريخ الطبري ١١٧.

(٤) أنظر ديوان المتنبّي، وأمراء الشعر العربي لأنيس الخوري المقدسي - ص٣٢٤، المطبعة الأميركانية، بيروت، ووفيات الأعيان بتحقيق د. إحسان عبّاس ١ / ٤٠١، وفي يتيمة الدهر للثعالبي اقتباسات من شعر المتنبّي في « بدر بن عمار » أنظر: ج ١ / ١١٦ و١١٧ و١١٩ و١٢١.

(٥) الوافي بالوفيات ٦ / ٩٦.

(٦) تهذيب تاريخ دمشق ١ / ٤٤٠، ٤٤١.

دخل حلب وتوجّه نحو حمص «فتنحّى منها إسحاق بن إبراهيم بن كيغلغ وسار نحو طرابلس، وكان يخلف أبا الحسن بن طغج بها، وأبو الحسن من قِبَل الإخشيد. وكان ابن كيغلغ يحمل إلى أبي الحسن بن طغج في كل شهر ألف دينار على يد أبي العباس فتح البرّاز، ويقيم الدعوة بعد الإخشيد له، فلما وصل ابن أبي العلاء إلى حمص نزل على النهر في نحو ألف فارس خيل جريدة[1] بلا خِيَم ولا شيء يأوون إليه، فأقام بها جمعة، وكاتبه ابن كيغلغ فزعاً على ضيعته، فاستأمن إليه على خوفٍ شديدٍ منه، وأراد كحله، فحمل إليه مالاً وقاد إليه خيلاً، وملأ عينه بما أعطاه، فردّ أمر حمص إليه»[2].

إذن، فهو سنة ٣٣٢ هـ./ ٩٤٣ م. كان عاملاً على حمص، وفي سنة ٣٣٦ هـ./ ٩٤٧ م. كان بطرابلس حيث لقيه بها «أبو الطيّب المتنبّي» وهجاه بقصيدة مقذعة، وجاء في الديوان أنّ «إسحاق» كان يجالسه ثلاثة من بني حيدرة، وبين أبي الطيب وبين أبيهم عداوة قديمة، فقالوا لإسحاق: ما نحبّ أن يتجاوزك ولم يمتدحك، وإنما يترك مدحك استصغاراً لك. وجعلوا يُغْرونه به، فراسله وسأله أن يمدحه فاحتجّ أبو الطيّب بيمينٍ عليه ألاّ يمدح أحداً إلى مدّة. فقام إسحاق بن كَيَغْلَغ عن طريقه ينتظر تلك المدّة وأخذ عليه الطرق وضبطها ليمنعه من الهرب، وصادف أن مات أبناء حيدرة الثلاثة في مدّة أربعين يوماً، فقال أبو الطيّب وهو بأطرابلس: لو فارقته قبل قولها لم أقُلْها أنَفَةً من اللفظ بما فيها، وأملاها على من يثق به. فلما ذاب الثلج وخفّ عن جبال لبنان، خرج أبو الطيب من طرابلس وهو كأنه يسيّر فرسه للمرعى، وعندما ابتعد عن الأنظار امتطى جواده وأسرع به عبر الجبال ميمّماً وجهه نحو دمشق، وعندما بلغ ابن كيغلغ خروجُه من طرابلس أتْبعه خيلاً

(١) جريدة: الجماعة من الخيل لا رجّالة فيها، جُرِّدت من سائرها لوجه. (لسان العرب - مادّة جَرَد).

(٢) العيون والحدائق، بتحقيق عمر السعيد - ج ٤ ق ١/ ٣٩٨.

ورَجْلاً، فأعجزهم أبو الطيّب ولم يستطيعوا اللحاق به، ثم ظهرت بعد ذلك القصيدة «الميمية» الهجائية، وأولها:

لهوى القلوب سريرة لا تعلم   عَرَضاً نظرت وخِلْت أنّيَ أسلمُ

وفيها:

لا يَسْلَم الشَرَفُ الرفيع من الأذى   حتى يُراق على جوانبه الدَّمُ

ومنها:

أرسلتَ تسألني المديح سفاهةً   صفراءُ أضيقَ منك ماذا أزعمُ؟

أتُرى القيادة في سواك تكسّباً   يا ابن الأُعَيْوَر وهي فيك تكرّمُ

فَلَشَدَّ ما جاوزت قدرك صاعداً   ولَشَدَّ ما قربت عليك الانجم[1]

ويبدو أنّ «ابن كيغلغ» خرج من طرابلس بعد ذلك في وقت غير معروف ودخل بلد الروم، كما جاء في الديوان، وفيما كان «أبو الطيّب» بدمشق لقيه بعض الغُزاة فعرّفه أنّ ابن كيغلغ لم يزل يذكره في بلد الروم، فقال:

أتاني كلام الجاهل ابن كيغلغ   يجوب حُزُوناً بيننا وسهولا

وإسحاق مأمون على من أهانه   ولكن تسلّى بالبكاء قليلا[2]

وقيل إن سيف الدولة قلّده أمر الساحل الشامي، ففتك به غلمانه في سنة ٣٥٠ هـ.[3] وورد الخبر إلى أبي الطيب وهو بمصر، فقال:

قالوا لنا مات إسحاقٌ، فقلت لهم: هذا الدواء الذي يشفي من الحمقِ

إنْ مات مات بلا فقدٍ ولا أسفٍ   أو عاش عاش بلا خلقٍ ولا خلقِ[4]

(١) الديوان، تحقيق د. عزّام ٢٢١، وبعضها في: يتيمة الدهر ١/ ١٨٢.

(٢) الديوان.

(٣) الديوان، العيون والحدائق، ج ٤ ق ٢/ ٢٢٣، وجاء في الوافي بالوفيات ٨/ ٤٠٠، ٤٠١ أنه توفي في حدود العشرين وثلاثمائة! وهذا لا يتّفق والحقيقة.

(٤) الديوان.

وكان ابن كيغلغ قد افتصد، فقال الشاعر ابن كشاجم:

يا فاصداً عرق إسحاقْ　　أيّ دمٍ لو علمت مِهْراقْ

سفكته من يدٍ معوّدةٍ　　لنَيْل مالٍ وضرْب أعناقْ[1]

«**أحمد بن نحرير الأرْغُليّ**» كنيته «أبو الحسن» آخر من ولي طرابلس في العهد الإخشيدي. انفرد «الأنطاكي» بذكر اسمه في تاريخه[2]، ووصفه بأمير طرابلس، وقال إنّ أهل طرابلس طردوه منها لظلمه وجوره، فانتقل إلى عرقة ومعه مال كثير، وحين جاء ملك الروم نيقفور محاصراً لحصن عرقة أخذه أسيراً واستولى على جميع أمواله، وذلك في آخر سنة ٣٥٧ هـ. / ٩٦٨ م. ومن غير المعروف متى تولّى طرابلس.

★ ★ ★

(١) يتيمة الدهر ١ / ٢٤٨.

(٢) تاريخ الأنطاكي (بتحقيقنا) - ص١٢٦، وورد في «العيون والحدائق» في حوادث سنة ٣٣٣ هـ. (ج ٤ ق ٢ / ١٤٤): أبو الحسن نحرير غلام الإخشيد المعروف بالأزغلي (بالزاي) جرّده الإخشيد إلى بغداد لخدمة الخليفة فسافر في البحر من مصر. وقد شهد خلع المتّقي لله واعتقاله في السنة المذكورة. (ص ١٥٠) وحين جاء «جوهر الصقلّي» إلى مصر كان «نحرير الازغلي» ممن تصدّى له من الأمراء الإخشيدية فقُتل في شهر شعبان سنة ٣٥٨ هـ. وحُملت رأسه إلى المعزّ لدين الله في المغرب. (المقفّى، للمقريزي، مجلّد برتو باشا) وورد «الأستاذ الأثير نحرير الخادم» في: (الهفوات النادرة، للصابي - ص ٣٤١)، وذكر محقّق الكتاب المذكور الدكتور صالح الأشتر أنه قتل عام ٣٧٩ هـ. (بالحاشية). كما ورد نحرير الأزغلي في: إتعاظ الحنفا للمقريزي ١ / ١٠٩، والانتصار لابن دقماق ١١ و ٤٠ و ١٢١، وذكر «المسبّحي» في: أخبار مصر - ص٤١٦ وفاة أبي الحسين بن نحرير الأزغلي يوم الخميس لثمان بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٤١٥ هـ. وقال إنه أكبر من بقي من عُرفاء الإخشيدية، ودُفن بالقرافة بمصر مع أبيه وأمّه، بعد أن كان قبرهما في حجرة بسفح المقطّم. فلعلّ أبا الحسين هذا هو ابن والي طرابلس أو حفيده.

أما قُضاة طرابلس، فقد عرفنا منهم اثنين في هذه الحقبة، أولهما:

«**إبراهيم بن أبي العيش الأطرابلسي**» وهو من أسرة أنجبت الكثير من رجال الحديث والقضاء، كان محدّثاً، وتولّى القضاء، وأخذ عليه الحديث محدّث طرابلس الكبير «خيثمة»، وهذا يعني أنه كان بطرابلس في النصف الأول من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، لأنّ خيثمة وُلد في سنة ٢٥٠ هـ. وقد روى «ابن أبي العيش» عن محمد بن عبيد الطنافسيّ[1].

وثانيها: «**الحسين بن محمد بن أحمد بن حيدرة أبو عبدالله**» ذكره ابن عساكر، وقال: كانت له عناية بالحديث. وقد جلس للحديث سنة ٣٢٨ وتوفي سنة ٣٣٠ هـ.[2] وهو من أسرة حيدرة التي اشتهرت في طرابلس، فكان منها القضاة، والمحدّثون، والأمراء، والأدباء.

★ ★ ★

أعلام من طرابلس

ظهر في طرابلس خلال هذه الفترة التي نؤرّخ لها عدّة أعلام كان لهم دورهم في إثراء الحياة الثقافية بها وببلاد الشام، وتخرج عليهم عشرات العلماء الأعلام في العالم الإسلامي، مثلها مثل بقيّة المدن اللبنانية، منهم:

١ - «أحمد بن محمد بن الزبير بن عبد السلام، أبو علي الأطرابلسيّ»

محدّث حافظ، يُعرف بشُقير. حدّث عن جماعة. وأخذ عنه الكثيرون، وممّن تخرّج عليه محدّث طرابلس الكبير «خيثمة بن سليمان»، وابن أخيه علي بن محمد بن سليمان الأطرابلسي. كما روى عنه جدّه الزبير بن عبد السلام، وهو يندرج في رواية الأكابر عن الأصاغر. وقد حضر مجلسه ابن أبي حاتم

(١) انظر عنه في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي - ج ١ / ١٩٨ رقم (٤).

(٢) انظر عنه في الموسوعة ٢ / ١٦٥ رقم (٥٠٨).

الرازي في طرابلس أثناء رحلته وطوافه على الشيوخ، وقال: كتبنا عنه وهو صدوق.

وهو من أهل القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[1].

٢ ـ أحمد بن محمد بن يزيد المعروف بابن أبي الخناجر الأطرابلسيّ»

الإمام المسند، محدّث طرابلس، قال عنه الذهبيّ إنه «كان من نُبلاء العصر». وقال محمد بن الحسن بن قتيبة: ما كتبت في الإسلام عن شيخ أبهى ولا أنبل من الخليل[2]، ومن ابن أبي الخناجر. وكتب عنه ابن أبي حاتم الرازي وقال إنه صدوق. وتخرج عليه العشرات، ومنهم: «خيثمة الأطرابلسي»، و«محمد بن المبارك الصوري». وكان جدّه من كبار المحدّثين ببغداد، وقف الخليفة المأمون على مجلسه وفي المجلس ألوف، فالتفت إلى أصحابه وقال: هذا هو المُلْك.

توفي ابن أبي الخناجر في جُمادى الآخرة سنة ٢٧٤ هـ.[3].

٣ ـ «خيثمة بن سليمان القُرشي الأطرابلسيّ»

مسند الشام، وكبير محدّثي طرابلس، الحافظ الثقة المصنّف المعمَّر، من بيت علم وحديث. وُلد سنة ٢٥٠ هـ. وأخذ على شيوخ بلده، ورحل في طلب العلم فطوّف بين مُدن «لبنان» الساحلية: جبيل، وبيروت، وصور،

(١) الإكمال لابن ماكولا ٤/٣١١، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٣/٣٠٨ و١٥/٦٢٣، والتدوين في أخبار قزوين للرافعي ٣/٢٥٥، وموسوعة علماء المسلمين ١/٣٩٤، ٣٩٥.

(٢) هو: الخليل بن عبد القهّار الصيداوي المتوفى سنة ٢٧٧ هـ.

(٣) انظر عن ابن أبي الخناجر ومصادر ترجمته في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ـ ج ١/ ٤٢٥ ـ ٤٢٨ رقم ٢٥١، ويُضاف على المصادر: جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البرّ ج ١/ ٥٠، والمستدرك على الصحيحين للحاكم النيسابوري ٤/ ٣٩٩، وتلخيص المتشابه للخطيب البغدادي ١/ ٥٣ رقم ٨٩٠، والروض البسام ١/ رقم ٩٩ و٣٠٧، وتاريخ الإسلام، للذهبي (بتحقيقنا) حوادث ووفيات (٢٧١ـ ٢٨٠ هـ) ـ ص ٥٨ رقم ٤٩.

وتنقّل بين: الرملة، وعسقلان، ودمشق، وحمص، وجبلة، واللاذقية، والرقة، وأنطاكية، ودير عاقول، وبيت لهيا، وصنعا الشام، وحلب، وبغداد، وواسط، والكوفة، والبصرة، وعكبراء، وسامرّاء، والمدائن، والحيرة، ونيسابور، ونصيبّين، وصنعاء اليمن، ومكة، والمصّيصة، وأذَنَة، والثغور، وعكا، وزاد شيوخه الذين أخذ عنهم الحديث على المئة والأربعين.

وحين انتهى من الطلب عاد إلى طرابلس وعقد فيها مجلساً للحديث، فكان أكبر مجلس تعرفة المدينة حتى ذلك الوقت، حيث كان يقصده الطلبة من أقصى العالم الإسلاميّ، ورُحل إليه من الآفاق، ورُوي عنه في بلاد الشام، والعراق، واليمن، والحجاز، وفارس، والأندلس، ولذا كان حديثه كثيراً ومشهوراً في العراقيّين والشاميّين والإصبهانيّين. وقد كتب عنه الحافظ «عبدالله بن مندة» لوحده ألف جزء في الحديث[1]. وكان أبو نُعَيم الإصبهانيّ صاحب «حلية الأولياء» و«أخبار إصبهان» آخر من روى عن «خيثمة» في الدنيا بالإجازة.

ولكثرة ما كان يُمليه «خيثمة» من رواية، فقد احتاج إلى ورّاقٍ يلازمه لينسخ له ويورّق أماليه ومصنّفاته، ووصلنا اسم اثنين من الورّاقين الذين لازموه، وعُرف كل واحد منها بأنه «ورّاق خيثمة»[2].

ومن مشاهير من تخرّج عليه: «ابن مندة الإصبهاني» صاحب المصنّفات الكثيرة والتي لا يخلو واحد منها من الرواية عن خيثمة، مثل كتاب «الإيمان» و«التوحيد» و«الردّ على الجهميّة»، و«مسند إبراهيم بن أدهم»، وغيره. و«أبو نُعَيم الأصبهاني» المؤلّف المشهور، وابن جميع الصيداوي صاحب

(١) يتراوح الجزء الحديثي بين ٧ ـ ١٢ صفحة حسب اجزاء خيثمة التي وصلتنا، وعلى هذا يكون مجموع ما كتب ابن مندة عنه (٧٠٠٠) صفحة على الأقلّ.

(٢) انظر عنها في كتابنا: «دار العلم بطرابلس في القرن الخامس الهجري» ـ طبعة دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر، بطرابلس ١٩٨٢ ـ ص ١٩.

« معجم الشيوخ »[1] ، و« تمّام بن محمد الرازي » صاحب « المُسْنَد » المعروف بـ « الروض البسّام » ، وتبلغ مروياته في الكتاب عن خيثمة لوحده أكثر من نصفه ، وهو في أربعة مجلّدات. و« ابن مفرّج الأمويّ القُرطبيّ » محدّث الأندلس ، و« المطهّر بن طاهر المقدسي » صاحب كتاب « البدء والتاريخ » ، وغيرهم كثير ، بحيث قارَب تلاميذه والرواة عنه المئة والثلاثين.

وكان « خيثمة » مع ثقته وفضله ، شاهداً عدلاً . يستعين به القُضاة في قضايا الحكم والخلاف. فلما علا سِنُّه امتنع عن حضور مجلس القاضي ، فورد أمر السلطان بأن يذهب القاضي بنفسه إلى الجامع حيث مجلس « خيثمة » ليستشيره ويأخذ بشهادته إجلالاً لعلمه وسنّه.

وقد انتقل « خيثمة » في أواخر عمره إلى دمشق ، فعقد مجلساً للحديث في جامعها الأموي الكبير ، وتخرّج عليه الكثير هناك ، وعاد في السنة الأخيرة من عُمره إلى بلده وتُوُفي سنة ٣٤٣ هـ . بعد أن عُمِّر ٩٣ عاماً .

ومن مصنّفاته التي وصلتنا :

١ ـ الجزء الأول من المنتخب من فوائده.

٢ ـ الجزء الثالث من « فضائل الصحابة » .

٣ ـ الجزء السادس من « فضائل الصدّيق » .

٤ ـ الجزء العاشر من « الرقائق والحكايات » .

٥ ـ جزء من حديثه المنتخب (بالظاهرية) .

٦ ـ جزء من حديثه أيضاً (بالظاهرية) .

---

(١) أصدرنا هذا الكتاب محققاً سنة ١٤٠٥ هـ ./ ١٩٨٥ م . ثم صدر في طبعة ثانية ١٤٠٧ هـ ./ ١٩٨٧ م . عن : مؤسسة الرسالة ، ببروت ، ودار الإيمان بطرابلس ، في ٥٥٠ صفحة .

هذا ، وقد نشرت المصنّفات الأربعة الأولى وحقّقتها في كتاب صدر بعنوان : « من حديث خيثمة بن سليمان الأطرابلسي » بعد أن ضممت إليه أحاديث ورقائق متفرّقة جمعتها من مصادر أخرى ، وصدر عن « دار الكتاب العربي » ببيروت سنة ١٤٠٠ هـ . / ١٩٨٠ م . وجاء في (٢٦٧) صفحة. ومنذ نشر الكتاب المذكور حتى هذا الوقت (١٤١١ هـ . / ١٩٩١ م .) لم أتوقف عن تعقّب أحاديث خيثمة ومروياته ، بحيث وقفت على المخطوطتين الأخيرتين (٥) و(٦) ، كما وقفت على مئات الأحاديث في عشرات الكتب ، بحيث لو جمعت كلّها لجاءت في كتاب ضخم يناهز الألف صفحة[1] ، وسأعمل على نشرها في وقت لاحق إن شاء الله.

* * *

وفي مجال الشعر والأدب ، كانت طرابلس تشهد مجالس المطارحات الشعرية والمعارضات في القوافي بين شعرائها وأهل الأدب الوافدين إليها ، ومن ذلك أن « أحمد بن عمرو البغدادي » المعروف بـ « الرومي المصري » دخل طرابلس واجتمع فيها بـ « أبي علي بن أبي السَّمْرأ » ، وكان ينظم الشعر ويجيد المعارضة ، فذكر له الروميّ أبياتاً قالها بعض أهل الأدب :

رأيت قوماً عليهم سِمَةَ الخـ ـيرِ تحمل الركائبُ مُبْتَهِلَهْ
مُعْتزلي الناسَ في مساجدهم سألت عنهم ، فقيل : مُتّكِلَهْ
الوقت والحالُ والحقيقة والبرهانُ والعكسُ عندهم مسألَهْ
فلم أزَلْ خادماً لهم زَمَناً حتى تبيّنت أنّهم أكَلَهْ

فعارضها « ابن أبي السمرأ الطرابلسيّ » بهذه الأبيات :

عجبت من عُصْبةٍ نَمَتْ وسَبَت باسم التُّقى والنُّهى وهم جَهَلَهْ
وساوسُ النفس عِلْمُهُم ولهم مقالةٌ في الحُلول مُفْتَعَلَهْ

---

(١) انظر ترجمة خيثمة ومصادرها أيضاً في كتابنا : موسوعة العلماء والمسلمين ـ ج ٢ / ٢١٦ ـ ٢٣٥ رقم ٥٦٧ .

تصوَّف القوم كي يبلّغهم لباسُهُم ما تبلّغ المسألهْ
لو أنّ ما هم عليه من رغدٍ ما جعل القوم زيّهم مثلهْ
وقد تأتّى لهم بزيّهِم من الورى ما تعاطت القتَلَهْ
إذا تأمّلْتَهُم رأيتهُم نُوْكى[1] كُسالى أذِلَّةً أَكَلَهْ[2]

★ ★ ★

عِرْقة

قال المؤرّخون إنها كانت قاعدة كورةٍ على الساحل شماليّ طرابلس، وهي من سواحل جُنْد دمشق[3]. والكورة يُقصد بها هنا «الناحية»، فهي قاعدة ناحية عكار وعاصمتها في التاريخ الإسلامي، وكانت مدينة قديمة فيها قوم من الفرس نقلهم اليها معاوية في بداية خلافته، وبها أيضاً قوم من ربيعة من بني حنيفة، كما يقول «اليعقوبي»[4]. وهي مدينة حصينة كما وصفها «المقدسي»[5]، وكان بها ثلاثة أبراج حين هاجمها الإمبراطور «نيقفور» سنة ٣٥٧ هـ. / ٩٦٨ م.[6] وبها مزارع، وحولها عجائب، من المزروعات والمحاصيل من الفواكه والثمار والحبوب والبُقُول، وكان يكثر بالجبال من

---

(١) نُوكى: بضم النون: الحمقى.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ١ / ٤١٩، ٤٢١، وقد أورد «الثعالبيّ» أبياتاً مماثلة نَسَبها إلى بعض الظُرفاء في (ثمار القلوب في المضاف والمنسوب - ص ١٧٦) وهي:

صَحِبْتُ قوماً يقول قائلهم نحن على ذي الجلالة متَّكِلهْ
فالوقت والحال والحقيقة والـ بُرهانُ والرقص عندهم مِثلَهْ
فلم أزلْ خادماً لهم زَمَناً حتى تبيّنت أنّهم أَكَلَهْ

(٣) الخراج لقدامة ١٨٨.

(٤) في كتاب «البلدان» - ص ٢٣٧.

(٥) في كتاب «أحسن التقاسيم إلى معرفة الأقاليم» - ص ١٦٠ (بالحاشية).

(٦) تاريخ سورية للمطران يوسف الدبس - ج ٥ / ٤٤٨، ٤٤٩ نقلاً عن المؤرّخ اليوناني «لاون بن باسيليوس».

حولها نبات الرَّيْحان، ويُنْقَل منه إلى مصر، فقد ذكر «ابن يونس» مؤرّخ مصر أن «عُرْوَة بن مروان العِرْقيّ» - وهو أحد العُبّاد والمتقشّفين من أهل عِرقة - كان يأتي إلى مصر في أواخر القرن الثاني أو أوائل القرن الثالث الهجري، وهو يحمل معه ريحاناً ينبت في الجبل، فيبيعه، ويتقوّت بثمنه أثناء إقامته بمصر، ويحدّث بها عن «عبدالله بن المبارك» وغيره[1].

ويظهر أنّ أهل عِرقة كانوا من السُّنَّة والشيعة، في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلاديّ، وكان بها مسجد ورد ذِكره في ترجمة «أبي بكر أحمد بن سليمان الزّنبقيّ» وهو من مدينة صور، انتقل إلى عرقة فسكنها وصار إمام جامعها ومحدّثها. وهو يروي عن نفسه أنه كان بعِرقة رجل كلّما لقيني سبّ معاوية رضي الله عنه، فجاء لي الرجل يوماً، وأنا قاعد تحت المنبر، وهو يقول: «رحم الله معاوية، ولعن من يبغض معاوية». فقلت في نفسي: قد جاء يؤذيني. فقصد إليّ، فأراني حلْقه، فإذا هو أحمر، فقال لي: يا أبا بكر، ما زال معاوية يخنقني في النوم ويقول لي: لِمَ تسبُّني؟ بيني وبينك رسول الله ﷺ، وأنا أقول: ما أعود، ما أعود. فقال لي: عليك الله أنك لا تعود؟ فقلت: نعم، لا أعود.

قال أبو بكر الزنبقيّ: وتاب الرجل ورجع عمّا كان عليه من سبّ معاوية رحمه الله.

وقد زعم «الحِمْيَريّ» الذي حفظ لنا هذه الرواية في كتابه «الروض المعطار في خبر الأقطار»[2]، وكذلك «البكري» في كتابه «معجم ما استعجم»[3] أنّ عِرقة هذه «بكسر أوله» موضع من ثغور مَرْعَش من بلاد الروم». وأقول: هذا غلط، فعِرْقة، بكسر أوّله وسكون ثانيه، بلدة في شرقيّ

---

(١) انظر ترجمته ومصادرها في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين ٣ / ٢٨٣، ٢٨٤ رقم ١٠١١.

(٢) بتحقيق الدكتور إحسان عباس - ص ٤٠٩، ٤١٠.

(٣) بتحقيق مصطفى السقّا - ج ٣ / ٩٣٤.

طرابلس بينها أربعة فراسخ، وهي آخر عمل دمشق، وهي في سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها. (كما يقول ياقوت الحموي)[1]، وهو يَنْسِب إليها «عُروة بن مروان العرقيّ»، الذي تَقدّم ذكره، وكذلك نسبه إليها الحافظ «ابن عساكر الدمشقيّ»[2] وهو أدرى من غيره بالشاميّين، أما التي من نواحي الروم فهي التي غزاها «سيف الدولة» وذكرها «المتنبي» في شعره، وهي بفتح الأول[3]. وقد جزم «ابن السمعانيّ» في «الأنساب»[4] أنّ أبا بكر الزنبقيّ «من أهل عِرقة، بلد يقارب طرابلس الشام»، وهو يروي عن «سعيد بن منصور» صاحب «السُّنن»[5].

والزَّنْبقيّ: نسبة إلى زهر الزَّنْبق، فكأنه كان يزرعه ويصنع منه عطراً يُدَّهن به أو يتكسّب ببيعه[6].

وكانت عرقة مركزاً من مراكز الحديث والرواية، يقصدها كبار الأئمة والحُفّاظ ليأخذوا الحديث عن شيوخها، فجاءها الحافظ «الطبراني»[7] وسمع بها من محدّثها المُكْثر «أبي الفيّاض واثلة بن الحسن الأنصاري العرقي»[8]، وروى عنه في مؤلّفاته: «المعجم الصغير» و«المعجم الكبير» و«مُسْنَد الشاميّين» وكتاب «الدعاء» وغيره.

* * *

---

(١) في: معجم البلدان ٤ / ١٠٩.

(٢) في: تاريخ دمشق (المخطوط) ١٦ / ٥٩٦.

(٣) معجم البلدان ٤ / ١١٠.

(٤) بتحقيق محمد عوّامة ٦ / ٣٠٥.

(٥) سنن سعيد بن منصور ـ اكتشف الدكتور محمد حميدالله جزءين منه، وحققهما حبيب الرحمن الأعظمي.

(٦) انظر ترجمة الزنبقيّ في كتابنا: موسوعة العلماء المسلمين ١ / ٣٠٠ رقم ١١٩، ويضاف إلى مصادر الترجمة: تبصير المنتبه بتحرير المشتبه لابن حجر ـ ص ٦٦١.

(٧) سيأتي التعريف به عند الحديث عن مشاهير الأعلام في لبنان.

(٨) انظر ترجمته في كتابنا: موسوعة العلماء المسلمين ٥ / ١٦١، ١٦٢ رقم ١٧٨٠.

جُبَيْل

يرد ذِكر جُبَيل في مصادر العصر العباسيّ الأوّل عند «اليعقوبيّ» الذي يشير إلى أنّ سكانها قوم من الفُرْس[1]، وعند «ابن خُرْداذَبَه» الذي يجعلها قاعدة كورة في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلاديّ، مثل: كورة طرابلس، وكورة بيروت، وكورة صيدا، وغيرها[2]. وعند «قُدامة» الذي يذكرها بين سواحل جُنْد دمشق والثغور التي تجتمع إليها المراكب من الشام ومصر للغزو[3].

ويرد ذكْرها أيضاً في ترجمة الزاهد المشهور «إبراهيم بن أدهم» الذي لقيه بها «خَلَفُ بن تميم الدارميّ» في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي، ومن أخباره نعرف أن الوحوش المفترسة كانت تستوطن الساحل، حيث ظهر له الأسد على الطريق عند جُبيل[4].

وتتواتر المعلومات التاريخية في المصادر بأن جبيل كانت ثغراً يرتاده الزّهّاد والعُبّاد، فإلى جانب «ابن أدهم» و«خلَف الدارميّ»، نزله الزاهد «ابن أبي الحواري»[5] الذي أخذ الحديث على «عيسى بن عُبيد الجُبيليّ»[6]، كما نزله «محمد بن المبارك الصوري»[7] في سياحته وطلبه للعلم.

ويلاحظ أن التاريخ السياسيّ لجبيل لا أثر له في أيّ مصدر يتناول تاريخ «ساحل الشام» أو «لبنان» في هذه المرحلة التي نؤرّخ لها، بل إنّ كلّ

---

(١) كتاب البلدان ٣٢٧.

(٢) المسالك والممالك ٧٧.

(٣) الخراج وصناعة الكتابة ١٨٨.

(٤) تهذيب تاريخ دمشق ٢ / ١٩١.

(٥) تقدّمت أخباره في: الزهاد والعبّاد في جبل لبنان.

(٦) حلية الأولياء ١٠ / ١٥، موسوعة العلماء المسلمين ٣ / ٤٠٨ رقم ١١٨٦.

(٧) تقدّم التعريف به، وسيأتي مُجدداً عند الحديث عن صور.

معلوماتنا عنها هي معلومات تصبّ في المسار الحضاريّ، مما يدلّ على استقرار الأوضاع فيها، وأن الوجود الإسلاميّ فيها كان واضحاً، يشهد على ذلك ازدهار مجالس الحديث، وحركة رجاله الذين خرجوا منها أو وفدوا إليها، ومنهم:

أخطل بن المؤمّل أبو سعيد الجُبَيْليّ روى عنه العبّاس بن مَزْيَد البيروتي، وقال إنه كان من أصحاب الحديث. وهو من رجال القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[1].

وإسرائيل ويقال: اسماعيل بن رَوْح الجُبيليّ حدّث عن أبي مطيع معاوية بن يحيى الأطرابلسيّ، والإمام مالك بن أنس. روى عنه: اسماعيل بن حصن الجُبيليّ[2].

وإسماعيل بن حصْن الجُبيليّ وهو قُرَشيّ أصله من بغداد. يُعتبر أشهر المحدّثين الذين أخرجتهم مدينة جبيل. اعتنى بالحديث وأخذه عن جماعة منهم: إسرائيل بن رَوْح الجبيلي، وسُوَيد بن عبد العزيز قاضي بعلبك، وعمرو بن هاشم البيروتي، ومحمد بن يوسف الفريابي، ومحمد بن شعيب البيروتي، وضمرة بن ربيعة، ومحمد بن فُديك القيسراني، وعُبَيد بن حيّان الجُبيليّ، ومحمد بن المبارك الصوريّ، وعبد القدّوس بن الحجاج. وروى عن أبيه حصن بن حسّان، وعمّ أبيه يزيد بن حسّان. وعن عبد الغفّار الخراساني الذي رابط بعكا[3]. وروى عنه: عبدالله بن محمدالنيسابوريّ، وابن جَوْصاء، وأبو الجهْم بن طلّاب المشْغراني، ومحمد بن جعفر بن ملاّس، ومحمد بن سليمان بن حيدرة الأطرابلسيّ، وذكوان بن إسماعيل البعلبكي، ومحمد بن عثمان الأنصاري

---

(١) انظر عنه: موسوعة علماء المسلمين ١ / ٤٤٢، ٤٤٣ رقم ٢٧٤.

(٢) انظر عنه: موسوعة علماء المسلمين ١ / ٤٦٤ رقم ٢٩٨.

(٣) تاريخ الإسلام، للذهبي (حوادث ووفيات ٢٠١ - ٢١٠ هـ.) بتحقيقنا، الترجمة رقم (٢٥٦).

الكفرسوسي، وإبراهيم بن إسحاق الصرفندي، وأحمد بن محمد بن عبد السلام الجوني من أهل جونية، ويحيى بن إبراهيم الحمصي، وعبدالله بن محمد الإسفراييني، وغيرهم.

وقد حدّث بدمشق في سنة نيّف ومائتين وخمسين، وقال ابن أبي حاتم الرازي في كتابه: «الجرح والتعديل»: كتبت عنه وهو صدوق. توفي سنة ٢٦٤ هـ[1].

وتمّام بن كثير أبو قُدامة الجُبيليّ حدّث عن: عُقْبة بن علقمة البيروتي، ومحمد بن شعيب البيروتي، ومحمد بن الحارث البيروتي. روى عنه: العباس بن الوليد البيروتي، وعليّ بن الهيثم المصّيصيّ، وصفوان بن صالح، وسليمان بن أحمد الطبراني. وقد دخل أنطاكية[2].

وعُبَيد بن حيّان الجُبيلي: روى عن الإمام الأوزاعيّ، والليث بن سعد عالم مصر، وعطّاف بن خالد، واسماعيل بن عيّاش الحمصيّ، وغيره. وروى عنه: العباس بن الوليد البيروتي، واسماعيل بن حصن الجُبيليّ، وحمزة بن عبدالله بن أبي كريمة الصيداوي، ووزير بن القاسم الجبيليّ، وأبو زُرعة الدمشقيّ شيخ الشام في وقته وصاحب «التاريخ»، وعبد الملك بن الأصبغ نزيل بعلبك، ومحمد بن عوف الذي قال: سمعت منه بجبيل وهو لا بأس به[3].

وحدّث عُبَيد الجُبَيليّ قال: أتيت مجلس مالك بن أنس - في المدينة - وهو عنه غائب، فقلت لأصحاب مالك: ما يقول أبو عبدالله في مسألة كذا وكذا؟ فأجابوا فيه. فقلت: ما هكذا قال أبو عمرو - يعني الأوزاعيّ - قالوا: وما قال أبو عمرو؟ قلت: كذا وكذا - بخلاف ما قالوه - قال: فتضاحكوا بي. فإنّي لكذلك، إذ أقبل مالك، فلما جلس قالوا: يا أبا عبدالله

---

(١) انظر الموسوعة ١ / ٤٦٨ - ٤٧٠ رقم ٣٠٧.

(٢) الموسوعة ٢ / ٣٦، ٣٧ رقم ٣٥٨.

(٣) انظر عن عُبيد بن حيّان في: موسوعة علماء المسلمين ٣ / ٢٥٨، ٢٥٩ رقم ٩٧١.

ألا تسمع ما يحدّث الشاميّ عن الأوزاعيّ؟ قال: فقلت: ما تقول أنت في مسألة كذا وكذا؟ فأجاب بمثل جوابهم، فقلت: ما هكذا قال أبو عمرو، فقال: كلف الشيخ فتكلّف، فتضاحكوا، فمرّ بي ساعة، الله أعلم، وعَلَتْ مالكاً سكتةٌ، فأخلد برأسه الأرض ملياً ثم رفع رأسه وقال: القول ما قال أبو عمرو. فرأيتهم وقد عاد ما كان لي بهم[1].

ومحمد بن ياسر أبو بكر الحذّاء إمام جامع جبيل، أصله من بغداد، ونُسب إلى دمشق واستوطن جُبيل. سمع بدمشق: هشام بن عمّار، وعمرو بن عثمان الحمصي، وعبد الرحمن بن إبراهيم الدمشقي. روى عنه: قيس بن بشر الجبيليّ، وأحمد بن عامر الدمشقي، وجعفر بن محمد الكنديّ، والحافظ الطبراني وقد سمع منه بجبيل أثناء طلبه العلم[2].

ووزير بن القاسم الجبيليّ روى عن: عمرو بن هاشم البيروتي، وعُبَيد بن حيّان الجُبيليّ، ومحمد بن المبارك الصوريّ، وعبد الوهاب بن نجدة الحوطي، وآدم بـن أبي إياس، وغيره. روى عنـه: خيثمـة بـن سليمان الأطـرابلسيّ، وعمرو بن عُصَيم الإمام بجامع صور، ومحمد بن إبراهيم بن مَخْلَد الجبيليّ، ومحمد بن أحمد بن الصَّلْت البغدادي، وأحمد بن محمد بن الوليد المُرّيّ، وغيره.

وهناك الكثير من المحدّثين الجُبيليّين الذين أثروا حركة الحديث في جبيل وغيرها من المدن « اللبنانية »، وكانوا مقصد الحَفَظَة والرُّواة من أنحاء بلاد الشام وغيرها، ذكرتهم جميعاً في « موسوعة علماء المسلمين »[3].

★ ★ ★

(١) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ١ / ١٨٥، ١٨٦.

(٢) موسوعة العلماء ٥ / ٣٩، ٤٠ رقم ١٦٣٩.

(٣) الموسوعة ٥ / ١٦٧، ١٦٨ رقم ١٧٨٤، وتاريخ الإسلام، للذهبي (بتحقيقنا) - (حوادث ووفيات ٢٧١ - ٢٨٠ هـ.) ص ٢٧٤ رقم ٤٥٥، وفيهما مصادر ترجمته.

جُونية

يغيب تاريخ « جونية » السياسي تماماً عن مصادر العصر الذي نؤرّخ له، مثلها مثل جُبيل، وهذا الغياب له أهميّته ودلالته، في نظرنا، إذ في وسط حمأة الصّراع بين نصارى الجبل وبين التنوخيّين الذين أُقطِعوا إقليم الغرب والأشواف ونواحي بيروت، كانت جونية في منأى عن المعارك التي دارت بين الطرفين، فلم تسجّل المصادر التاريخية أيّاً من الوقائع عندها، ولهذا يجب عدم التوهّم بأن جونية كانت ضمن المنطقة الجغرافية التي كان يسيطر عليها نصارى الجبل، فحدود مواطنهم - حسب قول أحد مؤرّخي النصارى المحدثين - كانت تمتدّ من « انطلياس » على ساحل البحر غرباً إلى « ترشيش » في الجبل شرقاً، ثم تراجع خطّهم الأماميّ إلى ضفّة نهر الكلب اليسرى فوق الجبل المشرف على النهر المذكور[1].

إذاً، فجونية الساحليّة لم تكن داخل « دويلة النّصارى » في الجبل، بل بقيت ثغراً إسلامياً مثل بقيّة الثغور الساحليّة، منذ أن فتحها المسلمون في عهد الخليفة عمر، إلى بداية الحملات الصليبيّة، وبقي جامعها يشهد مجالس رجال الحديث الذين أخرجتهم جونية أو وفدوا إليها، ومن المحدّثين الذين وصَلَتْنا أسماؤهم عن هذه الفترة التي نبحث لها، نذكر:

أحمد بن محمد بن عُبَيد السُّلميّ الجونيّ ذكره الحافظ الطبرانيّ المتوفّى سنة ٣٦٠ هـ. وقال إنّه سمع الحديث منه بـ « مدينة جونية »، وقد جلس ابن عُبيد للحديث ببلده جونية، كما زار المدينة المنوّرة وحدّث بها. وكان أخذ الحديث عن محدّث جبيل إسماعيل بن حصن القُرشي الجُبيليّ، والعبّاس بن الوليد البيروتي. وسمع بالمدينة المنوّرة: محمد بن يحيى العثماني، والحسن بن سعيد بن مرزوق الحذّاء.

(١) تاريخ الموارنة للأب بطرس ضو ١ / ٢٩٥، ٢٩٦.

وقد نزل جونية الحافظ الطبرانيّ فحضر مجلسه وروى عنه، وكذلك روى عنه بجونية: محمد بن الوليد البزّاز العكّاوي.

وكان ابن عُبَيد الجَوْني موجوداً في الربع الأخير من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي[1].

ومحمد بن أحمد بن محمد بن عمرو البغدادي (وقيل: الواسطي) البزّاز نزيل جونية وإمامها وخطيب جامعها، وكان موجوداً في سنة ٣٤١ هـ./ ٩٥٢ م. حدّث عن الحسن بن عليّ القطّان، وأبي بكر السرّاج. وروى عنه محمد بن إسحاق بن أبي كامل الأطرابلسي مكاتبةً، وأبو محمد بن أبي نصر سماعاً. وذكره الخطيب البغدادي في تاريخه، وابن عساكر الدمشقي في تاريخه، وياقوت الحموي في «معجم البلدان»[2].

ومن هاتين الترجمتين نعرف أنّ جونية كانت في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلاديّ «مدينة» كما يسمّيها «الطبراني»، وليس قرية. وأن جامعها كان موجوداً حتى سنة ٣٤١ هـ./ ٩٥٢ م. وله إمام وخطيب، مما يعني كثرة المسلمين بها. وأن الإمام والخطيب من بغداد، كما هو الحال في إمام وخطيب جبيل، إذ كان بغدادياً أيضاً.

بيروت

يمكن القول: إنّ تاريخ بيروت في هذه الفترة تميّزه مرحلتان: الأوزاعيّة: والتنوخيّة.

ففي المرحلة الأولى لا يمكن أن يُكتب تاريخٌ لبيروت بمعزلٍ عن سيرة وأخبار الإمام الأوزاعيّ. فهو بسيرته الذاتيّة ومواقفه السياسية ومواعظه كان

---

(١) موسوعة علماء المسلمين ١/ ٤٠٨ رقم ٢٢٨.

(٢) انظر موسوعة العلماء ٤/ ١٠٤، ١٠٥ رقم ١٣١٠.

يمثّل صفحة من تاريخ المدينة في القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي. ولقد مرّت أخباره ومواقفه في العصر الأموي فيما تقدّم من الجزء الأول من هذه السلسلة. كما مرّت بعض أخباره في العصر العباسي في «القسم السياسي» من هذا الجزء، نستحضر بعضها هنا، ونضيف عليها بعض الأخبار البيروتية من خلاله.

لقد كان الإمام الأوزاعيّ يمثّل المعارضة السياسية للحكم العباسي في ساحل الشام، فهو أوّل وأبرز من ندّد بسياستهم الدموية التي اتّبعوها مع خصومهم الأمويين، وأعلن معارضته بكل صراحة ووضوح، ولهذا طلبه العبّاسيّون، ففرّ منهم إلى فلسطين، ثم عاد ومثل بين يدي «عبدالله بن عليّ» عمّ أبي العباس السفّاح بدمشق - وقيل بجاه - سنة ١٣٢ هـ./ ٧٥٠ م. وجرى بينهما حوار ساخن ظنّ الأوزاعيّ أن رأسه سيسقط بين يديه في أيّة لحظة.

وحين خرج المنصور يريد بيت المقدس سنة ١٤٠ هـ./ ٧٥٨ م. كتب إليه ليلقاه بدمشق. فأبطأ بالخروج إليه، وبدل أن يمثل بين يديه دخل على ابنه المهديّ واحتجّ بأنه حبس نفسه في بعض حصون بيروت، ويرجو أن يدركه أجله فيها[1]. ثم دخل على المنصور بعد مدّة وشدّد في موعظته إيّاه حتى سلّ «الربيع بن الفضل» الحاجب سيفه يتهدّده بالقتل، فأمسكه المنصور[2].

ومن كتاب للأوزاعيّ إلى المنصور نتعرّف على الضيّق الذي كان عليه أهل الساحل الشاميّ بسبب قلّة أُعطياتهم، وما يلاقونه من معاناة في الرباط بالأبراج والحصون صيفاً وشتاءً، وأنّ الأوزاعيّ نفسه كان واحداً منهم وكان

---

(١) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ١/ ٢١٤ - ٢١٦.

(٢) انظر نصّ الحوار في: عيون الأخبار لابن قتيبة ٢/ ٣٣٨ - ٣٤١، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٦/ ١٣٦.

مكتتباً في ديوان الجُنْد بالساحل، ويخرج في البعوث للغزو، فخرج في بعثٍ إلى اليمامة، وخرج في حملة الجند لقتال الثائرين بالمُنيطرة، وحين بالغ «صالح بن عليّ الهاشميّ» في اجراءاته التّعسفيّة ضدّ أهل الذمّة من النصارى تصدّى له الأوزاعيّ برسالته المشهورة التي تضمّنت تنديداً بسياسته مستشهداً بقوله تعالى: «ولا تَزِرُ وازِرةٌ وِزْرَ أُخرى».

ومن كتاب آخر للأوزاعيّ نقف على حالة أَسْرى المسلمين لدى البيزنطيّين، والحث على مُفاداتهم. ومطالبته بإخراج عامل الخراج ببعلبك وأحد مساعديه من السجن لعدم اقترافهما أمراً يوجب اعتقالهما مدّة طويلة.

ومن أخبار بيروت في أيام الأوزاعيّ أنّ الكواكب تناثرت في إحدى السنين، فخرج الناس إلى الصحراء هرباً[1].

وبهذا يتبيّن أنّ أخبار الأوزاعيّ ليست أخباراً شخصيّة بقدْر ما هي أخبار ووقائع تاريخيّة عن بيروت، و«لبنان»، بل عن ساحل الشام كلّه، فكثيراً ما يكون «رجل في أمّة»، والأوزاعيّ «إمام الأمّة».

ومن الأخبار الأخرى التي توفّرها سيرته أنّ رجفة أصابت بيروت ونتج عن الرجفة حرائق احترقت بها كتب الأوزاعيّ[2].

وأنه لما سُمِعت الصّيحة بوفاته قام نصرانيّ من أهل بيروت بذرّ الرماد على رأسه تفجّعاً عليه وحُزْناً، فلم يزل المسلمون من أهلها يعرفون ذلك له.

---

(١) كان الأوزاعيّ فيمن خرج، ومعه الوليد بن مزيد البيروتي، وعبد الرحمن بن ثابت العنسيّ. (انظر الخبر في: المعرفة والتاريخ للفسوي ٢/٣٩٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠ هـ.) بتحقيقنا - ص ٣١٧).

(٢) تهذيب التهذيب ٦/٢٤٢، وقال الوليد بن مزيد البيروتي: احترقت كتب الأوزاعي زمن الرجفة ثلاثة عشر فنداقاً، فأتاه رجل بنُسَخها فقال: يا أبا عمرو هذه نسخة كتابك وإصلاحك بيدك، فما عرض لشيء منها حتى فارق الدنيا. فلعلّ الرجفة المقصودة هي الزلزال الذي ضرب بلاد الشام في سنة ١٣٠ هـ. أو كانت قبل وفاته بقليل.

وخرجت في جنازته أربع أُمم ليس منها واحدة مع صاحبتها، فخرج المسلمون يحملونه، وخرج اليهود في ناحية، والنصارى في ناحية، والقبط في ناحية[1]، وقيل إنه أسلم في ذلك اليوم من أهل الذمّة، اليهود والنصارى، نحو ثلاثين ألفاً ممّا رأوا من كثرة الخلق في جنازته[2].

ومن هذا نقف على المكانة التي كان يتمتّع بها الأوزاعيّ في قلوب الناس جميعاً على مختلف طوائفهم، من مسلمين، ونصارى، ويهود، كما نعرف أن ببيروت جاليات من اليهود، والنصارى، والقبط، إلى جانب المسلمين وأنّ كل طائفة كان لها حيُّها الخاص بها، وأنّ سكان بيروت في النصف الثاني من القرن الثاني الهجري/ الثامن الميلادي كانوا يُقدّرون بعشرات الألوف. ولنا أن نتخيّل آلاف المشيّعين وقد خرجوا في صفوف طويلة من بيروت القديمة من سوق الطويلة حيث كانت تقوم زاويته، ليواروه الثّرى في الناحية المعروفة الآن باسمه، وكانت في أيامه تُعرف بعين التينة، وفي أول عصر المماليك عُرفت بقرية حنتوس[3]. وأرجّح أن ضريحه أقيم بموضع حصنٍ كان يرابط فيه، ثم تحوّل الحصن إلى مسجدٍ فيما بعد.

★ ★ ★

أمّا المرحلة الثانية من تاريخ بيروت فهي المرحلة التنوخيّة، إذ ارتبط تاريخها بتاريخهم منذ أن سكنوا جبالها الخالية وعمروها، واستوطن بعضهم بيروت نفسها، ودافعوا عنها وعن الطريق الساحلية المؤدية إليها، وشكّلوا حزاماً أمنيّاً للمدينة من جهاتها البرّيّة الثلاث في الشمال والشرق والجنوب. وأصبحت مقرّاً رسميّاً وعاصمة للإمارة منذ سنة ٢٥٦ هـ./ ٨٧٠ م. حين

---

(١) تقدمة المعرفة ١/٢٠٢، تاريخ دمشق (المخطوط) ١٥/٧١ و٢٣/٢٠٨.

(٢) لبنان من الفتح العربي لمحمد علي مكي ٦٣.

(٣) وفيات الأعيان ٣/١٢٧، مرآة الجنان ١/٣٣٣، التاج المكلّل للقنوجي ٦٣، حياة الحيوان للدميري ١/٢٢٦، سلسلة كتاب التحرير، رقم ١٣٧، مصر.

أصدر الخليفة العباسي « المعتمد على الله » توقيعاً بتقرير « النعمان بن عامر بن مسعود الأرسلاني » على ولاية الغرب، والإقامة في بيروت، فاستوطنها « النعمان » وبنى فيها داراً عظيمة، وحصّن سور المدينة وقلعتها، فنعمت المدينة في عهده بالهدوء والاستقرار، ولم تتأثر بالمعركة التي جرت بين الأمير ومَرَدَة الجبل عند نهر بيروت بعد بضع سنوات. وطالت مدّة حكمه أكثر من ستين سنة حتى توفي سنة ٣٢٤ هـ. / ٩٣٦ م. وخلّفه ابنه: « المنذر » ولُقّب سيف الدولة، وبقي إلى ما بعد سقوط الدولة الإخشيدية.

قضاة بيروت

تعاقب على منصب القضاء في بيروت عدّة شيوخ خلال هذه الفترة، وصلتنا أسماء بعضهم، ولكن من المتعذّر معرفة تواريخ وظيفتهم على التوالي، لعدم معرفتنا بتواريخ وفيات بعضهم، ولهذا أذكرهم حسب ترتيب أسمائهم على حروف المعجم:

١ ـ سعد بن محمد بن سعد البَجَلي البيروتي

كان قاضياً بها في النصف الثاني من القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، فهو قد روى عن: عبد الحميد بن بكار البيروتي، وأحمد بن صاعد الصوري الزاهد، وعمر بن قتيبة الصوري، وحكى عن سعيد بن عبد العزيز البيروتي حكاية.

روى عنه: عبد الحميد بن بكار البيروتي، ومحمد بن جعفر بن أبي كريمة الصيداوي، وسمعه ببيروت: عبدالله بن جامع الحلواني، وابن أبي حاتم الرازي، وقال: روى عنه أبي وكتبت أنا عنه، وهو صدوق ثقة.

توفي سنة ٢٧٩ هـ[١].

---

(١) انظر عن (سعد بن محمد) في كتابنا: « موسوعة علماء المسلمين » - ج ٢ / ٢٧٢ - ٢٧٥ =

٢ ـ سلامة بن بحر، أبو الفرج

كان قاضياً لسيف الدولة الحمداني بحلب، ثم انتقل إلى بيروت، وكان شاعراً. قال عنه « الثعالبي »: كان يقول شعراً يكاد يمتزج بأجزاء الهواء رقّة وخفّة، ويجري مع الماء لطافة وسلاسة، كقوله:

مَن سَرَّه العيد فما سَرَّني ... بل زاد في همّي وأشجاني
لأنّه ذكّرني ما مضى ... من عهد أحبابي وإخواني[١]

وقال محمد بن عمر أبو علي الزاهر: أنشدني القاضي أبو الفرج سلامة بن بحر ببيروت عن نفسه:

مولاي ما لي منك بختُ ... قد ذبتُ من كمدٍ ومتُّ
تصفو بك الدنيا ولا ... يصفو لعبدك منك وقتُ
مولاي ما ذنبي إليـ ... ـك فلو عرفتُ الذنب تُبْتُ
لا أنني أُنسِيتكم ... أو أنني للعهد خنتُ
إن كان ذاك فلا بقيـ ... ـتُ وإنْ بقيتُ فلا سلمتُ[٢]

٣ ـ صخر بن جندل، أبو المعلّى البيروتي

ويقال: صخر بن جندلة. سمع الحديث ورواه. سُئل عنه أبو حاتم الرازي فقال: ليس به بأس، هو من ثقات أهل الشام[٣].

= رقم ٦١٠، وتحقيقنا لكتاب « تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام » للحافظ الذهبي (حوادث ووفيات ٢٧١ ـ ٢٨٠ هـ.) - ص ١٣٩ رقم ١٩٢ وفيهما مصادر ترجمته.

(١) يتيمة الدهر، للثعالبي ١/٨٢.

(٢) يتيمة الدهر ١/٨٣، وانظر: تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٩/١٠٣، وموسوعة العلماء ٢/٢٩٦، ٢٩٧ رقم ٦٤٠.

(٣) أنظر عن (صخر) في: التاريخ الكبير للبخاري ٤/٣١١، والجرح والتعديل لابن أبي حاتم ٤/٤٢٧، وتاريخ دمشق (المخطوط) ١٧/٤٥٤ و٣٩/٢٣٠ و٤١/١٦٥ ومصوّرة موسكو، ورقة ٥٣٣، وموسوعة علماء المسلمين ٢/٣٥٧، ٣٥٨ رقم ٦٩٢.

٤ ـ العباس بن الوليد بن مَزْيَد العُذْريّ البيروتيّ

الإمام الحُجّة، المقريء، المحدّث، الحافظ، تلقى علمه على أبيه وتفقّه به. ولم يُعرف أنه رحل في طلب العلم، بل اكتفى بحضور مجالس شيوخ بيروت، فأخذ على الكثير منهم، وعلى شيوخ جبيل، والصرفَنْد الذين كانوا ينزلون بيروت. كما كان يحضر مجالس الشيوخ الذين يأتونها من مختلف الأقطار، حتى بلغ شيوخه العشرات[١]، وكان يطلب الحديث إلى جانب علم القراءآت الذي برع فيه وأصبح أحد أعلامه. وحين جلس للتعليم قصده العشرات، بل المِئُون من طلبة العلم، وكان في مقدمة الذين تخرّجوا عليه أعلام وحُفّاظ كبار، مثل المؤرّخ ابن جرير الطبري، والإمام النّسائيّ، وأبي داود[٢]، وابن حبّان، وابن أبي حاتم الرازي، وخَيثمة الأطرابلسيّ.

وكان فقيهاً مُفتياً يُفتي برأي الأوزاعيّ، ثقة مأموناً صدوقاً، قال محمد بن عوف الطائيّ: كتبنا عنه سنة ٢١٧ وكان أحمد بن أبي الحواري وكبار أصحاب أهل الحديث من أهل دمشق يحضرون معنا ونكتب من حديثه.

حكى خَيثمة الأطرابُلُسيّ أنّ العباس مازَحَ يوماً جارية له، فدفعته، فوقع، فانكسرت رجله، فلم يحدّثنا عشرين يوماً، فكنّا نلقى الجارية ونقول: حسيبك الله كما كسرت رجل الشيخ وحبستنا عن الحديث[٣].

وكان «أبو زُرْعة الرازيّ» يقول: دخلت بيروت مرابطاً، ومن همّتي أن أسمع من العباس بن الوليد، فلا أعلم أنه صحّ لي رباط يومٍ قطّ، إذ كان

---

(١) ذكر ابن عساكر الدمشقي لوحده أسماء أربعين شيخاً من شيوخ العباس. (تاريخ دمشق ١٩/٥٧٩ ـ ٥٨٦).

(٢) روى عنه في «المراسيل»، رقم الحديث ١٩٤، وفي سُنَن أبي داود، برقم ١١٨٨ و١٧٨٧ و٢٨٨٣ و٦٣٤٩ و٤٥٠٥.

(٣) أنظر كتابنا: من حديث خيثمة بن سليمان القُرشي الأطرابلسي ـ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٠ هـ./١٩٨٠ م. ـ ص.١٦.

العباس بن الوليد يملأ بيروت علماً ولا يجد الطلبة وقتاً للإنصراف عنه»[١].

ذكره «الشدياق» ووصفه بقاضي بيروت وقال إنّ بخطّه إثبات مؤرَّخ في سنة ٢٥٢ هـ. يتضمّن نسب آل منذر اللخميّين أمراء الغرب وبيروت[٢].

وُلد سنة ١٦٩ ومات سنة ٢٧٠ هـ. ورغم أنه نيّف على المئة فقد ظلّ ممتّعاً بقواه[٣].

٥ ـ عبد المؤمن بن أحمد

كنيته أبو حاتم البيروتي. حدّث عن أحمد بن يوسف الأوزاعيّ. روى عنه أبو عبدالله بن مندة[٤].

٦ ـ عبد المؤمن بن المتوكل بن مشكان البيروتيّ.

كنيته: أبو حازم: حدّث ببيروت ودمشق عن أبي الجَهْم بن طلّاب المَشْغَرانيّ، ومكحول البيروتيّ، وغيرهما.

وسمعه بمنزله ببيروت: الحسين بن أحمد بن المبارك البعلبكيّ، ومحمد بن أحمد بن عبادة البيروتي[٥].

---

(١) الضعفاء لأبي زرعة ٢/٧٧٠، ٧٧١، تقدمة المعرفة ١/٣٣٣، ٣٣٤، التدوين في أخبار قزوين ٣/٢٨٤، تاريخ دمشق (مخطوطة الظاهرية) ١٠/٣٤٥ ب.

(٢) أخبار الأعيان للشدياق ٢/٥٢٨.

(٣) أنظر عن (العباس بن الوليد) ومصادر ترجمته في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين... ج٣/٢٠ ـ ٣٣ رقم ٧٣٥.

(٤) تاريخ دمشق لابن عساكر (مخطوط) ٢٥/٤٦، موسوعة العلماء ٣/٢٤٢ رقم ٩٤٤.

(٥) تاريخ بغداد ٧/٨٩ و٨/٤١٦ و٩/٢٠ و٧٢ و٤٤٧ و٩/١٤٣ و١٩٦ و١٠/١٧٢، تاريخ دمشق ١٠، ٤٠٧ و٢٤/٣١ و٢٥/٤٨ و٣٦/٣٢١، موسوعة علماء المسلمين ٣/٤٣، رقم ٩٤٦.

وهو من أهل النصف الأول من القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.

* * *

أئمة جامع «ورد» ببيروت

يتردّد في المصادر ذِكر «جامع ورد» الذي كان يشهد مجالس المحدّثين والمفسّرين والقُرّاء، والفقهاء في بيروت، خلال هذه الحقبة، ومن غير المعروف إذا كان هذا الجامع هو الجامع الأول الذي بُني فيها بعد الفتح الإسلاميّ، أو هو جامع آخر بُني لاحقاً، إذ لم يرِد ذِكره بهذا الاسم في العهد الأموي.

ومن الشيوخ الذين تولّوا مَهامّ الإمامة والخطابة والقراءة والتفسير والأذان فيه جماعة رتّبت أسماءهم على حروف المعجم.

١ ـ عبد الرحمن بن الفتح الثقفيّ البيروتيّ

كان يتولّى وظيفتي: الإمامة والأذان. وقد روى عنه: العباس بن الوليد البيروتي، فقال: حدّثنا عبد الرحمن بن فتح الثقفي، وكان إمامنا ومؤذّننا في الجامع، عن أبي علي محمود بن الربيع الجرجاني، من أصحاب إبراهيم بن أدهم، وذكر حديثاً مرفوعاً من طريقه[١].

٢ ـ عمر بن محمد بن أسد البيروتيّ

عُرف بإمام جامع ورد. ذكره ابن عساكر[٢].

٣ ـ عمرو بن هاشم البيروتيّ

أحد تلاميذ الإمام الأوزاعيّ الصّغار، نشأ ببيروت وسمع بها الأوزاعيّ، والهقْل بن زياد البيروتيّ، ومحمد بن شعيب البيروتيّ، وسليمان بن أبي كريمة

---

(١) تاريخ دمشق ٢٩٦/٣٣، موسوعة علماء المسلمين ١١٣/٣ رقم ٧٧٨.

(٢) تاريخ دمشق ٤٨٠/٣٠.

البيروتي، وابنه محمد، وغيرهم.

وقد جلس للحديث في جامع بيروت، فسمعه ابنه هاشم بن عمرو، واسماعيل بن حصن الجُبيليّ، وبقيّة بن الوليد الحمصي، ومحمد بن أحمد بن لبيد البيروتي الذي أصبح فيما بعد خطيب وإمام الجامع، ووزير بن القاسم الجبيلي، وغيرهم.

قال ابن أبي حاتم الرازي: سألت محمد بن سالم بن واره عن عمرو بن هاشم البيروتي، فقال: كتبت عنه، وكان قليل الحديث: قلت: ما حاله؟ قال: ليس بذاك، كان صغيراً حين كتب عن الأوزاعيّ[١].

وقال ابن عديّ: ليس به بأس[٢]. وهو من رجال القرن الثاني الهجري.

٤ ـ محمد بن أحمد بن لبيد السلاماني البيروتي

عُرف بإمام جامع بيروت وخطيبه، وكان اسمه «ورد بن أحمد» في مؤلّفات الطبرانيّ. توفي سنة ٢٨٠ هـ. ونيّف[٣].

---

(١) الجرح والتعديل ٢٦٨/٦.

(٢) أنظر عن (عمرو بن هاشم) في: الكفاية في علم الرواية للخطيب ٤٨، وشرف أصحاب الحديث، له ٢٨/١، والمعجم الصغير للطبراني ٥٤/٢، والمعجم الكبير، له ٤٥٥/٤ و٤٣، ٤٤ و٢٠٤/٧ و١١٨/٨ و١٢٩ و٢١٦ و٢٣١، ٢٣٢ و٣٣٧/١٠ وكتاب الصمت، له ٩٨ رقم ١٢٢، وكتاب الدعاء، له أيضاً، ح ٩٣٥/٢ رقم ٣١٠ و١٠٧١/٢ رقم ٦٠٦ و١٥٨٣/٣ رقم ١٧٣٥ وموسوعة علماء المسلمين ٣٩٧/٣ ـ ٤٠٣ رقم ١١٧٨.

(٣) أنظر عن (محمد بن أحمد) في: المعجم الصغير للطبراني ٤٢/٢، وكتاب الدعاء، له رقم ١١١ و١٣٤ وتاريخ دمشق ١٦٩/٢٢ و٥/٢٦ و٣٦/ ٣٧٢ و٤٧٣/٣٨، وموسوعة علماء المسلمين ٨٤/٤، ٨٥ رقم ١٢٩٦.

٥ ـ مقاتل بن سليمان بن بشْر، أبو الحسن البلْخيّ

كان مفسّراً، له كتاب في التفسير، قال العباس بن الوليد البيروتي إن مقاتلاً جلس في مسجد بيروت فقال: لا تسألوني عن شيء مما دون العرش إلّا نبّأتكم به. وقال عبدالله بن المبارك: ما أحسن تفسيره لو كان ثقة.

ضعّفه أكثر الأئمّة واتّهموه بالكذب. وقيل إنه توفي سنة ١٥٠ هـ، أي قبل وفاة الأوزاعي بسبع سنين، وقيل بقي بعدها[1].

٦ ـ موسى بن عبد الرحمن بن موسى، أبو عمران البيروتيّ المعروف بابن الصبّاغ

وكان مقرئاً وإماماً للمسجد الجامع ببيروت، وهو أسند من بقي في الشام من القراء، وآخر من قرأ القراءآت على هارون بن موسى الأخفش في الدنيا، وسمع بصور: محمد بن أحمد بن عبدوس الصوري، وببيروت: أحمد بن العباس بن الوليد البيروتي، وبدمشق: الحسن بن جرير الصوريّ.

سمعه ببيروت: أحمد بن محمد بن عبدوس، ومحمد بن أحمد بن جُمَيْع الصيداوي، والحسن بن محمد بن جُمَيْع الصيداوي المعروف بالسَكَن، وصالح بن القاسم الميانجي قاضي صيدا، غيرهم.

توفّي بعد سنة ٣٦٠ هـ. وقد نيّف على التسعين[2].

★ ★ ★

(١) أنظر عن (مقاتل) في: الفهرست لابن النديم ١٧٩، وتاريخ بغداد ١٣/١٦٠ وما بعدها، وطبقات الفقهاء للشيرازي ٨٦، ومشايخ بلخ من الحنفية للدكتور المدرّس ١/٥٠، ٥١ رقم ٧، وفضائل بلخ لعبد الله بن عمر بن محمد الواعظ البلخي (توفي ٦١٠ هـ.) ـ ترجمه الى الفارسية عبد الله بن محمد بن حسين الحسيني البلخي (توفي ٦٧٦ هـ). طبعة إيران ١٩٧١ ـ ص٢٠٨، وموسوعة علماء المسلمين... ٥/٨٨ ـ ٩٠ رقم ١٦٩٨، وفيها مصادر أخرى لترجمته، والضعفاء والمتروكين للنسائي ٣١٠.

(٢) أنظر عن (موسى) في: معجم الشيوخ لابن جُميع الصيداوي (بتحقيقنا) ٣٦٣، ٣٦٤ =

وكان الإمام الأوزاعيّ إماماً ومؤذّناً في جامع بيروت أيضاً، ولكنّنا سنُفرد ترجمته في الفقهاء بعد قليل.

المحدّثون

أمّا المحدّثون الذين كانت لهم مجالس للرواية والحديث في جامع بيروت فهم كُثُر، بلغوا العشرات، نذكر المشاهير منهم:

١ـ عبد الحميد بن بكار، أبو عبدالله الدمشقي البيروتيّ

قاريء ومحدّث دمشقيّ سكن بيروت واستوطنها، وروى عن: سعيد بن عبد العزيز البيروتي، والهقل بن زياد البيروتي، وعُقْبة بن علقمة البيروتي، ومحمد بن شعيب البيروتي، وغيرهم.

روى عنه: محمد بن هارون العامليّ، والعباس بن الوليد البيروتيّ، وسعد بن محمد قاضي بيروت، ومحمد بن أحمد بن لبيد إمام الجامع ببيروت، وأبو داود صاحب السُنَن[1].

قال الذهبيّ: هو مقبول، من الطبقة العاشرة، أي بين سنتي ٢١١ ـ ٢٢٠ هـ[2].

٢ ـ عبد الحميد بن حبيب بن أبي العشرين، أبو سعيد البيروتيّ

أحد كُتّاب الإمام الأوزاعيّ، لم يروِ سوى عنه وعن حسّان بن عطية المحاربيّ فقط. وقد وثّقة الإمام أحمد بن حنبل، والدارقطنيّ، وأبو زُرعة

= رقم ٣٥١، والأنساب لابن السمعاني ٩٩أ، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٤٣/٥٧٢، ٥٧٣، ومعرفة القراء الكبار للذهبي ١/٣١٩ رقم ٢٣٨، وغاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري ٢/٣٢٠ رقم ٣٦٨٧، وموسوعة علماء المسلمين ٥/١٠٤، ١٠٥ رقم ١٧٢٢.

(١) المعجم المشتمل على شيوخ الأئمّة النُبْل، لابن عساكر ١٦٥ رقم ٥١٩.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٢٢/١٦٩، موسوعة علماء المسلمين ٣/٣٨، ٣٩ رقم ٧٤٢.

الرازيّ، وضعّفه بعضهم.

قال هشام بن عمّار: جلس القاضي يحيى بن أكثم في مسجد دمشق، وحضر مجلسه جماعة من أهل بيروت، فسألهم: من هم أصحاب الأوزاعيّ عندكم؟ فجعلوا يذكرون: الوليد بن مَزْيَد البيروتي، وعمر بن عبد الواحد البيروتي، والهقل بن زياد البيروتي. وغيرهم، وأنا ساكت. فقال ابن أكثم: ما تقول يا أبا الوليد؟ فقلت: أوثق أصحابه كاتبه عبد الحميد بن أبي العشرين. فسكت ابن أكثم. وهو من أهل القرن الثاني الهجري[1].

٣ ـ عُقبة بن علقمة الفِهْريّ المَعَافِري، أبو سعيد البيروتيّ

أحد أصحاب الأوزاعيّ، أصله من أهل المغرب سكن الشام ونزل بيروت فنُسِب إليها. كان يتفرّد بأحاديث عن الأوزاعيّ لا يرويها غيره. وهو الذي حكى سبب موت الأوزاعيّ.

روى عنه: ابنه محمد، والعباس بن الوليد البيروتي، وشيبة بن أبي ملك البيروتي، وعبد الحميد بن بكار البيروتي، وتمام بن كثير الجُبيليّ، وغيرهم.

قال العباس بن الوليد البيروتي: حدّثنا عُقبة قال: كان آخر ما سمعت من الأوزاعيّ أنّا جلسنا إليه ليلة هَلَك فيها من الغد، إذ أذّن المؤذّن ـ وكان مؤذّناً حَسَن الصوت ـ فقال: ما أحسن صوته، لقد بلغني أنّ داود عليه السلام كان إذا أخذ في بعض مزاميره عكفت الوحوش والطير حوله حتى تموت عطشاً وإنْ كانت الأنهار لتقف. ثم وَجَم ساعةً، ثم قال: كلُ أمرٍ لا يُذكر فيه المعادُ لاخير فيه. وأقيمت الصلاة، فكان آخر العهد به[2].

---

(١) تاريخ دمشق ١٨٢/٢٢، وموضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب، ١٢٩/١، والمغني في ضبط أسماء الرجال للهندي ٣٠٧، وموسوعة علماء المسلمين ٣٩/٤ ـ ٤١ رقم ٧٤٣، والإرشاد للخليلي (طبعة ستنسل) ٣٧/٢ و٣٨، والمقاصد السنية لابن بلبان المقدسي ٧٦.

(٢) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ٢٠٩، ٢١٠.

توفي سنة ٢٠٤ هـ[1].

٤ ـ محمد بن شعيب بن شابور، أبو عبدالله الدمشقي البيروتي

أحد كبار المحدّثين الذين سكنوا بيروت في القرن الثاني الهجري، وهو نيسابوريّ الأصل وُلد بدمشق سنة ١١٦ هـ. وطلب الحديث وسمعه على عشرات الشيوخ الكبار ومن تابعي التابعين، ثم نزل بيروت فاستوطنها ولذا عُرِف بنزيل بيروت، ولم يرحل إلى البلاد لطلب العلم، بل اكتفى بسماع الشيوخ الدمشقيين والبيروتيّين، وزار بعض المدن الساحلية، فسمع بجُبَيل، وصيدا، وصور، وكان يُلازم الأوزاعيّ حتى أضحى خبيراً بأحواله، وكان يُفتي الناس وهو في مجلس الأوزاعيّ وبحضرته[2]. وقال مروان بن محمد الطاطري: كان محمد بن شعيب، يُفتي في مجلس الأوزاعيّ، وهو الرابع من العشرة الذين كانوا أعلم الناس بالأوزاعي، وبحديثه وفُتْياه.

وقد أحصيتُ في «موسوعة علماء المسلمين» أسماء عشرات الشيوخ الذين سمعهم، وكذلك الذين سمعوا منه، وأقوال العلماء فيه جرْحاً وتعديلاً. ورواياته كثيرة تعادل روايات: الوليد بن مَزْيَد البيروتي، وروايات ابنه العباس بن الوليد، بحيث لو جُمعت لجاءت في مجلّد ضخم.

توفي ببيروت سنة ٢٠٠ هـ[3].

---

(١) أنظر عن (عقبة) في: حلية الأولياء ١٥٠/٥، والإكمال لابن ماكولا ٢٥٩/٢، ٢٦٠، والأنساب ١٢٣ ب، وتاريخ دمشق ٥٧٠/٤٤، ومعجم البلدان ١٠٩/٢، والكاشف للذهبي ٢٧٣/٢، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٣٤٤/١١، وتقريب التهذيب ٢٧/٢٠، وسُنن النسائي ٢٠٥/٤، وتاريخ أسماء الثقات، لابن شاهين ـ ص٢٤٩ رقم ٩٨١، وكتاب الصمت وآداب اللسان لابن أبي الدنيا ـ ص٢٦٤ رقم ٥٦٨، والتدوين في أخبار قزوين للرافعي ٤٠٦/٢ و٨٣/٣، وموسوعة علماء المسلمين ٢٨٩/٣ ـ ٢٩٣ رقم ١٠٢٠، الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١٨١/٢ رقم ٢٣٣٠، والكنى والأسماء للدولابي ٨٤/٢، وغيره.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٤٩/٤٥.

(٣) أنظر عن (محمد بن شعيب) في: موسوعة علماء المسلمين ١٩٧/٤ ـ ٢١٠ رقم ١٤٤٣، =

٥ ـ محمد بن عبدالله بن عبد السلام، أبو عبد الرحمن المعروف بمكحول البيروتيّ

يُعتبر من أواخر المحدّثين البيروتيّين المكثِرين. وُلد في بيروت قبيل سنة ٢٤٠ هـ. وأخذ على شيوخها، وعلى شيوخ بعلبك، وحمص، ودمشق، وأنطاكية، والرُّها، وحرّان، والرملة، وأيلة، وصور، ومصر.

روى عنه العشرات من الشيوخ، من أهل بيروت، وصور، ودمشق، وبغداد، والظهران التي بقرب مكة المكرّمة، وحلب، وبُخارى، وأذَنَه، وواسط، والديبل، ونيسابور، ومصر، وطبرية، وتِنّيس، ومرو، وسجستان، وحمص، والبصرة، وغيرها.

ومن المشاهير الذين أكثروا الرواية عنه: ابن حبّان في مؤلّفاته[١]. والطبراني في مؤلفاته[٢]. كما أورد «الهيثميّ» عدّة أحاديث له من طريق ابن حبّان[٣]. كما روى عنه الحاكم النيسابوريّ[٤].

وقد عُمّر ثمانين عاماً ونيّفاً، وتوفي سنة ٣٢١ هـ. على الأرجح[٥].

= وفي تحقيقنا لكتاب «تاريخ الإسلام» للذهبي ـ (حوادث ووفيات ١٩١ ـ ٢٠٠ هـ.) ص٣٦٧ رقم ٢٨٢ فقد حشدنا فيها عشرات المصادر لترجمته.

(١) أنظر: كتاب الثقات، والمجروحين والضعفاء، ومشاهير علماء الأمصار، وروضة العقلاء ٩٤ و١١٧ و٢٧٧، والإحسان في صحيح ابن حبّان، وتاريخ الصحابة ـ ص ٢٥٧.

(٢) أنظر: المعجم الكبير، والمعجم الأوسط، والمعجم الصغير.

(٣) أنظر: موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان، رقم ٧٠٢ و١١٤٦ و١٦٢٥، ١٦٧٢ و١٧٠٣ و١٨٢٨ و٢٣١٨ و٢٥٠٣ و٢٥١٤ و٢٥٣٧ و٢٦٠١ و٢٦٢٦.

(٤) أنظر: الأسامي والكنى للحاكم (مخطوط) ـ ج١ ورقة ٥٩ ب، وورقة ٩٨ ب، وورقة ١٣١ ب، وورقة ١٩٠ ب، وورقة ٢٠٧ ب، ٢٠٩، والمستدرك على الصحيحين، له ٣/٣٣٤ و٤٧٣ و٤/٨٨.

(٥) أنظر عن (مكحول البيروتي) ومصادر ترجمته في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين ٤/٢٤٢ ـ ٢٥٢ رقم ١٤٩٨، ويُضاف عليه: الكامل في الضعفاء لابن عديّ ٤/١٣٢٢، والعقد الثمين لقاضي مكة ٣/٢٣٧، والكشف الحثيث لسبط ابن العجمي ٢٠٥.

٦ ـ الهِقْل[١] بن زياد السّكسكيّ، أبو عبدالله نزيل بيروت

قيل اسمه «محمد» و«عبدالله» والهِقْل لقب. وهو كاتب الأوزاعيّ، إمام مُفْتٍ ثَبْت. تتلمذ على الأوزاعيّ وحمل علمه من بعده، فقد لازمه وكتب مسائله وفتاويه وأقواله وأحاديثه حتى اختصّ به وأصبح يُعرف بكاتب الأوزاعي، فكان أحد ثلاثة عُرفوا بذلك.

قال الإمام أحمد بن حنبل: لا يُكتب حديث الأوزاعيّ عن أوثق من هقل. وقال أبو صالح كاتب الليث بن سعد: حدّثني الهقل بن زياد وهو ثقة من الثقات من أعلى أصحاب الأوزاعيّ. وقال مروان الطاطريّ: كان أعلم الناس بالأوزاعيّ عشرة، أولهم هِقْل.

حدّث عنه: عمرو بن هاشم البيروتي، وعبد الحميد بن بكار البيروتي، وهشام بن عمّار، وغيرهم. وحديثه في: «سُنَن النَسائيّ»، و«سُنَن الدارميّ» و«السُنن الكبرى» للبَيهقيّ، وغيره.

وقد تولّى قضاء «شمشاط» مدينة على شاطىء الفرات من أعمال خرتبرت[٢]. وتُوفّي في بيروت سنة ١٧٩ هـ[٣]. وخلّف ولداً اسمه «محمد»

---

(١) قال الدميريّ: الهِقْل بكسر الهاء، وهو الفتى من النعام. وفي المثل قالوا: «أشمّ من هِقْل». (حياة الحيوان الكبرى ـ سلسلة كتاب التحرير ٣٢ رقم ١٦٤ - ج٢/٦٧٦، القاهرة ١٥٦٦).

(٢) معجم البلدان ٣/٣٦٢.

(٣) أنظر عن: (الهقل) في: العلل ومعرفة الرجال للإمام أحمد برواية ابنة عبدالله ٢/رقم ٢٦١٠، ومعرفة الرجال برواية ابن محرز ١/١١١ رقم ٥٢٣، وذكر أسماء التابعين للدارقطني ٢/٢٦٦ رقم ١٣٣٩، وسُنن النسائي ٢/٢٢٧، وسنن الدارمي ١/٢٢٤ و٣١٢ و٣٧١، والدعاء للطبراني ٣/١٤١٧ رقم ١٣٢٤، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ٣٤٧ رقم ١٤٨٢، ومشكل الآثار للطحاوي ١/٢٧٣ وفيه تحرّف اسمه إلى «عقيل بن زياد» والسنن الكبرى للبيهقي ١/٩٨ و١٠/٤٧، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ١/١٤٣، وتلخيص المستدرك للذهبي ١/١٤٣ و١٧٨، والأنساب المتّفقة لابن =

حرصت على علم الأوزاعيّ حتى كتبت عن اسماعيل بن سماعة ثلاثة عشر كتاباً، حتى لقيت أباك، فوجدت عنده علماً لم يكن عند القوم.

توفي سنة ٢٠٣ هـ. وقد أجمعوا على توثيقه[1].

★ ★ ★

الفُقَهاء

حين يُذكر الفقه والفُقهاء في بيروت لا يتقدّم أحد على:

عبد الرحمن بن عمرو بن يُحْمِد، أبو عمرو الأوزاعيّ

الإمام الحُجَّة، فقيه أهل الشام، وصاحب المذهب المشهور الذي يُنْسَب إليه الأوزاعية قديماً. وُلد في بعلبك سنة ٨٨ هـ. وكان أبوه قد توفي قبل ولادته، فنشأ في حضانة أمّه بالبقاع، فكانت تنتقل به من بلد إلى بلد، وأخذ العِلم في بلدة الكرك المعروفة بكرك نوح. وتأدّب بنفسه، فلم يكن في أبناء الملوك والخلفاء والوزراء والتجار وغيرهم أعقل منه، ولا أورع ولا أعلم، ولا أفصح ولا أوقر ولا أحلم منه. وساد أهل زمانه في الفقه والحديث

---

(١) أنظر عن (الوليد) في: التاريخ الكبير للبخاري ١٥٥/٨، والمنتخب من ذيل المذيّل للطبري ٥٧، والأوائل لابن أبي عاصم ٢٧ رقم ٧، والسنن الكبرى للبيهقي (في مواضع كثيرة)، وسُنن النسائي ٨١/٢ و٩٧/٣ و٣٢٧، والمحدّث الفاصل للرامهرمزي ٤٣٢ رقم ٤٨٩، وبهجة المجالس لابن عبد البر ٥٩/٢، وبيان خطأ من أخطأ على الشافعي للبيهقي ١٢٩ و١٣٠، وحلية الأولياء لأبي نعيم ٢٣/١٠، والآداب للبيهقي، رقم ١٢٧ و٣١١ و٦٦٦ و١١٥٢، وسُنن الدارقطني ٤١/٣ رقم ١٦٩، ومسند الشهاب للقضاعي ١٤٤/١ رقم ١٩٢، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، وتلخيصه للذهبي ٦٣/١ و٩٨ و١١٣ و١٥٥ و١٦٦ و١٩٢ و٣٠ و٣٣٤ و٤٢٧ و٤٤ و٥٢ ومواضع أخرى منها، والإكمال لابن ماكولا ٤١٤/٦ و٢٣٢/٧، والمعجم الصغير للطبراني ١٩٨٨، وتاريخ بغداد ١٢١/١٠، وأدب الإملاء لابن السمعاني ٦٨، والأنساب، له ١١٨/٨، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٤٨٠/٤٥ - ٤٨٧، وتاريخ بيروت لصالح بن يحيى ١٤، وكتابنا: موسوعة علماء المسلمين ١٧٦/٥ - ١٨٠ رقم ١٧٩٥ وفيه مصادر أخرى.

كان محدّثاً أيضاً[1].

٧ ـ الوليد بن مَزْيَد، أبو العباس العُذْريّ البيروتيّ

هو صاحب الإمام الأوزاعيّ، ووالد «العباس» قاضي بيروت الذي تقدّم ذكره.

وُلد سنة ١٢٦ هـ. وهو من بني عُذْرة الذين كانوا من أشراف الشام ولهم أرض تُعرف باسمهم، وهم قبيلة حجازية تنتسب إلى اليمن وبطن من حِمْيَر القحطانية، وإليهم يُنْسَب «الحبّ العُذْريّ».

أبصر «الوليد» النور في بيروت، فنشأ فيها وغشي مجلس إمامها وفقيهها الأوزاعيّ ولازَمَه حتى جمع من علمه ما لم يكن عند غيره، وكتب عنه الكثير، وأفتى على مذهبه، وكذلك فعل ابنه «العباس» من بعده، حتى كان الإمام الأوزاعيّ يُشيد به لكثرة ما كتب عنه وصحّة رواياته. فكان إذا سُئل عن رأيه في الكتب التي تتناول مسائله الفقهية قال: عليكم بكتُبُ الوليد بن مَزْيَد فإنها صحيحة، وما عُرِض عليّ كتاب أصحّ من كُتُبه[2].

وقد سمع الوليد على شيوخ من أهل بيروت، وصيدا، وعسقلان، وغيرها. وجلس للإفتاء والحديث في بيروت، فسمعه عبدالله بن إسماعيل سبط الإمام الأوزاعيّ، وعبد الغفّار بن عفّان البيروتي صِهْر الأوزاعيّ، وروى عنه ابنه العباس الحديث الكثير، وقال: سمعت أبا مُسْهِر الغسّاني يقول: لقد

= القيسراني ٧٥، وطبقات ابن سعد ٣٥١/٧، والإكمال لابن ماكولا ٣٩٣/٧، والأنساب لابن السمعاني ٣٠١أ، والمعجم الكبير للطبراني ٦/رقم ٥٥٧٦ و٧/رقم ٦٣٩٧ و١٧/رقم ٣٩، والتاريخ الكبير للبخاري ٢٤٨/٨، وانظر كتابنا: موسوعة علماء المسلمين ١٤٨/٥ ـ ١٥٣ رقم ١٧٧٣ ففيه مصادر أخرى، وتاريخ الإسلام للذهبي (بتحقيقنا) حوادث ووفيات ١٧١ ـ ١٨٠ هـ. ص ٣٩١ رقم ٣١٣.

(١) الجرح والتعديل لابن أبي حاتم الرازي ١١٨/٨.

(٢) الجرح والتعديل ١٨/٩.

والمغازي وغير ذلك من علوم الإسلام[١]. وسُئل عن الفقه واستُفتي وله ثلاث عشرة سنة[٢]. وروى عن المِئين من التابعين وتابعي التابعين.

قال العباس بن الوليد البيروتي: سمعت أبي يقول: كان مولد الأوزاعي ببعلبك ومنشأه بالبقاع، ثم نقلته أمّه إلى بيروت. فما رأيت أبي يتعجّب من شيء مما رآه في الدنيا تعجُّبَه منه، فكان يقول: سبحانك تفعل ما تشاء. كان الأوزاعيّ يتيماً فقيراً في حجْر امرأة تنقله من بلد إلى بلد، وقد جرى حكمك فيه بأنْ بلّغته حيث رأيته. ثم يقول: يا بُنَيّ عجزت الملوك أن تؤدّب نفسها وأولادها أدَبَه في نفسه. ما سُمعت منه كلمة قطّ إلّا احتاج من سمعها إلى إثباتها عنه[٣].

وكان الأوزاعيّ يعقد مجالس العلم في الفقه والحديث والإفتاء والوعظ والسِّيَر والمغازي في جامع بيروت المعروف بـ « جامع ورد »، كما كان يتولّى فيه الإمامة والأذان.. ورابط في بيروت واكتتب في ديوان الساحل، فكان يخرج في البُعوث والغزوات. وأضحى عالماً وفقيهاً للجُنْد في العصر الأمويّ، حتى خلفه في هذه المهمّة « يزيد بن السَّمْط »[٤] وهو من كبار أصحابه.

وكان يُعاني الرسائل والكتابة، وكانت كُتُبُه تَرِد على « المنصور » فينظر فيها ويتأمّلها ويتعجّب من فصاحتها وحلاوة عبارتها. وقد قال « المنصور » يوماً لأحظى كُتّابه عنده ـ وهو سليمان بن مُجالد ـ: ينبغي أن نجيب الأوزاعي على ذلك دائماً لنستعين بكلامه فيما نكاتب به إلى الآفاق إلى من لا يعرف كلام الأوزاعيّ. فقال: والله يا أمير المؤمنين لا يقدر أحد من أهل الأرض على مثل كلامه ولا على شيء منه.

---

(١) البداية والنهاية ١٠/١١٥، ١١٦.

(٢) تهذيب الأسماء واللغات للنووي ـ ج ١ ق ١/٢٩٩.

(٣) الرحلة في طلب الحديث للخطيب ١٦٨، تاريخ دمشق (المخطوط) ٢٣/١٣٧، ١٣٨.

(٤) أنظر ترجمته ومصادرها في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين ٥/٢١٣، ٢١٤، رقم ١٨٤٦.

وروى المؤرّخ الطبري عن العباس بن الوليد البيروتي أن الخليفة المهديّ قال للإمام مالك بن أنس: يا أبا عبدالله ضَعْ كتاباً أحمل الأمّة عليه. قال: يا أمير المؤمنين، أمّا هذا الصقْع ـ وأشار إلى المغرب ـ فقد كُفِيتَه، وأمّا الشام، ففيهم الذي قد علِمته ـ يعني الأوزاعيّ ـ وأمّا أهل العراق فهم أهل العراق[١]. وهذا يعني أنّ مذهب الإمام مالك تغلّب على مذهب الأوزاعيّ في المغرب والأندلس، ولكنه لم يجد قبولاً في الشام حيث الأوزاعيّ قد غلب مذهبه.

أمّا انتقال مذهب الأوزاعيّ إلى الأندلس فتَمّ على يد « صعصعة بن سلّام » وهو من أهل دمشق، حيث أخذ الفقه على الأوزاعيّ وكان من أصحابه، ثم تحوّل إلى مصر وحدّث بها عنه، ثم رحل إلى الأندلس وسكنها وحدّث بها عنه، فكان أوّل من أدخل مذهبه إلى تلك الديار، وكانت الفُتْيا دائرة على مذهب الأوزاعيّ أيام الأمير « عبد الرحمن بن معاوية الأمويّ » وصدراً من أيام « هشام » حتى توفي سنة ١٩٢ هـ[٢].

ويقول « صالح بن يحيى » إن أهل الأندلس عملوا بمذهب الأوزاعيّ أربعين سنة، ثم تناقص بمذهب الإمام مالك على يد عبد الرحمن بن معاوية بن هشام الأموي[٣]. أما « القرطبي » فقال في تاريخه: إنّ الفُتْيا كانت تدور بالأندلس على رأي الأوزاعيّ إلى زمن « الحكم بن هشام » المتوفى سنة ٢٥٦ هـ[٤]. مما يعني أنّ مذهبه كان منتشراً في الأندلس لأكثر من نصف قرن من الزمان. أمّا في الشام فقد بقي مذهبه سائداً نحواً من مائتين وعشرين سنة[٥]. وقبل ظهور مذهب الإمام الشافعيّ في دمشق لم يكن يلي القضاء بها

---

(١) المنتخب من ذيل المذيّل للطبري ٦٥٦ و ٦٥٩.

(٢) جذوة المقتبس للحميدي ٢٤٤، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/٤٢٢.

(٣) تاريخ بيروت لصالح بن يحيى ١٣.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/٢٤٢.

(٥) البداية والنهاية ١٠/١١٥.

والخطابة والإمامة إلّا أوزاعيّ على رأي الإمام الأوزاعيّ»[1]. وحين نزل «المقدسيّ» المعروف بـ«البشاريّ» أثناء رحلته حول منتصف القرن الرابع الهجري (٣٥٠هـ تقريباً) مدينة دمشق وجد للأوزاعيّة مجلساً بجامعها الأمويّ، مع أن العمل فيه «على مذهب أصحاب الحديث والفقهاء شفعويّة»[2]. وكان آخر من عمل بمذهب الأوزاعيّ قاضي الشام «أحمد بن سليمان بن حذلم»[3]. ويعلّل «المقدسي» سبب انقراض مذهب الأوزاعيّ بإقامة الإمام في بيروت على ساحل الشام، وهي في طرف بعيد عن سابلة الحاج، فكان مثله مثل المقرىء «ابن عامر» المقيم بمصر، إذ يقول «المقدسيّ»: «لو كان ابن عامر بالحجاز أو بالعراق ما جُهِل ولا شذّت قراءته، لكنّه لما كان بمصر متطرّفاً قلّ الواردون عليه والناقلون عنه. ألا ترى أنّ الأوزاعيّ كان من أئمّة الفقه، وقد بطُل مذهبه لهذا المعنى، فلو كانا على سابلة الحاجّ لنقل مذهبيهما أهلُ الشرق والغرب»[4].

وقال الهِقْل بن زياد: أجاب الأوزاعيّ في سبعين ألف مسألة أو نحوها[5]. وقال غيره: إنّه أفتى في ثمانين ألف مسألة في الفقه من حفظه[6]. وهو من أوائل الذين صنّفوا الكتب في الفقه ومسائله، وكان له ثلاثة كُتّاب يقوم بالإملاء عليهم فيكتبون حديثه وفتاويه، وهم: عبد الحميد بن حبيب بن أبي

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسُبْكي ١/١٧٤.
(٢) أحسن التقاسيم للمقدسي البشاري ١٧٩، ١٨٠.
(٣) تاريخ بيروت لصالح بن يحي ١٣.
(٤) أحسن التقاسيم ١٤٤.
(٥) تهذيب الأسماء للنووي ج١ ق ١/٢٩٨، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء ٢/٧، وتاريخ ابن الوردي ١/١٩٨، والتاج المكلّل للقنوجي ٦٣، وتهذيب التهذيب لابن حجر ٦/٢٤٠.
(٦) تهذيب الأسماء ج١ ق١/٢٩٨، وتاريخ الخميس للديار بكري ٢/٣٦٧، وتهذيب التهذيب ٦/٢٤٢.

العشرين، والهِقْل بن زياد، ويوسف بن السَّفْر[1]. وذكر «ابن النديم» من كتبه: كتاب السُنن في الفقه، وكتاب المسائل في الفقه. وقد احترقت كُتُبه زمن الرجفة وهي ثلاثة عشر فنداقاً، فأتاه رجل بنُسَخٍ منها وقال: يا أبا عمرو، هذه نسخة كتابك وإصلاحك بيدك، فما عرض الأوزاعيّ لشيءٍ منها حتى فارق الدنيا، وقال: لا نأمَن بإصلاح اللحْن[2].

وقال القاضي المباركبوريّ: وللأوزاعيّ مدوّنات في علم الحديث جمع فيها الحديث الصحيح وآثار التابعين ومن سمع منهم، واستخرج الأحكام الشرعية على مذهبٍ انفرد به، وكتابه هذا يوجد منه نسخة خطّيّة في مكتبة جامعة القَرَوِيّين بالمغرب لا ثاني لها، وهي في مجلّد ضخم بخطّ دقيق جدّاً، لو استُنْسِخ بخطٍّ عاديّ لبلغ حجمه أربعة مجلّدات[3].

وقد وضع دُحيم: «مُسْند حديث الأوزاعيّ» ورواه إبراهيم بن دُحيم عن حاتم بن محمد الطرابلسيّ الشاميّ الأندلسيّ، وألّف الطبرانيّ: «مُسْنَد حيث

---

(١) أنظر عن (يوسف بن السفر) في: التاريخ الصغير للبخاري ١٩٨، والضعفاء الصغير، له ٢٨٠ رقم ٤١٠، والضعفاء الكبير للعقيلي ٤/٤٥٢ رقم ٢٠٨١، والجرح والتعديل ٩/٢٢٣ و٢٢٨، والمجروحين والضعفاء لابن حبّان ٣/١٣٣ و١٣٦، وأحوال الرجال للجوزجاني ١٦٠ رقم ٢٨٥، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ١٨٠ رقم ٥٩٩، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي ٧/٢٦١٩، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٣/٢٢٠ رقم ٣٨٥٣، وتصحيفات المحدّثين للعسكري ٢٩١ وهو ضبط «السَّفْر» بالفاء الساكنة، والسنن الكبرى للبيهقي ١/٢٤، والمغني في الضعفاء للذهبي ٢/٧٦٢، وميزان الاعتدال، له ٤/٤٦٦، ٤٦٧، رقم ٩٨٧٦، والكشف الحثيث لسبط ابن العجمي ٤٦٧ رقم ٨٥٥، ولسان الميزان لابن حجر ٦/٣٢٢ ـ ٣٢٤، وموسوعة علماء المسلمين ٥/٢٢٩، ٢٣٠ رقم ١٨٦٩، وكان الوليد بن مَزْيد البيروتي يقول: ما أتينا الأوزاعيّ قطّ إلّا وجدنا يوسف بن السَّفْر عنده. (موضح أوهام الجمع والتفريق للخطيب ٢/٤٧٢).
(٢) المعارف لابن قتيبة ٤٩٧، والجرح والتعديل ٥/٢٦٦، وتاريخ أسماء الثقات لابن شاهين ٢١٨ رقم ٧٨٧.
(٣) رجال السند والهند ـ ص١٦٤.

الأوزاعيّ » أيضاً[١]، ووضع الوليد بن مسلم الدمشقيّ كتاب « السِّيَر » عن الأوزاعي[٢]، وهو مطبوع مع كتاب « الأمّ » للشافعي[٣]. وجالس الأوزاعيّ: يحيى بن أبي كثير فكتب عنه أربعة عشر كتاباً احترقت كلّها في الرجفة التي أصابت بيروت.

وكان الأوزاعيّ معاصِراً للإمام أبي حنيفة، ويُسيء القول فيه، وفي ذلك يقول « عيسى بن يونس »[٤]. خرج علينا الأوزاعيّ ونحن ببيروت أنا، والمُعافى بن عمران[٥]، وموسى بن أعْيَن[٦]، ومعه كتاب « السُنن » لأبي حنيفة، فقال: لو كان هذا الخطأ في أمّة لأوسعهم خطأ[٧]. وقال أيضاً: ما وُلد في الإسلام مولود أضرّ على الإسلام من أبي حنيفة[٨].

وقال عبدالله بن المبارك: قدمت الشام على الأوزاعي، فرأيته ببيروت، فقال لي: يا خُراساني، من هذا المبتدع الذي خرج بالكوفة يُكَنَّى أبا حنيفة؟ فرجعت إلى بيتي، فأقبلت على كتب أبي حنيفة فأخرجت منها مسائل من جياد المسائل، وبقيت في ذلك ثلاثة أيام، فجئته بعد الثالث، وهو مؤذّن مسجدهم وإمامهم، والكتاب في يدي، فقال: أيّ شيء هذا الكتاب؟ فناولته،

(١) فهرسة ما رواه عن شيوخه لأبي بكر الإشبيلي ١٤٨، ١٤٩.
(٢) فهرسة الإشبيلي ٢٣٦.
(٣) أنظر: الردّ على سير الأوزاعي، في كتاب الأم للشافعي ج٧/٣٠٣ - ٣٣٦ طبعة القاهرة ١١٢٥ هـ.
(٤) أنظر عن (عيسى بن يونس) في: موسوعة علماء المسلمين ٣/٢١٠، ٤١١ رقم ١١٩١.
(٥) أنظر عن (المعافى بن عمران) في: موسوعة علماء المسلمين ٥/٧٢ - ٧٤ رقم ١٦٨٧.
(٦) أنظر عن (موسى بن أعين) في: موسوعة علماء المسلمين ٥/١٠٠ رقم 1715.
(٧) تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، للحافظ الذهبي - بتحقيقنا - ج١٢ (حوادث ووفيات ١٨١ - ١٩٠ هـ.) رقم الترجمة ٥٦١.
(٨) السُنّة، لعبدالله بن أحمد بن حنبل - تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني - طبعة دار القيّم ١٤٠٦ هـ. ج١/١٨٧، والعلل ومعرفة الرجال لأحمد برواية عبدالله ٣/٥٤٦ رقم ٣٥٨٩، وتاريخ بغداد للخطيب ١٣/٣٨٩.

فنظر في مسألة كتبت فيها: « قال النعمان بن ثابت »، فما زال قائماً بعدما أذّن حتّى قرأ صدراً منه وثاب، ثم وضع الكتاب في كُمّه ثم أقام وصلّى، ثم أتى عليها فقال لي: يا خُراسانيّ، مَن النُعمان بن ثابت؟ قلت: شيخ لقيته بالعراق! فقال: هذا نبيل من المشائخ، إذهب فاستكثر عنه. قلت: هذا أبو حنيفة الذي نَهَيْتَ عنه.

ثم التقى أبو حنيفة والأوزاعيّ بمكة، وكان بينهما اجتماع، فرأيت الأوزاعيّ يُجاري أبا حنيفة في تلك المسائل التي كانت في الرقعة، فرأيت أبا حنيفة يكشف من تلك المسائل بأكثر مما كتبت عنه، فلما افترقا لقيت الأوزاعيّ بعد ذلك، فقال: غبطتُ الرجل بكثرة علمه ووُفور عقله، وأستغفِر الله، لقد كنت في غَلَطٍ ظاهر. إلزَم الرجلَ فإنه بخلاف ما بلغني عنه[١].

واصطحب الأوزاعيّ وسُفيان الثوري لفترةٍ وهو في الحجّ سنة ١٥٠ هـ. وكان للثوريّ مذهب خاصٌّ به، وله أتباع في جنوب لبنان بشهادة الرحّالة المقدسيّ. وحين عرف الثوريّ بمقدم الأوزاعيّ للحجّ خرج حتى لقيه بذي طوى، وحلّ الحبل من رأس البعير ووضعه على رقبته ودخل به مكة وهو آخِذ بزمام جَمَله، والإمام مالك بن أنس يسوق به والثوريّ يقول إذا مرّ بجماعة: أفسحوا الطريق للشيخ، حتى أجلساه عند الكعبة، وجلسا بين يديه يأخذان عنه[٢]. وتَذاكر مالك والأوزاعيّ مرّة بالمدينة المنوّرة من الظهر حتى صلّيا العصر، ومن العصر حتى صلّيا المغرب، فغمره الأوزاعي في المغازي، وغمره مالك في الفقه أو في شيء من الفقه.

وتناظر الأوزاعيّ والثوريّ في مسجد الخَيْف في مسألة رفع اليدين في الركوع والرفع منه، فاحتجّ الأوزاعيّ على الرفع في ذلك بما رواه عن

(١) مناقب أبي حنيفة للإمام المكّي ١/٢٨٠، ٢٨١.
(٢) طبقات الفقهاء للشيرازي ٧٦، تاريخ دمشق (المخطوط) ٢٣/١٧٥، البداية والنهاية ١٠/١١٦.

الزُهريّ، عن سالم، عن أبيه: أن رسول الله ﷺ كان يرفع يديه في الركوع، والرفع منه. واحتجّ الثوريّ على ذلك بحديث يزيد بن أبي زياد، فغضب الأوزاعيّ وقال: تُعارض حديث الزُهريّ بحديث يزيد بن أبي زياد وهو رجل ضعيف!؟ فاحمرّ وجه الثوريّ، فقال الأوزاعيّ: لعلّك كرهتَ ما قلت؟ قال: نعم. قال: فقم بنا حتى نلتعن عند الركن أيُّنا على الحقّ. فسكت الثوريّ[1].

ويعترف الأوزاعيّ بأنه كان يقول فيمن ضحك في الصلاة قولاً لا يدري كيف هو، فلما لقي سفيان الثوريّ سأله عن حكم ذلك. فقال له: يعيد الوضوء ويعيد الصلاة، فأخذ به[2].

ومن مسائل الأوزاعيّ الفقهيّة وفتاواه أنه قيل له: أرأيت لو خرج صاحب البحر، وبعث سُفُناً لغارةٍ، ومضى هو إلى أطرابُلُس فأصاب الغنيمة، أو أصابت سريّته غنيمة؟

قال: أراهم يشتركون[3]. (أي في المغنم).

قيل له: مركب للعدوّ ضربته الريح، فلم يُعلم بهم حتى أرْفَوا على نهر بيروت فقالوا: إنّا جئنا نريد الأمان لحاجة.

قال: هم آمنون.

قيل: فإن انكسر بهم مركبهم، فخرجوا غُزاة، فقالوا ذلك؟

فقال: هذا شُبْهة، يُخَلّى عنهم أحبّ إليّ.

قيل: فإن لم يقولوا ذلك، وخرجوا فسألوا الأمان؟

(١) تاريخ دمشق ٢٣/١٧٥.

(٢) تاريخ بغداد ٩/١٦٢.

(٣) كتاب السّير لأبي إسحاق الفزاري، برواية محمد بن وضّاح القرطبي، عن عبد الملك بن حبيب المِصّيصي - تحقيق د. فاروق حمادة - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٨هـ. ١٩٨٧م. - ص١٩٥ رقم ٢٨١.

قال: يُقتلون ولا يؤمّنون[1].

وقال فُدَيك بن سليمان القيسرانيّ: قدِم علينا رجل من دمشق يزعم أنّ بدمشق رجلاً يقول: إنّ الإيمان قول وعمل يزيد ولا ينقص، فخرجنا من قيسارية نحواً من عشرين رجلاً على أرجُلنا نمشي حتى دخلنا على الأوزاعيّ ببيروت، فقلنا له: يا أبا عمرو، إن بدمشق رجلاً يزعم أن الإيمان قول وعمل يزيد ولا ينقص، فقال لنا أبو عمرو: من زعم أنّ الإيمان قول وعمل يزيد ولا ينقص فاحذروه فإنه مبتدع[2].

ورغم أنّ الأوزاعيّ كان محدّثاً مكثراً، فإنه لم يصل في مرتبته إلى ما وصل إليه في الإمامة في الفقه، فقد قيل في حديثه عدّة أقوال، فالإمام الشافعيّ يقول: ما رأيت أحداً أشبه فقهه بحديثه من الأوزاعيّ، بينما وصف الإمام أحمد بن حنبل حديثه بأنه «ضعيف» وقال: كان كثيراً ما يخطىء[3]. وعلّق الإمام البيهقيّ على ذلك بقوله إنّ الإمام ابن حنبل يريد بذلك بعض ما يحتجّ به لأنه أضعف في الرواية، والأوزاعيّ إمامٌ في نفسه، ثقة، لكنه يحتجّ في بعض مسائله بأحاديث من لم يقف على حاله، ثم يحتجّ بالمقاطيع[4].

وورد للأوزاعيّ في «صحيح البخاري» (٤٠ حديثاً)، وفي «صحيح مسلم» (٥١ حديثاً)، وفي «سُنن ابن ماجة» (٧٣ حديثاً)، وفي سُنَن النسائيّ» (٥٠ حديثاً)، وفي «سُنن أبي داود» (٤٠ حديثاً)، وفي «سُنَن الترمذيّ» (٢٤ حديثاً)، وله في كُتُب السُّنّة الأخرى، كمسند أحمد، وسُنَن

(١) إختلاف الفقهاء وأحكام الجزية والجهاد، للطبري - ملحق بكتاب السير لأبي إسحاق - ص٣٣٩ رقم ٨.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٤/٤٩٦.

(٣) العلل ومعرفة الرجال، برواية المرّوذي وغيره، طبعة الدار السلفية، بومباي بالهند ١٤٠٨هـ./١٩٨٨م. - ص١٥١.

(٤) تهذيب التهذيب لابن حجر ٦/٢٤١، ٢٤٢.

البيهقيّ، والدارمي، الكثير من الأحاديث[1].

وكان الأوزاعيّ يُنشد:

إذا كـان الخطـأ أقـلّ ضُـرّاً   وأنْجَحَ في الأمـور من الصـوابِ
وكـان النَّـوْكُ[2] محمودًا مُـدالًا   وكـان الدّهـر يـرجـع في انقلابِ
وعُطِّلـت المكـارم والمعـالي   وأُغلِـق دون ذلـك كـلّ بـابِ
ويُوعِـدُ كـلُّ ذي حَسَـبٍ وديـنٍ   وقُـرِّب كـلُّ مهتـوك الحجـابِ
فما أحـد أضَـنّ بما لـديـه   من المتحـرّج المحـض اللُّبـابِ
وولّـى بعضهـم مـرحـاً وحـربـاً   وولي بعضهـم فصْلَ الخطـابِ[3]

وقال أيضاً:

الملك ملكـان مقـرونـان في قـرن   فـأهنـأ العَيْش عنـد خفّـة المؤن
وصحّة الجسم مُلـك ليس يَعْـدِلـه   ملكٌ، وما الملكُ إلّا صحّة البدن[4]

وحين تُوفي الأوزاعيّ رثاه بعضهم بقوله:

جاد الحيا بـالشام كـلّ عشيّـةٍ   قبرًا تضمّـن لَحْدُه الأوزاعـي
قبرٌ تضمّـن فيـه طَـوْدُ شريعـةٍ   سَقْيـاً لـه مـن عـالِـمٍ نَفّـاعِ
عُرِضت له الدُّنيا، فأعرض مُقْلِعًا   عنهـا بـزُهـدٍ أيّما إقلاعِ[5]

وقال عبد الحميد بن أبي العشرين البيروتي كاتب الأوزاعي: سمعت أميرًا

(١) فقه الإمام الأوزاعي، لعبدالله محمد الجبوري - طبعة وزارة الأوقاف العراقية ١٩٧٧ - ج ٥٨/١.

(٢) النَّوْك: الكسل.

(٣) الأبيات، ما عدا الأخير، في: الجليس الصالح الكافي، للجريري، بتحقيق الدكتور محمد مرسي الخولي - طبعة عالم الكتب، بيروت ١٩٨١ - ج ١٦٨/١، وهي كلها في: تاريخ دمشق (المخطوط) ١٨٨/٢٣ مع اختلاف بعض الألفاظ.

(٤) تاريخ دمشق ١٨٨/٢٣.

(٥) وفيات الأعيان ١٢٧/٣، مرآة الجنان لليافعي ٣٣٣/١، التاج المكلّل للقنوجي ٦٣.

كان بالساحل وقد جلس على قبر الأوزاعيّ بعد دفنه ونحن عند القبر يقول: رحِمَكَ الله أبا عمرو، فوالله لقد كنت أخاف منك أكثر مما أخاف من الذي ولّاني - يعني المنصور[1].

وكانت وفاته سنة ١٥٧ هـ. ودُفن خارج بيروت في قرية تعرف باسم «حنتوس»، وكان أهلها في القرن السابع الهجري/الثالث عشر الميلاديّ لا يعرفونه، بل يقولون: هاهنا رجل صالح ينزل عليه النور، ولا يعرفه إلّا الخواصّ من الناس![2].

وسيرة الإمام الأوزاعيّ - رحمه الله - حافلة، اقتصرت منها على هذا القدر خشية الإطالة. وقد أفرد له المؤرّخ «صالح بن يحيى البيروتي» كتاباً[3]، ولكنّه لم يصلنا وهو مفقود. وكتب «ابن زيد المَوْصليّ» المتوفّى ٨٧٠ هـ. رسالة عنه سمّاها: «محاسن المساعي في مناقب الإمام أبي عمرو الأوزاعيّ»[4]، وجمع الشيخ «محمد طه الوليّ الطرابلسيّ» نزيل بيروت أخباره في كتاب بعنوان «عبد الرحمن الأوزاعيّ شيخ الإسلام وإمام أهل الشام»[5]. وأصدر «عبد الله محمد الجبوريّ» في العراق دراسة في جزءين كبيرين بعنوان «فقه الإمام الأوزاعيّ»[6]. كما أصدر المرحوم الدكتور «صبحي المحمصانيّ» (البيروتي) كتاباً بعنوان: «الأوزاعي وتعاليمه الإنسانية والقانونية»[7]. وقد وضعتُ ترجمة مطوّلة للأوزاعي في كتابي «موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي» استغرقت (٥٠ صفحة) أحصيت فيها أكثر من مئتين من الشيوخ

(١) تهذيب الأسماء واللغات ج ١/ق ٢٩٨/١، البداية والنهاية ١٢٠/١٠.

(٢) وفيات الأعيان ١٢٧/٣.

(٣) ذكره في كتابه «تاريخ بيروت» الذي نشره: هورس، والصليبي - ص ١٣.

(٤) نشرها الأمير شكيب أرسلان، بالقاهرة ١٩٣٣.

(٥) صدر عن دار صادر، بيروت ١٩٦٨.

(٦) أصدرته وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٩٧٧.

(٧) صدر في بيروت ١٩٧٨.

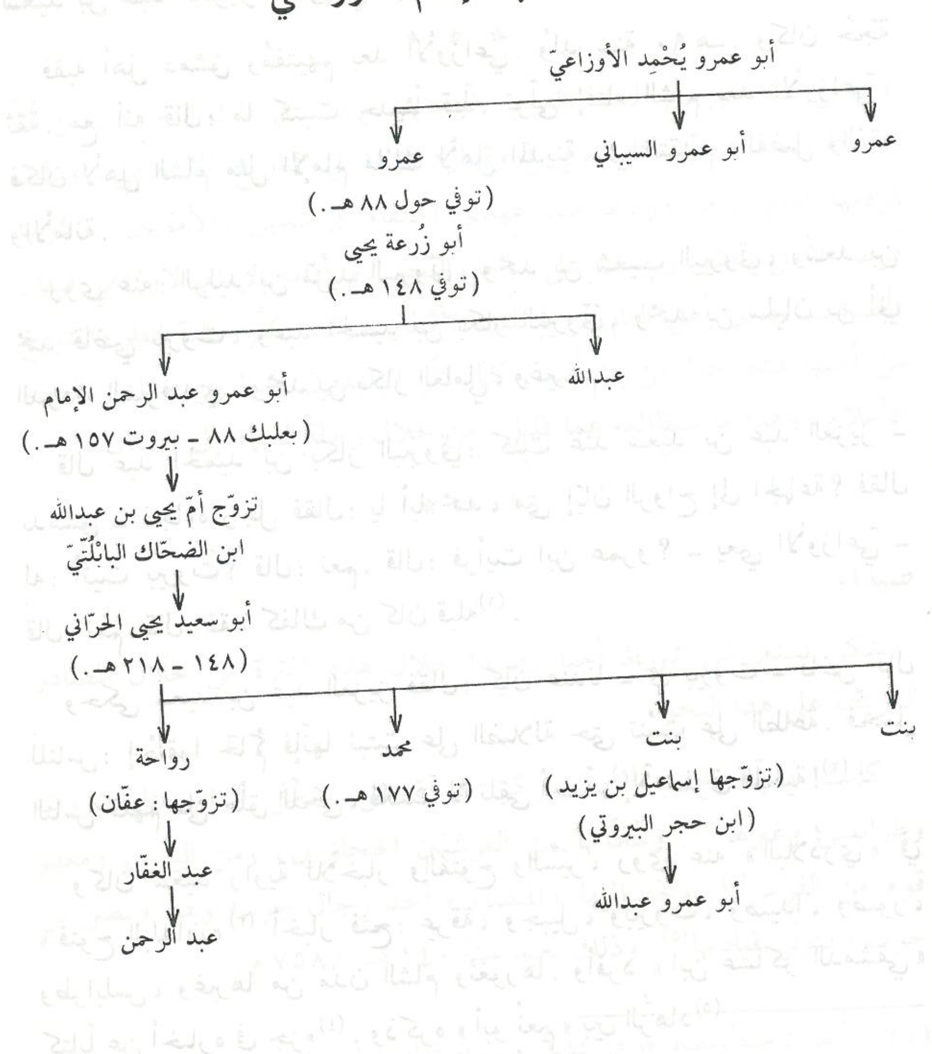
الذين أخذوا عليه في بيروت ودمشق[1]. كما نشرت ترجمته لأول مرة من «تاريخ دمشق» المخطوط لابن عساكر، في «مجلّة الفكر الإسلامي» التي تصدر عن دار الفتوى ببيروت[2]. هذا فضلاً عن عدّة دراسات عنه للمستشرقين[3].

(١) أنظر الجزء الثالث من الموسوعة - ص٦١ - ١١١ رقم ٧٧٥ وفيه كثير من مصادر ترجمته.

(٢) أنظر العدد المزدوج ١ و٢ لشهري كانون الثاني وشباط ١٩٨٠ - ص٢٢٠ - ٢٢٨ بعنوان. «أخبار ومناقب الإمام الأوزاعي في «تاريخ دمشق» لابن عساكر».

(٣) أنظر بعض دراسات المستشرقين عن الأوزاعي في: تاريخ التراث العربي لفؤاد سزگين - ج٢/٢٢٠ - ٢٢٢، طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٨.

شجرة نسب الإمام الأوزاعي[1]



(١) عن: موسوعة علماء المسلمين ١١١/٣.

سعيد بن عبد العزيز التنوخي البيروتيّ، أبو محمد

فقيه أهل دمشق ومُفتيهم بعد الأوزاعيّ. وُلد سنة ٩٠ هـ. وكان حُجّة ثقة. مع أنه قال: ما كتبت حديثاً قطّ. تولّى إفتاء الشام بعد الأوزاعيّ، فكان لأهل الشام مثل الإمام مالك لأهل المدينة، في التقدّم والفضل والفقه والأمانة.

روى عنه: الوليد بن مَزْيد البيروتي، ومحمد بن شعيب البيروتي، وسعد بن محمد قاضي بيروت، وعبد الحميد بن بكار البيروتيّ، ومحمد بن سليمان بن أبي الدرداء الصرفندي، ومحمد بن بكار العاملي، وغيرهم.

قال عبد الحميد بن بكار البيروتي: كنت عند سعيد بن عبد العزيز - بدمشق - فجاءه رجل فقال: يا أبا محمد، متى إبّان الرواح إلى الجماعة؟ فقال له: أتيت بيروتَ؟ قال: نعم. قال: فرأيت ابن عمرو؟ - يعني الأوزاعيّ - قال: نعم. قال: فقد كفاك من كان قبله[1].

وحكى سعيد بن عبد العزيز فقال: كان عندنا - في بيروت - قاضٍ قال للناس: إحْلقوا لحاكُمْ فإنّها نبتت على الضلالة حتى تنبُت على الطاعة. فحمل الناس كلّهم على حلْق اللِّحَى، فكنتَ لا تلقى أحداً، إلاّ محلوق اللّحية![2].

وكان سعيد راوية للأخبار والفتوح والسِّيَر، روى عنه «البلاذُريّ» في «فتوح البلدان»[3] أخبار فتح: عِرقة، وجبيل، وبيروت، وصيدا، وصور، وطرابلس، وغيرها من مدن الشام وثغورها. وأفرد «ابن عساكر الدمشقيّ» كتاباً عن أخباره في جزء[4]. وذكره «أبو نُعيم» بين الزُّهاد[5].

---

(١) تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل ١/٨٦.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ٢/٧٧٦، تاريخ دمشق (المخطوط) ١٥/٥٧٩.

(٣) أنظر الصفحات: ١٣٨ و١٣٩ و١٥٠ و١٥٧ و١٥٨ و١٦٤.

(٤) معجم الأدباء لياقوت ١٣/٧٩.

(٥) أنظر: حلية الأولياء ٨/٢٧٤ - ٢٧٦ رقم ٤٠٦، والزهد الكبير للبيهقي ١٧٥ رقم ٤٠٥، وتهذيب تاريخ دمشق ٦/١٥٢، ١٥٣.

توفي سنة ١٦٧ هـ[1].

* * *

ومن هذا العرض للعلماء الذين أخرجتهم بيروت في تلك الفترة، يتبيّن أنّ الحركة العلمية فيها كانت في ذروة ازدهارها في التاريخ الإسلامي، وذلك لموقعها الهام كثغر ورباط منذ عهدي الخلفاء الراشدين والأمويين، وكونها فُرضة لأهل دمشق وبعلبك على ساحل البحر، ثم إقامة الإمام الأوزاعيّ فيها، فأضحت مَهْوَى أهل العلم من مختلف الأقطار، ولهذا كثُر طلبة العلم والشيوخ من أهلها فتخرّجوا من مدرسته، كما كثُر الوافدون إليها من مشاهير العلماء الأعلام، وهذا ما سنطالعه عمّا قليل؛ من خلال رحلة العلماء إلى «لبنان».

* * *

صيداء

يمكن استعراض شريط أخبار صيدا خلال هذه الفترة من خلال المصادر التاريخية على هذا النحو:

كانت مدينة حصينة[2]، ومركز كورة على ساحل الشام مثل بيروت وطرابلس وغيرها[3]. وسُكّانها من القُرشيّين الحجازيّين، ومن اليمن، ومعهم قوم من الفرس[4]. وجّه إليها «المنصور» أحد رجال حرسه وهو «نصر بن حرب» فتولّى قيادتها[5]. وذلك بُعَيد سنة ١٤٠ هـ./٧٥٨ م.

---

(١) أنظر ترجمته ومصادرها في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين ٢/٢٨٠ - ٢٨٣ رقم ٦٢٠، وتحقيقنا لتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ١٦١ - ١٧٠ هـ.) ص ٢١٥، رقم ١٤٧.

(٢) أحسن التقاسيم للمقدسي.

(٣) المسالك والممالك لابن خرداذْبَه ٧٧.

(٤) البلدان لليعقوبي ٣٢٧.

(٥) تاريخ الطبري ٨/٧٩.

وحوالى سنة ١٧٤ هـ./٧٩١ م. شهدت المدينة ونواحيها وقوع فتنة بين أهلها وبين جماعة عُرِفوا بالصارمية[١]، إلى أن تمّ الصُلْح بين الطرفين، ويبدو أنّ هذه الفتنة كانت واسعة شديدة الوطأة شملت قسماً كبيراً من ساحل «لبنان» الذي كان يُعرف بساحل دمشق، وقد أشار إلى هذه الفتنة أحد الزّهاد المرابطين من أهل دمشق، وذكر أنه لما عظُمت الفتنة بساحل دمشق وكثُر البلاء اضطرّ أن يتنحّى عن الموضع الذي كان يرابط فيه بالساحل الى التصعُّد في الجبال المشرفة على الساحل ومعه بعض الماعز الذي يرعاه، حتى بلغ ذروة من «لبنان» مما يُقبل على الساحل، في موضع يقال له «عَرَمْتا»[٢]، بأصل قرية يقال لها «مليخ[٣]» من كورة صيدا[٤].

وانتقل إليها في أواخر عهد الرشيد قاضي بغداد «وهب بن وهب» المعروف بأبي البَخْتريّ، فأصبح يُعرف بصاحب صيدا، وتملّك ضيعة عندها، وهو الذي تولّى بيع الأسرى من الروم البيزنطيّين بعد أن فتح المسلمون جزيرة قبرس سنة ١٩٠ هـ./٨٠٥ م[٥].

وعندما خرج «أبو العُمَيطر السُّفيانيّ» يدعو لنفسه بالخلافة سنة ١٩٥ هـ./٨٠٨ م. تغلّب على صيدا أحد موالي بني أميّة هو «الخطّاب بن وجه الفَلْس[٦]» وكان من سكان قرية «شَبْعا»[٧]، واستعان به «أبو

(١) لم أجد لهم ذكراً في كل المصادر التي طالعتها غير «تاريخ دمشق»، ولعلّهم كانوا يصرمون الشجر ويقطّعونه فعُرفوا بذلك.

(٢) في مخطوطة التيمورية «هرميسيا»، والذي أثبتناه هو الصحيح.

(٣) في المخطوط من تاريخ دمشق «ملخ»، وهي مليخ حالياً، في جبل صافي، في الجنوب الشرقي من صيدا.

(٤) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٥/١١٠، ١١١.

(٥) أنظر ص٤٨ من هذا الكتاب.

(٦) سيأتي التعريف به بعد قليل.

(٧) شبعا: قرية في جنوب لبنان على حدود فلسطين في المنطقة التي يحتلّها العدوّ الصهيونيّ من أرضه، من إقليم العرقوب، في الجنوب الشرقي من حاصبيّا.

العُمَيطر» لمهاجمة دمشق، فخرج معه وتغلّب على عامل دمشق «سليمان بن أبي جعفر المنصور» فأخرجه عنها[١].

وبعد أن تغلّب «عيسى بن الشيخ» على فلسطين والأردن وجنوب «لبنان» بُعَيْد سنة ٢٥٢ هـ./ ٨٦٦ م. خضعت صيدا لنفوذه مع مدينة صور وغيرها من جنوب «لبنان»، وبدأت منذ ذلك الوقت ارتباطها بأسرة «ابن الشيخ» التي سيتولّى أبناؤها قضاء المدينة، والاستقلال الذاتيّ بحكمها، وتأسيس إمارة شبه مستقلّة منها كما سنرى في وقت لاحق. ولكنّ صيدا تدخل في مرحلة تجاذُب النفوذ حيث يُلْحقها العباسيّون بإمرة «النعمان بن عامر» التنوخية مع بيروت والغرب، وذلك في سنة ٢٥٦ هـ./٨٧٠ م[٢].

ثم دخلت صيدا بحوزة «أحمد بن طولون» الذي ضمّ بلاد الشام كلّها إلى مصر في سنة ٢٦٤ هـ./٨٧٨ م. وتنقطع أخبارها نحو عشرين عاماً لنُطالع أن بعض المعالم العُمرانية أقيمت فيها على عهد الخليفة «المعتضد بالله» العباسي، سنة ٢٨٤ هـ./٨٩٧ م. وقد نُقش اسمه عليها، مما يعني أنّ المدينة كانت في تلك السنة قد عادت إلى العباسيّين، قبل سقوط الدولة الطولونية ببضع سنين. (أنظر ما سيأتي من :آثار صيدا).

ثم نطالع ذكرها عند نهاية غزوة «ليو الطرابلسيّ» إلى سالونيكا، حيث نجد إحدى سفن الأسطول الإسلاميّ تتّجه نحو ميناء صيدا، وهي تحمل والدة «كامنياتس» أسقُفّ سالونيكا وزوجته واثنين من أبنائه[٣] مما يعني أنّ صيدا أسهمت كغيرها من الثغور الساحلية في تلك الغزوة البحرية الكبرى سنة ٢٩١ هـ./٩٠٤ م.

ثم نعرف بعد ذلك أنّ الخليفة العباسيّ «المقتدر بالله» (٢٩٥ -

(١) تاريخ الطبري ٤١٥/٨، الكامل في التاريخ، البداية والنهاية ٢٢٧/١٠.

(٢) أخبار الأعيان للشدياق ٤٩٩/٢.

(٣) History of the Byzantine — Finlay — P. 330.

٣٢٠ هـ./٩٠٨ - ٩٣١ م.) قلّد «إبراهيم بن كَيَغْلَغ» على صيدا وما يتعلّق بها[١].

وفي سنة ٣٢٨ هـ./٩٣٩م. تمّ الصُلح بين «محمد بن طُغْج» القائد الإخشيديّ وبين «محمد بن رائق» القائد العباسيّ، على أن تكون مدينة الرملة وما تحتها بفلسطين للإخشيد، وأن يكون ما فوق الرملة من بلاد الشام لابن رائق[٢]، فكانت صيدا وغيرها من مدن «لبنان» بحوزته. وفي السنة التالية أضافها إلى ولاية «بدر بن عمّار» صاحب طرابلس، الذي أصبح والياً على ساحل الشام والأردنّ من طرابلس إلى جنوبيّ صور. ولكنّ صيدا خرجت من جديد من أيدي العبّاسيين لتُصبح تابعة للدولة الإخشيدية اعتباراً من سنة ٣٣٠ هـ./٩٤١م. مثلها مثل بقيّة المدن «اللبنانية»[٣].

وحين كانت صيدا بحوزة الدولة الإخشيدية طمع الشاعر المشهور «أبو الطيّب المتنبيّ» بالولاية عليها، فقيل إنّه سأل كافوراً الإخشيديّ أن يولّيه عليها، أو على غيرها من بلاد صعيد مصر، فقال له كافور: أنت في حال الفقر وسوء الحال وعَدَم المُعين سَمَتْ نفسُك إلى النُّبوَّة، فإنْ أصبتَ ولايةً وصار لك أتباع، فمن يُطيقك[٤]؟.

وبقيت صيدا بيد الإخشيديّين حتى بدأ الفاطميّون بضمّ بلاد الشام إلى دولتهم اعتباراً من سنة ٣٥٨ هـ./٩٦٩ م. فانحاز إليهم صاحبها «ابن الشيخ» وقاتل إلى جانبهم ضدّ أمير دمشق، وهذا ما سنراه في كتابنا التالي من هذه السلسلة إن شاء الله.

---

(١) سيأتي التعريف به عمّا قريب.

(٢) أنظر الصفحة ١٣٢ من هذا الكتاب.

(٣) أنظر الصفحة ١٣٣ من هذا الكتاب.

(٤) الصُبْح المُنْبي عن حيثيّة المتنبّي، للبديعي - تحقيق يوسف البديعي، ومصطفى السّقّا، ومحمد شتا، وعبده زيادة عبده - طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٢ - ص١١٢، أمراء الشعر العربي-أنيس المقدسي-طبعة دار العلم للملايين بيروت ١٩٨٣ (الطبعة ١٥)-ص٣٣٥.

ومن خلال مطالعتنا لترجمة الزاهد «عبد الرحمن بن ثابت» المقيم بصيدا، نتعرّف على وجود طاحونة للقمح عندها، وأنّ السباع كانت تصل إلى المدينة في القرن الثاني الهجري/الثامن الميلادي[١].

ومن مطالعتنا لترجمة «أحمد بن محمد بن جُمَيع الصيداوي» نعرف أن قلعة صيدا كانت موجودة في القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، وأنّ صاحب صيدا «أبا الفتح بن الشيخ» حبسه فيها[٢].

وُلاة صيدا

من خلال استعراضنا لشريط الأحداث الذي تقدّم، نتعرّف على بعض وُلاة صيدا، وهم على التوالي:

١ - **نصر بن حرب**: كان في حرس أبي جعفر المنصور، وهو أرسله إلى صيدا فتولّى قيادتها، كما يقول «ابن عساكر»[٣]، وقد حدّث عنه «محمد بن عُقْبة الصيداويّ»، وذكره «الطبري» في حوادث سنة ١٥٨ هـ[٤].

٢ - **وهْب بن وهْب، أبو البَخْتَريّ**: عُرف بصاحب صيدا. وهو أسَديّ من قريش، كان من أهل المدينة المنوّرة، ثم خرج منها فنزل الشأم، ثم قدِم بغدادَ فاستقضاه الرشيد، ثم عزله فولّاه المدينة المنوّرة وجعل إليه صلاتها وحربها وقضاءها، ثم عُزل وقدِم بغداد، وانتقل في آخر عمره إلى صيدا، واتّخذ له ضيعة فيها[٥]. وكان جواداً سَمْحاً كريماً، ممدّحاً من الشعراء، ولكنّه كان كذّاباً يضع الحديث. قال ابن حِبّان: انتقل في آخر عمره إلى صيدا مدينة على الساحل قد دخلها، وكان ممّن يضع الحديث على الثقات.

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٤/٤٤٠.

(٢) معجم الشيوخ لابن جُمَيع - بتحقيقنا - ١٧٩، ١٨٠.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٤/٣٤٠.

(٤) تاريخ الطبري ٨/٧٩.

(٥) تاريخ دمشق (المخطوط) ٤٥/٦٢٠.

كان إذا جنّه الليل سهر عامّة ليله يتذكّر الحديث ويضعه ثم يكتبه ويحدّث به[1].

وكان دُحَيْم يقول: كذّابا هذه الأيام: صاحب طبريّة، وصاحب صيدا، الوليد بن سَلَمَة، وأبو البَخْتريّ[2].

والمعروف أنه تُوفّي ببغداد سنة ٢٠٠ هـ. وهذا يعني أنه ترك صيدا قبل وفاته بقليل، ولكنّه خلّف بها عقِباً وذُرّيّة، منهم خطيب جامع صيدا[3]، ومنهم «ميمون بن عليّ» وهو أحد أحفاده، وقد روى عنه بصيدا فقال: سمعت جدّي أبا البختري يقول لي: قال لي هارون الرشيد: يا أبا البَخْتَريّ أين اتّخذت لولدك من بعدك؟ قلت: يا أمير المؤمنين بالشام، فقال الرشيد: مأواه الفِتَن وفيه العَصَبيّة، فقلت له: يا أمير المؤمنين، إنّه بلد أرضه طعام وسماؤه أدام. قال الرشيد: فَتَحمِلُنا أن نصير إليه؟ قلت: فما يُحْفِظُك يا أمير المؤمنين[4]؟

وقد مرّ أنه هو الذي قام ببيع الأسرى الروم الذين جيء بهم من قبرس سنة ١٩٠ هـ./٨٠٥ م. وله عدّة مؤلّفات ذكرها «ابن النديم»، منها «صفة النبي ﷺ»، و«الفضائل الكبير»، و«طَسْم وجَديس»، و«فضائل الأنصار»، و«نسب ولد إسماعيل»، و«الرايات»[5].

٣ ـ الخطّاب بن وجه الفَلْس: تغلّب على صيدا في سنة ١٩٥ هـ./٨٠٨ م. مع بداية حركة «أبي العُمَيطر السُّفْيانيّ»، وهو من سكان

---

(١) المجروحون والضعفاء لابن حبّان ٧٤/٣، التدوين في أخبار قزوين للرافعي ٢٠٤/٤، ٢٠٥.

(٢) الأنساب لابن السمعاني ١٩٩/٨.

(٣) سيأتي التعريف به.

(٤) تاريخ دمشق (المخطوط) ٢٨٤/٤٤.

(٥) أنظر عن (أبي البختري وهب) في: الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٣٢/٧، وتاريخ ابن

قرية «شَبْعا» الجنوبيّة، من إقليم بيت الآبار، حسب قول «ابن عساكر»، وهو يسمّيه: «الخطّاب بن سليمان بن محمد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان الأمويّ»[1]. بينما يقول «الطبري» إنّ إسم وجه الفَلْس: «عبد الرحمن»، و«عبد الرحمن وجه الفَلْس» والد «الخطّاب» هو الذي قتل «الوليد بن يزيد بن عبد الملك» فيما قيل[1]، وللخطّاب ولد اسمه «عبد الرحمن» أيضاً، ذكره

معين برواية الدوري ٦٣٧/٢، وطبقات خليفة ٤٦٨، وتاريخه ٤٦٤ و٤٦٦ و٤٦٨، والتاريخ الكبير للبخاري ١٧٠/٨، وتاريخه الصغير ٢٢٣، والضعفاء الصغير ١١٦، والكنى والأسماء لمسلم، ورقم ٧٦، وأحوال الرجال للجوزجاني ١٣٤ رقم ٢٢٧، والضعفاء والمتروكين للنسائي ٣٠٥ رقم ٦٠٥، ونسب قريش ٢٢٢، وجمهرة نسب قريش ٣٤٥/١ رقم ٦٠٥ و٥٠٧ رقم ٨٤٧، ومعجم الشعراء للمرزباني ٣٧٧، والمعارف لقتيبة ٥١٦، وعيون الأخبار ١٨٢/٣ وأخبار القضاة لوكيع ٢٤٣/١ ـ ٢٥٢ و٢٦٩/٣، والأخبار الموفقيّات لابن بكار ٧٤، والضعفاء الكبير للعقيلي ٣٢٤/٤، ٣٢٥، رقم ١٩٢٩، والجرح والتعديل ٢٥/٩، والمجروحين والضعفاء لابن حبّان ٧٤/٣ و٨٠ والكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ٢٥٢٦/٧ ـ ٢٥٢٩، وتاريخ أسماء الكذابين والضعفاء لابن شاهين ١٩٠ رقم ٦٦٨، والضعفاء والمتروكين للدارقطني ١٧١ رقم ٥٥٧، والتنبيه والإشراف للمسعودي ٣٠٢، ومروج الذهب ٢٠٧٨، والولاة والقضاة للكندي ٣٩٢، والأغاني ٢٥٣/٨، وطبقات علماء إفريقية للقيرواني ١٤٨، ورجال الطوسي ١٨٣، والفهرست للطوسي ٢٠٦ رقم ٧٧٨، والفهرست لابن النديم ١٤٦، ١٤٧، ومعرفة الرجال برواية ابن محرز ٥١/١ رقم ٨، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ١٨٩/٣ رقم ٣٦٨٤، ومعجم الأدباء ٢٦٠/١٩، والكامل في التاريخ ٢١٤/٦، ٣٢٠، ٤٢٦، ووفيات الأعيان ٣٧/٦ ـ ٤٢، والإنباء في تاريخ الخلفاء لابن العمراني ٩٥، وخلاصة الذهب المسبوك ١٩٩، والأنساب ١٩٩/٨، وتاريخ دمشق ٦١٨/٤٥ ـ ٦٢٠، وتاريخ بغداد ٤٥١/١٣ ـ ٤٥٧، والمغني في الضعفاء ٧٣٧/٢ رقم ٦٩٠٩، والعبر ٣٣٤/١، وميزان الاعتدال ٣٥٣/٤، والكشف الحثيث لسبط ابن العجمي ٤٥٣ رقم ٨٢٨، ومرآة الجنان ٤٦٣/١، وسير أعلام النبلاء ٣٧٤/٩، ٣٧٥ رقم ١٢٠، ولسان الميزان ٢٣١/٦، وشذرات الذهب ٣٦٠/١، وتاريخ التراث العربي ٤٣١/١، وموسوعة علماء المسلمين ١٨٦/٥ رقم ١٨٠٢، وانظر مصادر أخرى في تحقيقنا لتاريخ الإسلام للذهبي (حوادث ووفيات ١٩١ ـ ٢٠٠ هـ.). ص ٤٩١ ـ ٤٩٤ رقم ٣٧١.

(١) تهذيب تاريخ دمشق ١٧١/٥.

(١) تاريخ الطبري ٢٥٢/٧، العيون والحدائق ١٤٥/٣.

« الطبري » في حوادث سنتي ٢٥٠ هـ. و ٢٥١ هـ.[2]. ويُعرف أيضاً بـ « وجه الفَلْس ».

٤ ـ عيسى بن الشيخ: وقد ضمّ صيدا إلى ولايته على فلسطين والأردن وجنوب « لبنان » كما مرّ.

٥ ـ النعمان بن عامر الأرسلاني: ألحقها العباسيّون بإمارته على بيروت والغرب سنة ٢٥٦ هـ./٨٧٠ م. كما تقدّم. وستأتي ترجمته عند الحديث عن إقليم الغرب.

٦ ـ إبراهيم بن كَيَغْلَغ، أبو إسحاق: الأمير الأديب الفاضل. قلّده « المقتدر بالله » (٢٩٥ ـ ٣٢٠ هـ./٩٠٨ ـ ٩٣١ م.) مُدُناً على ساحل الشام: السُّويديّة واللاذقيّة وجَبَلة وصيدا وما يتعلّق بها. وورد إلى الموصل سنة ٣١٦ هـ. فضُربت له خيمة في الصحراء، وسأل عن أهل الأدب فخرجوا إليه ورحّب بهم. وهو والد « إسحاق » الذي كان والياً على طرابلس وهجاه المتنبّي.

ذكره الوزير أبو سعد محمد بن الحسين بن عبد الرحيم في « طبقات الشعراء » وقال: من شعره:

لاعَبْتُ بالخاتم إنسانةً ... كالبدر في تاج دُجًى عاتمِ
حتى إذا والَيْتُ أخذي له ... من البَنان الترف الناعمِ
خبّأته في فيها، فقلت: أنظروا ... قد خبّت الخاتمَ في الخاتمِ

وله أيضاً:

بالله مما هجرتني؟ قل لي ... وأنت مما جنيتَ في حِلِّ

(٢) تاريخ الطبري ٢٦٧/٩ ـ ٢٦٩ و٢٩١ ـ ٢٩٣، تجارب الأمم ٥٦٨/٦، والكامل في التاريخ ١٢٧/٧ و١٤٦.

مَن لي بيومٍ أراك فيه وقد ... قررت عيني بزورةٍ من لي؟

وله أيضاً:

قم يا غلام أدِرْ مُدامك ... واحثُثْ على النُدْمان جامَكْ
تُدعى غلامي ظاهراً ... وأظلّ في سرّ غلامَكْ
الله يعلم أنني ... أهوى عناقك والتزامَكْ[1]

ومن شعره:

قالوا اعتللتَ وقد فُصِدْ ... تَ، فكيف حالك في الفصادِ؟
إنّي لأعلمُ بالّذي ... تشكو بجسمك من فؤادي
إذ كان شخصك ماثلاً ... في القلب من دون السّواد

وله:

لي غلام أنا أمير عليه ... وله إنْ خلا عليّ الإمارهْ
بهجة الشمس والبدور جميعاً ... من ضياءٍ بوجهه مستعارهْ
آخذٌ إنْ أنا جرحتُ له الوجـ ... ـنة باللحظ من فؤادي ثارهْ
يتجنّى فأستلذّ تجنّيـ ... ـه وأهوى صدوده ونفارهْ
والهوى لا يطيب ما لم يكن فيـ ... ـه لحبّ حلاوة ومرارهْ

توفي سنة ٣٣٣ هـ. ووقع في آخر ترجمة أخيه « أحمد » عند ابن عساكر، أنه توفي سنة ٣٠٨ هـ[2]. وهذا وهْم.

٧ ـ بدر بن عمّار الطبرستانيّ: هو صاحب طرابلس الذي أضاف « محمد بن رائق » إلى ولايته ساحل الشام والأردن، فكانت صيدا وصور

(١) دمية القصر للباخرزي ١٣٩/١، وفوات الوفيات للكتبي ٤٢/١، ٤٣، والزركشي ١٨/١، والوافي بالوفيات ٩٥/٦، ٩٦.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٤٤١/١.

وطبريّة من جملة ولايته. وقد تقدّم ذِكره عند الحديث عن وُلاة طرابلس، وسيأتي مرة أخرى عند الحديث عن صور.

٨ ـ أبو الفتح ابن الشيخ: أحد أبناء أسرة «عيسى بن الشيخ» التي حكمت صيدا منذ أواخر العهد الاخشيدي، وقد ذكره «ابن عساكر» فقال إن فاتكاً أبا شجاع المعروف بالخازن الإخشيدي أمير دمشق عُزل عنها في أول سنة ٣٥٧ هـ. وحُمل إلى صيدا مقيّداً ليتمّ نقله إلى مصر، فسأل فيه ابن الشيخ صاحب صيدا وأطلق سراحه[١]. وهذا يعني أنه كان مسموع الكلمة لدى حكام مصر والشام.

* * *

قضاة صيدا

وَصَلَنا اسم اثنين منهم:

* **محمد بن إسماعيل، أبو بكر المرشدي الدمشقيّ:** قال ابن عساكر: ولي قضاء دمشق نيابةً مدّة تسعة أشهر، ثم ولي قضاء صيدا وتوفّي بها في شهر رجب من سنة ٣٤٩ هـ. وكان محموداً في القضاء[٢].

* **ابن عيسى:** أرجّح أنه أحد أبناء «عيسى بن الشيخ»، كان بدمشق حين توفي القاضي المرشدي، فانتقل إلى صيدا وتولّى قضاءها بعده نيابة عن قاضي دمشق «أبي عبدالله محمد بن الوليد»، وذلك اعتباراً من يوم الثلاثاء لثلاثٍ وعشرين ليلةٍ مضت من شهر رجب من السنة المذكورة[٣].

ويُفهم من نصّ «ابن عساكر» أن قضاء صيدا كان تابعاً لقُضاة دمشق،

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٤/٤٧٥.
(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٧/١٧٥، موسوعة علماء المسلمين ٤/١٢١، ١٢٢ رقم ١٣٢٨.
(٣) المصدر والمرجع السابقين.

ويقوم قاضي دمشق بانتداب قاضٍ يكون نائباً عنه فيها.

جامع صيدا

عرفنا من خُطبائه اسم واحدٍ هو:

* **الحسن بن أحمد بن أبي البختري وهب القُرشيّ الصيداويّ:** هو حفيد صاحب صيدا «وهب بن وهب» الذي تقدّم قبل قليل. وهو من مواليد القرن الثالث الهجري، وقد قرأ على «العباس بن الوليد البيروتي» المتَوفّى سنة ٢٧٠ هـ. وحدّث عنه، وتولّى خطابة جامع صيدا، وكان يعقد مجلساً للحديث على باب منزله فقرأ عليه: «أبو يعلى ابن أبي كريمة الصيداوي» في شهر ربيع الآخر من سنة ٣٠٥ هـ[١] وهذا يعني أنه بقي إلى أوائل القرن الرابع.

* * *

ومن مؤذّني جامع صيدا:

* **عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أبي كريمة الصيداوي:** كنيته أبو كريمة. حدّث عن الحسين بن السّميدع الأنطاكي المتوفّى سنة ٢٨٧ هـ. وغيره.

روى عنه ابن جُمَيع في معجم شيوخه، وجدّه أحمد بن محمد بن جُمَيع الصيداوي.

وهو روى حكاية اليهوديّ الذي صحب الإمام الأوزاعيّ إلى طبريّة[٢].

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٩/٣٧١، تهذيب تاريخ دمشق ٤/١٥٢، موسوعة علماء المسلمين ٢/٨٥ رقم ٤٠٣.
(٢) معجم الشيوخ ٣١٣ رقم ٢٨٣، تاريخ بغداد ٣/٢٩٥، تاريخ دمشق (المخطوط) ٢٤/٣٤٠ و٢٩/٣٣ و٤٤/١٤٤، وموسوعة علماء المسلمين ٣/١٤٤، ١٤٥ رقم ٨٢٢.

وكان من أهل القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي.

* * *

ومن المعلّمين الذين كانوا يؤدّبون ويُقرئون بجامع صيدا ويتولّون الأذان فيه:

★ **محمد بن سليمان بن أحمد البعلبكّيّ الصيداويّ:** كنيته: أبو طاهر. أصله من بعلبك، سكن صيدا وقرأ القرآن على هارون بن موسى الأخفش بدمشق، وعلى حُمَيد بن محمد البعلبكي إمام مسجد بعلبك، وغيرهما. واشتهر بإتقانه للقراءآت وبرع في هذا الفن، فتخرّج عليه الكثيرون، ومنهم عبد الباقي بن السّقّاء المقريء، وقاضي صيدا صالح بن أحمد الميانجي، والحافظ محمد بن أحمد بن جُمَيع الصيداوي، وابنه الحسن المعروف بالسكن بن جُمَيع، وابن منده، وبُكير بن محمد، وابن عبدوس الحافظ، وغيرهم. وكلّهم قرأوا عليه في صيدا.

وقال تلميذه ابن السّقّاء المقريء: إنّ أبا طاهر البعلبكي الصيداويّ لم يكن من نفسه الأخذ على القرآن من أحد. فلما كان قبل موته بيسير احتاج إلى تعليم الصبيان، فكان يعلّم بباب الجامع بصيدا قبل موته بعامين، فقرأت عليه وختمت القرآن بعد مداراتي له، ولو ما لحِقه من الإدقاع لكان عليّ الإمتناع من الأخذ.

ذكر ابن جُمَيع السكن الصيداويّ أنه توفي سنة ٣٥٤هـ. وهذا وهْم، والصحيح أنه وُلد سنة ٢٦٤ وتوفي سنة ٣٦٠هـ. كما يقول الأديب الأطرابلسي حمزة بن عبيدالله، ويؤيّد ذلك قول ابن عساكر إنه عاش بضعاً وتسعين سنة.

وقد تولّى مهمّة الأذان في جامع صيدا أيضاً، ولهذا عُرِف بالمؤدِّب،

والمقريء، والمؤذّن[1].

* * *

ومن أشهر المحدّثين الصيداويّين في هذه الفترة:

★ **محمد بن المعافى بن أبي حنظلة المعروف بابن أبي كريمة الصيداويّ البيروتيّ:** نَسَبَه الطبراني مرّة إلى بيروت، ومرّة أُخرى إلى صيدا، وهو صيداويّ، سكن بيروت لفترة فنُسب إليها: ولذا قال الأمير «ابن ماكولا»: محمد بن المعافى البيروتي[1].

روى عن عمّه: عثمان بن سعيد بن أبي كريمة الصيداوي، والعباس بن الوليد البيروتي، وهشام بن عمّار، ويوسف بن بحر الأطرابلسيّ قاضي حمص، وغيرهم.

وروى عنه العشرات الذين أخذوا عليه في صيدا، ومنهم: ابن أخيه المعافى بن عبدالله، وأبو يعلى ابن أبي كريمة الصيداوي، ومحمد بن جعفر بن أبي كريمة الصيداوي، ومحمد بن عثمان الصيداوي، ومحمد بن إبراهيم الأسَدي الصوريّ، ومحمد بن الفضل أبو المضاء الصيداوي، وأحمد بن جُمَيع الصيداويّ، والحافظ الطبرانيّ، والحافظ ابن حِبّان.

---

(١) معجم الشيوخ لابن جُمَيع ١١٤ رقم ٦٣، وحديث السكن بن جميع ٤١٩ رقم ٥ (نشرناه مع معجم الشيوخ)، والأنساب ١١٩/٨، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٦٠١/٣٧ - ٦٠٦، وطبعة دهمان ٢٦٣/١٠، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزي (المخطوط) ١١ ق١٦/١، والعبر ٣١٨/٢، ومعرفة القراء الكبار ٢٨٧/١، وتاريخ الإسلام (بتحقيقنا) حوادث ووفيات ٣٥١ - ٣٨٠هـ. - ص٢١٨، والوافي بالوفيات ١٢٥/٣ رقم ١٠٦٧، وشذرات الذهب ٣٥/٣، وموسوعة علماء المسلمين ١٩١/٤ - ١٩٣ رقم ١٤٣٤ وفيها مصادر أخرى.

(١) الإكمال ٣٩٦/٧.

وقد أكْثَرَ عنه ابن حبّان[1] وذكره في ثقاته، وقال إنه بقي ١٨ ثمانية عشر عاماً لا يأكل من طيّبات الدنيا شيئاً غير الحسْو عند إفطاره. ووصفه أيضاً بالعابد، ونسبه إلى الساحل، فقال: الساحلي الصيداوي. أمّا ابن السمعانيّ فقال: كان زاهداً متعبّداً ما شرب الماء ثماني عشرة سنة. وسُئل عنه «الدارقُطْنيّ» فقال: ما علمت إلّا خيراً.

وقد بقي يحدّث حتى مات بحدود سنة ٣١٠ هـ.[2] وله حديث عند البيهقي"[3].

وأسرة «أبي كريمة» فارسيّة الأصل، استوطن أفرادها ساحل «لبنان» خاصّة صيدا وبيروت. ومن خلال وقوفنا على تراجم أفراد هذه الأسرة، يمكن وضع فرعين مشجَّرين على هذا النحو:

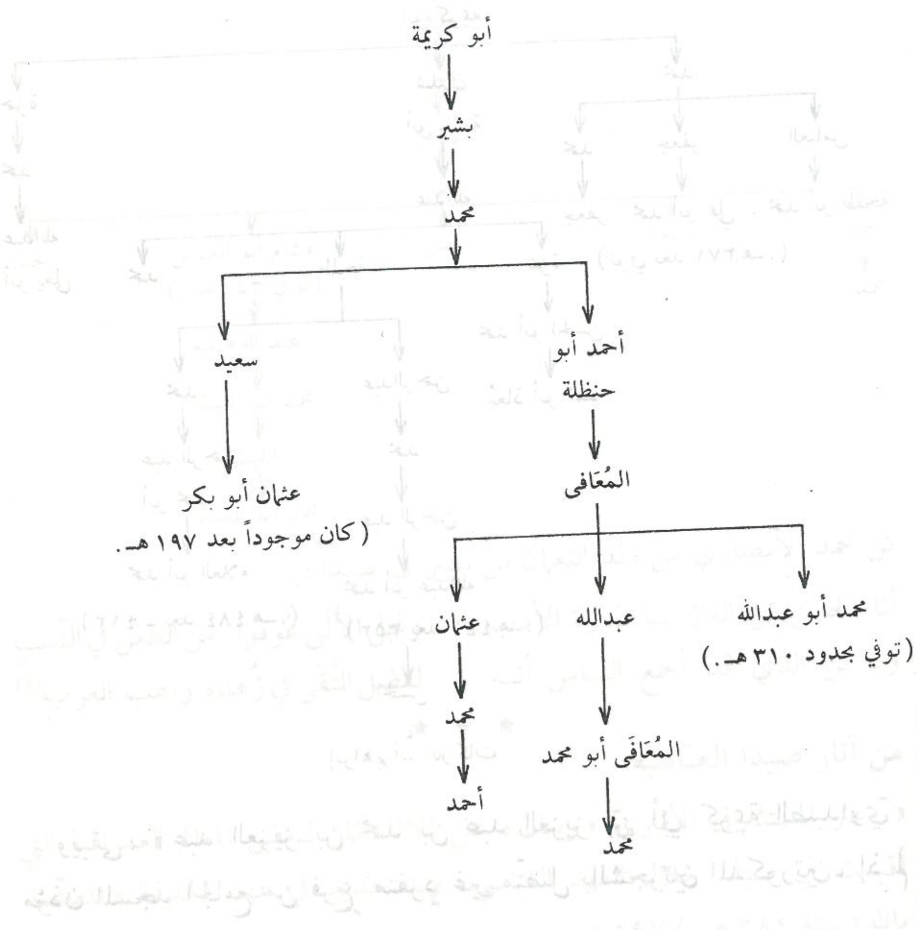
---

(١) أنظر: موارد الظمآن على زوائد ابن حبّان ١١٨ رقم ٤١٦ و١٢٩ رقم ٤٧١ و١٩٣ رقم ٧٥٨ و٢٢٨ رقم ٩١٠ و٢٦٧ رقم ١٠٨٧ و٢٧٥ رقم ١١٢٧ و٢٩٥ رقم ١٢١١ و٤٨٩ رقم ١٩٨٠ و٥٩٩ رقم ٢٤١٨.

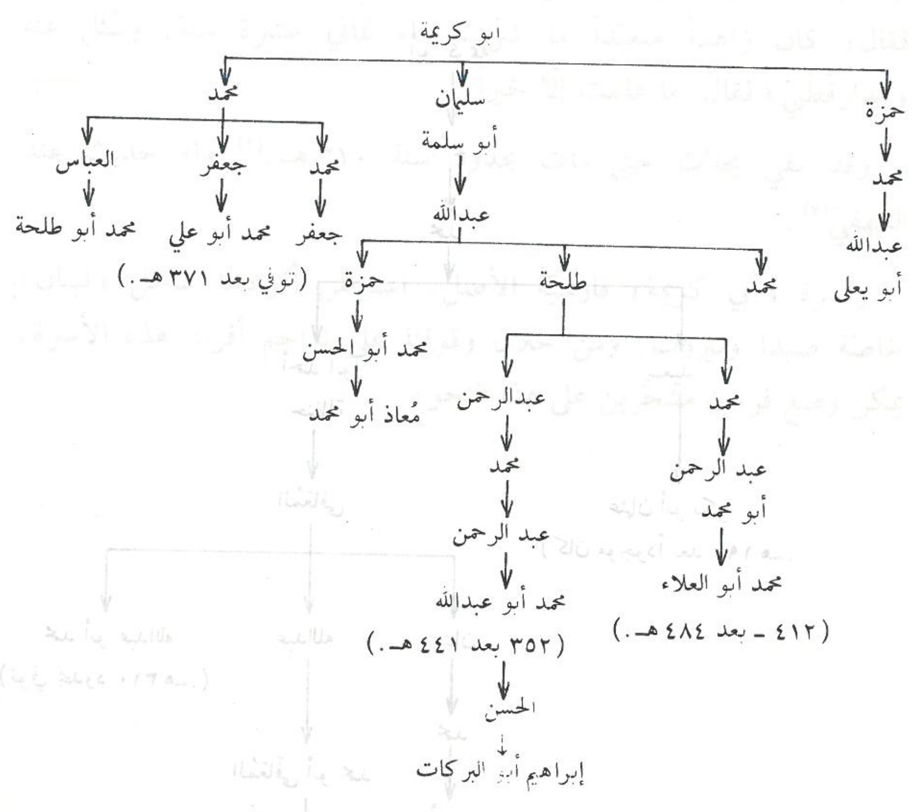
(٢) المعجم الصغير للطبراني ٧٦/٢، وطبقات الصوفية للسلمي ١٠٨ (بالحاشية)، وتاريخ جرجان للسهمي ٤١٦، والأنساب ١١٨/٨، وتاريخ دمشق (المخطوط) ١٨/٤٠ - ٢٢، والعبر للذهبي ٣٣٣/٢، وشذرات الذهب ٤٨/٣، وموسوعة علماء المسلمين ١٥/٥ - ١٨ رقم ١٦١٠ وفيها مواضع كثيرة عن تاريخ دمشق لابن عساكر.

(٣) السنن الكبرى ٢٠١/١٠.

شجرة نسب بني كريمة البيروتيّ الصيداويّ



شجرة نسب أبي كريمة
الفارسيّ الصيداويّ



ويبقى: «عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن أبي كريمة الصيداويّ» مؤذّن المسجد الجامع من فرعٍ منفردٍ غير متّصل بالشجرتين المذكورتين، إذ لم نجد له صلة بها.

* * *

ومن الأُسَر الصّيداوية التي اشتهرت في تلك الفترة أسرة بني الجُرَشيّ التي استوطنت المدينة منذ عهد الخلفاء الراشدين، وأسرة بني جُمَيع الغسّانيّين، وسأترك الحديث عن بني جُمَيع إلى الكتاب التالي، أما الجُرشيّون فهذه شجرة نسبهم.

وقد أنشد «الحسن بن الغاز الجُرَشيّ الصيداوي» هذين البيتين لإسحاق

شجرة نسب
الجُرَشيّين الصيداويّين

زهير
عوف
عمرو
ربيعة
الغاز
أحمد — ربيعة — بشر — هشام أبو العباس (توفي ١٥٣ هـ.) — الحسن
محمد (بن أحمد)
عبد الوهاب (بن هشام)
محمد أبو الليث
الليث
محمد أبو الليث

بن محمد الأنصاري من ولد النعمان بن بشير في صيدا:

أنا الحسن بن الغاز يا ذروة الأدب ... ونجل الألَى عُوفوا من الطعْن في النّسب
ويا بن الذي قد أجمع الناس أنه ... لفضل التُّقَى في زُهده راهب العربِ[1]

* * *

من آثار صيدا العبّاسيّة

عثر المستشرق الآثاري «رينان» على ثلاثة آثار لبعض المعالم العمرانية التي أقيمت في صيدا خلال العهد العباسي، وبالتحديد في عهد الخليفة «المعتضد بالله» سنة ٢٨٤ هـ./٨٩٧ م.

الأثر الأول عبارة عن قطعتين حجريّتين نُقش عليهما خمسة أسطر بالخط الكوفي، لم يبق منها سوى هذا النصّ:

سطر (١) «أمير المؤمنين أطال الله بقاءه سطر (٢).... سطر (٣)

(١) تهذيب تاريخ دمشق ٢/٤٥٦، موسوعة علماء المسلمين ٢/١٢١ رقم ٤٤٣.

كيم الله و.... لا بناه وانفقه سطر (٤).... سنة أربع وثمانين سطر (٥) [ومائتين]... وار...[1] ».

والاثر الثاني عبارة عن قطعتين حجريّتين أيضاً، نُقش عليها خمسة أسطر بالخط الكوفي، وَصَلَنا أغلبها.

سطر (١) [بسم] الله (الرحـ) من الرحيم لا إله إلّا الله سطر (٢) [محمد] (رسول) الله صلّى الله عليه وسلّم سطر (٣) [بركة] من الله (لـ) ـعبد الله الإمام أبي العباس سطر (٤) [المعتضد] بالله (أ) مير المؤمنين أطال الله بقاءه سطر (٥) ....[2].

والأثر الثالث عبارة عن قطعة حجرية واحدة نُقش عليها أربعة أسطر بالخط الكوفي، منها:

سطر (١) الأمير..... سطر (٢) .... والكم (؟) الله سطر (٣) محمد بن نسل.... سطر (٤) حمد بن....[3].

وهذه الآثار موجودة في المتحف الوطني ببيروت.

* * *

الصَّرَفَنْد

يرد ذكر «الصَّرَفَنْد» خلال هذه الفترة عند «قُدامة بن جعفر» المتوفّى سنة ٣٢٠ هـ./٩٣١ م. فاعتبرَها ثغراً من سواحل جُنْد دمشق التي تخرج منها غزوات المسلمين في البحر[4]. وهي من أعمال صيدا[5]. على الساحل بين

(١) Répertoire Chronologique D'Epigraphie Arabe – T. 2ém. – ER – Combe, K.A.C., J. Sauvaget, et G. Wiet – Le Caire Imprimerie de L'institut Français D'Archéologie Orientale. – 1932 – P. 270, No. 795.

(٢) Ibid – PP. 270, 271 – No. 796.

(٣) Ibid – P. 271 – No. 797.

(٤) الخراج وصناعة الكتابة ١٨٨، ونُبَذ من كتاب الخراج ٢٥٥.

(٥) تاريخ دمشق (المخطوط) ٦٠٦/٣٧.

بيروت وصيدا. وكانت حصناً ورباطاً للمسلمين[5]، وبقيت كذلك، ولهذا شهدت حركةً لأهل الحديث، منها وإليها، فكان أشهر من خرج منها:

★ **إبراهيم بن إسحاق بن عُوَيمر، أبو إسحاق الأنصاريّ الصَّرفنديّ:** وهو حفيد الصّحابيّ أبي الدرداء الذي كان يرابط في بيروت. أخذ الحديث في موطنه الصرفند على محمد بن إبراهيم الصرفندي حفيد النعمان بن بشير، وكان سماعه منه في سنة ٢٦٦ هـ.[1] وانتقل إلى جُبَيل فسمع كبير محدّثيها اسماعيل بن حصن الجُبَيليّ، ثم انتقل إلى دمشق، وصادف أن دخلها وفيها قاضي مصر «بكار بن قتيبة» الذي جاءها بصحبة «أحمد بن طولون» سنة ٢٦٩ هـ. فأخذ عنه، وعن الحافظ المؤرّخ أبي زُرعة المتوفى سنة ٢٨١ هـ. وعن جماعة كبيرة من الدمشقيين.

قال «ابن عساكر»: هو من أهل حصن الصرفندة من الساحل. قدم دمشق عدّة دفعات مستفيداً من شيوخها، وروى عن جماعة كثيرين. وروى المحدّثون عنه، واتّصل سَنَدُنا به، إلى أبي جعفر المنصور، إلى أن قال: حدَّث المترجَم له بصور في شهر رمضان سنة ٣٢٧ هـ.[2] وبها سمعه الشيوخ، ومنهم: عبدالله بن أبي العجائز، وشهاب بن محمد الصوريّ، والحافظ محمد بن جُمَيع الصيداويّ الذي روى عنه في معجم شيوخه[3].

(١) راجع الكتاب الأول من هذه الدراسة «لبنان من الفتح الإسلامي..»

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٥٠/٣٦.

(٣) تهذيب تاريخ دمشق ١٩٨/٢.

(٤) أنظر عنه في: الولاة والقضاة للكندي ٥٠٥، ٥٠٦ وفيه تحرّف إلى «الصرقديّ» (السمرقندي)؟، وهذا وهْم من محقّقه المستشرق «رفن جست» طبعة بيروت ١٩٠٨، ومعجم الشيوخ لابن جميع ٢١٤، ٢١٥ رقم ١٧٣، والأنساب ٥٦/٨٠٧، وتاريخ دمشق (بتحقيق محمد أحمد دهمان) ٢٣٩/١٠، ومعجم البلدان ٤٠٢/٣، واللباب ٢٣٩/٢، وسير أعلام النبلاء ٥٦١/١٥، وذكره ابن عساكر في عدّة مواضع من «تاريخ دمشق» (المخطوط) راجعها في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٢١١/١، ٢١٢ رقم ١٠.

★ **محمد بن رواحة بن محمد بن النُعمان بن بشير، أبو معن الأنصاريّ الصَرَفنديّ:** أحد أحفاد «النعمان بن بشير»، من الأنصار الذين استوطنوا الصرفند ورابطوا في حصنها.

روى عن: عبدالله بن المبارك، وأبي مُسْهر بدمشق. وعاد إلى بلده، فعقد مجلساً في مسجدها، فأخذ عنه: العباس بن الوليد البيروتيّ. ثم انتقل إلى دمشق ثانية، وبقي يحدّث حتى سنة ٢٦٦ هـ.

قال ابن أبي حاتم الرازيّ: سألت أبي عنه فقال: كان بدمشق، وتُوفّي هناك وأنا صلّيت عليه وكان من أقراني، لم يكن به بأس[١].

★ ★ ★

عَدْلُون

ويرد ذِكرها أيضاً عند «قُدامة بن جعفر»، فيعتبرها ثغراً من سواحل جُنْد دمشق التي تخرج منها غزوات المسلمين في البحر[٢]. وهي من أعمال صيدا أيضاً[٣]. وتقع في منتصف الطريق الساحليّ بين بيروت وصيدا[٤].

★ ★ ★

صُور

تتميّز مدينة صور عن بقيّة المدن «اللبنانية» الرئيسة بأنها الوحيدة التي كانت تُعتبر من «جُنْد الأردنّ» مع أنها على ساحل دمشق، ولهذا قال «ابن

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٥١٦/٣٧ وبه ان الصرفندة حصن من أعمال صور! وهذا وهْم، الموسوعة ١٨٢/٤.

(٢) الخراج وصناعة الكتابة ١٨٨، نُبَذ من كتاب الخراج ٢٥٥.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ٢٣٦/٢١.

(٤) قيل هي التي ذكرها «سترابون» باسم «Ornithon Polis»، أما اسم «عدلون» فهو مركّب من «ïd» (عيد) و«elon» (آلهة)، فيكون المعنى «عيد الآلهة». (أنظر: معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية لأنيس فريحة ١١٣).

الفقيه الهمْدانيّ»: «صور: مِنْبرها إلى دمشق، وخراجها إلى الأردنّ»[١]. وهي من أهمّ الثغور على ساحل الشام وأمنعها وأحصنها، وبها دار صناعة الأسطول البحريّ منذ أن اتخذها الخليفة الأمويّ «هشام بن عبد الملك» - كما تقدّم في كتابنا الأول من هذه الدراسة -، واستمرّت طوال هذه الفترة من العهود العباسية، والطولونية، والإخشيدية، حتى أنّها نالت إعجاب «أحمد بن طولون» صاحب مصر، ودُهِش بمينائها وبنائه العجيب حين زارها وهو يتفقدّ الثغور الساحلية.

وعنها يقول «كعب الأحبار»: «من أراد منكم أن يُجمع له دينه ودُنياه فعليه بصور»[٢].

ومن صور كان الزّاهد المرابط «إبراهيم بن أدهم» يخرج لغزو الروم في البحر، فغزا منها عدّة غزوات، حتى استُشهد وحُمل إليها فدُفن فيها، على ما يقول «أبو نُعيم الإصبهانيّ» في موضع يقال له «مَدْفلة»، وذلك بين سنتي ١٦١ و١٦٣ هـ. وقال: بأن أهل صور يذكرونه في تشبيب أشعارهم، ولا يَرْثون ميتاً إلّا بدأوا أوّلاً بإبراهيم بن أدهم[٣].

وبعد أن تمكّن «عيسى بن الشيخ» والي فلسطين من التغلّب على «الموفّق الخارجيّ» في سنة ٢٥١ هـ./٨٦٥ م. طلب من الخليفة العباسيّ «المستعين بالله» أن يكتب إلى صاحب صور في توجيه أربع مراكب بجميع آلتها لتكون تحت تصرّفه[٤].

وحين رفض «ابن الشيخ» البيعة للمعتمد بالخلافة، وغلبه العباسيّون لجأ بأهل بيته إلى صور وتحصّن بها، وحتى لا تتعرّض المدينة ومِيناؤها للتخريب

(١) مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ١١٧.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٢٤١/٦.

(٣) حلية الأولياء ٩/٨.

(٤) تاريخ الطبري ٣٠٨/٩، الكامل في التاريخ ١٦٣/٧.

آثر الخليفة أن يُخرجه منها بالتفاوض، فأرسل إليها الفقيهين: «إسماعيل بن عبدالله المروزيّ» و«محمد بن عبيدالله الكريزيّ القاضي»، وبعث معها رسوله «الحسين الخادم» المعروف بـ«عَرَق الموت»، فعرضوا على «ابن الشيخ» أن ينصرف من الشام آمناً ويتولّى بلاد أرمينية، فوافق، وخرج من صور بطريق الساحل إلى ولايته بين سنتي ٢٥٦ ـ ٢٥٧ هـ./٨٧٠ م[1].

وما إنْ أعلن «أحمد بن طولون» استقلاله بحكم مصر عن العباسيّين وضمّ بلاد الشام إليه سنة ٢٦٤ هـ.٨٧٨ م. حتى قام بجولة تفقّد فيها السواحل، فمرّ بثغر صور، وعكا، ويافا، فكانت صور بحالة جيدة، وحين وصل إلى عكا وجد أنها لم تكن بحصانة صور، فجمع صُنّاع البلاد وعرض عليهم منعة صور واستدارة السور على مينائها، وطلب إليهم أن يبنوا سور عكا ومیناءها على غرارها، فاعتذروا له وقالوا: «لا يهتدي أحد إلى البناء في الماء في هذا الزمان»! ثم ذُكر له «أبو بكر البنّاء»، وقيل: «إن كان عند أحدٍ علمُ هذا، فعنده».

وهنا نترك الجغرافيّ المقدسيّ المعروف بالبشاري، وهو حفيد «أبي بكر البنّاء» يحدّثنا عن كيفيّة بناء سور عكا البحريّ، ومن خلال هذا الوصف يمكن أن نتصوّر ما كان عليه ثغر صور في ذلك الوقت.

يقول البشاريّ إنّ جدّه أتى بفِلَق من شجر الجُمَّيْز الغليظة «فصفّها على وجه الماء بقدر الحصن البرّيّ، وخيّط بعضها ببعض، وجعل لها باباً من الغرب عظيماً، ثم بنى عليها بالحجارة والشيد، وجعل كلّما بنى خمس دوامِس ربطها بأعمدةٍ غِلاظ ليشتدّ البناء، وجعلت الفِلَق كلّما ثقلَت نزلت، حتى إذا علم أنها قد جلست على الرمل تركها حَوْلاً كاملاً، حتى أخذت قرارها، ثم عاد فبنى من حيث ترك، كلّما بلغ البناء إلى الحائط القديم داخله فيه وخيّطه به، ثم جعل على الباب قنطرة، فالمراكب في كل ليلة تدخل المينا، وتُجرّ السلسلة

(١) إرجع الى الصفحة ٦١ من هذا الكتاب.

مثل صور. قال: فدفع اليه ألف دينار سوى الخِلَع وغيرها من المركوب، واسمه عليه مكتوب» وقد كان العدوّ قبل ذلك يغير على المراكب»[1].

ثم أمر «ابن طولون» ببناء حصن يافا إذ لم يكن لها حصن، ومات قبل الفراغ منه، وأتمّه ابنه من بعده، حتى بلغ ما أنفقه «ابن طولون» على مرمّات الثغور وعلى حصن يافا مائتي ألف دينار[1].

ويقول «قدامة»: «وسواحل جُنْد الأردنّ: صور، وعكا. وبصور صناعة المراكب[2]».

ويقول «اليعقوبيّ»: «ولجُنْد الأردنّ من الكُوَر: صور، وهي مدينة السواحل، وبها دار الصناعة، ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم، وهي حصينة جليلة، وأهلها أخلاط من الناس»[3].

ويقول «الإصطخْريّ»: «وصور: بلد من أحصن الحصون التي على شطّ البحر، عامرة خصبة، ويقال إنها أقدم بلد بالساحل، وإنّ عامّة حكماء اليونان منها»[4]. ومثله قال «ابن حوقل»[5].

ويقول «المقدسيّ البشاريّ»: «وصور: مدينة حصينة على البحر، بل فيه، يُدخل إليها من باب واحد على جسرٍ واحد، قد أحاط البحر بها، ونصفها الداخل حيطان ثلاثة بلا أرض، تدخل فيه المراكب كل ليلة، ثم تُجرّ السلسلة التي ذكرها محمد بن الحسن في كتاب (الإكراه). ولهم ماء يدخل في قناة معلّقة. وهي مدينة جليلة نفيسة، بها صنائع، ولهم خصائص. وبين عكا

(١) أحسن التقاسيم للمقدسي البشاري ١٦٢، ١٦٣.
(١) سيرة أحمد بن طولون للبلوي ١٨٤.
(٢) الخراج وصناعة الكتابة ١٨٨، نُبَذ من كتاب الخراج ٢٥٥.
(٣) البلدان ٣٢٥.
(٤) مسالك الممالك ٤٥، الأقاليم ٣٢.
(٥) صورة الأرض ١٦٠.

وصور شبه خليج، ولذلك يقال: عكا حِذاء صور إلّا أنك تدور، يعني حول الماء».

وقيل: صور: بل هي في البحر، لأنّه يدور عليها ويدخل إليها على جسر، ويدخل إليهم الماء في قناة معلّقة، وهي نصفين، نصف كبْس، ونصف حيطان في الماء على ما ذكرنا من عكا. وله «باب»، «وإنما تدخل المراكب هذا الحيّز، وتُجَرّ السلسلة كي لا يعبر عليها الروم في الليل. وصور مدينة نفيسة، بها صنائع كالبصرة وخصائص. ومنها أكثر سُكّر الشام. ولهم ماء غزير. ومزارع القصب بها كثير». «ومن صور: السُكّر والخَرَز، والزجاج المخروط، والمعمولات». «وماء صور يحصر[1]».

ويُنسب إلى صور «القفيز»، وهو مِكيال للوزن، يساوي ثُلُثي مُدْي إليا، كما يُنسب إليها «الصاع» وهو مكيال للقمح، وكَيْلَجَة إليا تساوي نحو صاعٍ ونصف صاعٍ صُوريّ[2]، وكما نُسِبت بعض المكاييل الى صور منذ ذلك التاريخ المبكر، فَقَد نُسب إليها في فترة لاحقة «الدينار الصُّوريّ».

وما دُمنا بصدد ما نُسِب إلى صور، فلا يفوتنا في هذا المجال أن نذكر البحّار «دَميان» الذي نُسِب إلَيها أيضاً فعُرف بـ«دَميان الصُّوريّ»، وهو الذي أسهم إسهاماً فعّالاً في إسقاط الدولة الطولونية في مصر، بوساطة مراكب أسطوله البحري الذي خرج به من ميناء صور على الأرجح.

وفي سنة ٢٩٦ هـ./٩٠٨م. يحقق أسطول صور البحريّ انتصاراً على الروم بقيادة «محمد بن العباس الجُمَحيّ» وكان قبل ذلك يشغل منصب قاضي دمشق[3].

وتدخل صور بجوزة القائد العباسي «محمد بن رائق» سنة ٣٢٧ هـ./٩٣٨م. فينزل بها لبعض الوقت ومعه غلام له يُدعى «مشرق»،

---

(١) إرجع إلى الصفحتين ١٥٣ و ١٥٤ من هذا الكتاب.

(٢) أحسن التقاسيم ١٨١.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٥٥/٣٨ - ١٥٧.

فينشده أحد أدبائها بقوله:

يصْفَرُّ لوني إذ أبصرت به … خوفاً، ويحمرّ وجهه خجلا
حتى كأنّ الذي بوجنته … من دم قلبي إليه قد نُقلا[1]

وقبل أن يتوجّه «ابن رائق» إلى بغداد سنة ٣٢٩ هـ./٩٤٠م. أضاف صور وعمل الأردنّ إلى «بدر بن عمّار» صاحب طرابلس، فقال الشاعر «المتنبّي» يهنّئه ويمدحه وهو بطبريّة:

تُهَنَّأُ بصورٍ أم نُهَنِّها بكا؟ … وقلَّ الذي صورٌ وأنت له لكا
وما صغر الأردنُّ والساحل الذي … حُبيتَ به إلّا إلى جنب قدركا
تحاسَدَت البلدان حتى لو أنها … نفوسٌ لسار الغرب والشرق نحوكا
وأصبح مِصْرٌ لا تكون أميرَه … ولو أنه ذو مُقْلة وفمٍ بكى[2]

وفي سنة ٣٣٤ هـ./٩٤٥م. قدِم إلى دمشق أمير ثغر طرسوس «أبو عُمير عديّ الأذنيّ» وبُصحبته «البطريق يوانس» رسول ملك الروم للإتفاق على تبادل الأسرى وفدائهم، وفي عودتها نزلا صور وأبحرا منها إلى طرسوس[3].

وفي الأيام الأخيرة من العهد الإخشيديّ كان بصور قائد يُدعى «ابن أبان» أعلن ولاءه للدولة الفاطمية، وقام مع جماعة له بالقبض على القائد الإخشيديّ «تَبَر» الذي فرّ من مصر بعد أن دخلها جوهر الصقلّي، والتجأ إلى صور، فحُمِل إلى القاهرة وحُبس، فقيل إنه قتل نفسه، فصُلب وسُلخ جلده، وذلك في سنة ٣٦٠ هـ»[4].

★ ★ ★

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٥١١/٣٧ والأديب الصوريّ هو: أبو بكر محمد بن يحيي.

(٢) ديوان المتنبيّ - نسخة د. عبد الوهاب عزّام ١٣٦/١، معجم البلدان ١٤٨/١.

(٣) التنبيه والإشراف للمسعودي ١٦٥، نُخَب تاريخية عن سيف الدولة لماريوس كانار - ص ٨٤، ٨٥.

(٤) إتعاظ الحُنفا للمقريزي ١٢٨/١ و ١٢٩ و ٨/٢، المواعظ والاعتبار ٤١٣/٢.

قُضاة صور

وصل إلينا اسم اثنين من قضاة صور، هما:

١ ـ محمد بن محمد بن مُصْعَب الصوريّ المعروف بوحشي: يُنسب في بعض الأحيان لجدّه فيقال: محمد بن مُصْعَب. روى عن: محمد بن المبارك الصوريّ، وغيره من الشيوخ.

روى عنه: عليّ بن محمد بن أيّوب الصوريّ، وأبو الجهم بن طلاب المشغرائيّ، ومحمد بن عمرو بن مَسْعَدة البيروتيّ، وأبو عَوَانة الإسفرائينيّ، والمؤرّخ الطبري، وغيرهم.

قال ابن أبي حاتم الرازي: سمعت منه بمكة، وهو صدوق ثقة. وذكره ابن حبّان في «الثقات»، ووصفه «الدارقطنيّ» بقاضي صور وقال: كان ثقة، وقال الذهبيّ إنه صدوق، مات بعد سنة ٢٦٠ هـ[1].

٢ ـ علي بن محمد بن أبي سليمان، أبو الطّيّب الصُّوري: من المعتنين بالفقه والحديث. فقد أخذ على الحسن بن جرير الصوريّ، وعلى قاضي صور السابق المعروف بوحشيّ، فقرأ عليه «الموطّأ» للإمام مالك بن أنس، بروايته عن محمد بن المبارك الصوريّ. وجلس هو للعلم والحديث، فسمع منه «الموطّأ»: يحي القاضي الطبراني، ومحمد بن جُمَيْع الصيداويّ الذي روى عنه في معجم شيوخه[2]. وفي دمشق سمعه: أحمد بن مزاحم الصوريّ، وغيره.

(١) أنظر عن (وحشي) في: الدعاء للطبراني ٦٢٠/١، و١٥٥٤/٣، ١٥٥٥ رقم ١٦٦٨ وفيه يقول محقّقه إنه لم يقف على ترجمته، والمؤتلف والمختلف للدارقطني (مخطوطة المتحف البريطاني) وفي مكتبتي مصوّرة عنها، ورقة ١٠٥ ب، والأنساب ١٠٧/٨، والجرح والتعديل ٨٧/٨، ٨٨، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٣٤٢/٣٩، والكاشف ٩٤/٣، وتهذيب التهذيب ٤٣٢/٩، ٤٣٣، وتقريب التهذيب ٢٠٥/٢، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢٦١ ـ ٢٧٠ هـ.)، وموسوعة علماء الحديث في تاريخ لبنان الإسلامي ٣٥٨/٤، ٣٥٩ رقم ١٥٩٥، وتهذيب الآثار للطبري ٢٨٣/٢ رقم ١٧٣٩، ومسند أبي عوانة.

(٢) معجم الشيوخ لابن جميع ٣٢٥ رقم ٢٩٨.

وكان أبو الطيّب على قضاء صور في النصف الأول من القرن الرابع الهجري[1].

* * *

الأئمّة

انفردت صور عن بقيّة المدن «اللبنانية» بوجود مسجد عُرف باسم «مسجد الفرس»، والمرجّح أنّ الفُرس الذين نزلوا سواحل الثغور «اللبنانية» في عهد «معاوية» ومن بعده، هم الذين أسّسوه واختصّوا به، ولهذا نُسِب إليهم، وورد ذِكره في أكثر من موضع من «تاريخ دمشق» لابن عساكر، ومن أئمّة هذا المسجد في هذه الفترة التي نؤرّخ لها:

★ **إبراهيم بن إسحاق بن أحمد، أبو إسحاق**: وكان إماماً ومُقرئاً في القرن الرابع الهجري. وقد سمع من عثمان بن أحمد بن شنبك الدينَوَريّ نزيل طرابلس الذي عمل ورّاقاً لخيثمة الأطرابلسيّ. وروى عنه الحافظ محمد بن علي الصُّوريّ[2].

★ **محمد بن النُعمان بن نصر، أبو بكر العبْسيّ الصوريّ**: أخذ على شيوخ بلده، مثل: عبد الجبّار بن محمد بن الكوثر الصوريّ، ومحمد بن أحمد بن عبدوس الصوريّ، وغيرهما، ونزل ساحل مصر، فسمع بتِنّيس، ودخل مكة فسمع بها من محمد بن عبد الرحمن المخزوميّ، وعاد إلى صور وتولّى مهمّة إمامة جامعها، وجلس للحديث، فروى عنه: نزيل مرو أحمد بن الحسن

(١) المؤتلف والمختلف للدارقطني (مخطوطة المتحف البريطاني) ورقة ١.٥ب، الإكمال لابن ماكولا ٢٥٠/٧، الأنساب ٢٠١/٨، تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٦٦/٣ و٤١٢ و٣٨٨/٩ و١٠/٢٩ و٤٤٩/٣٨ و٢١٣/٣٩، وموسوعة علماء المسلمين ٣٥٥/٣، ٣٥٦ رقم ١١١٣.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٣٦/٤ و١١٥/٢٦، موسوعة علماء المسلمين ٢١٠/١، ٢١١ رقم ٩.

الإصبهانيّ المقريء، وشهاب بن محمد الصوريّ، ومحمد بن أحمد الملطيّ، وأبو عبدالله بن منده الحافظ، وتمام الرازي، وقال إنه أخذ منه في سنة ٣٤٧ هـ. وأحمد بن محمد بن عبدوس الصوريّ.

وكان تحديثه بصور حتى سنة ٣٥٣ هـ.[١]

★ **عمرو بن عُصَيْم بن يحيى بن زكريّا، أبو العباس الصّوري**: وُلد سنة ٢٣٩ هـ. وأخذ الحديث على شيوخ بلده، ومنهم: محمد بن إبراهيم بن كثير الصوريّ، وانتقل إلى جُبيل فأخذ على شيخها وزير بن القاسم الجبيلي، وأخذ في غيرها على: الحسن بن الليث، والعباس بن العبدي الأنطاكي، والمؤمّل بن إهاب. وعاد إلى صور وصار إمام جامعها، وجلس للحديث، فروى عنه: أبو المفضّل الشيبانيّ، وأحمد بن عتبة، وعبدالله بن محمد بن أبي كريمة الصيداويّ[٢]. كما روى عنه ابن جُمَيع الصيداويّ وذكره في معجم شيوخه[٣].

★ ★ ★

أمّا المؤذّنون، فلم نعرف منهم سوى واحدٍ لتلك الفترة، هو:

★ **ثابت بن محمد الكوفي، أبو محمد الشيبانيّ**: ويقال: أبو إسماعيل. كان أحد العُبّاد الزُّهّاد. روى عن جماعة من الشيوخ، منهم: سفيان الثوريّ. وتخرّج عليه الكثير من الأئمّة، وفي مقدّمتهم الإمام البخاريّ، وأبو زُرعة الرازي، وأبو حاتم الرازي، والباغندي، والمؤرّخ الفَسَويّ، وغيرهم.

---

(١) الأنساب ٣٥٧ أ، تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٣٨/٣٦ و ١٢٦/٤٠، والمقفى للمقريزي (المخطوط) ١٧٤/٤أ، موسوعة علماء المسلمين ٢٥/٥، ٢٦ رقم ١٦٢٥، والروض البسّام بترتيب وتخريج فوائد تمام ٢٤١/٢ رقم ٦٣٧.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٤٠/٣٣.

(٣) معجم الشيوخ ٣٥٦ رقم ٣٤٠، الفوائد المنتقاة والغرائب الحسان للعلوي بتخريج الصوري (بتحقيقنا) - ص ٤٣.

وقد انتقل من بلده الكوفة، ونزل ساحل «لبنان» واستوطن الضياع بصور، وبنى هناك مَحْرَساً، وكان مؤذّناً[١].

قال أبو حاتم الرازي: أزهد من لقيت ثلاثة، فذكر منهم ثابت بن محمد الزاهد، ووصفه بأنه صدوق. مات في آخر سنة ٢١٥ هـ.[٢]

★ ★ ★

المحدّثون

ومن أشهر المحدّثين الذين أخرجتهم صور في هذه الفترة:

★ **الحسن بن جرير، أبو عليّ الصوريّ الزنبقيّ**: وُلد في صور، وطلب العلم، فرحل إلى دمشق سنة ٢٨٣ هـ. فأخذ الحديث عن جماعة كثيرين من أهلها، وروى عن: عمر بن جبيل البيروتيّ، وعثمان بن سعيد الصيداويّ، وعبد الرحمن بن عبد الغفّار البيروتي، وغيرهم. وعاد إلى بلده، وعقد مجلساً للرواية، فقصده العشرات من الطلبة والشيوخ من كل مكان، فقرأ عليه: موسى بن عبد الرحمن إمام جامع بيروت، وخيثمة الأطرابلسيّ، وأحمد بن عاصم الصوريّ، وعلي بن أبي سليمان الصوريّ، وسلامة بن أحمد الصوريّ، والحافظ الطبرانيّ وقد أكثر الحديث عنه في مصنّفاته.

---

(١) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ٥٢٣/٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ٢٠٤/٦، والتاريخ الكبير للبخاري ١٧٠/٢، والجرح والتعديل ٤٥٧/٢، ٤٥٨، والثقات لابن حبّان ١٥٨/٨، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ١٣٢/١ رقم ١٦٣، وموضح أوهام الجمع للخطيب ١٣/٢، ١٤، والجمع بين رجال الصحيحين لابن القيسراني ٦٦/١، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٨٩ رقم ٢٠٨، وتهذيب الكمال للمزي ٣٧٤/٤ - ٣٧٧ رقم ٨٣٠، والكاشف للذهبي ١٧٢/١، وميزان الاعتدال ٣٦٦/١، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٢١١ - ٢٢٠ هـ.) - بتحقيقنا - رقم الترجمة ٦٥، وتهذيب التهذيب لابن حجر ١٤/٢ رقم ٢١، وتقريب التهذيب ١١٧/١ رقم ٢٠، وهدي الساري ٣٩٤، وخلاصة تذهيب التهذيب ٥٧.

توفي حول منتصف القرن الرابع الهجري[1].

★ **أحمد بن صالح، أبو العلاء التميميّ الآبُسْكوني:** محدّث رحّالة، أصله من «آبَسْكُون» (بضم الباء وسكون السين المهملة) قرية أو بُليدة على ساحل البحر بنواحي طبرستان. ذكره ابن السمعاني مرتين، مرّة بهذه النسبة، ومرّة بـ «الأثطّ الصوريّ». وقال إنه كان ينزل بصور على ساحل بحر الروم مما يلي الشام، وبنى بها مَحْرَساً، ـ كما فعل «ثابت بن محمد الكوفي» ـ، والمَحْرَس عبارة عن بناءٍ صغير يُتخذ لحراسة الساحل والرباط ضدّ العدوّ.

وكان كثير الحديث، سمع: محمد بن حِمْيَر، وأبا زُرعة الرازيّ. وروى عنه من أهل بلده: الحسين بن محمد الآبَسْكونيّ، ومؤذّنها موسى بن يوسف الجرجانيّ، ثم قام برحلة للحديث، ونزل صور واستوطنها فنُسب إليها، فأخذ عليه الحافظ ابن عديّ وروى عنه في معجم شيوخه، على سبيل الإجازة والكتابة، كما روى عنه من أهل صور: محمد بن إبراهيم بن أسد الصوريّ، وغيره.

وهو من أهل القرن الثالث الهجري[2].

---

(١) أنظر عن (الحسن بن جرير) في: حلية الأولياء لأبي نعيم ١٤٥/٦ و٣٤٤ و٣٣٤/٨، والمعجم الصغير للطبراني ١٢٤/١، والمعجم الكبير، له ١١٥/١ و٢٣٤، و٩٣/٤ و٩٤، و٢٣٦/٥، و٣٠٥/٦ و٣٠٦ و٢٥٧/٧ و٢٥٨ و١٠٩/٨ و١١٠ و١١٨ و١٤٩ و٣٦٩ و٣٧١ و٣٧٣، ومواضع أخرى كثيرة منه، ومسند الشاميين، له أيضاً ١/ رقم ١٥٣ و١٥٦ و١٥٩ و١٧٠ و٢٧٩ و٥٨٢ و٦٥١ و٦٨٠ و٦٨٢ و١١٠٦/٢ و١١٨٨ و١٣٤٠ و١٤٤٥ و١٦١٦، وغيره، وتاريخ بغداد ١٤٢/٢، والإكمال لابن ماكولا ٢٢٧/٤ و١٥١/٥، والأنساب ٩٩أ، و٣٥٧أ، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٣٨٨/٩ ومواضع كثيرة منها أحصيتها في كتابي: موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ٩١/٢ ـ ٩٨ رقم ٤١٢، والروض البسّام لتمّام ١/رقم ١٥٣ و١٧٩ و٣٥٤ و٢/رقم ٤٠٩ و٤٤٣ و٥٩٨ و٦٩٢.

(٢) أنظر عن (الآبسكوني) في: تاريخ جرجان للسهمي ٨٥، وتقييد العلم للخطيب ١٠٤، والأنساب ١٠/١ و١٣٦، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٢٧٥/١٧ و١٣٦/٢٢ و٤٤/٢٩ =

★ **محمد بن إبراهيم بن أسد، أبو بكر الأسديّ الصوريّ:** يُعرف بالغَنَويّ، من أسد قريش. طلب العلم ببلده، وبصيدا، وبيروت، وجُبيل، ودمشق، وبعلبك، وغيرها، ومن شيوخه: أبو الجهم بن طلاّب المشغراني، ومكحول البيروتي، وعبد الجبّار الكوثري الصوري، ومحمد بن المعافى الصيداويّ، وأحمد بن الآبَسْكُوني نزيل صور، وأحمد بن هاشم البعلبكيّ، ومحمد بن إبراهيم بن مَخْلد الجبيليّ، ومحمد بن الحسن بن قُتيبة شيخ عسقلان، وغيرهم كثير.

روى عنه، محمد بن أحمد المَلَطيّ، ومحمد بن علي الأنطاكي المتوفى سنة ٣٢٣ هـ. وقال الخطيب البغدادي إن الأنطاكي حدّث عنه ببغداد.

قيل: قارب المائة من عمره، وهو من أهل القرن الثالث الهجري[1].

★ **محمد بن إبراهيم بن كثير، أبو الحسن الصّوريّ:** محدّث كان يغالي في التشيُّع. سمع: خالد بن عبدالرحمن الخراساني الذي كان يسكن ساحل دمشق «لبنان».

روى عنه جماعة من الشيوخ فحدّثوا عنه ببغداد، وأنطاكية، وبعلبك، وغيرها، وممّن روى عنه: محمد بن حفص الفارسيّ البعلبكي، ومحمد بن عمر الفارسي البعلبكيّ، والحسين بن محمد الواسطي، وكان يُملي عنه ببغداد سنة ٣٢٥ هـ.، ومحمد بن الحسن الأنطاكي وقد حدّث عنه بأنطاكية، وحديثه في: صحيح ابن خُزيمة، وسُنن الدارقطني، وسُنن البيهقي، والمستدرك على الصحيحين للحاكم، وغيره. وهو من أهل القرن الثالث الهجري[2].

= و٤٧٢/٣٦ و٥٠٠ و٣٦١/٣٧ و١٨٨/٣٨، واللباب ١٢/١، ومعجم البلدان ٤٩/١، وموسوعة علماء المسلمين ٣٠٣/١، ٣٠٤ رقم ١٢٥.

(١) أنظر عن (الأسدي) في: تاريخ بغداد ٧٧/٣، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٤٩٣/٣ و٤٧٢/٣٦، ٤٧٣ و٥٣٧ و٣٧٢/٣٧، وموسوعة علماء المسلمين ٥٧/٤ رقم ١٢٥١.

(٢) شرف أصحاب الحديث للخطيب ١٥/١، والإكمال لابن ماكولا ٤٦٢/١ و١٩٣/٤ =

★ **محمد بن إبراهيم بن كامل، أبو عامر الصوريّ:** محدّث، اشتهر بأنه كان نَحْوِيّاً عالماً باللغة، ولهذا كثيراً ما كان الحافظ الطبرانيّ يسمّيه: «محمد بن إبراهيم النحوي الصوريّ».

سمع بدمشق: هشام بن عمّار، وعمران بن هارون البصري، وعمرو بن خالد الحرّاني، وسليمان بن عبد الرحمن الدمشقي، وغيره. وعاد إلى بلده فعقد مجلساً للعلم، فقصده: محمد بن هارون بن شعيب، وموسى بن عبد الرحمن المقريء البيروتي، والحافظ الطبراني الذي روى عنه كثيراً في مصنّفاته.

وهو من رجال القرن الثالث الهجري[1].

★ ★ ★

أُدباء وشعراء من صور

أخرجت صور في هذه الفترة عدّة أُدباء وشُعراء وصلتنا بعض أبياتهم وأشعارهم، نذكر منهم:

★ **أبو عُمارة الصُّوريّ:** تصحّفت نسبته إلى «الصوفي» بدل «الصوريّ» في

= و٦/٢٧، وانظر مصادر أخرى في: موسوعة علماء المسلمين ٤/٦٢، ٦٣ رقم ١٢٥٩، والمحدّث الفاصل للرامهرمزي، رقم ٢٩٧، والسنن الكبرى ٣/١٤٢ و١٠/٢٥٢، ومشكل الآثار للطحاوي ٤/١٦٩، وصحيح ابن خزيمة ١/٨٧ رقم ١٣٣ وفيه تحرّف جدّه إلى: «كبير» وقال إنه حدّث بالفسطاط من مصر، وسنن الدارقطني ٢/١٨٨، و٤/٧٦، والمستدرك على الصحيحين للحاكم ١/٣٨، والسابق واللاحق للخطيب ٧٩.

(١) المعجم الصغير للطبراني ٢/٧٩، ٨٠، والمعجم الكبير ١/رقم ١٠٠١ و٢/رقم ١٥٢٨ و١٥٧٢ و٢٣٢٢ و٤/رقم ٣٨٤٠ و٤٢٣٩ و٦/٥٤٦١ وأجزاء أخرى كثيرة، ومسند الشهاب للقضاعي ١/رقم ٢٥٠، ومسند الشاميين ١/رقم ٢٦٢ و٢٦٣ و٢٦٤ و٢٦٥ و٢/رقم ١٢٢٤، وكتاب الدعاء للطبراني ٢/رقم ١٠٤٦ و١٠٦٥ و١٣٠٨ و٣/رقم ١٦٠٢، وحلية الأولياء ٤/٣٥٧، وموضح أوهام الجمع ١/٣٠٧، وتاريخ دمشق (المخطوط) ١٩/٥٩٦ و٣٦/٥٠٢، وإنباه الرواة للقفطي ٣/٦٣، وبغية الوُعاة للسيوطي ٧، وموسوعة علماء المسلمين ٤/٥٣ - ٥٧ رقم ١٢٥٠.

«يتيمة الدهر للثعالبي»، وصحّح نسبته في «تتمّة اليتيمة». وقال إنه قرأ له في كتاب «التُحَف والظرف» لابن لبيب غلام أبي الفرج الببغاء، قوله في ثقيل خفيفٍ على القلب:

وثقيـل لـو كـان في حسنـاتي ... وجميـع الأنـام في سَيِّئـاتي
لاستخـفّ الذنـوب بـل كسـ ... ـر الميزان من ثقله على الكفّاتِ

وله أيضاً في ثقيل:

ثقيـل يـراه الله أثقـل مـن بَـرَى ... ففي كلّ قلبٍ بغضةٌ منه كـامنهْ
مشى، فدعا من ثقله الحوتُ ربَّـهُ ... فقال: إلٰهي، زدتَ في الأرض ثامنهْ

وقد أنشد أبو عُمارة هذيـن البيتين الأخيريـن لأبي الحسين المصّيصي بصور[1].

★ **أبو منصور الصوريّ:** وهو أخو أبي عُمارة. قال محمد بن علي البغداديّ: كان هذا الصوريّ في عُنفوان شبابه معلّماً مَرْجُوّاً، وكان يتكلّم من جنس صناعته، فيُحكى أنه كتب إلى صديق له في الشوق:

كٰـهٰـيٰـعٰـص[2] ... إنّـي إليـك جـدّ صـادْ
والصّـافّـات[3] ... إنّ شوقي إليك فـوق الصّافّات
والحـواميـم[4] ... إنّـي مـن الحميم في عـذابٍ أليم

ثم ارتفع عن التعليم إلى التأديب والشِعر، فكان يقول مثل قوله:

نَـثَـرَتْ لآلِىء دمعهـا وجْـداً على ... ديبـاج خـدٍّ في الديـاجي أشرقـا
ما هـذه العبرات يـابْنـةَ فـارسٍ؟ ... لسنـا بـأوّلِ عـاشقين تفـرّقـا

(١) يتيمة الدهر ١/٣٨ و٢٥١، والإعجاز والإيجاز للثعالبي ٢٢٠.

(٢) أول سورة مريم.

(٣) أول سورة الصّافّات، وهي السورة رقم ٣٧.

(٤) هي على التوالي: سورة المؤمن، والسجدة، والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف.

وقوله من قصيدة لم يعلق بحفظي إلّا البيت الأول منها:

تأخّر بَرْدُ الماء عن كَبِدٍ حَرّى   وهذا لهيبُ النار في مُقْلةٍ عَبْرَى

قال البغدادي: وأنشدني الصوريّ لنفسه:

من كَفَّ عنك شَرَّهْ   فافعلْ به ما سَرَّهْ[1]

★ **عبد الصمد بن علي الصوريّ: أبو الفرج:** شاعر أديب، ذكره الثعالبيّ وقال: هو القائل:

حتّامَ أرجو أناساً ما مدحتُهُمُ   إلّا جَنَيتُ ذنوباً ليس تُغْتَفَرُ

لئن بحثتُ عن المعروف عندهُمُ   إنّ الثرى في طلاب الماء يُقْتَفَرُ[2]

وقال من قصيدة:

وإذا ما احتوت أنامله الرّقْـ   ـسَ كما تحتوي القنا الفرسانُ

فعلت في الخطوب ما تفعل السُّمْـ   ـر إذا جَدّ بالكُماةِ الطّعانُ

وقال:

ومن يغشُ قوماً والشبيبة بُرْدُهُ   فيُبْليه، فما بينهم عُدّ منهم

قال الثعالبيّ: وكانت له امرأة قبيحة سليطة، فقالت له في يوم مطرٍ وثلج:

- أيّ شيءٍ يطيب في مثل هذا اليوم؟

فقال: التطليقات الثلاث[3]!

★ **أبو القاسم الصوريّ:** شاعر، كان ينظم الشعر بالبداهة. اجتمع به في

(١) يتيمة الدهر للثعالبي ٣٨/١، ٣٩، و٢٢٠، أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء للملك المنصور الأيوبي - مخطوطة ليدن رقم ٦٣٩ - ورقة ٢٧ ب - ١٢٨أ، رقم ٣٦.

(٢) يقتفر: أي يتبعه ويقتفي أثره.

(٣) يتيمة الدهر ٨٤، ٨٥، أخبار الملوك (المخطوط) - ورقة ١٢أ، ١٢ ب، رقم ٧.

صور: الحسن بن علي الجوهريّ، والقاضي المحسّن بن علي التنوخيّ.

قال الجوهريّ إنه أنشد الصوريّ بيتين ادّعاهما عمر بن يحيى في مجلس المهلّبي الوزير، هما:

أقول لها إذْ بتّ في أسْر قومها   وجامعتي عن منكبيّ تضيقُ

لما سرّني أن بِتّ عنّي بعيدةً   وأنّي من هذا الإسار طليقُ

ثم قال الجوهريّ: أهُما أحسَنُ أم بيتان عملتُها في المعنى، وهما:

أقول لها والحيّ قد نذروا بنا   ومالي من أسر المنون براحُ

لما ساءني أن وشحتني سيوفُهُم   وأنّكِ لي دون الوشاح وشاحُ

فأمسك الصوريّ ساعةً ولم يُجب، ثم عمل في الحال وأنشد فيه:

ألا مرحباً بالأسر يا أمّ مالكٍ   وجامعتي والقدّ منه قريني

إذا كنت في كسر الخباء قريبة   تحسّين منّي لوعتي وأنيني

وعمل أيضاً في الحال وأنشدنيه:

أقول وقد هزّ القنا لي قوامُها   وما لي من بين الأسنّة مذهبُ

ألا ليت نحري للأسنّة ملعبٌ   وكفّي في نحر ابنة القوم يلعبُ[1]

وقال القاضي التنوخي: أنشدني أبو القاسم الصوريّ لنفسه:

ويومٌ كيوم البَيْن حَرّاً قطعتُهُ   على سابحٍ طاوي الأياطل سابقِ

أخوض عليه جرة القيظ حاسراً   كأني على الهجران في قلب عاشقِ[2]

★ **أحمد بن صاعد الصوريّ:** محدّث وأديب. كان له مجلس في مسجد

(١) بدائع البدائه لابن ظافر الأزدي - ص ٣٥١.

(٢) نشوار المحاضرة للتنوخي - نشره مرجليوث باسم جامع التواريخ، في مصر ١٩٢١ - ج٢٨٤/١، والورقة الأخيرة من الجزء الأول من مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس، رقم ٣٤٨٢ عربي، وانظر اللوحة الثانية من الجزء الأول لطبعة المحامي الشالجي.

صور، روى عنه: الزاهد ابن أبي الحواري المتوفى سنة ٢٣٠ هـ.، ومحمد بن عمرو بن مسعدة البيروتي، وكان يكتب بعض مرويّاته إلى عُمير بن يوسف، فيحكي هذا عمّا يكتبه[١]. وكان يتردّد عليه محمد بن الحسن الجوهريّ، وقال: دخَلت عليه وهو جالس وحده في مسجده، فقلت له: مالي أراك وحدك؟ فقال:

قنعت بعلم الله ذُخْري وواحدي ... بمكنون أسرارٍ تضمنّها صدري
فلو جاز ستر السّرّ بيني وبينه ... عن القلب والأحشاء ما علما سرّي[٢]

وهو من أهل القرن الثالث الهجري.

★ ★ ★

بعلبك

كانت بعلبك أول مدينة «لبنانية» تستقبل مسؤولاً عباسيّاً فور قيام الدولة العباسية، هو «عبدالله بن علي» الذي جاءها وأقام فيها يومين، فأخذ البيعة من أهلها وثبّت واليها «يزيد بن رَوْح اللخميّ»، ومنها انتقل إلى عين الجرّ فأقام فيها يومين أيضاً وهو في طريقه إلى دمشق، وذلك سنة ١٣٢ هـ./ ٧٥٠ م[٣]، وقد أثبت «يزيد اللخميّ» صدق ولائه للعهد الجديد حين قام بالقبض على «الحكم بن ضبعان الجذاميّ» الذي اختبأ ببعلبك ونواحيها متنكّراً حول ستّ سنين، وضرب عُنُقه، فكافأه «صالح بن عليّ» بتعيينه أميراً على دمشق في سنة ١٣٨ هـ./ ٧٥٦ م[٤].

(١) تاريخ دمشق (المخطوطة) ٢٧٢/٣٣ و١٣٦/٣٩، تهذيب الكمال للمزّي ٣٧٠/١، موسوعة علماء المسلمين ٣١٢/١ رقم ١٢٢.
(٢) الجليس الصالح، للجريري - ج٣٣٩/٣.
(٣) راجع الكتاب الأول من هذه الدراسة «لبنان من الفتح الإسلامي..» - ص ١٥٤.
(٤) راجع الكتاب الأول أيضاً - ص ١٨٢.

وبين سنتي ١٤٠ و١٤١ هـ./ ٧٥٨ م، أمر «المنصور» بمسح الأراضي التي كانت لا تزال بيد الأنباط (النصارى) في بعلبك ونواحيها بالبقاع، فقام «إسماعيل بن عيّاش» فقيه حمص بتنفيذ ذلك وعدّل الأراضي الخراجية، وقرّر على الأنباط ما بقي من أرضهم على تعديل مسمّى يؤدّونه إلى بيت المال.

وعيّن المنصور عاملاً على بعلبك هو «إسماعيل بن الأزرق» وكان من مَهامّه تحصيل الخراج من أصحاب الأراضي المزروعة، ويبدو أنّه تشدّد في تنفيذ ذلك، ولهذا كان في مقدّمة من استهدفته حركة نصارى المنيطرة. ثم تعرّض للسجن فيما بعد مع أحد مساعديه، وطالت مدّة سجنهما حتى كتب الأوزاعيّ يحثّ المنصور على إطلاق سراحهما لأنّهما لم يقترفا ذنباً، ولعلّ ذلك كان بسبب وشاية أو مؤآمرة حيكت لهما، كما يُستشفّ من رسالة الأوزاعيّ.

وقد شهدت بعلبك ونواحيها أحداث المقتلة العظيمة التي جرت بين أهلها ونصارى الجبل الذين خرجوا من «المنيطرة» بقيادة زعيمهم «بندار»[١].

وكون ثورة «المنيطرة» استهدفت عامل الخراج ببعلبك بشكل خاصّ، فإنّ ذلك يعني أنّ عاملها كان يتمتّع بصلاحيّات واسعة في تحصيل الخراج، ليس من بعلبك فقط، بل من كل نواحيها، والبقاع، وحتى من القرى والمرتفعات في قلب «جبل لبنان».

ولما كانت حركة «المنيطرة» وثورة نصارى الجبل قد دفعت المنصور إلى إسكان التنوخيّين في إقليم الغرب والجبال المشرفة على بيروت، فإنها - من ناحية أخرى - شجّعت القبائل العربية إلى تكثيف وجودها في نواحي بعلبك

(١) واقعة ثورة المنيطرة سطا عليها «عباس نصرالله» واقتبسها من كتابنا «تاريخ طرابلس» الطبعة الثانية، ووضعها في كتابه «تاريخ بعلبك» ج ١٠٧/١ - ١١١، وهو ينقل المتن والحواشي والمصادر بالحرف، دون أن يشير إلى كتابنا، وهو يذكر تاريخ دمشق لابن عساكر المخطوط، وغيره من المصادر التي أجزم أنه لم يطّلع عليها.

والبقاع، ومن هنا كان ذلك الحضور الواضح للكِلابيّين في جميع مناطق « لبنان » الشرقية، وحتى في الجنوب والشمال بما فيها إقليم عكار. وذكر « أبو الفتح البَيْني » وجودهم في شِعره حيث يقول:

سقى الله قوماً حول لبنان مثلما ... تَرشَّفْتُ يه من رُضاب ظبائه
قبائل من كلبٍ إذا نزلَتْ به ... فقد نزلتْ فيه نُجومُ سمائه
أضاءت لأهليهِ الظلامَ وُجُوهُهُم ... فأغْنَتْهُمْ عن صُبْحهم وضيائه[1]

وتنقطع أخبار بعلبك نحو القرن ونصف القرن من الزمان، إلى أن نطالع وقائع المذبحة الهائلة التي ارتكبها القرامطة بحقّ أهلها والجوار البقاعيّ، ثم قتْل زعيمهم في أسفل البقاع الغربيّ عند بلدة « كوكبا »[2] سنة ٢٩٠ هـ./٩٠٣ م.

★ ★ ★

ومن ناحية أخرى، استأثرت قلعة بعلبك بكتابات الجغرافيّين والرّحّالة واعتبروها إحدى العجائب[3]. واعتبرها « اليعقوبيّ » المتوفى ٢٨٤ هـ. إحدى مدن الشام الجليلة، وقال إن بها عين عجيبة يخرج منها نهر عظيم - وهو يقصد نهر العاصي[4] - وبداخل المدينة الجِنان والبساتين[5].

وتُعتبر بعلبك مع البقاع كورة من كُوَر دمشق[6]، ومن جُنْدها[7]، وهي كثيرة الخير والغلّات والفواكه الجيّدة، ظاهرة الخصب والرُّخْص،[8] تشتهر

(١) الأبيات في: أخبار مصر في سنتين، للمسبّحي - ص٦٨.
(٢) كَوْكَبا: قرب نبع الحاصباني، غربيّ حاصبيّا، وشماليّ مرجعيون.
(٣) مختصر كتاب البلدان لابن الفقيه ١١٨.
(٤) ويُعرف بالنهر المقلوب، وهو لا يخرج منها بل من اللّبْوَة شماليّ بعلبك وتبعد عنها أكثر من ٢٥ كلم.
(٥) البلدان لليعقوبي ٣٢٧.
(٦) المسالك والممالك لابن خرداذبه ٧٧.
(٧) مسالك الممالك للإصطخري ٤٦، الأقاليم، له ٣٣.
(٨) صورة الأرض لابن حوقل ١٩٢.

بالأعناب والملابن[9]، ويُضرب المثل في بَرْدها، حيث قيل للبرد: أين نطلبك؟ قال: بالبلقاء، قيل: فإنْ لم نجدْك؟ قال: بعلبك بيتي؟[1].

وإذا كانت المصادر التاريخية لا تتحدّث في هذه الفترة عن صناعة النسيج في بعلبك، فإن أحدها يشير إلى قماش القطيفة المصنوع بها، منذ العهد النبويّ على الأقلّ، حيث يروي « ابن عديّ » حديثاً ضعيفاً بسنده عن « ابن عباس » قال: « فُرش لرسول الله في لَحْده قطيفة بيضاء بعْلَبَكِّيّة »[2]. والمرجّح أن صناعة الأقمشَة ظلّت تشتهر في بعلبك في العصر العباسيّ، وما بعده، حيث ستذكرها المصادر التاريخية في عهود لاحقة.

ومثل هذا القول ينطبق على صناعة العسل واستخراجه من النحل، حتى أنّ بلدةً بالقرب من بعلبك حملت اسم « نحلة »، ذكرها « البكري » في معجمه، ولكنّه وهِمَ فاعتبرها من عمل حلب - والصحيح أنّها من عمل دمشق -، فقال:

« نحلة »: على لفظ الواحد، من نحل العسل، قرية بالشام معروفة، من عمل حلب (!) على مقربةٍ من بعلبك، وهي التي عنى أبو الطيّب بقوله:

ما مُقامي بأرض نحلة إلّا ... كمُقام المسيح بين اليهود[3] »

وكما كان الحضور الفارسيّ واضحاً في العهد الأمويّ ببعلبك، فإنّ هذا الحضور ظلّ واضحاً في العهد العبّاسي وغيره، وهذا ما نلاحظه من تراجم علمائها وشيوخها. ولقد نصّ « اليعقوبيّ » على أنّ أهل بعلبك قوم من الفُرس،

(٩) أحسن التقاسيم للمقدسيّ ١٨١، والملابن: مفردها ملبن، وهو من العنب يُصنع بشكل رقائق مُحَلّاة.
(١) أحسن التقاسيم ١٧٩.
(٢) الكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ٢٥٣٣/٧.
(٣) ويقول البكري: « وبهذا البيت سُمّي المتنبّي، هكذا قرأته ونقلته من كتاب أبي الحسن الضبّي الذي كتبه عن أبي الطيب وقرأه عليه بأرض نحلة ». (معجم ما استعجم ١٣٠١/٤).

وأنّ في أطرافها قوم من اليمن[١].

وبعلبك هي مدينة البقاع وعاصمته، ولها: كامد، وعجرموش[٢]، كما يسمّيها المقدسيّ[٣]. ولا يمكن الحديث عن بعلبك دون تصوّر الارتباط العُضْويّ بالبقاع وتأثّرهما بالأحداث التي تجري فيهما.

ويجعل «البكري» البقاع بقاعين، فيقول:

«البقاع: على لفظ جمع بقعة، والبقاع بالشام، وهي بقاعان: بقاع بعلبك وبقاع لبنان. قال الطائيّ:

فلم يبـق في أرض البقـاعين بقعـة ... وجاء قرى الجَوْلان بالمُسْبِل الوبْلِ

وتُنسب إليها الخمر الجيّدة، قال الطائيّ أيضاً:

بقـاعيّـة تُجـرى علينـا كئـوسهـا ... فتُبدي الذي تُخفي وتُخفي الذي تُبدي»[٤]

وُلاة بعلبك

ممّن تولّى بعلبك في هذه الفترة، عرفنا:

١ ـ **يزيد بن رَوْح اللّخميّ**: وكان عليها في عهد «مروان بن محمد» الأموي، وبقي حتى سنة ١٣٨ هـ./٧٥٦م. حيث نُقل إلى دمشق.

٢ ـ **إسماعيل بن الأزرق**: واشتهر بأنه كان عامل خراجها، تولّى عليها بعد «يزيد» سنة ١٣٨ هـ. وعاصر ثورة المنيطرة ونصارى الجبل بين سنتي ١٤٠ و١٤١ هـ./٧٥٨م. ثم اعتقله «المنصور» وسجنه ببعلبك بعد ذلك

(١) البلدان ٣٢٧.

(٢) هكذا عند المقدسيّ: وهي «عرجموس» كما في: تاريخ دمشق لابن عساكر (المخطوط) ٢/٤٦.

(٣) أحسن التقاسيم ١٢٤.

(٤) معجم ما استعجم ١/٢٦٣.

مدّة طويلة.

٣ ـ **علي بن عسكر**: كان بها حول سنة ٣٣٦ هـ./٩٤٧م. في العهد الإخشيديّ، حيث مدحه «المتنبّي» بعد أن فرّ من «ابن كَيَغْلَغ» صاحب طرابلس، وقد خلع عليه ابن عسكر وسأله أن يقيم عنده ـ وكان يريد السفر إلى أنطاكية ـ فقال المتنبّي يستأذنه:

رُوينا يا ابـن عسكـر الهُمامـا ... ولم يترك نَـداك بنـا هُيامـا
وصار أحـبّ مـا تُهدي إلينـا ... لغير قِلًـى وداعَـكَ والسّلامـا
ولم نَـمْلَـلْ تَفَقُّـدَكَ الموالي ... ولم نَذْمُمْ أياديك الجِسامـا
ولكـنّ الغيـوث إذا تـوالـت ... بأرض مسافرٍ كره المُقاما[١]

قُضاة بعلبك

وقفت على ثلاثة أسماء لقُضاةٍ تولّوا على بعلبك، يأتي في أوّلهم:

١ ـ **سُوَيد بن عبد العزيز بن نُمَير، أبو محمد السُّلميّ الدمشقيّ**: واسطيّ الأصل، نزل حمص، وعُني بالحديث، فأخذه عن كثير من الحُفّاظ والرُّواة، وانتقل إلى بعلبك فتولّى القضاء بها. وفي أثناء ذلك كان يعقد مجالس للعلم، فروى عنه: محمد بن هاشم البعلبكّيّ، وعبد الرحمن بن الضحّاك البعلبكّيّ القاريء، واسماعيل بن حصْن الجُبَيليّ، ومحرز بن محمد بن مروان البعلبكّيّ، وغيرهم.

أخبر عنه أبو عبدالله الشاميّ فقال: ولي سُوَيد بن عبد العزيز قضاء بعلبك، وكان محتاجاً، فلقيه داود بن أبي شيبان الدمشقيّ، فقال له: يا أبا محمد وليت القضاء بعد العلم والحديث؟ قال: نعم. نشدْتُك الله، أتحتَ جُبّتك شعار؟ فقال داود: نعم. فرفع سُوَيد جُبّته وقال: لكنّ جُبّتي ليس تحتها شعار، ثم قال: أنشدُك الله، هل هذا الطَّيلسان لك؟ قال داود: نعم. قال

(١) ديوان المتنبّي، شرح البرقوقي ٤/٢٦١، ٢٦٢.

سُوَيد: فَوَالله ما هذا الطَّيلسان الذي ترى عليَّ لي، وإنّه لعارية، أفلا أُليَ القضاءَ بعد هذا؟ فَوَاللهِ لو ولّوني بيت المال - فإنه شرٌّ من القضاء - لَوَلِيتُه[1].

وتولّى سُوَيد أيضاً القضاء بين النصارى في دمشق، بينما كان يقضي بين المسلمين قاضٍ آخر[2].

قال «ابن سعد»: وُلد سنة ٩٠ في آخر خلافة الوليد بن عبد الملك، وتُوفّي سنة ١٦٧ هـ. في خلافة المهديّ العباسيّ.

وأقول: لقد خالفه «الذهبيّ» إذ قال إنه وُلد سنة ١٠٨ وتوفي سنة ١٩٤ هـ. مع أنه يُضيف أنّ سُوَيداً حدّث عن طائفة من التابعين[3].

وكان سُوَيد إخبارياً يروي الفتوح والمغازي والسِّيَر، وقد صنّف محمد بن جعفر بن خالد الدمشقيّ كتاباً في «فتوح الشام» روى فيه عنه وعن غيره[4].

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٧/٤٧٠.

(٢) التاريخ لابن معين ٤/٤٥٨.

(٣) معرفة القراء الكبار للذهبي ١/١٥١.

(٤) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٧/٢٧٣.

وانظر عن (سُويد) في: معرفة الرجال برواية ابن محرز ١/٥١ رقم ١١، ومُسْنَد أبي يعلى الموصلي ١/١٠٠ رقم ١٠٥، وسُنن الدارقطني ٤/٢٨٤ رقم ٤٧، ومسنَد الشهاب للقضاعي ٢/٨٣، رقم ٩٣١، والأسامي والكنى للحاكم (المخطوط) ج١ ورقة ٦٩ ب، والسُنن الكبرى للبيهقي ٧/٤٤٨،، والمستدرك على الصحيحين، له ١/٤٤٠، والأوائل لابن أبي عاصم النبيل ٨١ رقم ١٨٦، والكشف الحثيث لسبط ابن العجمي ٣٧١ رقم ٦٦٢، والضعفاء لأبي زرعة الرازي ٢/٤٨٢ و٤٩٨ و٤٩٩ و٦٢٣، وتاريخ أسماء الضعفاء والكذابين لابن شاهين ١٠٤، ١٠٥ رقم ٢٧٧، والضعفاء الكبير للعقيلي ٢/١٥٧ رقم ٦٦٢، والضعفاء والمتروكين لابن الجوزي ٢/٣٣ رقم ١٥٨٩، وانظر مصادر أخرى كثيرة في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين ٢/٣٣١ - ٣٣٦ رقم ٦٦٩، وتاريخ الإسلام للذهبي (بتحقيقنا) حوادث ووفيات ١٩١ - ٢٠٠ هـ. ص٢١٩ - ٢٢٢ رقم ١٢٧.

٢ - **محمد بن أحمد بن أبي خنبش، أبو بكر البعلبكيّ**: سمع من إمام مسجد بعلبك حُمَيد بن محمد بن النضير.

وسمعه بها: أبو بكر أحمد بن الحسين بن بدران[1].

٣ - **ذَكْوان بن إسماعيل بن يحيى البعلبكيّ**: حدّث عن: إسماعيل بن حصن الجُبيليّ المتوفى ٢٦٤ هـ.

وسمعه: محمد بن هارون بن شعيب ببعلبك[2].

* * *

أمّا أئمّة مسجد بعلبك فلم نعرف منهم سوى واحدٍ هو:

حُمَيْد بن محمد بن النُّضَيْر، أبو الحسن التميميّ البعلبكيّ: حدّث عنه: عمّه إبراهيم بن النضير البعلبكيّ.

روى عنه: أبو السَّريّ محمد بن داود الفارسيّ البعلبكي، وأبو طاهر محمد بن سليمان البعلبكيّ، وقاضيها محمد بن أحمد بن أبي خنبش البعلبكيّ[3].

* * *

وبقي المؤذّن البعلبكيّ صاحب الصوت المذهل الذي تقدّم ذكره في العهد الأمويّ، إلى أيام المنصور حيث أبقى عليه يؤذّن في المسجد الجامع ببعلبك.

---

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٠/١، المشتبه في أسماء الرجال للذهبي ١/٢٧٣، الموسوعة ٢/١٩٠ و٤/٦٦ رقم ١٢٦٦.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٥/٤٩١ و١٣/١٨٥ و٣٨/٤٤١، وتهذيبه ٥/٢٥٠، ومعجم البلدان ٢/١١٠، والموسوعة ٢/٢٤٥ رقم ٥٨٠.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ٤/٤٦٠ و١١/٥٩٩ و١٥/٥٩٥ و٣١/٣٧٦ و٣٧/٤٨٣ و٣٩/٥٦١، وتهذيبه ٤/٤٦٦، والإكمال لابن ماكولا ٢/٣٤٢، والموسوعة ٢/١٩٠ رقم ٥٤٢.

محدّثون من بعلبك

أخرجت بعلبك في هذه الفترة جماعة من المحدّثين الكبار، سأكتفي بذكر ثلاثة منهم، وهم من أسرة واحدة، من أصل قُرشيّ:

١ - **محمد بن هاشم بن سعيد القُرَشيّ البعلبكيّ**: أجمع علماء جرح وتعديل الرجال وأهل الحديث على أنه كان محدّثاً صدوقاً.

روى عن: أبيه، وعن محمد بن شُعيب البيروتي، وسُوَيد قاضي بعلبك، وبقيّة بن الوليد الحمصيّ، وهشام بن عمّار، والوليد بن مَزْيَد البيروتي، وغيرهم.

روى عنه: ابنه أحمد، وابن بنته (سبطه) أحمد بن هاشم، ومكحول البيروتي، ومحمد بن الحسن بن ذكوان البعلبكيّ، ومحمد بن الرضى البعلبكيّ، والإمام النّسائيّ، وقال: لا بأس به، صدوق يُحتجّ به، وروى عنه في سُننه.

وذكره ابن حبّان في الثقات، وقال مسلمة بن قاسم: صدوق مشهور.

وكان أبوه «هاشم بن سعيد» وأخوه «إبراهيم بن هاشم» من المحدّثين أيضاً.

وُلد في شهر ربيع الأول سنة ١٩٧ وتوفي ببعلبك سنة ٢٥٤ هـ[١].

٢ - **أحمد بن محمد بن هاشم البعلبكيّ**: وهو ابنه. سمع الحديث من أبيه، ومن: عبد الملك بن الأصبغ البعلبكيّ.

روى عنه الحافظ الطبراني أثناء جولته في «لبنان» على رجال الحديث[٢].

---

(١) سُنن النسائي ١/٢٢٥ و٣/٦ و٣٠، والكامل في ضعفاء الرجال لابن عديّ ٣/١٢٦١ وفيه «محمد بن هشام»، والمعجم المشتمل لابن عساكر ٢٧٧ رقم ٩٨٦، والمستدرك على الصحيحين ١/٤٤٠، والمشتبه في أسماء الرجال ٢/٦٦٢، وانظر مصادر أخرى كثيرة في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين ٥/٢٧ - ٣١ رقم ١٦٢٩.

(٢) مسند الشاميين للطبراني ١/رقم ٢٧٥ و٢/رقم ٨٨١ و٨٨٣ و٩٠٠ و١٢٥٩، والدعاء له ٢/رقم ١١١٩ و٣/رقم ١٢٣٢، والمعجم الصغير ١/٢١، والمعجم الأوسط ٢/رقم ١٣٢٣ و١٤٣٦، وتاريخ بغداد ٣/٣٨٩، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٣/٤٠٥، والوافي بالوفيات للصفدي ١/٣١٠، وموسوعة علماء المسلمين ١/٤٢٣ رقم ٢٤٨.

٣ - **أحمد بن هاشم بن عمرو الحِمْيَريّ البعلبكيّ**: وهو حفيده لابنته (سبطه). روى عن جدّه لأُمّه محمد بن هاشم، وسليمان بن عبد الرحمن الحرّاني.

روى عنه: محمد بن إبراهيم بن أسد الصوريّ، وابن الجارود الرقيّ، والحافظ ابن عديّ، وأبو بكر الدينوريّ المعروف بالسّنّي، وهو روى عنه في كتابه «عمل اليوم والليلة» ولكنّه سمّاه: «أحمد بن هشام».

توفي بعد سنة ٣١٠ هـ[١].

شجرة نسب
بني هاشم البعلبكيّين

عبدالله الحِمْيَريّ
↓
سليمان
↓
عبد الرحمن
↓
إسماعيل
↓
عمرو
↓
هاشم

سعيد أبو هاشم القُرشيّ
↓
هاشم[٢] أبو محمد
↓
محمد أبو عبدالله (١٦٧ - ٢٥٤ هـ) — إبراهيم[٣]
↓
أحمد — بنت تزوّجت: هاشم

أحمد أبو جعفر الملقّب بندار
(توفي بعد ٣١٠ هـ)

* * *

---

(١) عمل اليوم والليلة لابن السُّنّي ٢٧٥ رقم ٧٦٠، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٣/٤٩٣ و٢٢/١٣٧ و٢٣/٣٣٣ و٣٧/٢٠٤، وتهذيبه ٢/١٠٨، والأنساب ١٨٦، ومعجم البلدان ٢/١٢٢، وذيل تاريخ بغداد لابن النجار ١٥/١١٩، وموسوعة علماء المسلمين ١/٤٣٦، ٤٣٧ رقم ٢٦٥.

(٢) حدّث عن يزيد بن زياد البصري الذي كان يسكن صور. تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٣/٢١٧، تلخيص المتشابه في الرسم، للخطيب ٢/٦٥٩ رقم ١١٠٢، موسوعة علماء المسلمين ٥/١٤١ رقم ١٧٦١).

(٣) روى عنه الطبراني في معجمه الكبير ٢/٢٥.

وأخرجت بعلبك في هذه الفترة أيضاً شاعراً أديباً راوية، وعالماً كبيراً في الهندسة والطب، والفلك، والفلسفة، وغير ذلك من العلوم، وهما:

● **حسّان بن أبان البعلبكيّ**: وهو شاعر أديب وراوية إخباريّ، كان في زمان المتوكل على الله العباسي الذي قُتل سنة ٢٤٧ هـ. حدّث عنه أبو بكر محمد بن يعقوب الدينوريّ خبر قدوم «سعد بن أبي وقّاص» القادسيّة أميراً، وما دار بينه وبين «حرقة بنت النعمان بن المنذر» من حوار حين أتته بجواريها[١].

ذكره «المرزباني» في معجم شعرائه وأورد له من شِعره:

اكتسبْ مالاً تعيش به	ليس عَيْش المرء من نسبه
عربيّ لا يَسار له	صقليّ القدر في عربه
وتراهم خاضعين له	ما عدا يختال في نسبه
آمرا فيهم وكلّهم	باسط كفّه إلى سببه
طمعاً في نَيْل فضّته	ليس إلّا ذاك أو ذهبه
وأديب قد رثيت له	مالَه عيب سوى أدبه
جاءهم فاستدفعوه كما	يُتّقى ذو الدّاء من جَرَبه
دعْ لِذي جهْلٍ تماديه	في الذي يُدْنيه من عطبه
وَتَوقَّ ما يُساءُ به	إنّ جُبْن الكلب في كَلَبه

وله في الفخر:

نهضنا سُمُوّاً إلى المكرُماتِ	فصِرْنا سناها للنساء
وأدنى مواقع أقدامنا	إذا ما وطِئْنا عنان السماء

(١) الجليس الصالح للجريري ١/٤٤٠، ٤٤١، تاريخ دمشق (المخطوط) ٩١/ ٢٢٠، تهذيبه ٤/١٢٣، ١٢٤.

فإنْ شئتَ فاغْدُ بنا للقراع	وإنْ شئتَ فاغْدُ بنا للحباء[١]

قسطا بن لوقا البعلبكيّ: عالم من نصارى بعلبك. قال «ابن النديم»: كان بارعاً في علومٍ كثيرة، منها: الطبّ، والفلسفة، والهندسة، والأعداد، والموسيقى، لا يُطعن عليه، فصيحاً في اللغة اليونانية، جيّد العبارة العربية. دخل بلاد الروم وحصّل من تصانيفهم الكثير، وعاد إلى بلده، واستُدعي الى العراق ليترجم كُتُباً ويستخرجها من لسان اليونان إلى لسان العرب، وعاصرَ «الكنْديّ» المتوفى نحو سنة ٢٥٥ هـ. و«ثابت بن قُرَّة» المتوفى سنة ٢٨٨ هـ.

ذكره «ابن العبريّ» في زمن «المعتمد» (٢٥٦ - ٢٧٩ هـ)، وذكره «ابن جلجل» في أيام «المقتدر بالله» (٢٩٥ - ٢٩٦ هـ)، ولهذا قال «كحّالة» إنّه بقي حيّاً إلى ما بعد ٢٦٠ هـ/٨٧٣ م. وقال الدكتور «شِشن» إنه توفي نحو سنة ٣٠٠ هـ/٩١٢ م[٢].

وقال ابن العبريّ: كان قسطا بن لوقا فاضلاً في العلوم، مليح الطريقة في التصنيف، اجتذبه «سنحاريب» الى أرمينية وأقام بها. وكان بها أبو الغطريف البطريق من أهل العلم والفضل، فحمل إليه قسطا كُتُباً كثيرة جليلة في أصناف العلوم سوى ما حمله إلى غيره من أصنافٍ شتّى، ومات هناك، وبنى على قبره قبّة إكراماً له كإكرام قبور الملوك أو رؤساء الشرائع. فلو قلت حقاً قلت إنه أفضل من صنّف كتاباً لِما احتوى عليه من العلوم والفضائل، وما رُزِق من اختصار الألفاظ وجمع المعاني.

ومؤلّفاته كثيرة، منها: «المدخل إلى الهندسة» على المسألة والجواب، بارع في فنه. و«المدخل إلى الهيئة وحركات الأفلاك والكواكب»، و«الفرق بين

(١) تاريخ دمشق (المخطوط) ٩/ ٢٢٠ - ٢٢٢، التهذيب ٤/١٢٣، ١٢٤.

(٢) وجاء في خاتمة كتابين من مؤلّفاته إنه مات سنة ٢٥٥ هـ وهذا وهْم.

النفس والروح »، وأربعة كُتُب في الأخلاط الأربعة، و« المرايا المحرقة »، و« الأوزان والمكاييل »، و« كتـاب السيـاسـة » في ثلاث مقـالات، و« مـوت الفجأة » و« كتاب الأعداد » و« أيام البحران »، و« العلّة في اسوداد الحبش وغيرهم »، و« المروحة وأسباب الريـح »، و« القـرسطـون »، و« المدخـل إلى المنطق »، و« العمل بالكرة النجومية »، و« شرح مذاهب اليونانيين »، و« قوانين الأغـذيـة »، و« شكـوك كتـاب إقليـدس »، و« الحمام »، و« الفـردوس » في التاريخ، و« استخراج المسائل العددية »، و« نوادر اليونانيين وذِكر مذاهبهم »، وأجاب على « أبي عيسى بن المنجّم » عن رسالته في نُبُوَّة محمد صلى الله عليه وسلم، وله كتاب في « غَلَبَة الدم »، وفي « نسبة الأخلاط »، و« الفرق بين الحيوان الناطق والصامت »، و« السمومات ودفع مَضَارّها »، وله رسالة في « اختلاف الناس في سِيَرهم وأخلاقهم وشهواتهم واختياراتهم »، وكتاب في « أوجاع النِّقْرِس »، وكتاب في « الباه »، ورسالة ذات الكرسي الأُفُقيّ. وهي في ٦٥ باباً، ألّفها للوزير أبي الصقر إسماعيل بن بلبل[1]. منها نسخة خطّيّة في « مكتبة حميدية » بتركيا، برقم ٣/١٤٥٣ نُسخت سنة ٨٥٨ هـ. (الأوراق ٣١٠٣ - ١٢٣ أ)، ونسخة أخرى في مكتبة « أمانة خزينة سي » رقم ١٧٢٥، نُسخت سنة ١٠٧٦ هـ. (الأوراق ١٢٥ ب - ١٤١ أ)، ونسخة ثالثة في مكتبة « سليمية » برقم ١٤/٧١٤، نُسخت في القرن ١١ هـ. في ٢٧ ورقة. ونسخة رابعة في مكتبة « يوسف آغا » برقم ٢٩، نُسخت سنة ١١٧٠ هـ. في ٤٨ ورقة. وله كتاب « إيرن اليوناني » في « رفع الأشياء الثقيلة » مما نقله للأمير أبي العباس أحمد بن المعتصم بالله العباسي، مرتَّب على ثلاث مقالات، توجد منه نسخة خطّيّة في جامعة استنبول، القسم العربي، رقمها ٧٨، وقد نُسِخت في القرن ٧ هـ. في ٧٩ رقة، وتتضمّن رسومات وأشكالاً جيّدة. ويوجد من كتابه « الفرق بين النفس والروح » نسخة خطّيّة مكتوبة سنة

---

(١) تولّى الوزارة للمعتمد العباسي من سنة ٢٧٢ هـ. إلى وفاته سنة ٢٧٨ هـ/٨٩٢ م.

٣٤٩ هـ. وهي ضمن مجموعة برقم ٣٤٨٢ بمكتبة أحمد الثالث باستنبول[1].

* * *

مَشْغَرَة

وهي بلدة تقع شرقيّ صيدا، في البقاع السُّفليّ، تردّد ذِكرها خلال هذه الفترة في المصادر التاريخية، كمركزٍ عمراني وثقافيّ، فقد أخرجت أكثر من محدّثٍ نُسِبوا إليها، كان أشهرهم:

★ **أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلّاب، أبو الجهم المشغرانيّ:** وهو محدّث وخطيب وإمام جامع مشغرة.

تنقّل في طلب العلم، وسمع من شيوخ صيدا، وصور، وجُبيل، ودمشق، وغيرها، ومنهم: أحمد بـن أبي الحواري الذي طـوّف بـالمدن « اللبنـانيـة »، وهشام بن عمّار، واسماعيل بن حصن الجبيلي، ومحمد بن مُصْعَب الصوريّ، ومحمد بن جُمَيع الصيداويّ.

وروى عنه الكثيرون بعد أن جلس في جامع مشغرة، فقصده الحافظ الطبراني وأخذ عنه، وكذلك الحاكم النيسابوري، وقاضي بيروت عبد المؤمن بن المتوكل، ومحمد بن إبراهيم بن أسد الصوريّ، وابن حبّان صاحب المصنَّفات، والحسن بن علي الطيريّ من بلدة الطيرة في جنوب « لبنان »، وقاضي حمص محمد بن عبد الرحمن الرحبيّ، وغيرهم.

---

(١) أنظر عن (قسطا بن لوقا) في: طبقات الأطبّاء والحكماء لابن جلجل ٧٦ رقم٢٧، والفهرست لابن النديم ١/٣١٧، وإخبار العلماء للقفطي ١٧٣، ١٧٤، وعيون الأنباء لابن أبي أصيبعة ١/٢٤٤، ٢٤٥، وتاريخ مختصر الدول لابن العبري ١٤٩، وتاريخ الأدب العربي لبروكلمان ١/٢٠٤، وملحقه ١/٣٦٥، وهدية العارفين ١/٨٣٥، ٨٣٦، ومعجم المؤلّفين ٨/١٣١، ١٣٢، والمستدرك عليه ١/٥٥٧، ونوادر المخطوطات العربية للدكتور رمضان ششن ٢/٣١٣، ٣١٤ رقم ١١٦٩، وغيره.

وقد ساق « ياقوت » نَسبه بطوله فقال: « أبو الجهم أحمد بن الحسين بن أحمد بن طلاّب بن كثير بن حمّاد بـن الفضـل، مـولى عيسى بـن طلحـة بـن عُبيدالله، وقيل: مولى يحيى بن طلحة، أبو الجهم المشغراني، أصله من بيت لِهْيا، تعلّم بها ثم انتقل إلى مشغرة قرية على سفح جبل لبنان فصار بها إمامهم وخطيبهم... وكان ثقة، ومات بدمشق في ذي الحجّة سنة ٣١٧ سقط عن دابّته فمات لوقته، ودُفن بالباب الصغير »[١].

وقال الحافظ الذهبيّ إن وفاته كانت في سنة ٣١٩ هـ[٢]. وروى بواطيل عن: أحمد بن محمد البتلهي[٣].

ويجعله « الحاكم النيسابوريّ »[٤] قُرَشياً، وينسبه إلى دمشق، وقال: سكن مشغرا (هكذا) قرية من قرى دمشق[٥].

وهكذا نرى أنها ترد « مشغرة » و« مشغرى » و« مشغرا »، ويعتبرها بعضهم من قرى دمشق مثل بيت لِهيا، والطّيرة. وهي داخل حدود « لبنان » حالياً.

---

(١) معجم البلدان ٥/١٣٤.

(٢) العِبر في خبر من غبر ٢/١٧٥.

(٣) لسان الميزان لابن حجر ١/٢٩٥.

(٤) في الأسامي والكنى (المخطوط) ١/ورقة ١٠٩ ب.

(٥) أنظر عن (أبي الجهم) في: المؤتلف والمختلف للدارقطني (المخطوط) ورقة ٤٥ ب، والفرج بعد الشدّة للتنوخي ١/١٢٥ - ١٢٧، وتاريخ علماء الأندلس لابن الفرضي ١/١٢٤، وتاريخ بغداد ١/٣٧٥ و٣/٢٢٥ و٦/٣٢٣ و٧/٨٩ و٨/٤١٦، والإكمال ٤/٥٧٣، والأنساب ٨/٢٩١، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٥/٤٩١ و٢٠/١٧٣ و٢٤/٣١١ و٢٥/٤٨ و٣٦/٤٠٠ ومعجم البلدان ٢/١١٠ و٥/١٣٤، واللباب ٣/٢١٧، والمغني في الضعفاء ١/٥٨، والوافي بالوفيات ٦/٣٣٤، ولسان الميزان ١/٢٩٥، وتهذيب التهذيب ٦/٤٤٩ و٩/٥٠١ و١٠/٦١، والنجوم الزاهرة ٣/٣٣٢، وشذرات الذهب ٢/٢٨١، وموسوعة علماء المسلمين ١/٢٩٢ - ٢٩٤ رقم ١٠٨، والسنن الكبرى للبيهقي ٧/٢٨، وتاريخ الإسلام (حوادث ووفيات ٣١١ - ٣٢٠ هـ) - ص ١٧٢، والمشتبه في أسماء الرجال ٢/٤١٨.

★ **بكر بن أحمد بن حفص، أبو محمد المشغرانيّ التنّيسيّ**: محدّث وُلد في مشغرة، وتنقّل لطلب العلم، فكتب الحديث وسمعه بدمشق من أبي زُرعة الدمشقيّ صاحب تاريخ دمشق، وأحمد بن محمد بن عيسى البغدادي صاحب تاريخ حمص، والحسن بن أحمد بن بلال العامليّ المتوفى سنة ٢٧٥ هـ.

روى عنه جماعة، منهم: يُمْن بن عبدالله الذي حدّث بصور.

قال مؤرّخ مصر ابن يونس: قدِم تِنّيس مع أبيه وكتب الحديث بالشام وبمصر، وكان يَقدم إلى فسطاط مصر أحياناً ويكتب أهل الحديث عنه. وكان ثقة حسَن الحديث.

تُوُفّي في شهر ربيع الأول سنة ٣٣١ هـ[١].

★ ★ ★

وممّن درس في مشغرة ونقل عن شيوخها وشيوخ غيرها من مدن « لبنان » إلى الأندلس:

★ **محمد بن العباس بن يحيي، أبو الحسين**: مولى أمير المؤمنين هشام بن عبد الملك ودهقانه، من أهل حلب، وقد نزل بيروت فسمع بها مكحولاً البيروتيّ، وتحوّل إلى مشغرة فلقي بها أبا الجهم بن طلاب المشغرانيّ وأخذ عنه، ثم انتقل إلى صور فسمع بها الأديب محمود بن الرافقي، وروى عن جماعة من الحلبيّين والشاميّين والمصريّين.

قال ابن الفَرَضيّ: « قدِم الأندلس على أمير المسلمين المستنصر بالله فكان يُجْري عليه النُزُل مع الأضياف. وكان عنده إسناد الشام. وروى قطعة من الأخبار عن أحمد بن سعيد الإخميمي القُرَشيّ. وروى شعر الصنوبريّ عنه. كتب عنه محمد بن الحسن الزبيدي، وحدّثنا عنه وهو دلّنا عليه. كتبت عنه

---

(١) الإكمال لابن ماكولا ٧/٣٦٥، تاريخ دمشق (المخطوط) ٩/٣٦٩، تهذيبه ٣/٢٨٦، موسوعة علماء المسلمين ٢/٢٤ رقم ٣٤٦.

جزءاً من حديثه وأخباره. وكان قد كُفَّ بَصَرُهُ. وكان أديباً حسن الأخلاق. سمع منه غير واحدٍ من أصحابنا وممّن كتبنا عنه. وتوفي - رحمه الله - سنة ٣٧٦ ودُفن في مقبرة أمّ سَلِمَة، وصلّى عليه أبو محمد بن الشامة»[١].

وإذا كان هذا المحدّث قد تأخّرت وفاته إلى ما بعد سقوط الدولة الإخشيدية، وهو الحدّ التأريخيّ الذي وضعنا هذا الكتاب عنده، فإنّ نزوله مشغرة وغيرها من المدن «اللبنانية» كان قبل ذلك بكثير، وهذا يُعطينا تأكيداً على دور مشغرَة الثقافي في هذه المرحلة.

★ ★ ★

وفي الشمال من مشغرة تقوم قريتان هما:

القرعون وبعلول: يُنسَب إليهما محدّث هو:

★ **عبد الحميد بن حمّاد بن عبدالله، أبو الوليد:** وقد وقع في مخطوطة «تاريخ دمشق» لابن عساكر، نسبته «القرني التعليلي»، ونرجّح أنّ النّسبتين محرّفتين عن «القرعوني البعلولي»، وهو حدّث بـ«بعلول»[٢] عن قاضي بعلبك سُوَيد بن عبد العزيز.

روى عنه: إبراهيم بن دُحيم، وابن جَوْصا، وصاعد بن عبد الرحمن الحدّاد، وابن المسيّب الأرغياني.

أخرج ابن عساكر حديثاً من طريقه[٣].

★ ★ ★

(١) تاريخ علماء الأندلس ١١٥/٢، موسوعة علماء المسلمين ٢١٧/٤، ٢١٨ رقم ١٤٥٧.

(٢) في تاريخ دمشق (المخطوط): «تعليل».

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ١٩٠/٢٢، موسوعة علماء المسلمين ٤١/٣، ٤٢ رقم ٧٤٤.

وفي الشرق من مشغرة تقع قرية:

بيت لِهيا: وهي تُعتبر في ذلك الوقت من قرى غوطة دمشق، (أنظر خارطة مواقع المدن في آخر هذا الكتاب) وكانت تشهد حركة علمية نشطة، حيث خرج منها جماعة من أهل العلم، كان أشهرهم:

★ **يحيى بن حمزة بن واقد، أبو عبد الرحمن البَتْلَهيّ الدمشقيّ:** من حضارمة اليمن، روى عن الإمام الأوزاعيّ، وسعيد بن عبد العزيز البيروتي، وعبد الرحمن بن يزيد البيروتي، وسليمان بن أبي كريمة الصيداويّ، كما روى عن أبيه حمزة، وسفيان الثوري، وغيرهم.

روى عنه ابنه محمد، ومحمد بن بكار العامليّ، ومحمد بن المبارك الصوريّ، وحفيده محمد بن حمزة الحضرمي، وهشام بن عمّار، والوليد بن مسلم وهو من أقرانه، ولقيه محمد بن شعيب البيروتي وهو أصغر منه، وغيره كثير.

وقد أقام بدمشق وكان له مجلس علم يحضره الجمع الغفير، واشتهر هناك، حتى إذا زار «المنصور» دمشق سنة ١٥٣ هـ. استعمله على قضائها، وقال له: يا شاب إني أرى أهل بلدك قد أجمعوا عليك، فإيّاك والهديّة، فلم يزل قاضياً حتى مات سنة ١٨٣ هـ. أي أنه استمرّ قاضياً بدمشق ثلاثين عاماً.

وكان مولده سنة ١٠٣ هـ. وقد أجمعوا على توثيقه وصدقه[١].

وممّن يُنسَب إلى «بيت لِهيا»:

(١) أنظر عن (يحيى بن حمزة) في: التاريخ لابن معين ٦٤١/٢، ٦٤٢، وطبقات ابن سعد ٤٦٩/٧، والعلل ومعرفة الرجال برواية المرّوذي ٢٥٧ رقم ٥٢٥، وضعفاء العقيلي ٣٩٧/٤ رقم ٢٠١٨، والتاريخ الصغير للبخاري ١٩٨، والتاريخ الكبير، له ٢٦٨/٨، والمعرفة والتاريخ للفسوي ١٧٤/١، والجرح والتعديل ١٣٦/٩، ورجال صحيح البخاري للكلاباذي ٢/رقم ١٣١٨، والجمع بين رجال الصحيحين ٥٥٨/٢، وتاريخ دمشق (المخطوط) ١١٤/٤٦، وتهذيب الكمال للمزّي (المصور) ١٤٩٣/٣، وسير أعلام النبلاء ٣١٤/٧، ٣١٥ رقم ٩٩، وتاريخ الإسلام للذهبي (بتحقيقنا) (١٨١ - =

★ **إسماعيل بن أبان بن محمد**: توفي سنة ٢٦٥ هـ[1]. روى عنه أبو الجهم المشغريّ، والعباس بن الوليد البيروتي. ومات ببيت لهيا.

★ **عمرو بن مسلمة بن الغمر، أبو بكر**: توفي سنة ٣٢٥ هـ[2].

★ **محمد بن خالد بن العباس، أبو عبدالله**: يروي عن محمد بن شعيب البيروتي، وهو ثقة مأمون[3].

★ **محمد بن بكار بن يزيد بن بكار**: ذكره «ابن الأثير»[4] مجرّداً.

★ **محمد بن يحي، أبو الفضل**: ذكره «المزّي» ولم يُفرد له ترجمة[5].

★ **يحي بن محمد بن عبد الحميد**: ذكره «المزّي» ولم يُفرد له ترجمة[6].

وجميع هؤلاء حملوا نسبتين هما:

١ ـ «**السكسكيّ**» وهي النسبة إلى القبيلة.

٢ ـ «**البتلهي**» وهي النسبة إلى البلدة.

وهذا يقودنا إلى القول بأنّ السّكاسك استوطنوا بيت لهيا في الجنوب الشرقيّ من البقاع، ويظهر أنّ جماعة منهم نزلوا الساحل عند حصن الصرفند بين صيدا وصور وأسّسوا قرية «السّكسكيّة»، مثلما نزل «الأنصار» في الصرفند، كما تقدّم، ولعلَّ قرية «أنصارية» القريبة من هناك تنتسب إليهم.

= ١٩٠ هـ) ص٤٤٦ ـ ٤٤٨ رقم ٤٠٤.

(١) تهذيب الكمال ٣/١٤٩٣، معجم البلدان ١/٥٢٢.

(٢) المصدر نفسه، معجم البلدان ١/٥٢٢.

(٣) تاريخ دمشق (المخطوط) ٣٧/٤٣٢، موسوعة علماء المسلمين ٤/١٧٣، ١٧٤ رقم ١٣٩٨.

(٤) في اللباب ١/١١٩.

(٥) تهذيب الكمال (المصور) ٣/١٤٩٣، معجم البلدان ١/٥٢٢.

(٦) تهذيب الكمال ٣/١٤٩٣، معجم البلدان ١/٥٢٢.

وتقع شرقيّ صور جنوب «لبنان»، وكانت «قَدَس» تُعتبر مركز معاملته في تلك الفترة، ويجعلها المقدسيّ حول منتصف القرن الرابع الهجريّ مدينة من مدن الأردن، مثل صور، وعكا ويقول إنها مدينة صغيرة على سفح جبل كثير الخير، رستاقها جبل عاملة، وهو رستاق جليل. وجبل عاملة ذو قرى نفيسة، وأعناب، وأثمار، وزيتون، وعيون المطر يسقي زروعهم، يطلّ على البحر، ويتّصل بجبل لبنان.

ثم يذكر المقدسيّ «جبل صدّيقا» ويقول إنه بين صور وقَدَس وبانياس وصيدا، ثم قبر صدّيقا، عنده مسجد، له موسم يوم النصف من شعبان، يجتمع إليه خلق كثير من هذه المدن ويحضره خليفة السلطان.

وأقول: من المرجّح عندي أنّ قرية «صدّيقين» الواقعة بين قَدَس وصور هي التي يقصدها المقدسيّ ويسمّي جبلها صدّيقا، وبها قبر صدّيقا، ومسجد، دخله وخطب بأهل القرية وحثّهم على عمارة المسجد، فاستجابوا لخطبته وبَنَوا به منبراً[1].

وكما أخرج جبل عامل عدّة أعلام في العهد الأمويّ، فقد أخرج في العصر العبّاسيّ أيضاً عدّة أعلام، نذكر أشهرهم:

★ **بكار بن بلال العامليّ**: مولى ثقيف، وهو مخضرم، وُلد في العهد الأموي سنة ١٠٠ هـ. وبقي ٨٣ سنة حيث توفي سنة ١٨٣ هـ. وكان كاتباً. ولي للعبّاسيين صناعة المراكب، ويقال إنه وليها بمصر شركة الليث بن سعد. وروى عنه ابناه: محمد، وجامع[2].

(١) أحسن التقاسيم.

(٢) تهذيب تاريخ دمشق ٣/٢٨٠، موسوعة علماء المسلمين ٢/٢٣ رقم ٣٤٥.

★ **محمد بن بكار بن بلال، أبو عبدالله العامليّ:** وهو ابن الذي قبله. روى عن أبيه، وسعيد بن عبد العزيز البيروتي، والليث بن سعد، ويحيى بن حمزة البتلهيّ، وغيرهم.

روى عنه ابناه: هرون، والحسن. وحفيده ابن ابنه الحسن بن أحمد بن محمد بن بكار، وابن أبي الحواري، وأبو زُرعة الدمشقي المؤرّخ، وأبو حاتم الرازي، وأحمد بن عبد الواحد الصوريّ، وغيرهم.

كتب عنه أبو حاتم بمكة سنة ٢١٥ هـ. وقال: هو صدوق.

وقد تولّى قضاء دمشق بعد يحيى بن حمزة البتلهيّ. وكانت ولادته في سنة ١٤٢ هـ. وتوفّي في أول سنة ٢١٦ وهو منصرف من الحج، وقد شهد أبو زرعة جنازته[1].

★ **الحسن بن محمد بن بكار بن بلال العامليّ:** وهو ابن الذي قبله. وقد يُنسب إلى جدّه الأعلى فيقال: «الحسن بن بلال»، وهو أخو «أحمد» وعمّ «الحسن بن أحمد بن محمد».

ذكره ابن عساكر، وقال: صنّف تاريخاً في معرفة الرجال، وأنكره تمام الرازي فقال: لا أعرف لمحمد بن بكار ابناً يقال له الحسن. قال ابن عساكر: وقول تمام هذا ليس بصحيح فإنه ثبت أن له ولداً اسمه الحسن، ولو تأمّل تمام حقّ التأمّل لَعَلِم ذلك.

روى عن أبيه محمد، وعن عمّه جامع بن بكار، ومحمد بن شعيب البيروتي، وهشام بن عمّار، وابن أبي الحواري، وغيرهم.

روى عنه جماعة. وتوفي في أواخر القرن الثالث الهجري[2].

---

(١) المعجم الصغير للطبراني ٢٣٢/١ و٩٢/٢، وتاريخ دمشق (المخطوط) ٢١٣/٣٧ - ٢١٦، وميزان الاعتدال ٥٧٣/٣، وموسوعة علماء المسلمين ١٣٠/٤، ١٣١ رقم ١٣٤٢.

(٢) تاريخ دمشق (المخطوط) ٢٦٠/١٠، وتهذيبه ١٥٥/٤، ١٥٦، وموسوعة علماء المسلمين =

★ **هرون بن محمد بن بكار بن بلال العامليّ:** وهو أخو الذي قبله. روى عن: بشير بن النعمان الأنصاري من ولد النُعمان بن بشير، وعن عمّه جامع بن بكار بن بلال، وغيره.

روى عنه: الإمام النسائي، وأبو داود، وأبو حاتم الرازي.

قال أبو حاتم: صدوق. وقال النسائي: لا بأس به. وهو من أهل القرن الثالث الهجريّ[1].

★ **محمد بن هرون بن محمد بن بكار بن بلال العامليّ:** وهو ابن الذي قبله. روى عن أبيه، عن جدّه، وعن عبد الحميد بن بكار البيروتي، وغيره.

روى عنه الحافظ الطبراني في رحلته إلى «لبنان»، وذكره في معجمه الكبير[2]. ونعرف من أبناء هذه الأسرة أيضاً:

★ **أحمد بن محمد بن بكار بن بلال العامليّ[3].**

★ **الحسن بن أحمد بن محمد بن بكار بن بلال العامليّ[3].**

★ **محمد بن محمد بن بن بكار بن بلال العامليّ[3].**

★ **مروان بن محمد بن بكار بن بلال العامليّ.**

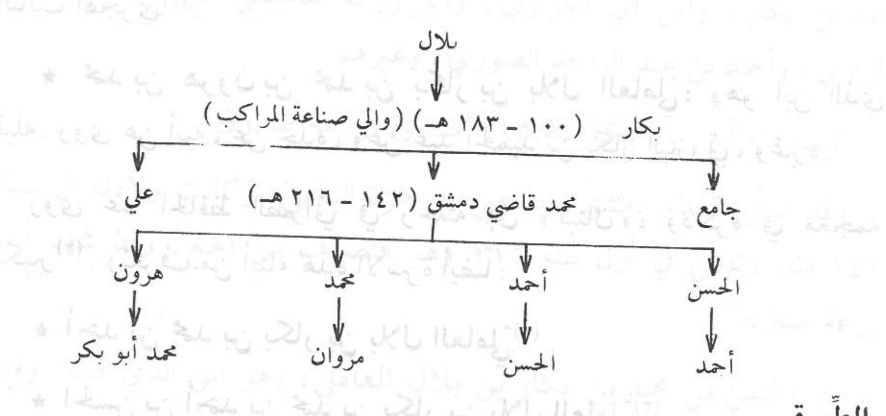
= ١٢٥/٢ رقم ٤٥١.

(١) تهذيب الكمال (المصوّر) ١٤٣٠/٣، وتاريخ دمشق (المخطوط) في مواضع كثيرة، أنظر: موسوعة علماء المسلمين ١٤٠/٥، ١٤١ رقم ١٧٦٠.

(٢) المعجم الكبير للطبراني ١١١/٧، ١١٢ و٢٥٨، وتاريخ دمشق في مواضع كثيرة، انظر: الموسوعة ٣٢/٥ - ٣٤ رقم ١٦٣٢.

(٣) تهذيب الكمال (المصوّر) ١١٧٨/٣.

شجرة نسب
العامليّين



الطِّيرة

وهي قرية في السفح الجنوبيّ لجبل عاملة، يُنسَب إليها:

★ **الحسن بن علي بن سَلَمة الطِّيريّ:** ذكره الأمير ابن ماكولا، وابن السمعاني، وياقوت الحمويّ، وابن الأثير، والذهبيّ، وكلّهم قالوا إنّ الطِّيرة ضيعة من ضياع دمشق. وهذا يُعطي إقليم دمشق امتداداً واسعاً نحو الجنوب الغربيّ.

وقد روى الطِّيريّ عن أبي الجهم أحمد بن طلّاب المشغرانيّ. روى عنه: محمد بن حمزة التميميّ الدمشقيّ[1].

★ ★ ★

(١) الإكمال لابن ماكولا ٢٥٣/٥، والأنساب لابن السمعاني ٢٩١/٨، ومعجم البلدان لياقوت ٥٤/٤، واللباب لابن الأثير ٢٩٥/٢، والمشتبه في أسماء الرجال للذهبي ٤١٨/٢.

عين الجرّ (عنجر)

وهي في البقاع الأوسط، وفي منتصف الطريق بين بعلبك ومشغرة تقريباً، وهي نقطة أساسية في طرق البريد والمواصلات التي يسمّيها «البشاريّ»: طَريق المدارج، ومن هذه التسمية سُمّيت قرية «المديرج» القريبة من «عين الجرّ» على الأرجح.

وقد ظلّ حضور «عين الجرّ» واضحاً في هذه الفترة، وخصوصاً كموقع استراتيجيّ يتحكّم في عُقدة الطرق بين بعلبك والبقاع الشمالي من جهة، وقرى وبلدات وادي التّيم في البقاع السفلي من جهة أخرى، كما تتحكّم من ناحية أخرى بالطريق الرئيسة بين دمشق وبيروت. وهي المنتجَع المفضّل لدى الخلفاء الأمويين منذ عهد الوليد بن عبد الملك، وظلت مركزاً مهمّاً في العصر العباسيّ، بحيث أنّ «عبدالله بن علي العباسيّ» احتاج للمكوث يومين فيها قبل أن يتوجّه إلى دمشق لضمان ولاء أهلها وأخذ البيعة منهم للعهد العباسيّ.

ويغلب على ظنّنا أنّ «المأمون» زارها عندما خرج برحلة إلى جبل الشيخ (جبل الثلج) سنة ٢١٧ هـ/ ٨٣٠ م. وشاهد برْكتها.

وفي سنة ٣٣٣ هـ/ ٩٤٤ م. نزلها «سيف الدولة الحمداني» بجيشه وأقام معسكره عندها وهو في طريقه لحصار دمشق، ومنها بعث كتابه إلى أهل دمشق مع عامله «وشّاح بن تمام» ليقدّموا الطاعة له.

وقد تردّد ذكرها عند كلّ من: «ابن خرداذبه» و«المقدسيّ البشاريّ». والملاحظ أنّ كتب الرجال والطبقات والتّراجم لم تَنْسب إليها ولو محدّثاً أو عالماً واحداً، مما يجعلنا نجنح إلى أنها كانت مركزاً سياسياً أو تجارياً وإدارياً، وليس مركزاً علمياً.

★ ★ ★

جبل لبنان

هو سلسلة الجبال الغربية الممتدّة بخطٍّ مُوازٍ لسواحل طرابلس وجبيل وجونية وبيروت وصيدا، من الشمال إلى الجنوب. وقد تميّزت هذه السلسلة الجبلية بثلاث مميّزات نستنتجها من خلال استقرائنا للتاريخ في تلك الفترة، وهي:

١ ـ القسم الشمالي من السلسلة، من نواحي الهرمل حتى مرتفعات الأرز، وهو شبه خالٍ تماماً من السكّان، بسبب مناخه الطبيعيّ الشديد البرودة لتراكم الثلوج في أغلب أوقات السنة، وإنّ عدم ورود أيّ ذِكر لهذه المناطق في أيّ مصدر تاريخيّ قديم يؤكّد على خُلُوّ هذه المنطقة الجبلية الواسعة الواقعة بين بعلبك وطرابلس من السكان.

٢ ـ القسم الأوسط من السلسلة، هو موطن تجمُّع الموارنة الذين بدأ قدومهم منذ عهد معاوية، ونما حضورهم السكاني والعسكري بشكلٍ مطّرد نتيجة سياسة التسامح الدينيّ التي انتهجها الأمويّون. ولهذا قابل الموارنة قيام العهد العباسيّ الجديد بحذر في أول الأمر، ثم بعداء بعد قليل، وتمثّل ذلك في حركة المنيطرة في سنة ١٤٢ هـ/٧٥٩ أو ٧٦٠ م. التي أظهروا فيها تنظيماً عسكرياً ينمّ عن التحضير لقيام دُويلة مارونية لولا الهزيمة العسكرية التي لحقت بهم بعد أن تمكّن العباسيون من دخول حصن المنيطرة في قلب الجبل.

ولقد شغلت الكثافة السكانية للموارنة بال القادة العباسيّين، ولهذا قام «صالح بن عليّ» والي الشام بإصدار أوامره لإخراج من بقي من نصارى الجبل من قراهم وتفريقهم على قرى وبلاد الشام.

ولما كان هذا القرار السياسي أو العسكري قد واجه موقفاً شرعيّاً وفقهيّاً معارضاً ومؤثّراً من قِبَل فقيه الشام وإمامه «الأوزاعيّ» فإنّ السياسة العباسية لجأت إلى تطويق نصارى الجبل بنقل التنوخيين إلى الجبال المشرفة على بيروت، وتشجيع هجرة القبائل العربية إلى البقاع، وقد مكّنت هذه السياسة من حصر

الموارنة في المنطقة الوسطى من الجبل التي يمكن تحديدها بشكل تقريبي ما بين نواحي المنيطرة شمالاً حتى مشارف الطريق الرئيسة بين بيروت ودمشق، جنوباً.

٣ ـ القسم الجنوبي من السلسلة، وهو الذي شهد قيام الإمارة التنوخية الأرسلانية، وهو يتاخم في الجهات العليا الخطوط السفلى للقطاع المارونيّ، وفي الجهات السفلى امتدّ إلى مشارف وادي التَّيم تقريباً.

أمّا الطريق الساحلية، وخاصّة بين بيروت وطرابلس فقد كانت تتعرّض من حين لآخر إلى غارات وهجمات وقطْعٍ للطريق من قِبَل نصارى الجبل ـ وما أشبه الأمس البعيد بالبارحة!

ويُعتبر «المسعوديّ» المؤرّخ العربيّ المسلم الوحيد الذي نصّ صراحة على ذكر الموارنة ووجودهم بجبل لبنان وغيره في النصف الأول من القرن الرابع الهجري/العاشر الميلاديّ، حيث يقول إنّ المارونية من النصارى يُنسبون إلى مارون من أهل مدينة حماه، «وأمرهم مشهور بالشام وغيرها، أكثرهم بجبل لبنان وسنير وحمص وأعمالها كحماة وشيزر ومَعَرّة النعمان»[1].

على أنّ هذه الصّورة التي رسمناها عن العلاقات بين نصارى الجبل والمسلمين لم تكن قاتمة من كل الجوانب، ففترات الصراع والاحتكاك العسكريّ لم تكن متواصلةً بشكل دائم، بل إنّ هناك كثيراً من حالات السِّلْم والاسترخاء والرخاء كانت تشمل الجبل ونواحيه، وليس أدلّ على ذلك من الظاهرة المُلْفتة لحركة الزّهّاد والعُبّاد، وسياحاتهم وتصعّدهم في الجبال، واللقاءات التي كانت تجري بين الزُّهّاد المسلمين، والنُّسّاك النصارى من الرجال والنساء على السّواء، بحيث كانت جبال «لبنان» موطناً للزُّهّاد والعُبّاد من المسلمين والنصارى، فِعْلاً لا قولاً، وهذا ما فصّلناه في استعراضنا لحركة الزُّهّاد فيما تقدّم.

---

(١) التنبيه والإشراف ١٣١.

وجبل « لبنان » غنيّ عن الوصف، فقد أبدع المؤرّخون والجغرافيّون والرحّالة في الكتابة عنه، ولكنّ ما يستوقفنا هو وجود معادن الحديد في الجبال المطلّة على بيروت (صِنّين وغيره)، وهذا ما أكّده الرحّالة « المقدسيّ البشاريّ ». و« انخساف قطعة عظيمة من جبل لبنان وسقوطها في البحر » سنة ٣٠٠ هـ/٩١٢ م[١]. وقد ورد الخبر هكذا في المصادر التاريخية دون الإشارة إلى ما نتج عن هذا الانخساف من ضحايا أو خسائر.

وقد أسهم « جبل لبنان » بدوره في إثراء الحركة العلمية في العصر العباسيّ، فأخرج:

★ **توفيل بن توما الرُّهاويّ**: المنجّم الفلكيّ المترجم المؤرّخ. قال « ابن العبريّ »: « وكان توفيل هذا على مذهب الموارنة الذين في جبل لبنان من مذاهب النصارى ».

وقد برع في التنجيم حتى صار رئيساً للمنجّمين عند « المهديّ » العباسيّ، وأقام ببغداد، وقال « القفطي » إنه كان خبيراً بحوادث النجوم وله في أحكام النجوم اصابات عجيبة، وقد ناهز تسعين سنة من عمره.

له كتاب في « التاريخ » نقل عنه « المنبجي » من مؤرّخي القرن الرابع الهجري/العاشر الميلادي، حين وضع تاريخه المعروف بكتاب « العنوان »، وهو تاريخ حسن كما يصفه « ابن العبريّ »، كما نقل « إلياذة هوميروس » من اليونانية إلى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة.

وكانت وفاته في أواخر سنة ١٦٨ هـ/٧٨٤ م. قبل وفاة « المهديّ » بعشرين يوماً[٢] وحكى عنه « ابن العبريّ » ما يدلّ على إصابته في التنجيم فقال:

(١) الخبر في: المنتظم لابن الجوزي ١١٥/٦، واقتبسه النويري في نهاية الأرب ٣٨/٢٣، وابن كثير في: البداية والنهاية ١١٨/١١، وابن تغري بردي في: النجوم الزاهرة ١٨٠/٣.

(٢) كانت وفاة المهديّ في الثامن من شهر المحرّم ١٦٩ هـ.

« حُكي أنه لما همّ المهديّ بالخروج إلى ما سَبَذان[١]، تقدّم إلى (حَسَنَة) حظيّته أن تخرج معه. فأرسلت الى توفيل بن توما االنصرانيّ المنجّم الرهاويّ، وهو رئيس منجّمي المهديّ قائلة له: إنك أشرت على أمير المؤمنين بهذا السّفر، فجشّمْتنا سفراً لم يكن في الحساب. فعجّل الله موتك وأراحنا منك.

فلمّا بلغته رسالتها قال للجارية التي أتته بها: إرجعي إليها وقولي لها: إنّ هذه الإشارة ليست منّي. وأما دعاؤك عليّ بتعجيل الموت، فهذا شيء قد قضى الله به، وموتي سريع، فلا تتوهّمي أن دعوتك استجيبت. ولكنْ أعِدّي لنفسِك تُراباً كثيراً، فإذا أنا متُّ فاجعليه على رأسك.

فما زالت متوقّعة تأويل قوله منذ تُوفّي حتى تُوفّي المهديّ بعد عشرين يوماً[٢].

★ ★ ★

جبال الشوف

وهي إقليم بلاد الغرب المشرفة على بيروت، كما وردت تسميتها في وثائق الأرسلانيّين التنوخيّين، وقد أقاموا فيها إمارة ذاتيّة بتشجيع وإقطاع من الخلفاء العبّاسيّين، وكان على الأمراء أن يقفوا في وجه تمدّد نصارى الجبل « ومنعهم » من الوصول إلى الطرق الساحلية لتأمين حركة التنقّل بين طرابلس وبيروت، والتخفيف من اتصالات نصارى الجبل بالإمبراطورية البيزنطية عن طريق البحر. هذا من جهة.

(١) ماسَبَذان: بفتح السين والباء الموحّدة، والذال معجمة، وهي ماه سَبَذَان، بالقُرب من حُلوان بفارس.

(٢) تاريخ مختصر الدول ١٢٧، المنتخب من تاريخ المنبجي (بتحقيقنا) - ص٧، إخبار العلماء للقفطي ٧٧، وانظر حول وفاة المهديّ ودور محظيّته حسنة حكاية طريفة في: تاريخ الطبري ١٦٩/٨.

أمّا من جهة أخرى، فقد حافظ التنوخيّون على مكاسبهم في الإمارة، والإبقاء على حكمهم الذاتيّ، ولهذا لم يجدوا غضاضةً في التقرّب من العباسيّين تارة، والتحالف مع خصومهم تارة أخرى طالما كان هذا التحالف يصبّ في مصلحة الحفاظ على الحكم الذاتيّ، ولهذا يمكن القول إنهم كانوا يميلون حيث تميل الكفّة الراجحة، فهم دائماً مع الأقوى، وهذه سياسة ثابتة اختطّها التنوخيّون لأنفسهم ونفّذوها ببراعة فائقة في تلك الفترة وفي العهود اللاحقة، حتى في عهد المماليك، كما سنرى في دراسات لاحقة.

وقد بقي التنوخيّون على سُنّيتهم خلال هذه الفترة ولفترة لاحقة من العهد الفاطميّ، ولكنّ أطراف إمارتهم في الجنوب الشرقيّ تأثّرت بعض الشيء بالحركة القرمطيّة التي انتشرت في وادي التّيْم.

وكان لبعض أمراء الغرب التنوخيّين اهتمامٌ علميّ وأدبيّ، منهم:

★ **النُّعمان بن عامر بن هاني، أمير الدولة:** وهو أمير الأمراء في الغرب وبيروت. كان ينظم الشعر ويكتب جيّداً، متمكّناً في النحْو والحديث والفقه، أعلم أهل زمانه بفقه الأوزاعيّ، والإمام مالك. وقد طلب العلم في بغداد على «الجاحظ» و«المبرّد» وغيرهما من الأئمة اللغويّين الأدباء. وله من التآليف: «تيسير المسالك إلى مذهب مالك»، و«الأقوال الصحيحة» في أصول مذهب الأوزاعيّ، وله ديوان شعر جامع. وكان ممدّحاً من الشعراء. ورد ذكره في ثلاثة اثباتات مكتوبة، منها اثبات محرَّر في سنة ٣٠٣ هـ/ ٩١٥ م[١].

وابنه **المنذر بن النعمان بن عامر، الأمير سيف الدولة** وكان محدّثاً نحْوياً فلكياً، عمّر جامعاً متقناً في حارة العمروسيّة في الشُّويفات سنة ٣٥٠ هـ[٢].

★ ★ ★

(١) روض الشقيق لشكيب أرسلان، أخبار الأعيان للشدياق ٢/ ٥٠٠، ذخائر لبنان لإبراهيم الأسود ١٧١، العرب والعروبة لمحمد عزّة دروزة ١/ ١٧٥، موسوعة علماء المسلمين ٥/ ١٣٤، ١٣٥ رقم ١٧٥٢.

(٢) أخبار الأعيان ٢/ ٥٠٠، ٥٠١، الموسوعة ٥/ ٩٦ رقم ١٧٠٧ رقم ١٧٥٢.

تُعتبر هذه الحقبة التي نؤرّخ لها في هذا الكتاب من أغنى الحقَب التي شهدت فيها المدن والقرى «اللبنانية» حركة علمية وثقافية مزدهرة - بمفهوم ذلك العصر -، فإلى جانب ما أخرجته مدنه وقُرِاه من الأئمّة والعلماء والحُفّاظ والرُّواة والمؤلّفين والأدباء، والفقهاء، والأطباء، والمنجّمين، والمؤرّخين، وغيرهم، فقد استقبلت الكثير من مشاهير الأعلام الذين طوّفوا بين ثغوره الساحلية، وقراه وبلداته الجبلية، ليأخذوا على الشيوخ «اللبنانيين» علومهم ومَرْويّاتهم، ويُثبتوها في مؤلّفاتهم. وهذه الظاهرة الفكرية قلّما وجدت العناية والاهتمام من المؤرّخين المحدثين الذين كتبوا في «تاريخ لبنان» وهي حقيقة حضاريّة مهمّة تجدر دراستها بعناية واهتمام، مثلما يحظى التاريخ السياسيّ بالاهتمام. فمن خلال دراسة الحركة العلمية والفكرية في «لبنان» خلال هذه المرحلة من تاريخه، يتبيّن أنّ العالم الاسلاميّ - آنذاك - كان وحدةً واحدة في التّوجّه الفكري والعلوم الإنسانية، وأنّ المحدّث في بُخارى، كان يردّد ما يرويه المحدّث في بيروت أو عرقة أو مشغرة، وما يلقّنه أو يُمليه المحدّث في قُرطبة بالأندلس. بمعنى أنّ روح الثقافة عربية إسلامية واحدة، لم يكن «لبنان» ينفصل عنها أو يتميّز عنها بشكل من الأشكال، بل هو جزء فعّال ومؤثّر في هذا المجال، وهذا ما توضّحه بكل جلاء حركة العلماء الأعلام منه وإليه.

فالطبريّ قرأ في بيروت، والمتنبّي أنشد في طرابلس وبعلبك، والبلاذُريّ أرّخ حركة الفتوح برواية الإخباريّين «اللبنانيّين». والمسعوديّ أبحر بساحل طرابلس، وأئمّة الحديث مثل «النسائي» و«أبي داود» و«ابن ماجة» و«الدارمي» و«ابن خزيمة» و«أبي عوانة الإسفرائيني» و«الطيالسيّ» وغيرهم رَوَوا عن شيوخ من «لبنان»، وأئمّة علماء الرجال والجرح والتعديل، مثل «ابن مَعين» و«الجوزجاني» و«ابن عديّ» و«أبي حاتم الرازي» و«ابن أبي حاتم»، و«أبي زُرعة الرازي» وغيرهم سمعوا وكتبوا عن الشيوخ في المدن

والقرى «اللبنانية»، والإمام مالك بن أنس، وسفيان الثوري، وعبدالله بن المبارك والمؤرّخ الواقديّ أخذوا عن الأوزاعيّ، وأبو نُعَيم الأصبهانيّ صاحب المؤلّفات أخذ الإجازة من خيثمة الأطرابلسيّ، وهناك الكثير غيرهم وغيرهم ممّن طوّف بالمدن والقرى «اللبنانية» وحضر مجالس علمائها، ومنهم الرَّحَلَة الأوائل كاليعقوبي، والأصطخري، وابن خرداذبه، وابن حوقل، والمقدسيّ البشاريّ.

وكمثالٍ على رحلات الطلبة الأعلام وطوافهم على مجالس أهل العلم في «لبنان» نذكر رحلة:

★ **الطبراني، سليمان بن أحمد اللّخميّ** أحد الأئمّة المعروفين، والحُفّاظ المُكْثرين، ومُسْنَد عصره، صاحب المؤلفات الضخام، كالمعجم الكبير (٢٥ مجلّداً)، والمعجم الأوسط، والمعجم الصغير، ومُسْنَد الشاميّين، والدعاء، وغيره.

وُلد في طبريّة بفلسطين سنة ٢٦٠ هـ. وكان أول سماعه بها في سنة ٢٧٣ ثم بدأ رحلته لطلب العلم ببيت المقدس في سنة ٢٧٤ ولم يكن تجاوز الرابعة عشر من عمره، ثم اتّجه نحو الساحل فنزل قيساريّة في السنة التالية ٢٧٥ ومنها اتّجه شمالاً إلى ساحل «لبنان»، فدخل: صور، وصيدا، وبيروت، وجونية، وجبيل، وعرقة، وبعلبك، وجبل لبنان، ومشغرة.

فمن شيوخه في صور: أيوب بن محمد أبو الميمون الصوريّ، والحسن بن جرير الصوري الزنبقي، ومحمد بن أحمد بن راشد الصوري، ومحمد بن عبدوس الصوريّ، ومحمد بن ابراهيم النحوي الصوري، ونُعَيم بن محمد الصوريّ.

ومن شيوخه من أهل صيدا: محمد بن المعافى بن أبي كريمة الصيداوي.

ومن شيوخه البيروتيّين: أحمد بن بشر بن حبيب البيروتي، ومحمد بن عبدالله مكحول البيروتي، وعبدالله بن العباس بن الوليد البيروتي، ومحمد بن أحمد بن

لبيد إمام جامع بيروت.

ومن شيوخه في جونية: أحمد بن محمد بن عُبيد السُلمي الجوني، الذي حدّثه عن: اسماعيل بن حصن الجبيلي، عن محمد بن شعيب البيروتي.

ومن شيوخه من أهل بعلبك: أحمد بن محمد بن هاشم البعلبكي، ومحمد بن زكريا البعلبكي، وعلي بن محمد بن حفص الفارسي البعلبكي.

ومن شيوخه في جبل لبنان: عبدالله بن جعفر الطبري الحافظ.

ومن شيوخه من أهل مشغرة: أبو الجهم أحمد بن طلّاب المشغراني.

ومن شيوخه من أهل جبل عامل: محمد بن هارون العامليّ.

وقد استغرقت رحلته نحو ثلاثين عاماً تنقّل فيها بين أكثر من خمسين مدينة، وأقام بإصفهان محدّثاً ستين عاماً، وبلغ شيوخه الذين أخذ عنهم في رحلته نحو الألف، وتوفي في إصفهان سنة ٣٦٠ هـ. بعد أن عُمِّر مائة عام ونيّف[1].

ويُلاحظ أنّ الطبراني لم يأخذ على أحد من الطرابلسيين، رغم أنه وصل إلى عرقة، وليس لدينا ما يفسّر ذلك.

ومن خلال رحلة الطبرانيّ هذه يمكن أن نتعرّف على مراكز العلم المنتشرة في «لبنان» خلال الربع الأخير من القرن الثالث الهجري.

★ ورحلة **ابن حبّان، محمد أبي حاتم البُسْتيّ** الحافظ الرحلة، صاحب المصنّفات الكثيرة في الحديث، وعلم الرجال، والجرح والتعديل، والأدب، والتاريخ، وغيره، وهو أفغاني من أصل عدنانيّ، وُلد بمدينة بُسْت من أعمال كابُل بالهند، وقام برحلة واسعة لطلب العلم، فدخل بلاد الصّغْد وبُخارى وبلاد ما وراء النهر، ثم عاد إلى قلب العالم الإسلامي فتنقل بين مرو

(١) أنظر ترجمته ومصادرها في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين ٢/٣٠٦ - ٣١٥ رقم ٦٥٣.

ونيسابور، وجرجان، والأهواز، والبصرة، وبغداد، ومكة، وغيرها من عشرات المدن ومراكز العلم، ثم دخل «لبنان» ونزل مدنه الساحلية: صيدا، وصور، وبيروت، وطرابلس، فسمع بصيدا: محمد بن المعافى الصيداويّ، وأكثر من الرواية عنه، ومحمد بن أبي علي الصيداويّ الذي أنشده أبياتاً، وكان شاعراً أديباً، ومحمد بن إبراهيم الخالديّ الذي أنشده عن أحمد بن محمد الصيداويّ، وعبد الملك بن أحمد الصيداويّ، وعبد الملك بن محمد بن سميع الصيداوي، وسمع بصور: محمد بن جعفر الهمداني المحدّث، ومحمد بن إبراهيم البصري الأديب الشاعر. وسمع في بيروت: مكحولاً البيروتي، وبطرابلس: الحرّ بن سليمان الأطرابلسي شقيق خيثمة.

له ٥٩ مصنفاً، وولي القضاء بسمرقند، ونَسَا، وبنى الخانقاه بنيسابور، وأقام مدرسة ببلده بُسْت، ووَقَف لها الأوقاف لتصرف على تلاميذه ولطلبة العلم الغرباء الوافدين عليها، ووقفَ فيها خزانة كُتُبه وسمح للطلبة أن ينسخوا منها ما شاءوا. وتوفي سنة ٣٥٤ هـ[1].

وإذا شئنا أن نسترسل في تتبُّع رحلات العلماء والطلبة في «لبنان» فإنّ المقام سيتّسع، وهذا الموضوع لوحده يتطلّب دراسة قائمة بذاتها، علّنا نبحث لها في كتابٍ مُفْرَد، بإذن الله.

انتهى

ويليه «لبنان» في العصر الفاطميّ

(١) أنظر ترجمته ومصادرها في كتابنا: موسوعة علماء المسلمين ٤/١٤٤ - ١٤٧ رقم ١٣٦٢.

مُلْحَق بأسماء البلدات والقرى والأماكن «اللبنانية» الوارِدة في المصادر القديمة باستثناء المدن الرئيسة

إيعات - (إيعاد) - ذكرها ابن خُرْداذَبَه.

بعلول (تحرّفت إلى تعليل) - ذكرها ابن عساكر.

البقاع - ذكره: حبيب بن أوس الطائي، ابن خُرْداذَبَه، المتنبّي، البشاري، البكري، المسعودي، اليعقوبي، ابن عساكر، وغيره.

جامع بعلبك - ابن ماكولا، ابن عساكر.

جامع بيروت (ويُعرف بجامع ورد) - ابن أبي حاتم الرازي، الطبراني، ابن عساكر.

جامع جبيل - الطبراني، ابن السمعاني، ابن عساكر، الصفدي.

جامع جونية - الخطيب البغدادي، ابن عساكر، ياقوت الحموي.

جامع صديقا (صدّيقين) - البشاري.

جامع صور (ويُعرف بجامع الفرس) - تمّام الرازي، محمد بن علي العلوي، الصّوريّ، ابن جُمَيع الصيداويّ، ابن السمعاني، ابن عساكر، المقريزي.

جامع صيدا - ابن جُمَيع الصيداويّ، السَّكَن بن جُمَيع، ابن السمعاني، ابن عساكر، سبط ابن الجوزي، الذهبي.

جامع عرقة ـ الحِمْيَريّ.

جامع مشغرة ـ ابن عساكر، ياقوت الحموي.

جبيل ـ اليعقوبي، قُدامة بن جعفر، ابن عساكر.

جبل صدّيقا (صدّيقين) ـ البشاري.

جبل عاملة ـ اليعقوبي، البشاري **(العاملي)** ابن عساكر، وغيره.

جبل لبنان ـ ابن سلاّم، البلاذُري، اليعقوبي، ابن الفقيه، ابن قُتيبة، البُحْتُري، أبو نُواس، أبو الرقعمق، الزُبيري، الأزرقي، البَيْني، ابن حبيب، المسعودي، المنبجي، الطبراني، المطهّر بن طاهر، الثعالبي، الزمخشري، الإصفهاني، المسبّحي، القفطي، ابن منقذ، ابن شدّاد، ابن عساكر، ابن الأثير، ياقوت، القزويني، الحِمْيَري، النويري، المتنبي، ابن بسّام، الأزهري، وغيره.

جونية ـ ابن خُرداذَبَه. **(الجوني)** الطبراني، ابن عساكر.

حصن الصرفندة ـ ابن عساكر.

حنتوس (ضاحية الأوزاعي) ـ ابن خلّكان، اليافعي.

الخربة (موضع بصور) ـ ابن عساكر.

خربة روحا بالبقاع ـ ابن عساكر.

الدراج ـ المدارج (المديرج) ـ ابن خُرداذَبَة، البشاري.

سكسكية (السكسكي) ـ ابن عساكر.

شبعا (بإقليم بيت الآبار) ـ ابن عساكر.

الصرفندة ـ ابن جُمَيع الصيداوي، ابن عساكر.

طاحونة صيدا ـ ابن عساكر.

الطِّيرة ـ ابن ماكولا، ابن السمعاني، ابن الأثير، ياقوت، الذهبي.

عجرموش (عرجموس) ـ البشاري.

عدلون ـ قُدامة بن جعفر، ابن عساكر.

عِرْقة ـ ابن الفقيه، اليعقوبي، لاون بن باسيليوس، الأنطاكي، البشاري، الطبراني، ابن عساكر، ابن الأثير، ابن العديم، ابن كثير، وغيره.

عكّار ـ اليعقوبي، ابن شدّاد.

عين الجرّ (عنجر) ـ ابن خُرداذَبَة، الطبري، البشاري، المسعودي، ابن عبد ربّه الأندلسي، ابن عساكر، ابن الأثير، مجهول، النويري.

عين ملكان (بركة البدّاوي شمالي طرابلس) ـ ابن عساكر.

العيون (مرج عيون) ـ ابن خُرْداذَبه، البشاري.

قبر صدّيقا (صدّيقين) ـ البشاري.

قرعون ـ ابن خرداذَبه، البشاري. **(القرعوني ـ حُرِّفت إلى القرني)** ابن عساكر.

قلعة بعلبك ـ ابن الفقيه، اليعقوبي، ابن خُرْداذبه، الإصطخْري، ابن حوقل، البشاري.

قلعة صيدا ـ ابن عساكر.

كامد (اللوز) ـ البشاري.

الكرْك (كرْح نوح) ـ ابن أبي حاتم الرازي، ابن عساكر.

كفركيلي ـ كفرليلي (كفركِلا) ـ ابن خُرْداذَبَه.

كناكر (بالبقاع الأسفل) ـ المسعودي.

كوكبا (بالبقاع الأسفل) ـ المسعودي .

مجدل سلْم ـ البشاري .

محرس (بصور) ـ ابن عديّ، ابن السمعاني .

مدفلة (موضع بصور) ـ أبو نُعَيم الاصبهاني .

المنيطرة ـ البلاذري، ابن عساكر .

مليخ (بالجنوب) ـ ابن عساكر .

مشغرة (مشغرى ـ مشغرا) ـ ابن حِبّان، الطبراني، ابن ماكولا، ابن السمعاني، ابن عساكر، ياقوت، ابن الأثير، وغيره .

نحلة ـ المتنبّي، البكري .

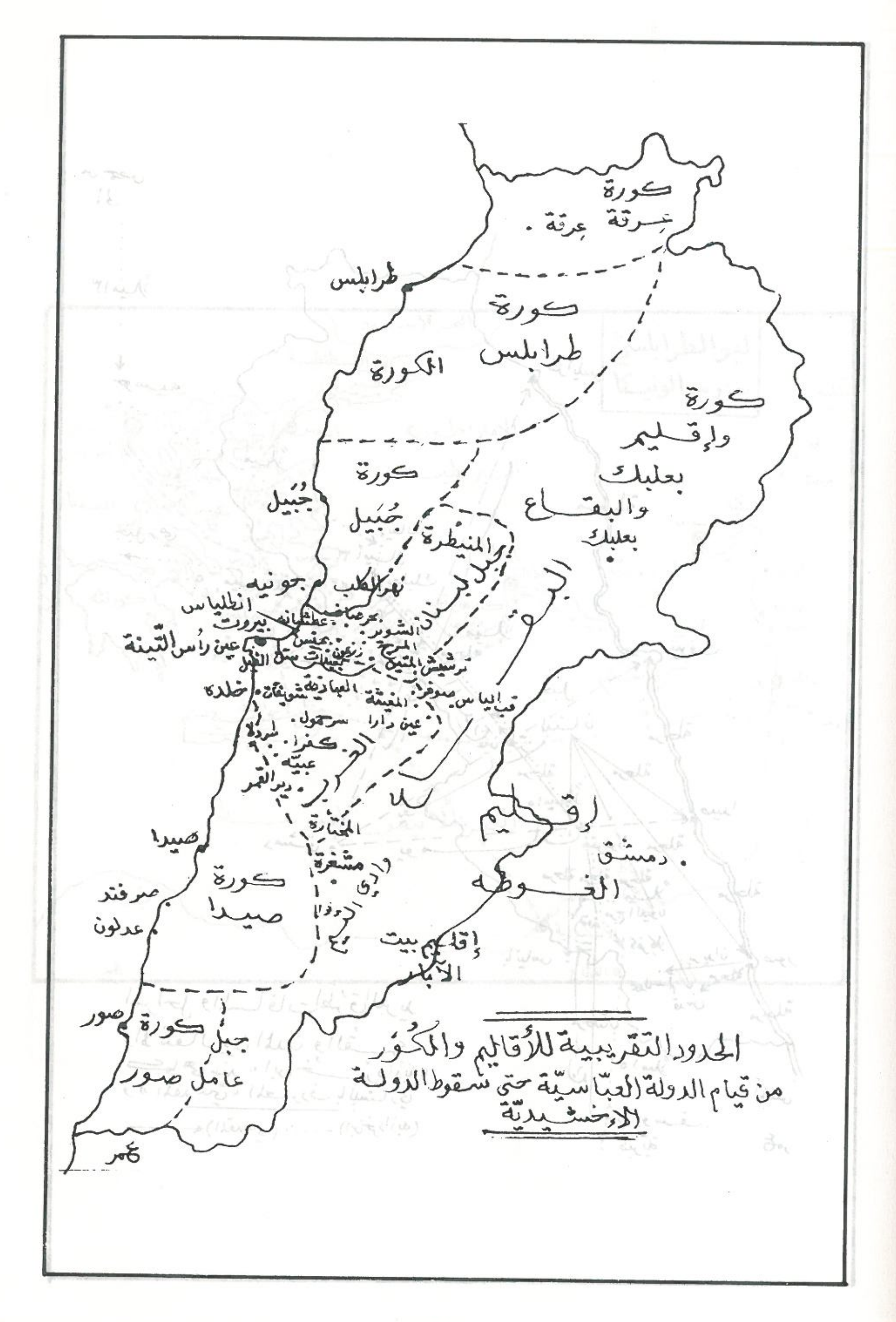
نهر المقلوب (العاصي) ـ البشاري .

وادي القردان والأفاعي (وادي القرن) ـ المسعودي .

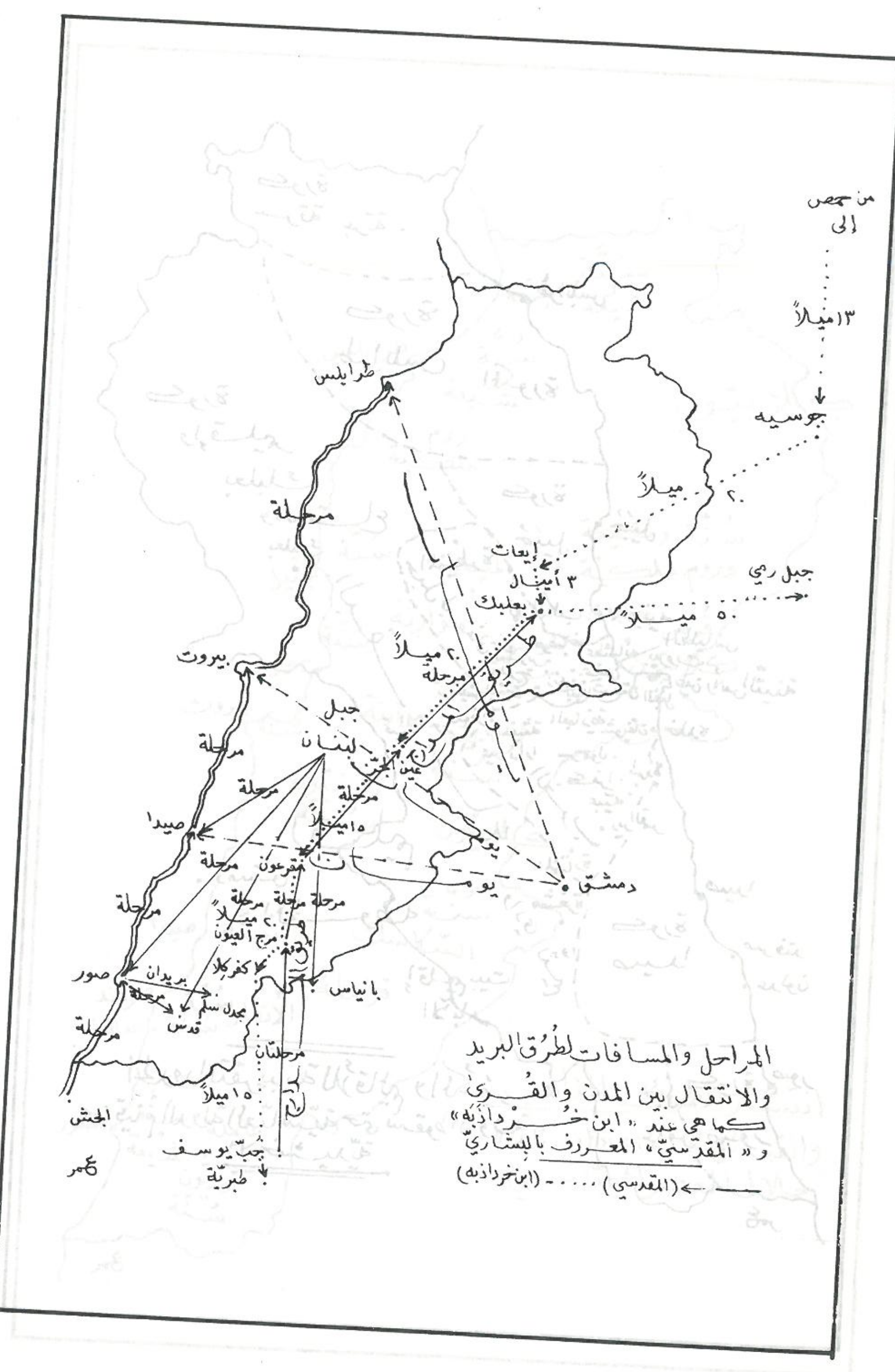
هرميسيا (عَرَمْتا) ـ ابن عساكر .

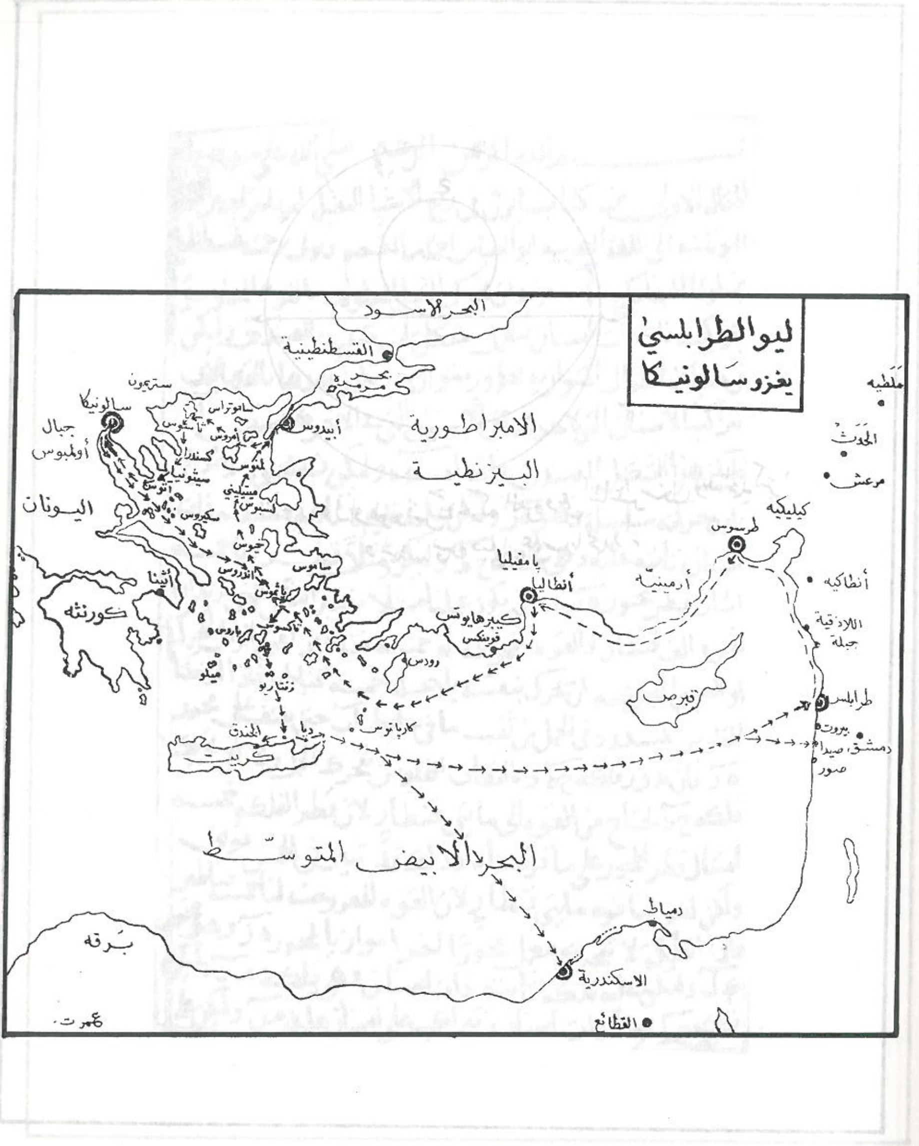
أسماء ومواقع المدن والقرى «اللبنانية» من خلال المصادر القديمة التي تؤرخ للعصر العبّاسي

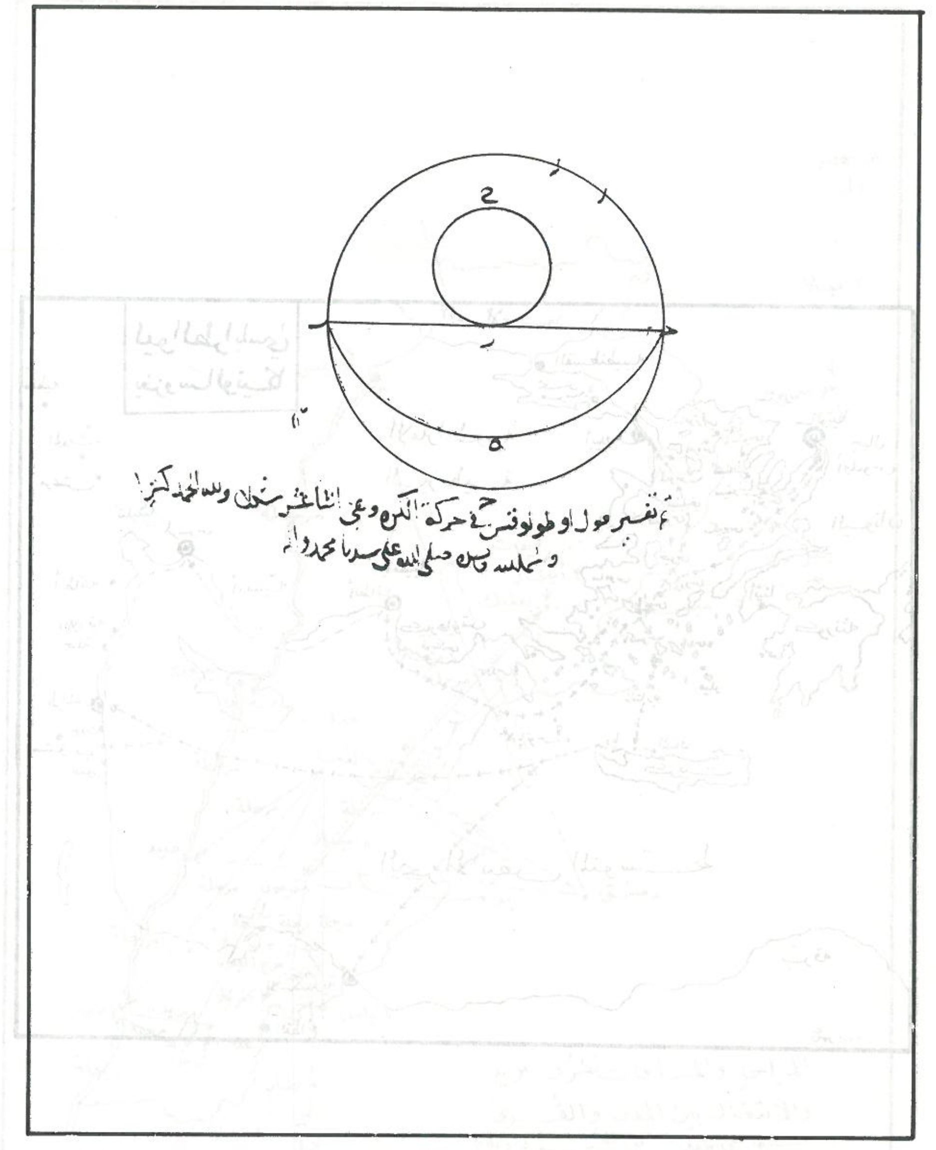
انتشار الطوائف والمذاهب
والقبائل في أنحاء «لبنان»
خلال العصر العباسي



الحدود التقريبية للأقاليم والكور
من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة
الإخشيدية


المراحل والمسافات لطرق البريد
والانتقال بين المدن والقرى
كما هي عند «ابن خرداذبه»
و«المقدسي» المعروف بالبشاري
← (المقدسي) ..... (ابن خرداذبه)
من حمص الى
١٣ ميلاً
جوسيه
٢٠ ميلاً
جبل ربي
٥٠ ميلاً
بعلبك
طرابلس
مرحلة
بيروت
جبل لبنان
صيدا
دمشق
يوم
صور
بانياس
مرج العيون
كفر كلا
قدس
مرحلتان
١٥ ميلاً
جب يوسف
طبرية
الجش


ليو الطرابلسي
يغزو سالونيكا
البحر الاسود
القسطنطينية
الامبراطورية
البيزنطية
سالونيكا
جبال أولمبوس
اليونان
أثينا
كورنثه
أبيدوس
ملطيه
الحدث
مرعش
كيليكيه
طرسوس
أرمينية
أنطاكيه
بامفيليا
أنطاليا
اللاذقية
جبلة
طرابلس
بيروت
دمشق
صيدا
صور
قبرص
كريت
البحر الابيض المتوسط
دمياط
الاسكندرية
برقه



غلاف كتاب « إيرن اليوناني »
في رفع الأشياء الثقيلة
الذي نقله « قسطان بن لوقا »
للأمير أبي العبّاس أحمد بن المعتصم بالله العبّاسيّ
من مخطوطة جامعة استنبول، رقم ٧٨

بسم الله الرحمن الرحيم صلى الله على سيدنا محمد
المقالة الاولى من كتاب ايرن في رفع الاشيا الثقيلة
اليونانيه الى اللغة العربيه ابو العباس احمد بن المعتصم وتولى ترجمته قسطا
بن لوقا البعلبكي آ نريد ان نحرك الثقل المعلوم بالقوة المعلومة
بتراكيب فلك ذات اسنان نعمل بشكل ثابت شبيه بالصندوق ولكن
في حيطانه الطوال المتوازيه محاور متوازيه ويكون بعدها بالقدر الذي
تتراكب الاسنان التي لاحدهما في الاسنان التي في الاخر كما سنبين آ
فليكن هذا الشكل الصندوق عليه اب ح د وليكن فيه محور موضوع
يلوى بحركته سلسلة وهو ه ز وليكن عليه فلكة ثابته مسننه ذات
اسنان ثابته عليه وهي فلكه ح ط وليكن مثلا قطرها خمسة
امثال قطر محوره ه ز ولان يكون عملنا مثلا نصير الثقل الذي نريد ان
نجره الف قنطار والقوة المحركه له خمسة قناطير اعني الرجل المحرك
او الصبي الذي نزعمه ان يحرك بنفسه بلا حيله خمسه قناطير فاذا ادخلنا
القلوس المشدود في الحمل في ثقب ما في حايط اب حتى يلتف على محور
ه ز فان مدور فلكه ح ط والتفاف القلوس يحرك الحمل ولا ياتي يحرك
فلكه ح ط يحتاج من القوة الى مايتي قنطار لان قطر الفلكه خمسه
امثال قطر المحور على ما فرضناه وذلك قد تبين في الخمس قوى
ولكن ليس لنا قوه مايتي قنطار لان القوه المعروضه لنا خمسه قناطير
فاذا الفلكه لا تتحرك فنعمل محورا اخر موازيا للمحوره ز وهو محور
ك ل وليكن عليه فلكة ثابته ذات اسنان وهي فلكة م ن وليكن
فلكه ح ط ايضا ذات اسنان تتراكب على اسنان فلكه م ن وليكن

الورقة الأولى من كتاب
« إيرن اليونانيّ »
لقُسطا بن لوقا البعلبكيّ

الورقة (١١) من كتاب

« إيرن اليوناني »

من كتاب « إيرن اليوناني »

الكرة دائرة اح له وقد اخبر على قطبها التي هي نقطة ك اعظم دائرة من خطتان
بالكرة فيجب برهان الشكل الثالث من المقالة الثالثة من كتاب ثاوذوسيوس
في الاكر فان قوس حل مساوية لقوس اح وقوس ط آ مساوية لقوس ح آ لتمام الاوايل
البينة ثم نلحظ ان الزمان الذي تجوز فيه نقطة ه قوس طل وتصير الى نقطة ل تجوز
نقطة ح قوس ح آ وتصير الى نقطة آ فاذا نقصنا ط ح يطابق قوس له فدائرة
فدائرة ح ه ط تطابق دائرة اه ل ح ولان دائرة اه ل ح قائمة على دائرة ا ب ج د
على زوايا قائمة فان دائرة ب ح ه ط ك تصير ايضا قائمة على دائرة ا ب ج د
وايضا اذا ابتدأت نقطة ه من عند نقطة ل وتجوز قوس ل ح آ فانه في مثله من
الزمان تجوز نقطة ح من عند نقطة آ وتجوز قوس آ ه فتصير حينئذ وضع دائرة
ب ح ه ط ك مثل وضعه اولا لكن نقطة ب تكون مكان نقطة ك ونقطة ح مكان
نقطة ه ونقطة ك مكان ب ونقطة ه مكان نقطة ح ولكن اذا ابتدأت نقطة ط
من عند نقطة ا وتجوز قوس ا ط وتصير الى نقطة ط عند ذلك تبتدئ نقطة ح
من عند نقطة ل وتصير الى نقطة ح ويرجع وضع دائرة ب ح ه ط ك كما كان اولا
وتعود نقطة ب ح ط ك الى اماكنها
الاول فاذا قد تبين ان الدائرة
المرسومة على قطبي الكرة اذا دارت
الكرة دورة واحدة تقوم على
الافق مرتين وذلك ما اردنا
ان نبين وهو بين

العاشر اذا كانت دائرة تحيط
بالكرة وهي من اعظم الدوائر ثابتة
عليها تنفصل بين ظاهر الكرة
وخفيها مائلة على محور
وهي دائرة الافق فان كل
الدوائر المخطوطة على سطح
الكرة اذا دارت الكرة دورة
واحدة تقوم على دائرة الافق
على زاوية قائمة مرتين مثال ذلك
ان نتوهم دائرة عظيمة على كرة ثابتة
عليها تنفصل بين ظاهر المحور الكرة وخفيها مائلة على المحور وهي دائرة
ا ب ج د ولتكن القطب الظاهر نقطة ه ونترك ان الدائرة التي تماسها دائرة
ا ب ج د في جهة القطب الظاهر دائرة ه ا ل ولنرسم على نقطة ه ونترك انا
قد خططناها وهي دائرة ب ح ه ط ك كما بين خطها ثاوذوسيوس
برهان الشكل الواحد والعشرين من المقالة الاولى من كتاب الاكر فنقول
ان دائرة ب ح ه ط ك تقوم على دائرة ا ب ج د في كل ما دارت الكرة دورة واحدة
مرتين برهان ذلك انا نرسم على نقطتي ا ه اعظم دائرة تحيط بالكرة كما علمنا
خطها ثاوذوسيوس برهان الشكل الواحد والعشرين من المقالة الاولى
من كتابه في الاكر ونترك انا قد خططناها وانها دائرة ا ه ل ح ولان دائرتي
ا ب ج د و ا ح له تماسها على نقطة آ وقد اخبر على قطب احدهما وهو نقطة
دائرة اح له وعلى موضع التماس وهو نقطة آ دائرة ا ه ح فيجب برهان
الشكل الخامس من كتاب ثاوذوسيوس في الاكر فان دائرة ا ه ل ح تمر بقطبي
دائرة ا ب ج د ايضا ولان دائرة ا ه ل ح تمر بقطبي دائرة ا ب ج د فيجب
برهان الشكل السادس عشر من المقالة الاولى من كتاب ثاوذوسيوس في الاكر
فان دائرة ا ه ل ح تقطع دائرة ا ب ج د بنصفين وعلى زوايا قائمة ولكن على

المصادر والمراجع
المعتَمَدَة في هذا الكتاب

أ ـ المصادر المخطوطة

١ ـ أخبار الملوك ونزهة المالك والمملوك في طبقات الشعراء ـ للملك المنصور محمد بن تقيّ الدين عمر الأيوبيّ (يرجّح ولادته ٥٦٧هـ ـ وتوفي ٦١٧هـ) مخطوط مكتبة ليدن بهولنده، رقم ٦٣٩ ومنه نسخة مصوّرة بمعهد المخطوطات بالقاهرة رقم ٨٧٥ تاريخ..

٢ ـ الأسامي والكنى، للحاكم أبي أحمد محمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الحافظ، برواية أبي بكر أحمد بن علي بن محمد الكردي ـ نسخة الخزانة العالية الملكية المخدومة البيروتية بيدرا نائب السلطنة، محفوظة بخزانة الشيخ محمد عبده بدار الكتب المصرية، رقم ١٣ آب، تاريخ. (وفي مكتبتي نسخة مصوّرة عنها»..

٣ ـ بُغية الطلب في تاريخ حلب ـ لكمال الدين ابي القاسم عمر بن أحمد المعروف بالعديم الحلبي، توفي ٦٦٠هـ/١٣٥٨م ـ مخطوط بالخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية، رقم ١٠٨٥ تاريخ.

٤ ـ تاريخ الإسلام ووَفَيَات المشاهير والأعلام ـ لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبيّ، توفي ٧٤٨هـ/١٣٤٨م ـ مخطوط دار الكتب المصرية، رقم ٣٩٦ تاريخ.

٥ ـ تاريخ مدينة دمشق ـ لأبي الحسن علي بن حسن المعروف بابن عساكر الدمشقي، توفي ٥٧١هـ/ ١١٧٥م ـ مخطوط الخزانة التيمورية بدار الكتب المصرية، رقم ١٠٤١ تاريخ.

٦ ـ تاريخ مدينة دمشق ـ لابن عساكر ـ نسخة مصوّرة عن مخطوط لينينغراد بالإتحاد السوفيتي (فيها تراجم قسم من العبادلة)، تصوير مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٨م.

٧ ـ جامع التواريخ، المعروف بـ: نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة، للقاضي أبي علي المحسِّن بن علي التنوخي، توفي ٣٨٤هـ ـ مخطوط المكتبة الوطنية بباريس، رقم ٣٤٨٢ عربي.

٨ ـ الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين، لصارم الدين إبراهيم بن محمد أيدمر العلائي المعروف بابن دقماق، توفي ٨٠٩هـ ـ مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ١٥٢٢ تاريخ.

٩ ـ مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، لأبي المظفّر ابن قيزوغليّ المعروف بسبْط ابن الجوزي، توفي ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م ـ مصوّر بدار الكتب المصرية رقم ٥٥١ تاريخ.

١٠ـ المؤتلف والمختلف، لعلي بن عمر الدارقطني، توفي ٣٨٥هـ ـ مخطوطة المتحف البريطاني، رقم ٣٠٥٧ المجموعة الشرقية ـ (وفي مكتبتي نسخة مصوّرة عنها).

ب ـ المصادر العربية القديمة المطبوعة

ـ أ ـ

١١ـ آثار البلاد وأخبار العباد، لزكريا بن محمد بن محمود القزويني، توفي ٦٨٢هـ/ ١٢٨٣م ـ بيروت ١٩٦٠.

١٢ـ الآداب، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، توفي ٤٥٨هـ ـ دراسة وتحقيق محمد عبد القادر أحمد عطا ـ طبعة دار الكتب العلمية ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٣ـ إتّعاظ الحُنَفا بأخبار الأئمة الفاطميّين الخُلفا، لتقيّ الدين أحمد بن علي المقريزيّ، توفي ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م، الجزء الأول ـ تحقيق د. جمال الدين الشيال ـ طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة ١٩٦٧.

١٤ـ الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان، للأمير علاء الدين علي بن بلبان الفارسي، توفي ٧٣٩ هـ/١٣٣٩ م ـ تحقيق وشرح شعيب الأرنؤوط ـ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

١٥ـ أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم، لشمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد البشاري المقدسيّ، توفي ٣٧٥هـ ـ نشره دي غويه، طبعة ليدن ١٩٠٦.

١٦ـ أحوال الرجال، لأبي إسحاق إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، توفي ٢٥٩هـ ـ تحقيق صبحي البدريّ السامرّائي ـ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥.

١٧ـ أخبار الأعيان في جبل لبنان، لطنّوس الشدياق ـ بيروت ١٩٥٤.

١٨ـ أخبار البُحْتُري، لأبي بكر الصولي ـ دمشق ١٩٥٨.

١٩ـ أخبار الراضي بالله (من كتاب الأوراق)، لأبي بكر محمد بن يحي الصولي، توفي ٣٣٥ هـ. ـ نُشر باعتناء ج. هيورث. دن ـ طبعة

الصاوي، القاهرة ١٩٣٦.

٢٠- أخبار العلماء بأخبار الحكماء، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن القاضي الأشرف يوسف القفطي، توفي ٦٤٦هـ - طبعة دار الآثار للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت.

٢١- أخبار القُضاة، للقاضي وكيع محمد بن خلف بن حيّان، توفي ٣٠٦هـ - طبعة عالم الكتب، بيروت

٢٢- أخبار مصر في سنتين، لمحمد بن عبدالله المسبّحي، تحقيق وليم ج. ميلورد - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠.

٢٣- أخبار مكة وما جاء فيها من الآثار، لأبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد الأزرق - تحقيق رشدي الصالح ملحس - طبعة دار الأندلس، بيروت ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٤- الأخبار الموفّقيّات، للزّبير بن بكار، توفي ٢٥٦هـ - تحقيق د. سامي مكي العاني - نشرته وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٩٧٢

٢٥- إختلاف الفقهاء، لمحمد بن جرير الطبري، توفي ٣١٠هـ. - ملحق بكتاب «السير» لأبي إسحاق الفزاري، تحقيق د. فاروق حمادة - طبعة مؤسسة الرسالة ببيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٢٦- أدب الإملاء والاستملاء، لأبي سعيد عبد الكريم بن محمد المسمعاني، توفي ٥٦٢هـ - نشره ويشويلر، طبعة ليدن ١٩٥٢.

٢٧- الأذكياء، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، طبعة مكتبة الغزالي؟.

٢٨- الإرشاد في معرفة علماء الحديث، لأبي يعلى الخليل بن عبد الله الخليلي، توفي ٤٤٦هـ - تحقيق آسيا كليبان علي - نشره مركز إحياء التراث العلمي العربي بجامعة بغداد ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م - (ستنسل).

٢٩- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة، لعزّ الدين أبي عبدالله محمد بن علي بن شدّاد، توفي ٦٨٤هـ - نشره د. سامي الدهان - طبعة المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٦٢.

٣٠- الأغاني، لأبي الفرج علي بن الحسين الأصبهاني، توفي ٣٥٦هـ/ ١٩٧٦م - طبعة مؤسّسة جمّال للطباعة والنشر، مصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٧.

٣١- الأقاليم، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الإصطخري (توفي في منتصف القرن الرابع الهجري)، طبعة مكتبة المثنّى ببغداد.

٣٢- الإلماع إلى معرفة أصول الرواية وتقييد السماع، للقاضي عياض بن موسى اليحصبي - تحقيق السيد أحمد صقر - نشرة دار التراث بالقاهرة والمكتبة العتيقة بتونس ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٣٣- الأمّ، للإمام الشافعي أبي عبدالله محمد بن إدريس، توفي ٢٠٤هـ - طبعة بولاق ١٣٢١ - ١٣٢٥هـ.

٣٤- الإنباء في تاريخ الخلفاء لمحمد بن علي بن محمد المعروف بابن العمراني، توفي في حدود ٥٨٠هـ - تحقيق د. قاسم السامرائي - طبعة لايدن ١٩٧٣.

٣٥- إنباه الرواه على أنباه النحاة، للوزير القفطي، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٥٠.

٣٦- الأموال، لأبي عُبيد القاسم بن سلام، توفي ٢٢٤هـ - تحقيق محمد خليل هراس - مصر ١٩٦٨.

٣٧- الإنتصار لواسطة عقد الأعصار في تاريخ مصر، وجغرافيتها، لإبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي الشهير بابن دُقماق - طبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت ؟-.

٣٨- الأنساب، لأبي سعيد السمعاني - تحقيق محمد عوّامة، بيروت ١٩٧٦ .

٣٩- أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر البلاذري، توفي ٢٧٩هـ - تحقيق د. عبد العزيز الدوري (الجزء الثالث) طبعة المعهد الألماني، بيروت ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٤٠- الأنساب المتّفقة، لأبي الفضل محمد بن طاهر المعروف بابن القيسراني، توفي ٥٠٧هـ، نشره دي غويه.

٤١- الأوائل، لأبي بكر أحمد بن أبي عاصم النبيل، توفي ٢٨٧هـ - تحقيق د. عبد الله الجبوري - طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

٤٢- الإيجاز والإعجاز، لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي النيسابوري، توفي ٤٢٩هـ - طبع ضمن مجموعة خمس رسائل - الجوائب ١٣٠١هـ.

- ب -

٤٣- بدائع البدائه، لعلي بن ظافر الأزدي، توفي ٦١٣هـ.، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم - طبعة مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٠ .

٤٤- البداية والنهاية في التاريخ، لأبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقي، توفي ٧٧٤هـ - طبعة بيروت - الرياض ١٩٦٦ .

٤٥- البدء والتاريخ، لأبي نصر المطهّر بن طاهر المقدسي، نشره كلمان هوار بباريس، طبعة مدينة شالّون ١٨٩٩ - ١٩١٩ .

٤٦- بغداد، لأبي الفضل أحمد بن طاهر الكاتب المعروف بابن طيفور، توفي ٢٨٠هـ.، - مكتبة المثنّى ببغداد، ومكتبة المعارف ببيروت ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م.

٤٧- بُغية الوعاة في طبقات النحويّين واللّغاة، لجلال الدين عبد الرحمن بن الكمال السيوطي، توفي ٩١١هـ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة مصر ١٩٦٤ .

٤٨- البلدان، لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن واضح اليعقوبي، توفي ٢٨٤هـ - نشره دي غويه - طبعة ليدن ١٨٩١ .

٤٩- بهجة المجالس وأُنس المجالس وشحذ الذاهن والهاجس، لأبي عمر يوسف بن عبد الله المعروف بابن عبد البّر النمري القرطبي، توفي ٤٦٣هـ - تحقيق محمد مرسي الخولي، ود. عبد القادر القطّ - سلسلة تراثنا - طبعة دار الكاتب العربي للطباعة والنشر.

٥٠- بيان خطأ البخاري (ملحق بالتاريخ الكبير)، لأبن أبي حاتم الرازي، توفي ٣٢٧هـ/ ١٩٣٩م - طبعة حيدر أباد ١٣٨٠هـ.

- ت -

٥١- التاج المكلّل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول - لأبي الطيّب صدّيق بن حسن القنوجي - طبعة بومباي ١٩٦٣ .

٥٢- التاريخ، لخليفة بن خياط العصفري، توفي ٢٤٠هـ - تحقيق د. أكرم ضياء العمري - طبعة مؤسسة الرسالة ، بيروت، ودار القلم، دمشق - بيروت ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م.

٥٣- التاريخ، ليحي بن مَعين بن عون، توفي ٢٣٣هـ - تحقيق د. أحمد محمد نور سيف - نشره مركز البحوث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة ١٣٥٩هـ.

٥٤- تاريخ أخبار القرامطة، لثابت بن سنان الحرّاني، توفي ٣٦٥هـ/ ١٩٧٦ . - تحقيق د. سهيل زكار - بيروت ١٩٧١ .

٥٥- تاريخ الإسلام ووفَيَات المشاهير والأعلام، للحافظ الذهبي، توفي ٧٤٨هـ (بتحقيقنا) الأجزاء المتضمنّة لحوادث ووفَيَات: (١٦١ - ١٧٠) و(١٧١ - ١٨٠) و(١٨١ - ١٩٠) و(١٩١ - ٢٠٠) و(٢٠١ - ٢١٠) و(٢١١ - ٢٢٠) و(٢٦١ - ٢٧٠) و(٢٧١ - ٢٨٠) و(٣٥١ - ٣٨٠هـ) - طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

٥٦- تاريخ أسماء الثقات ممّن نُقل عنهم العلم، لأبي حفص عمر بن أحمد بن عثمان المعروف بابن شاهين، توفي ٣٨٥هـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.

٥٧- تاريخ أسماء الضعفاء والكذّابين، لأبي حفص ابن شاهين - تحقيق د. عبد الرحيم محمد أحمد القشقري - بالمدينة المنوّرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

٥٨- تاريخ الأنطاكي، ليحي بن سعيد بن يحي الأنطاكي - توفي ٤٥٨هـ/ ١٠٦٧م - (بتحقيقنا) - طبعة جرّوس برس، طرابلس ١٩٩٠.

٥٩- تاريخ بغداد، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، توفي ٤٦٣هـ. طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

٦٠- تاريخ بيروت والأمراء البُحْتُريّين، للأمير صالح بن يحيى البحتري التنوخي، (توفي في القرن ٩هـ.) - تحقيق فرنسيس هورس وكمال الصليبي، بيروت ١٩٦٧.

٦١- تاريخ الثقات، لأحمد بن عبدالله بن صالح العجلي، توفي ٢٦١هـ. بترتيب نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، توفي ٨٠٧هـ - تحقيق د. عبد المعطي قلعجي - طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٤م.

٦٢- تاريخ جُرجان، لأبي القاسم حمزة بن يوسف السهمي، توفي ٤٢٧هـ -

طبعة عالم الكتب، بيروت ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.

٦٣- تاريخ حلب، لمحمد بن علي العظيمي الحلبي، توفي ٥٥٦هـ، تحقيق إبراهيم زعرور - دمشق ١٩٨٤.

٦٤- تاريخ الخميس بأحوال أنفس نفيس، لحسين بن محمد بن الحسن الديار بكري، توفي ٩٦٦هـ - طبعة مصر ١٣٠٤هـ.

٦٥- تاريخ دمشق، لابن عساكر، توفي ٥٧١ - (الجزء الأول) بتحقيق د. صلاح الدين المنجّد، و(الجزء العاشر) بتحقيق محمد أحمد دهمان. والأجزاء التي حقّقتها سكينة الشهابي - طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق.

٦٦- تاريخ الدول والملوك - لناصر الدين محمد بن عبد الرحيم بن الفرات، توفي ٨٠٦هـ - تحقيق د. قسطنطين زريق، بيروت ١٩٤٢.

٦٧- تاريخ الرسل والملوك، لمحمد بن جرير الطبري، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - طبعة دار المعارف بمصر ١٩٦٣.

٦٨- - تاريخ الزمان - لغريغوريوس الملَطي المعروف بابن العبريّ، توفي ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م - نقله إلى العربية الأب إسحاق أرملة - تقديم الأب د. جان موريس فييه - طبعة دار المشرق، بيروت ١٩٨٦.

٦٩- تاريخ الصّحابة الذين رُوي عنهم الأخبار، لأبي حاتم محمد بن حبّان البُسْتي، توفي ٣٤٤هـ. طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٧٠- التاريخ الصغير، للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، توفي ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م - طبعة المكتبة الأثرية بالباكستان؟.

٧١- تاريخ علماء الأندلس، لأبي الوليد عبدالله بن محمد الأزدي المعروف بابن الفرضي. توفي ٤٠٣هـ - طبعة الدار المصرية ١٩٦٦.

٧٢ـ التاريخ الكبير، للإمام البخاري ـ طبعة حيدر أباد ١٣٦١هـ.

٧٣ـ التاريخ المجموع على التحقيق والتصديق، لسعيد بن البطريق ـ نشره لويس شيخو، بيروت ١٩٠٩م.

٧٤ـ تاريخ مختصر الدول، لابن العبري ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٥٨.

٧٥ـ تبصير المنتبه بتحرير المشتبه، لابن حجر العسقلاني، توفي ٨٥٢هـ، تحقيق محمد علي البجاوي ـ القاهرة ١٩٦٧.

٧٦ـ تتمة المختصر في أخبار البشر، لعمر بن الوردي، توفي ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م ـ طبعة مصر ١٢٨٥هـ.

٧٧ـ تجارب الأمم وتعاقب الهمم، لأبي علي أحمد بن محمد بن مسكويه، توفي ٤٢١هـ/ ١٠٣٠م ـ الجزء ٦ (ملحق، بالجزء الثالث من كتاب: العيون والحدائق) ـ طبعة المثنى ببغداد المصوّرة عن طبعة ليدن.

٧٨ـ تحفة الأحباب وبغية الطلّاب في الخطط والمزارات والتراجم والبقاع المباركات ـ لمحمد بن عبد الرحمن السخاوي، توفي ٩٠٢هـ ـ طبع بهامش الجزء الرابع من (نفح الطيب للمقّري) ـ المطبعة الأزهرية ١٣٠٤هـ.

٧٩ـ التدوين في أخبار قزوين، لعبد الكريم بن محمد الرافعي القزويني (من رجال القرن ٦هـ) ـ تحقيق الشيخ عزيز الله العطاردي ـ طبعة دار الكتب العلمية؛ بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

٨٠ـ تصحيفات المحدّثين، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، توفي ٣٨٢هـ ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م ـ طبعه وصحّحه أحمد عبد الشافي.

٨١ـ تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي،

توفي ٣٢٧هـ ـ طبعة حيدر أباد ١٩٥٢.

٨٢ـ تقريب التهذيب، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر العسقلاني، توفي ٨٥٢هـ ـ تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف، بيروت ١٩٧٥.

٨٣ـ تقييد العلم، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، توفي ٤٦٣هـ ـ تحقيق يوسف العشي ـ طبعة دار إحياء السنّة النبوية ١٩٧٤.

٨٤ـ تكملة تاريخ الطبري، لمحمد بن عبد الملك الهمذاني ـ تحقيق ألبرت يوسف كنعان ـ بيروت ١٩٦١.

٨٥ـ تلخيص المتشابه في الرسم وحماية ما أُشكل منه عن بوادر التصحيف والوهم، للخطيب البغدادي، تحقيق سكينة الشهابي ـ طبعة دار طلاس، دمشق ١٩٨٥.

٨٦ـ تلخيص المستدرك على الصحيحين، للحافظ الذهبي ـ (ملحق بحاشية المستدرك للحاكم) ـ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

٨٧ـ التنبيه والإشراف، لأبي الحسن علي المسعودي، توفي ٣٤٦هـ، ـ بيروت ١٩٦٨.

٨٨ـ تهذيب الآثار، لمحمد بن جرير الطبري، توفي ٣١٠هـ.

٨٩ـ تهذيب الأسماء واللغات، لأبي زكريا محيي الدين بن شرف النووي، توفي ٦٧٦هـ ـ نشره فتنسفيلد، طبعة جوتنجن ١٨٤١-١٨٤٧م.

٩٠ـ تهذيب التهذيب، لابن حجر العسقلاني ـ طبعة حيدر أباد ١٣٢٥هـ.

٩١ـ تهذيب الكمال في أسماء الرجال، لأبي الحجّاج يوسف بن عبد الرحمن المِزّي، توفي ٧٤٢هـ ـ تحقيق د. بشّار عوّاد معروف ـ طبعة مؤسسة

الرسالة، بيروت.

٩٢ـ تهذيب اللغة، لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهري، توفي ٣٧٠هـ ـ تحقيق أحمد عبد العليم البردوني ـ طبعة مصر.

ـ ث ـ

٩٣ـ الثقات، لابن حبّان البُستي ـ طبعة دار الفكر، المصوّرة عن طبعة حيدر أباد ١٣٩٣هـ/ ١٩٧٣م.

٩٤ـ ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثعالبي ـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ـ طبعة دار نهضة مصر ١٩٦٥.

ـ ج ـ

٩٥ـ جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، لابن عبد البرّ النمري، طبعة دار الكتب العلمية ببيروت، المصوّرة عن طبعة المنيرية بمصر ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٩٦ـ جذوة المقتبس في ذكر وُلاته الأندلس، لأبي عبدالله محمد بن أبي نصر فتوح الأزدي، توفي ٤٨٨هـ، طبعة الدار المصرية ١٩٦٦.

٩٧ـ الجرح والتعديل، لعبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، توفي ٣٢٧هـ، ـ طبعة حيدر أباد ١٩٥٢.

٩٨ـ الجليس الصالح الكافي والأنيس الناصح الشافي، لأبي الفرج مُعافى بن زكريا النهرواني الجريري، توفي ٣٩٠ هـ، تحقيق د. محمد مرسي الخولي ـ طبعة عالم الكتب، بيروت ١٩٨١.

٩٩ـ الجمع بين رجال الصحيحين، لأبي الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي المعروف بابن القيسراني، توفي ٥٠٧هـ ـ طبعة دار الكتب العلمية، المصوّرة عن طبعة حيدر أباد ١٣٢٣هـ.

١٠٠ـ جمهرة نسب قريش وأخبارها، للزبير بن بكار، توفي ٢٥٦هـ ـ تحقيق محمود محمد شاكر ـ طبعة المدني، القاهرة ١٣٨١هـ.

ـ ح ـ

١٠١ـ حديث السكن بن جُمَيْع الصيداوي، توفي ٤٣٧هـ ـ بتحقيقنا ـ ملحق بـ (معجم الشيوخ لابن جُميع) طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان، طرابلس ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٠٢ـ حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نُعَيم أحمد بن عبدالله الإصبهاني، توفي ٤٣٠هـ ـ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧.

١٠٣ـ الحماسة البصرية، لعلي بن أبي الفرج البصري، تحقيق مختار الدين أحمد ـ طبعة حيدر أباد ١٩٦٤.

١٠٤ـ حياة الحيوان، للدميري ـ سلسلة كتاب التحرير، رقم ١٣٧ مصر.

ـ خ ـ

١٠٥ـ الخراج وصناعة الكتابة، لقُدامة بن جعفر، توفي ٣٢٩ هـ ـ شرح وتعليق محمد حسين الزبيدي ـ نشرته وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨١.

١٠٦ـ خريدة القصر وجريدة العصر (بداية قسم شعراء الشام)، لعماد الدين محمد بن محمد بن حامد المعروف بالعماد الأصفهاني، توفي ٥٩٧هـ ـ تحقيق د. شكري فيصل ـ طبعة المجمع العلمي بدمشق ١٩٦٨.

١٠٧ـ خلاصة تذهيب تهذيب الكمال، لصفيّ الدين أحمد بن عبدالله الخزرجي الأنصاري، صنّفه ٩٢٣هـ طبعة مصر ١٣٢٣هـ.

١٠٨ـ خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك، لعبد الرحمن بن سنبط

قنيتو الإربلي، توفي ٧١٧هـ/١٣١٧م - نشره مكي السيد جاسم، بغداد.

- د -

١٠٩- الدُّرَّة المُضِيّة في أخبار الدولة الفاطمية، لابن أيبك الداودار صاحب صرخد (الجزء ٦ من كنز الدرر) - تحقيق د. صلاح الدين المنجّد، القاهرة ١٩٦١.

١١٠- الدعاء، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، توفي ٣٦٠هـ - تحقيق د. محمد سعيد بن محمد حسن البخاري، طبعة دار البشائر الإسلامية؛ بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١١١- دمية القصر وعُصْرة أهل العصر، لأبي الحسن الباخرزي (وهو مختصر الدمية) - نشره محمد راغب الطبّاخ - طبعة حلب ١٩٣٠.

١١٢- الديارات، لأبي الحسن علي بن محمد الشابُشْتي، توفي ٣٨٨هـ - تحقيق كوركيس عوّاد - بغداد ١٩٥١.

١١٣- ديوان ابن الخيّاط، لأحمد بن علي بن الخياط الدمشقي، توفي ٥١٧هـ - تحقيق خليل مردم بك - طبعة المجمع العلمي بدمشق ١٩٥٨.

١١٤- ديوان أبي فراس الحمداني - جمعه وشرحه د. سامي الدهّان - بيروت ١٩٤٤.

١١٥- ديوان البُحْتُري - تحقيق حسن كامل الصيرفي - طبعة دار المعارف بمصر ٦٣ - ١٩٦٥.

١١٦- ديوان الحماسة لأبي تمام حبيب بن أوس الطائي، مختصر من شرح العلّامة التبريزي - تعليق محمد عبد المنعم خفاجة - طبعة مصر ١٩٥٥.

١١٧- ديوان سُدَيف بن ميمون المكي - جمعه وحققه رضوان مهدي العبود -

مطبعة الغري الحديثة، النجف ١٩٧٤.

١١٨- ديوان المتنبّي، لأبي الطيّب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي، توفي ٣٥٤هـ - شرح البرقوقي، بيروت.

١١٩- ديوان المتنبّي - شرح الواحدي النيسابوري - نشره فريدرخ ديتريصي، برلين ١٨٦١.

١٢٠- في ديوان المتنبّي - تحقيق د. عبد الوهاب عزّام القاهرة ١٩٤٤.

- ذ -

١٢١- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، لابن بسام الشنتريني، توفي ٥٤٢هـ - تحقيق د. إحسان عباس - طبعة دار الثقافة، بيروت ١٩٧٠.

١٢٢- ذِكر أخبار إصبهان، لأبي نُعَيم الإصبهاني، توفي ٤٣٠هـ - نشره سفن ددرنج - طبعة ليدن ١٩٣٤.

١٢٣- ذِكر أسماء التابعين ومن بعدهم ممّن صحّت روايتهم من الثقات عند البخاري ومسلم - تخريج الدارقطني علي بن عمر المتوفى ٣٨٥هـ - تحقيق عدنان عبد الرحمن الدوري - نشرته مجلّة المجمع العلمي العراقي - مجلّد ٣٢ - بغداد ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م..

١٢٤- ذَمّ الهوى، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، توفي ٥٩٧هـ - صحّحه أحمد عبد السلام عطا - طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٢٥- ذيل تاريخ بغداد، لمحبّ الدين أبي عبدالله محمد بن محمود بن الحسن المعروف بالنجار البغدادي، توفي ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م - تصحيح د. قيصر فرح - طبعة دار الكتاب العربي؛ بيروت؟.

١٢٦- ذيل تاريخ دمشق، لأبي يعلى حمزة ابن القلانسي، توفي ٥٥٥هـ -

نشره آمدروز ـ المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٠٨.

١٢٧ـ ربيع الأبرار ونصوص الأخبار، للإمام محمود بن عمر الزمخشري، توفي ٥٣٨هـ ـ تحقيق د. سليم النعيمي ـ نشرته وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٩٣٦.

١٢٨ـ رجال صحيح البخاري، لأبي نصرأحمد بن محمد بن الحسين البخاري الكلاباذي، توفي ٣٩٨هـ ـ تحقيق عبد الله الليثي ـ طبعة دار المعرفة، بيروت.

١٢٩ـ رجال السند والهند إلى القرن السابع الهجري، للقاضي أبي المعالي أطهر المباركبوري ـ طبعة دار الأنصار بالقاهرة ١٣٩٨هـ.

١٣٠ـ رجال الطوسيّ، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، توفي ٤٦٠هـ ـ نشره محمد كاظم الكتبي ـ النجف ١٩٦١.

١٣١ـ الرحلة في طلب الحديث، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت المعروف بالخطيب البغدادي، توفي ٤٦٣هـ تحقيق د. نور الدين عتر ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٥.

١٣٢ـ الردّ على سير الأوزاعيّ ـ طبع مع كتاب الأمّ، للشافعي ـ الجزء السابع (ص ٣٠٣ ـ ٣٣٦) ـ طبعة القاهرة ١١٢٥هـ.

١٣٣ـ الرسالة القُشَيرية، للإمام عبد الكريم بن هوازن القُشَيري، توفي ٤٦٥هـ ـ تحقيق د. عبد الحليم محمود ومحمود بن الشريف ـ القاهرة ١٩٦٦.

١٣٤ـ الروض البسّام بترتيب وتخريج فوائد تمّام بن محمد بن عبد الله البَجَلي الرازي الدمشقي، توفي ٤١٤هـ ـ صنّفه أبو سليمان جاسم بن سليمان الفُهَيْد الدوسري ـ طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

١٣٥ـ الروض المعطار في خبر الأقطار، لمحمد بن عبد المنعم الحميَري ـ تحقيق

د. إحسان عباس ـ طبعة مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥.

١٣٦ـ روضة العقلاء ونُزهة الفُضلاء، لابن حبان البُسْتي، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ومحمد عبد الرزاق حمزة، ومحمد حامد الفقي ـ طبعة دار الكتب العلمية؛ بيروت ١٩٧٧.

١٣٧ـ روضة المحبّين ونزهة المشتاقين ـ لابن قيّم الجوزيّة ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت.

ـ ز ـ

١٣٨ـ زُبْدة الحلب في تاريخ حلب، لكمال الدين أبي القاسم عمر بن أحمد بن العديم الحلبي، توفي ٦٦٠هـ/ ١٢٥٨م ـ تحقيق د. سامي الدهان ـ طبعة المعهد الفرنسي بدمشق (الجزء الأول) ١٩٤٥.

١٣٩ـ الزهد ـ لابن أبي عاصم النبيل ـ تحقيق د. عبد المعلىّ عبد الحميد الأعظمي الأزهري ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٤٠ـ الزهد الكبير، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي توفي ٤٥٨هـ ـ تحقيق الشيخ ماهر أحمد حيدر ـ طبعة دار الجنان، ومؤسسة الكتب الثقافية، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

ـ س ـ

١٤١ـ السابق واللاحق في تباعد ما بين وفاة راويين عن شيخ واحد، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي ـ تحقيق محمد بن مطر الزهراني ـ طبعة دار طيبة بالرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٤٢ـ سُنَن أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي، توفي ٢٧٥هـ ـ نشره محمد محيي الدين عبد الحميد، القاهرة ١٩٥٠.

١٤٣- سُنَن الدارقُطْنيّ علي بن عمر، توفي ٣٨٥هـ - نشره عبدالله هاشم اليماني المدني - طبعة دار المحاسن بالقاهرة.

١٤٤- سنن الدارمي أبي محمد عبدالله بن عبد الرحمن، توفي ٢٥٥هـ - طبعة الأعتدال بمصر ١٣٤٩هـ.

١٤٥- سُنَن سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني المكّي، توفي ٢٢٧هـ - تحقيق حبيب الرحمن الأعظمي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٤٦- السُّنن الكبرى، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، توفي ٤٥٨هـ - طبعة حيدر أباد ٤٤ - ١٣٥٥هـ.

١٤٧- سُنَن النَّسائي أحمد بن شعيب الخراساني، توفي ٣٨٣هـ - طبعة دار الكتاب العربي، بيروت.

١٤٨- السُّنَّة، لأبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحّاك بن مخلّد الشيباني، توفي ٢٨٧هـ - نشره محمد ناصر الدين الألباني - طبعة المكتب الإسلامي، بيروت ١٤٠٠هـ.

١٤٩- السُّنّة، للإمام أحمد بن حنبل، توفي ٢٤١هـ - تحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني - طبعة دار العلم، ١٤٠٦هـ.

١٥٠- السِيَر، لأبي إسحاق الفزاري، توفي ١٨٦هـ ،برواية محمد بن وضّاح القرطبي، عن عبد الملك بن حبيب المصّيصي - تحقيق د. فاروق حمادة، طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م.

١٥١- سِيَر أعلام النُبلاء، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، توفي ٧٤٨هـ - (الجز ١٥) تحقيق إبراهيم الزيبق - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت

١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

١٥٢- سيرة ابن طولون، لأبي محمد عبدالله بن محمد المديني البلوي - تحقيق محمد كرد علي - دمشق ١٣٥٨هـ.

- ش -

١٥٣- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لابن العماد أبي الفلاح عبد الحيّ الحنبلي، توفي ١٠٨٩هـ - طبعة مصر ١٣٥١هـ.

١٥٤- شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - القاهرة ١٩٥٩ - ١٩٦٣.

١٥٥- شرف أصحاب الحديث، لأبي بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي، توفي ٤٦٣هـ - نشره محمد سعيد خطيب أوغلي - طبعة دار إحياء السُّنّة - جامعة أنقرة ١٩٧٢.

١٥٦- شروح سقط الزَّنْد، لأبي العلاء المعَرّي، طبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥-١٩٤٨.

١٥٧- الشعر والشعراء، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، توفي ٢٦٧هـ - طبعة دار الثقافة بيروت ١٩٦٤.

١٥٨- الشكر لله عزّ وجلّ، لابن أبي الدنيا، توفي ٢٨١هـ - تحقيق ياسين محمد السواس، مراجعة عبد القادر الأرناؤوط - طبعة دار ابن كثير، دمشق، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

- ص -

١٥٩- الصُبْح الْمُنْبي عن حيثية المتنبّي، للبديعي - تحقيق يوسف البديعي، ومصطفى السقّاء، ومحمد شتا، وعبده زيادة عبده، دار المعارف بمصر ١٩٦٢.

١٦٠ـ صحيح ابن حبّان (أنظر: الإحسان في تقريب صحيح ابن حبّان).

١٦١ـ صحيح ابن خزيمة أبي بكر محمد بن إسحاق السلمي النيسابوري، توفي ٣١١هـ ـ تحقيق د. محمد مصطفى الأعظمي ـ المكتب الإسلامي (؟).

١٦٢ـ صفة الصفوة، لجمال الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجزري، توفي ٥٩٧هـ ـ تحقيق محمود فاخوري ـ خرّج أحاديثه محمد روّاس قلعه جي ـ طبعة حلب ١٣٩٣هـ.

١٦٣ـ صلة تاريخ الطبري، لعُرَيب بن سعيد القرطبي ـ طبعة ليدن ١٨٩٧.

١٦٤ـ الصَّمْت وآداب اللسان، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن عُبيد بن أبي الدنيا، توفي ٢٨١هـ ـ تحقيق أبي إسحاق الحويني الأثري ـ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٦٥ـ صورة الأرض لابن حَوْقل، كتبه حوالى سنة ٣٦٧هـ/ ٩٧٧م ـ طبعة ليدن..

ـ ض ـ

١٦٦ـ الضعفاء، لأبي زُرْعة عُبيد الله بن عبد الكريم الرازي، توفي ٢٦٤هـ ـ تحقيق د. سعدي الهاشمي ـ طبعة دار الوفاء بالمنصورة، ومكتبة ابن القيّم بالمدينة المنوّرة ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.

١٦٧ـ الضعفاء الصغير، للإمام البخاري ـ طبعة المكتبة الأثرية بالباكستان (؟).

٦٨ـ الضعفاء الكبير، لأبي جعفر محمد بن عمرو بن موسى بن حمّاد العقيلي الملكي، توفي ٣٢٢هـ ـ تحقيق د. عبد المعطي أمين قلعجي ـ طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٦٩ـ الضعفاء والمتروكون، لابن الجوزي، توفي ٥٩٧هـ ـ تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي ـ طبعة دار الكتب العلمية (المصوّرة)، بيروت ١٩٨٦.

١٧٠ـ الضعفاء والمتروكون، للدارقُطني علي بن عمر، توفي ٣٨٥هـ ـ تحقيق صبحي البدري السامرّائي ـ طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

١٧١ـ الضعفاء والمتروكون، للنَّسائي أحمد بن شعيب الخراساني، توفي ٣٠٣هـ ـ طبعة الهند ١٣٢٥هـ.

ـ ط ـ

١٧٢ـ طبقات الأطبّاء، لابن جُلْجل الأندلسي أبي داود بن سليمان بن حسان بن جُلجل ـ تحقيق فؤاد سيد ـ القاهرة ١٩٥٥.

١٧٣ـ طبقات خليفة بن خيّاط العُصْفري، توفي ٢٤٠هـ برواية محمد بن أحمد بن محمد الأزدي ـ تحقيق د. أكرم ضياء العمري ـ طبعة دار طيبة بالرياض ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.

١٧٤ـ طبقات الشافعية الكبرى، لتاج الدين أبي النصر عبد الوهاب السُبكي، توفي ٧٧١ هـ ـ طبعة مصر ١٣٢٤ هـ.

١٧٥ـ طبقات الشعراء، لعبد الله بن المعتزّ بن المتوكّل العباسي، توفي ٢٩٦هـ ـ تحقيق عبد الستار فرّاج ـ طبعة دار المعارف، مصر ١٩٨١.

١٧٦ـ طبقات الصوفيّة، لأبي عبد الرحمن السُّلَمي، توفي ٤١٢ هـ ـ تحقيق نور الدين شريبة ـ القاهرة ١٩٥٣.

١٧٧ـ طبقات علماء إفريقية وتونس، لأبي العرب القيرواني ـ تحقيق علي الشابي، ونعيم حسن اليافي ـ تونس ١٩٦٨.

١٧٨ـ طبقات الفقهاء، لأبي إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، توفي ٤٧٦هـ ـ تحقيق د. احسان عباس ـ طبعة دار الرائد العربي، بيروت ١٩٧٠.

١٧٩ـ الطبقات الكبرى، لمحمد بن سعد المعروف بكاتب الواقدي، توفي ٢٣٠ هـ ـ طبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٨.

١٨٠ـ الطبقات الكبرى المسمّاة (لواقح الأنوار في طبقات الأخيار) ـ للشعراني ـ القاهرة ١٢٩٩هـ.

ـ ع ـ

١٨١ـ العِبَر في خبر من غبر، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، توفي ٧٤٨هـ ـ تحقيق فؤاد سيد ـ طبعة الكويت ١٩٦١.

١٨٢ـ العِبَر في ديوان المبتدا والخبر (المعروف بتاريخ ابن خلدون) لوليّ الدين أبي زيد عبد الرحمن بن خلدون، توفي ٨٠٨هـ ـ بيروت ١٩٥٨.

١٨٣ـ العِقْد الثمين في تاريخ البلد الأمين، لتقيّ الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المالكي قاضي مكة، توفي ٨٣٢هـ ـ تحقيق فؤاد سيد ومحمد طاهر الطناحي، القاهرة ٥٩ ـ ١٩٦٩.

١٨٤ـ العِقْد الفريد، لابن عبد ربّه الأندلسي أبي عمر أحمد بن محمد ـ نشره أحمد أمين، وأحمد الزين، وإبراهيم الأبياري، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ـ مصر ١٩٥٢.

١٨٥ـ عُقلاء المجانين، لأبي القاسم الحسن بن محمد بن حبيب، توفي ٤٠٦هـ ـ تحقيق د. عمر الأسعد ـ طبعة دار النفائس، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

١٨٦ـ عِلل الحديث، لابن أبي حاتم الرازي، توفي ٣٢٧هـ ـ طبعة دار

المعرفة، بيروت ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٨٧ـ العِلل ومعرفة الرجال، للإمام أحمد بن حنبل، توفي ٢٤١هـ، تحقيق وصيّ الله عباس ـ طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، ودار الخاني، بالرياض ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٨٨ـ العلل ومعرفة الرجال عن الإمام أحمد بن حنبل، برواية المرُّوذي وغيره، تحقيق د. وصيّ الله بن محمد عباس، طبعة الدار السلفية، بومباي بالهند ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

١٨٩ـ عمل اليوم والليلة (سلوك النبيّ ﷺ مع رتبه)، لأبي بكر بن السُّنّي، توفي ٣٦٤هـ ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا ـ طبعة دار المعرفة، بيروت ١٩٦٩.

١٩٠ـ العنوان (المعروف بتاريخ المنبجي) لأغابيوس بن قسطنطين الرومي المنبجي (من رجال القرن ٣هـ) ـ نشره لويس شيخو، بيروت ١٩٠٧.

١٩١ـ عيون الأخبار، لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، توفي ٢٦٧هـ ـ طبعة دار الكتاب العربي بيروت المصوّرة عن طبعة دار الكتب المصرية.

١٩٢ـ عيون الأخبار وفنون الآثار في فضائل الأئمّة الأطهار، للداعي المطلق إدريس عماد الدين القُرشي، توفي ٨٧٢هـ ـ تحقيق د. مصطفى غالب ـ طبعة دار الأندلس، بيروت ١٩٨٤ (السبع السادس).

١٩٣ـ عيون الأنباء في طبقات الأطبّاء، لابن أبي أُصَيْبعة ـ القاهرة ١٢٩٩هـ.

١٩٤ـ العيون والحدائق في أخبار الحقائق، لمؤرّخ مجهول ـ تحقيق عمر السعيد ـ طبعة المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٧٣.

١٩٥- العيون والحدائق - (الجزء ٤ ق ١) - تحقيق نبيلة عبد المنعم داود - النجف ١٩٧٢.

- غ -

١٩٦- غاية النهاية في طبقات القرّاء، لشمس الدين ابن الجزري - تحقيق برجشتراسر وبريتسل - القاهرة ٣٢ - ١٩٣٣.

١٩٧- الغُرَر الحسان في تواريخ حوادث الزمان، للأمير حيدر أحمد الشهابي، أضاف عليه نعّوم مغبغب - طبعة السلام بمصر ١٩٠٠.

١٩٨- غُرر الخصائص الواضحة، لرشيد الدين الوطواط - طبعة بولاق ١٢٨٤هـ.

- ف -

١٩٩- الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، لمحمد بن علي بن طباطبا المعروف بابن الطقطقا - طبعة دار بيروت للطباعة والنشر ١٣٨٥هـ/ ١٩٦٦م.

٢٠٠- الفرج بعد الشدّة، للقاضي أبي علي المحسّن بن علي التنوخي، توفي ٣٨٤هـ - تحقيق عبّود الشالجي - طبعة دار صادر، بيروت ١٩٧٨.

٢٠١- فضائل بلْخ، لعبد الله بن عمر بن محمد الواعظ البلخي، توفي ٦١٠هـ - ترجمه إلى الفارسية عبد الله بن محمد بن حسين الحسيني البلخي، توفي ٦٧٦هـ - طبعة إيران ١٩٧١.

٢٠٢- الفهرست، لابن النديم - نشره غوستاف جلوجن - طبعة ليبزغ ١٨٧٢.

٢٠٣- الفهرست، لأبي جعفر محمد بن الحسن الطوسي، توفي ٤٦٠هـ - تقديم محمد صادق بحر العلوم - طبعة مؤسسة الوفاء، بيروت

١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م.

٢٠٤- فهرست ما رواه عن شيوخه من الدواوين المصنّفة، لأبي بكر محمد بن خير بن عمر بن خليفة الأموي الإشبيلي، توفي ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م - طبعة دار الآفاق الجديدة، بيروت، المصوّرة عن طبعة الشيخ فرنسشكه قداره زيدين وتلميذه حليان رباهرة طرغوه - طبعة سرقُسطه ١٨٩٣م.

٢٠٥- الفوائد العوالي المؤرّخة من الصحاح والغرائب، للقاضي أبي القاسم علي بن المحسّن التنوخي، توفي ٤٤٧هـ. بتخريج أبي عبد الله محمد بن علي الصوري، توفي ٤٤١ هـ - (بتحقيقنا) - طبعة دار الإيمان بطرابلس، ومؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٨ هـ/١٩٨٨ م.

٢٠٦- الفوائد المنتقاة والغرائب الحِسان عن الشيوخ الكوفيّين، لأبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي، توفي ٤٤٥هـ بتخريج أبي عبد الله محمد بن علي الصوري، توفي ٤٤١هـ - (بتحقيقنا) - طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٢٠٧- فوات الوَفَيات، لمحمد بن شاكر بن محمد الكُتُبي، توفي ٧٦٤هـ - تحقيق د. إحسان عباس - بيروت ١٩٧٤.

- ق -

٢٠٨- القاموس المحيط، لمجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروز ابادي، توفي ٨١٧هـ - طبعة دار الفكر ببيروت، المصوّرة عن طبعة مصر.

٢٠٩- قصيدة إمبراطور الروم نقفور فوكاس في هجاء الإسلام والمسلمين - تقديم د. صلاح الدين المنجّد - طبعة دار الكتاب الجديد، بيروت ١٩٨٢.

- ك -

٢١٠- الكاشف في أسماء الرجال، لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، توفي ٧٤٨ هـ - طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.

٢١١- الكامل في التاريخ، لعزّ الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير، توفي ٦٣٠هـ - طبعة دار صادر، بيروت ٦٥ - ١٩٦٧.

٢١٢- الكامل في ضعفاء الرجال، لأبي أحمد عبد الله بن عديّ الجُرْجاني، توفي ٣٦٥هـ - طبعة دار الفكر ببيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.

٢١٣- الكامل في اللّغة والأدب، لأبي العباس محمد بن يزيد المبرّد - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، والسيّد شحاتة، القاهرة ١٩٥٦.

٢١٤- الكشف الحثيث عمّن رُمي بوضع الحديث، لأبي الوفاء إبراهيم بن محمد بن خليل المعروف بسبط ابن العجمي، توفي ٨٤١هـ - تحقيق صبحي السامرّائي - طبعة وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٩٨٤.

٢١٥- الكفاية في علم الرواية، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، توفي ٤٦٣هـ - تقديم محمد الحافظ التيجاني - طبعة السعادة بمصر ١٩٧٢.

٢١٦- الكنى والأسماء، لأبي بشر محمد بن أحمد بن حمّاد الدولابي، توفي ٣١٠هـ - طبعة دار الكتب العلمية ببيروت المصوّرة عن طبعة حيدر أباد ١٣٢٢هـ.

٢١٧- الكنى والأسماء، للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجّاج القُشيري النيسابوري، توفي ٢٦١هـ، تقديم مطاع الطرابيشي، مصوّرة دار الفكر بدمشق ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م عن نسخة الظاهرية.

٢١٨- الكناية والتعريض، لأبي منصور الثعالبي، توفي ٤٢٩هـ - طبعة مصر.

- ل -

٢١٩- اللُّباب في تهذيب الأنساب، لعزّ الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير، توفي ٦٣٠هـ - طبعة دار صادر، بيروت.

٢٢٠- لسان العرب، لأبي الفضل محمد بن مكرم بن منظور، توفي ٧١١هـ - مصوّرة بولاق.

٢٢١- لسان الميزان، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد المعروف بابن حجر، توفي ٨٥٢هـ - طبعة حيدر أباد ١٣٢٩هـ.

٢٢٢- لطف التدبير، بن عبد الله الخطيب الإسكافي، توفي ٤٢١هـ - تحقيق أحمد عبد الباقي - طبعة دار الكتب العلمية، بيروت ١٣٩٩هـ / ١٩٧٩م.

- م -

٢٢١- مُجابُو الدعوة، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي الدنيا القَرَني، توفي ٢٨١هـ - تحقيق مكتب التحقيق في مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤هـ / ١٩٨٤م.
رواه عنه أبو علي الحسين بن صفوان البرذعي، برواية أبي الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران.

٢٢٤- المجروحون من المحدّثين والضعفاء والمتروكين، لأبي حاتم محمد بن حبّان البُسْتي، توفي ٣٥٤هـ - تحقيق محمود إبراهيم زايد - طبعة دار الوعي بحلب ١٣٩٦هـ.

٢٢٥- محاسن المساعي في مناقب الإمام الأوزاعي، توفي ١٥٧هـ، لأحمد بن محمد بن أحمد الموصلي المعروف بابن زيد، توفي ٨٧٠ هـ - نشره شكيب أرسلان - القاهرة ١٩٣٣ طبعة عيسى البابي الحلبي.

٢٢٦- المحاسن والمساوىء، لإبراهيم بن محمد البيهقي. طبعة دار صادر، بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠م.

٢٢٧- المحدّث الفاصل بين الراوي والواعي، للقاضي الحسن بن عبد الرحمن الرامهرمُزي، توفي ٣٦٠هـ - تحقيق د. محمد عجاج الخطيب - طبعة دار الفكر، بيروت ١٩٨٤.

٢٢٨- المحمّدون من الشعراء وأشعارهم، للوزير جمال الدين أبي الحسن علي بن يوسف القفطي، توفي ٦٤٦ هـ - تحقيق حسين معمري، بيروت ١٣٩٠هـ/ ١٩٧٠.

٢٢٩- المختار من تاريخ ابن الجزري (المسمّى حوادث الزمان وأنبائه ووفيات الأكابر والأعيان من أبنائه) لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي، توفي ٧٣٩هـ - إختيار شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، توفي ٧٤٨هـ - تحقيق خضير عباس محمد خليفة المنشداوي - طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.

٢٣٠- مختصر البلدان، لأبي بكر أحمد الهمذاني بن الفقيه، نشره دي غويه - طبعة ليدن ١٨٨٥.

٢٣١- المختصر في أخبار البشر، لأبي الفداء إسماعيل بن علي بن محمد بن أيوب، توفي ٧٣٢هـ - طبعة مصر ١٣٢٥هـ.

٢٣٢- مِرآة الجنان وعِبْرة اليقظان في حوادث الزمان، لأبي محمد عبدالله اليافعي، توفي ٧٦٨هـ، طبعة حيدر أباد ١٣٣٨هـ.

٢٣٣- المراسيل، لأبي محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي، توفي ٣٢٧هـ/٩٣٨م. - تحقيق شكرالله بن نعمة الله القوجاني - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

٢٣٤- مروج الذهب ومعادن الجوهر، لأبي الحسن علي المسعودي، توفي

٣٤٦ هـ. - تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد - القاهرة ١٩٦٤.

٢٣٥- مسالك الممالك، لأبي القاسم عُبيد الله بن خُرْداذْبَه - نشره دي غويه - طبعة ليدن ١٨٨٩.

٢٣٦- المسالك والممالك، لأبي إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي الأصطخري، توفي النصف الأول من القرن ٤ الهجري، تحقيق د. محمد جابر عبد العال الحيني - طبعة وزارة الثقافة والإرشاد القومي، مصر ١٣٨١ هـ /١٩٦١م.

٢٣٧- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله محمد بن عبدالله بن حمدويه الحاكم النيسابوري، توفي ٤٠٥هـ. - طبعة دائرة المعارف العثمانية بالهند ١٣٤٤ هـ.

٢٣٨- المستطرف في كل فنّ مستظرف، لشهاب الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، توفي ٨٥٠هـ. - منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت ١٤١١ هـ./١٩٩٠م.

٢٣٩- مُسْنَد أبي عَوَانة، يعقوب بن إسحاق الإسفرائيني، توفي ٣١٦هـ. - طبعة دار المعرفة، بيروت (؟).

٢٤٠- مُسْنَد أبي يَعْلَى المَوْصِلِيّ، أحمد بن علي بن المثنَّى التميمي، توفي ٣٥٧هـ. - تحقيق حسين سليم أسد - طبعة دار المأمون للتراث، دمشق ١٤٠٤ هـ./١٩٨٤م.

٢٤١- مُسْنَد الحُمَيْدي، الإمام أبي بكر عبدالله بن الزبير، توفي ٢١٩هـ. - نشره حبيب الرحمن الأعظمي - طبعة حيدر أباد ١٣٨٢ هـ.

٢٤٢- مُسْنَد الشاميّين، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، توفي ٣٦٠هـ. - تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٩ هـ./١٩٨٩م.

٢٤٣- مُسْنَد الشهاب، للقاضي أبي عبدالله محمد بن سلامة القُضاعي - تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٥ هـ./١٩٨٥ م.

٢٤٤- مشارع الأشواق إلى مصارع العشاق، لأبي زكريّا أحمد بن إبراهيم بن محمد الدمشقي الدمياطي المشهور بابن النّحاس، توفي ٨١٤هـ. - تحقيق إدريس محمد علي، ومحمد خالد إسطنبولي - طبعة دار البشائر الإسلامية، بيروت ١٤١٠ هـ./١٩٩٠ م.

٢٤٥- مشاهير علماء الأمصار، لمحمد بن حبّان البُسْتي، توفي ٣٥٤هـ. - نشره م. فلايشهمر - القاهرة ١٩٥١.

٢٤٦- المشتبه في أسماء الرجال، لمحمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، توفي ٧٤٨هـ. - تحقيق علي محمد البجاوي - مصر ١٩٦٢.

٢٤٧- مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي، توفي ٣٢١هـ. - طبعة دار صادر بيروت المصوّرة عن طبعة حيدر أباد ١٣٣٣ هـ.

٢٤٨- المعارف، لعبد الله بن مسلم بن قُتيبة، توفي ٢٦٧هـ. - تحقيق د. ثروت عكاشة - طبعة دار المعارف، مصر ١٩٦٩.

٢٤٩- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، لعبد الرحيم بن أحمد العباسي، توفي ١٩٦٣هـ. - تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد - طبعة المكتبة التجارية الكبرى بالقاهرة ١٣٦٧ هـ./١٩٤٧ م.

٢٥٠- معجم الأدباء، لأبي عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الرومي الحموي، توفي ٦٢٦هـ. - نشره د. مرجليوث - القاهرة.

٢٥١- المعجم الأوسط - لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، توفي ٣٦٠هـ. - تحقيق د. محمود الطحّان - طبعة مكتبة المعارف بالرياض

١٤٠٥ هـ./١٩٨٥ م.

٢٥٢- معجم البلدان، لياقوت الحموي، توفي ٦٢٦هـ. - طبعة دار صادر، بيروت.

٢٥٣- معجم الشعراء، لأبي عبيدالله محمد بن عمران المرزباني، توفي ٣٨٤هـ. - نشره د. ف كرنكو - طبعة مكتبة القدسي ١٤٠٣ هـ./١٩٨٣ م.

٢٥٤- معجم الشيوخ، لأبي الحسين محمد بن أحمد بن جُمَيع الصيداوي، توفي ٤٠٢هـ. - (بتحقيقنا) - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان، طرابلس ١٤٠٥ هـ./١٩٨٥ م.

٢٥٥- المعجم الصغير، لأبي القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، توفي ٣٦٠هـ. - تحقيق عبد الرحمن عثمان - القاهرة ١٩٦٨.

٢٥٦- المعجم الكبير، للطبراني، تحقيق حمدي عبد المجيد السلفي - طبعة وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٩٨٠.

٢٥٧- معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، لعبدالله بن عبد العزيز البكري الأندلسي، توفي ٤٨٧ هـ. - تحقيق مصطفى السقّا - القاهرة ٤٥ - ١٩٤٩.

٢٥٨- المعجم المشتمل على ذِكر أسماء شيوخ الأئمّة النُّبل، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله الشافعي المعروف بابن عساكر الدمشقي، توفي ٥٧١هـ. - تحقيق سكينة الشهابي - طبعة دار الفكر بدمشق.

٢٥٩- معرفة الرجال، عن يحيى بن معين، وعلي بن المديني، وأبي بكر بن أبي شيبة، ومحمد بن عبدالله بن نُمَير، وغيرهم، برواية أحمد بن محمد بن القاسم بن محرز - (الجزء الأول بتحقيق محمد كامل القصار) - طبعة مجمع اللغة العربية، بدمشق ١٤٠٥ هـ./١٩٨٥ م.، و(الجزء الثاني بتحقيق محمد مطيع الحافظ، وغزوة بدير).

٢٦٠- معرفة القرّاء الكبار على الطبقات والأعصار، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، توفي ٧٤٨هـ. - تحقيق د. بشّار عوّاد معروف - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٤ هـ./١٩٨٤ م.

٢٦١- المعرفة والتاريخ، لأبي يوسف يعقوب بن سفيان الفَسَوي، توفي ٢٧٧ هـ. - تحقيق د. أكرم ضياء العمري - طبعة وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ٧٤ - ١٩٧٦.

٢٦٢- المغني في ضبط أسماء الرجال ومعرفة كنى الرواة وألقابهم وأنسابهم، لمحمد طاهر بن علي الهندي، توفي ٩٨٦ هـ. - طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٧٩.

٢٦٣- المغني في الضعفاء، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، توفي ٧٤٨هـ. - تحقيق نور الدين عتر. (مجهول مكان الطبع وتاريخه).

٢٦٤- المقاصد السنيّة في الأحاديث الإلهيّة، لأبي القاسم علي بن بلبان المقدسي، توفي ٦٨٤هـ. - تحقيق محيي الدين مستو، ود. محمد العيد الخطراوي - طبعة مكتبة دار التراث بالمدينة المنوّرة، ودار ابن كثير بدمشق، بيروت.

٢٦٥- مقامات الزمخشريّ، (المقامة الأولى)، للإمام محمود بن عمر الزمخشريّ، توفي ٥٣٨هـ. - طبعة التوفيق بمصر ١٣٢٥ هـ.

٢٦٦- المقفّى، لتقيّ الدين أحمد بن علي المقريزي، توفي ٨٥٤هـ. - اختيار وتعليق محمد اليعلاوي - طبعة دار الغرب، بيروت ١٩٨٧.

٢٦٧- المنازل والديار، للأمير أسامة بن منقذ، توفي ٥٨٤هـ. - تحقيق مصطفى حجازي - طبعة المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، القاهرة ١٩٦٨.

٢٦٨- مناقب أبي حنيفة، للإمام الموفّق بن أحمد المكّي، توفي ٥٦٨هـ. -

طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠١ هـ./١٩٨١ م.

٢٦٩- المنتخب من تاريخ المنبجي، لأغابيوس بن قسطنطين المنبجي، (من أهل القرن الرابع الهجري) - (بانتخابنا وتحقيقنا) - طبعة دار المنصور، طرابلس ١٤٠٦ هـ./١٩٨٦ م.

٢٧٠- المنتخب من ذيل المذيَّل، لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، توفي ٣١٠هـ. - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة دار المعارف بمصر ١٩٧٧.

٢٧١- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن علي بن الجوزي، توفي ٥٩٧هـ. - طبعة حيدر أباد ١٣٥٩ هـ.

٢٧٢- المنتقى من تاريخ الأنطاكي يحيى بن سعيد، لمؤرّخ مجهول - ملحق بتاريخ الأنطاكي، (بتحقيقنا) - طبعة جرّوس برس، طرابلس ١٩٩٠.

٢٧٣- من حديث خيثمة بن سليمان القُرَشيّ الأطرابلسيّ، توفي ٣٤٣هـ. - (٤ مخطوطات في الحديث والرقائق والحكايات) - (بتحقيقنا) - طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٨٠.

٢٧٤- موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبّان، لنور الدين أبي الحسن علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي، توفي ٧٣٥هـ. - تحقيق محمد عبد الرزاق حمزة - المطبعة السلفية.

٢٧٥- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، لتقيّ الدين أحمد بن علي المقريزيّ، توفي ٨٥٤هـ. - طبعة مصر ١٣٢٥ هـ.

٢٧٦- موضّح أوهام الجمع والتفريق، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، توفي ٤٦٣هـ. - نشره عبد الرحمن يحيى المعلمي،

طبعة حيدر أباد بالهند ١٩٦٠ .

٢٧٧- ميزان الإعتدال في نقد الرجال، لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، توفي ٧٤٨هـ. - تحقيق علي محمد البجاوي - القاهرة ١٩٦٣ .

- ن -

٢٧٨- نُبَذ من كتاب الخراج وصناعة الكتابة لأبي الفرج قُدامة بن جعفر الكاتب البغدادي، توفي ٣٢٩هـ. - (مُلحق بكتاب مسالك الممالك لابن خرداذبة) نشره دي غويه - طبعة ليدن ١٨٨٩ .

٢٧٩- نتائج الأفكار القدسية في بيان معاني شرح الرسالة القُشيرية، لمصطفى بن محمد الصغير العروسي، توفي ١٢٩٣هـ. - طبعة بولاق ١٢٩٠ هـ.

٢٨٠- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لأبي المحاسن يوسف بن تغري بردي، توفي ٨٧٤هـ. - طبعة دار الكتب المصرية ١٩٦٣ .

٢٨١- نسب قريش، لمُصْعَب بن عبد الله بن الزبير، توفي ٢٣٦هـ. - تحقيق ليفي بروفنسال - طبعة دار المعارف بمصر ١٩٥٣ .

٢٨٢- نهاية الأرب في فنون الأدب، لشهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري، توفي ٧٣٣هـ. - (الجزء ٢٣) تحقيق د. أحمد كمال زكي - طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٠ .

- هـ -

٢٨٣- هدْي الساري (مقدّمة فتح الباري على صحيح البخاري)، لابن حجر العسقلاني، توفي ٨٥٢هـ. - طبعة مصر .

٢٨٤- هديّة العارفين، لإسماعيل باشا البغدادي - طبعة استانبول ١٩٥٥ .

٢٨٥- الهفوات النادرة، لغرس النعمة أبي الحسن محمد بن هلال الصابي، توفي

٤٨٠هـ. - تحقيق د. صالح الأشتر - طبعة مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٨٧ هـ./١٩٦٧ م.

- و -

٢٨٦- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، توفي ٧٦٤هـ. - (الجزء الأول) تحقيق هلموت ريتر، طبعة اسطمبول ١٩٣١ .

(الجزء الثالث) - تحقيق س. ديدرنغ - طبعة بيروت ١٩٧٢ .

(الجزء السادس) - تحقيق س. ديدرنغ - طبعة بيروت ١٩٧٢ .

(الجزء الثامن) - باعتناء محمد يوسف نجم - بيروت ١٩٧١ .

٢٨٧- الوزراء (أو تحفة الأمراء في تاريخ الوزراء)، لأبي الحسن الهلال بن المحسّن الصابي - تحقيق عبد الستار فرّاج - طبعة دار إحياء الكتب العربية (عيسى البابي الحلبي وشركاه) - مصر ١٩٥٨ .

٢٨٨- الوزراء والكُتّاب، لأبي عبدالله محمد بن عبدوس الجهشياريّ - تحقيق مصطفى السقّا، وإبراهيم الأبياري، وعبد الحفيظ شلبي - القاهرة ١٩٣٨ .

٢٨٩- وَفَيَات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، لأبي العباس شمس الدين أحمد بن خلّكان، توفي ٦٨١ هـ. - تحقيق د. إحسان عباس - طبعة دار الثقافة، بيروت.

٢٩٠- وُلاة مصر، لمحمد بن يوسف الكِنْدي، توفي ٣٥٠هـ. - تحقيق د. حسين نصّار - بيروت ١٩٥٩ .

٢٩١- الوُلاة والقُضاة، للكِنْدي - نشره رفن جست - بيروت ١٩٠٨

ـ ي ـ

٢٩٢ـ يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لأبي منصور عبد الملك بن محمد الثعالبي، توفي ٤٢٩هـ. ـ تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ـ مصر ٥٦ ـ ١٩٥٨.

ج ـ المراجع الحديثة

ـ أ ـ

٢٩٣ـ أبو جعفر المنصور وعروبة لبنان ـ عجّاج نُوَيهض، بيروت ١٩٦٢.

٢٩٤ـ الإسلام في حوض البحر الأبيض المتوسّط ـ د. علي حسني الخربوطلي ـ بيروت.

٢٩٥ـ أصدق ما كان عن تاريخ لبنان ـ فيليب طرازي ـ بيروت ١٩٤٨.

٢٩٦ـ الإمبراطورية البيزنطية ـ نورمان بينز ـ ترجمة د. حسين مؤنس و د. محمود زايد ـ القاهرة ١٩٥٠.

٢٩٧ـ أمراء الشعر العربي ـ أنيس الخوري المقدسي ـ المطبعة الأميركانية، بيروت، وطبعة دار العلم للملايين، بيروت ١٩٨٣.

٢٩٨ـ أوربا العصور الوسطى ـ (التاريخ السياسي) ـ د. سعيد عبد الفتاح عاشور ـ القاهرة ١٩٦٤.

٢٩٩ـ الأوزاعيّ وتعاليمه الإنسانية والقانونية ـ د. صبحي المحمصاني ـ بيروت ١٩٧٨.

ـ ب ـ

٣٠٠ـ البحرية الإسلامية في مصر والشام، د. أحمد مختار العبّادي و د. سيّد عبد العزيز سالم ـ بيروت ١٩٧٢.

٣٠١ـ بلادنا فلسطين (في الديار اليافية) ـ مصطفى الدبّاغ، بيروت.

ـ ت ـ

٣٠٢ـ تاريخ الأدب الجغرافي العربي ـ كراتشكوفسكي ـ ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ـ نشرته جامعة الدول العربية بالقاهرة ١٩٦٥.

٣٠٣ـ تاريخ الأدب العربي ـ كارل بروكلمان ـ ترجمة د. عبد الحليم النجار ـ القاهرة ١٩٦٢.

٣٠٤ـ تاريخ بعلبك ـ د. حسن عباس نصرالله ـ مؤسسة الوفاء، بيروت ١٤٠٤هـ./١٩٨٤م.

٣٠٥ـ تاريخ التراث العربي ـ فؤاد سزگين ـ ترجمة د. فهمي أبو الفضل ـ القاهرة ١٩٧١.

٣٠٦ـ تاريخ سورية ـ المطران يوسف الدبس ـ بيروت ١٨٩٩.

٣٠٧ـ تاريخ سورية ولبنان وفلسطين ـ د. فيليب حتي ـ ترجمة د. جورج حداد ـ بيروت ١٩٥٨.

٣٠٨ـ تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ـ تأليفنا (الجزء الأول) طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان، طرابلس ١٤٠٤هـ./١٩٨٤م.

٣٠٩ـ تاريخ كنيسة أنطاكية ـ خريسوستُمُس بابا دوبولُس ـ تعريب الأسقف استفانُس حدّاد ـ منشورات النور، بيروت ١٩٨٤.

٣١٠ـ تاريخ الموارنة ـ الأب بطرس ضوّ ـ بيروت ١٩٧٠.

٣١١ـ تاريخ وادي التّيم ـ يحيى حسين عمار ـ ينطا ١٩٨٥.

٣١٢- تسريح الأبصار فيما يحتويه لبنان من آثار - هنري لامنس - بيروت ١٩١٣.

٣١٣- التنظيم البحري الإسلامي في شرق المتوسط من القرن السابع حتى القرن العاشر - د. علي محمود فهمي - ترجمة د. قاسم عبده قاسم - طبعة دار الوحدة، بيروت ١٤٠٢ هـ./١٩٨١م.

٣١٤- التنوخيّون - نديم نايف حمزة - دار النهار، بيروت ١٩٨٤.

- ث -

٣١٥- ثورات بلاد الشام، دوافعها ونتائجها ٢١٨ - ٢٥٦ هـ./٨٣٣ - ٨٧٥ م.) د. بهجت كامل التكريتي - بحث في مجلّة المورد العراقية - مجلّد ٤ عدد ١/١٣٩٥هـ. - ١٩٧٥م.

- ج -

٣١٦- جامع كرامات الأولياء - يوسف النبهاني - طبعة دار صادر، بيروت؟

٣١٧- الجغرافيا والسيادة العالمية - جيمز فيرغريف - ترجمة علي رفاعة الأنصاري - القاهرة ١٩٥٦.

- ح -

٣١٨- الحاكم بأمر الله وأسرار الدعوة الفاطمية - محمد عبد الله عنان - القاهرة ١٩٥٩.

٣١٩- الحدود الإسلامية البيزنطية - فتحي عثمان - القاهرة ١٩٦٦.

٣٢٠- الحركة الصليبية - د. سعيد عبد الفتاح عاشور - القاهرة ١٩٦٣.

٣٢١- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري - آدم ميتز - ترجمة د. عبد الهادي أبو ريدة - القاهرة ١٩٤١.

٣٢٢- الحضارة البيزنطية - ستيفن رنسيمان - ترجمة عبد العزيز جاويد - القاهرة ١٩٦١.

٣٢٣- الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى - (تأليفنا) - طبعة دار فلسطين للتأليف والترجمة، بيروت ١٩٧٣.

- خ -

٣٢٤- خطط الشام - محمد كردعلي - دمشق ١٣٤٣ هـ.

- د -

٣٢٥- دائرة المعارف الإسلامية - ترجمة عدد من الأساتذة - طبعة القاهرة.

٣٢٦- دائرة معارف البستاني - بطرس البستاني - طبعة ١٩٠٠.

٣٢٧- دار العلم بطرابلس في القرن الخامس الهجري - (تأليفنا) - طبعة دار الإنشاء، طرابلس ١٣٨٢.

٣٢٨- الدروز - سليم أبو إسماعيل - بيروت ١٩٥٥.

٣٢٩- دور العروبة في تراثنا اللبناني - د. زكي النقاش - بيروت ١٩٧٤.

٣٣٠- الدولة البيزنطية - د. سيد الباز العريني - القاهرة ١٩٦٠.

- ذ -

٣٣١- ذخائر لبنان - إبراهيم بك الأسود - بعبدا ١٨٩٦.

- ر -

٣٣٢- الرباط والمرابطون في ساحل الشام - بحث قدّمناه في المؤتمر العالمي

لتاريخ الحضارة العربية الإسلامية، الذي انعقد بجامعة دمشق ١٤٠١ هـ./١٩٨١ م. ونُشر في الكتاب الصادر عن المؤتمر (ص٣٥٣ - ٣٧٢).

٣٣٣- روض الشقيق في الجزل الرقيق - شكيب أرسلان، طبعة ابن زيدون بدمشق ١٩٢٥.

٣٣٤- الروم وصِلاتهم بالعرب - د. أسد رستم - بيروت ١٩٥٥.

- س -

٣٣٥- سياسة المنصور أبي جعفر الداخلية والخارجية - حسن فاضل زعين العاني - طبعة دار الرشيد - بغداد ١٩٨١.

- ط -

٣٣٦- طرابلس الشام في التاريخ الإسلامي - د. سيد عبد العزيز سالم - الإسكندرية ١٩٦٧.

- ع -

٣٣٧- العالم الإسلامي في العصر العباسي - د. حسن أحمد محمود، وأحمد إبراهيم الشريف - القاهرة ١٩٦٦.

٣٣٨- العبّاسيّون الأوائل - د. فاروق عمر - بغداد.

٣٣٩- عبدالرحمن الأوزاعي شيخ الإسلام وإمام أهل الشام - طه الولي - طبعة دار صادر، بيروت ١٩٦٨.

٣٤٠- العرب والأرض في بلاد الشام في صدر الإسلام - د. عبد العزيز الدوري (من المؤتمر الدولي لتاريخ بلاد الشام) - الأردن ١٩٦٢.

٣٤١- العرب والإسلام والخلافة العربية - بيلياييف، ترجمة د. أنيس فريحة -

طبعة الدار المتحدة للنشر، بيروت ١٩٧٣.

٣٤٢- العرب والعروبة من القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر الهجري - محمد عزّة دروزة - دمشق ١٩٦٠.

٣٤٣- عروبة لبنان - محمد جميل بَيْهم - بيروت ١٩٦٩.

٣٤٤- العلاقات بين الشرق والغرب - د. عبد المنعم ماجد، بيروت ١٩٦٦.

- ف -

٣٤٥- فقه الإمام الأوزاعيّ - د. عبدالله الجبوري - طبعة وزارة الأوقاف العراقية، مطبعة الإرشاد بغداد ١٣٩٧ هـ./١٩٧٧ م.

- ق -

٣٤٦- القاموس الإسلامي - أحمد عطيّة الله - طبعة دار النهضة المصرية ٦٣ - ١٩٨٠.

٣٤٧- قصّة الحضارة - ول ديورنت - (الجزء ١٣) - ترجمة محمد بدران - القاهرة ١٩٦٤.

٣٤٨- القوى البحرية والتجارية في حوض البحر المتوسط - أرشيبالد لويس - ترجمة أحمد محمد عيسى - القاهرة ١٩٦٠.

- ل -

٣٤٩- لبنان في محيطه العربي - فؤآد قازان - بيروت ١٩٧٢.

٣٥٠- لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية (تأليفنا) - طبعة جرّوس برس - طرابلس ١٤١٠ هـ./١٩٩٠.

٣٥١- لبنان من الفتح العربي حتى الفتح العثماني - محمد علي مكي - بيروت ١٩٧٧.

- م -

٣٥٢- المختار من وُلاة مصر - د. إبراهيم أحمد العدوي - طبعة وزارة الثقافة، نشر دار المعرفة بالقاهرة.

٣٥٣- مدينة الرملة منذ نشأتها حتى عام ٤٩٢ هـ./١٠٩٩ م. - د. صادق أحمد داود جودة - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، دار عمّار، الأردن ١٤٠٦ هـ./١٩٨٦ م.

٣٥٤- مسار الدعوة الإسلامية في لبنان - الشيخ حسن خالد - طبعة دار الدعوة، بيروت ١٤٠٠ هـ./١٩٨٠ م.

٣٥٥- المستدرك على معجم المؤلّفين - عمر رضا كحّالة - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت ١٤٠٦ هـ./١٩٨٥ م.

٣٥٦- المسلمون في أوربا - د. إبراهيم علي طرخان - القاهرة ١٩٦٦.

٣٥٧- مشايخ بلْخ من الحنفيّة - د. محمد محروس عبداللطيف المدرّس - منشورات وزارة الأوقاف العراقية، بغداد ١٩٧٩.

٣٥٨- مصر في عصر الطولونيّين والإخشيديّين - د. سيّدة إسماعيل الكاشف و د. حسن أحمد محمود - القاهرة ١٩٦٠.

٣٥٩- معبد الشهيد القدّيس لاونتيوس - للأب جان موريس فييه - مجلّة النور - العدد الأول - طرابلس.

٣٦٠- معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية - د. أنيس فريحة - طبعة مكتبة لبنان ١٩٧٢.

٣٦١- معجم الخريطة التاريخية - أمين واصف - مصر ١٩١٦.

٣٦٢- معجم المؤلّفين - عمر رضا كحّالة - منشورات مكتبة المثنّى ودار إحياء التراث العربي، بيروت.

٣٦٣- من تاريخ الأُسَر الحاكمة في لبنان - (أسرة عيسى بن الشيخ في صيدا وجنوب لبنان) - دراسة لنا في مجلّة (تاريخ العرب والعالم) - العدد ٢٣ بيروت ١٩٨٠.

٣٦٤- مواقف حاسمة في الإسلام - محمد عبدالله عنان - الطبعة الأولى ببولاق تاريخ ١٩٢٩، والطبعة الرابعة، بالقاهرة ١٩٦٢.

٣٦٥- الموسوعة العربية الميسّرة - طبعة دار القلم بالقاهرة بإشراف محمد شفيق غربال - الطبعة الأولى.

٣٦٦- موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي (تأليفنا) (٥ مجلّدات) - طبعة المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، بيروت ١٤٠٤ هـ./١٩٨٤ م.

- ن -

٣٦٧- نُخَب تاريخية وأدبية جامعة لأخبار سيف الدولة الحمداني - جمعها ماريوس كانار - الجزائر ١٩٣٤.

٣٦٨- نصوص ضائعة من كتاب: الوزراء والكُتّاب للجهشياري - جمعها ميخائيل عوّاد - منشورات دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٣٨٤ هـ./١٩٦٤ م.

٣٦٩- نصوص من تاريخ ابن عساكر حول طرابلس الشام في القرن الأول الهجري - بحث لنا قدّمناه في المؤتمر العالمي الذي أقامته وزارة التعليم العالي بسورية للاحتفال بذكرى مرور ٩٠٠ سنة على ولادة المؤرّخ ابن عساكر، ونُشر البحث في الكتاب الصادر عن المؤتمر، بدمشق ١٣٩٩ هـ./١٩٧٩ م. (ص ٧٧٥ - ٨٣٤).

٣٧٠- نفحات النّسرين والرَّيْحان فيمن كان بطرابلس (الغرب) من الأعيان - أحمد الأنصاري - تحقيق علي مصطفى المصراتي، بيروت ١٩٦٣.

٣٧١- نوادر المخطوطات العربية في مكتبات تركيا - جمعها د. رمضان ششن - ج ٢ - طبعة دار الكتاب الجديد، بيروت ١٤٠٠ هـ./١٩٨٠م.

د. المراجع الأجنبية

بالإنكليزية:

٣٧٢- Cameniates ed. Bonn. 512, 579 – quoted by Jenkins Speculum, April 1948.

٣٧٣- History of the Byzantine – Empire – A.A. Vasiliev – V.I. – 1964.

٣٧٤- History of the Byzantine – George Finlay – From Dcc XVI, to ML-VII – Book II, Ch. IS2 – A.D. 886-912 – Oxford 1877.

٣٧٥- History of the Byznatine State – Ostrogorowski – Trans: Joan Hussey – Oxford 1956.

بالفرنسية:

٣٧٦- Byzance et les Arabe, éd. Fr. M. Canard – A:A. Vasiliev – Bruxelles 1968.

٣٣٧- Histoire du Liban du XVIIS, à no Jours – Adel Ismail T.1, Paris 1955.

٣٧٨- Répertoire chronologique D'Epigraphie Arabe – T.14. ER – Combe, K.A.C.J. Sauvaget, et G. Wiet – Le Caire imprimerie de L'Institut Français D'Archéologie Orientale.

فهرس الأماكن

- آ -

- أ -

- ب -

- ت -

- ث -

- ج -

- ح -

- خ -

- د -

- ن -

- هـ -

- و -

- ي -

الفهرس العام

القسم الثاني
التاريخ الحضاريّ

(١)
«لبنان»
في كتابات المؤرّخين والجغرافيّين المعاصرين

(٢)
جبال «لبنان» موطن الزّهاد والعُبّاد

(٣)
المظاهر العمرانية والاجتماعية والثقافية
في المدن والقرى «اللبنانية»

فهرس شجرات الأنساب

صدر للمؤلّف

(حسب تسلسل تواريخ الطباعة)

١ ـ الحياة الثقافية في طرابلس الشام خلال العصور الوسطى ـ طبعة دار فلسطين للتأليف والترجمة : بيروت ١٩٧٣ (٣٧٢ صفحة).

٢ ـ تاريخ وآثار مساجد ومدارس طرابلس في عصر المماليك ـ طبعة دار البلاد للطباعة والإعلام ـ طرابلس ١٩٧٤ (٤٤٠ صفحة ـ مع صُوَر).

٣ ـ تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ـ الجزء الأول (عصر الصراع العربي ـ البيزنطي) ـ طبعة دار البلاد للطباعة والإعلام ـ طرابلس ١٩٧٨ (٥٠٠ صفحة) ـ الطبعة الأولى.
وصدر في طبعة ثانية مَزيدة عن : مؤسسة الرسالة ببيروت ، ودار الإيمان بطرابلس ١٤٠٤ هـ./١٩٨٤ م. (٧٢٥ صفحة).

٤ ـ من حديث خيثمة بن سليمان القُرَشيّ الأطرابلسيّ (٢٥٠-٣٤٣ هـ.) ـ دراسة وتحقيق ٤ مخطوطات هي :
ـ الفوائد من المنتخب من حديث خيثمة ـ الجزء الأول ـ مخطوطة الظاهرية بدمشق.
ـ فضائل أبي بكر الصِّدّيق ـ الجزء الثالث ـ مخطوطة الظاهرية بدمشق.
ـ فضائل الصحابة ـ الجزء السادس ـ مخطوطة الظاهرية بدمشق.
ـ الرقائق والحكايات ـ الجزء العاشر ـ مخطوطة الظاهرية ، ومخطوطة

مكتبة تشستربيتي، بدبلن (إيرلندة الجنوبية).

صدر عن دار الكتاب العربي: بيروت ١٤٠٠ هـ./١٩٨٠ م. (٣٦٧ صفحة).

٥ ـ تاريخ طرابلس السياسي والحضاري عبر العصور ـ الجزء الثاني (عصر دولة المماليك) ـ طبعة المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت ١٤٠١ هـ./١٩٨١ م. (٦٧٦ صفحة).

٦ ـ النور اللائح والدرّ الصادح في اصطفاء الملك الصالح ـ (إسماعيل بن محمد بن قلاوون ٧٤٣ ـ ٧٤٦ هـ.) ـ تأليف إبراهيم بن عبد الرحمن بن القيسرانيّ القُرَشي الخالدي (توفي سنة ٧٥٣ هـ.) ـ دراسة وتحقيق مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ـ طبعة دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر ـ طرابلس ١٤٠٢ هـ./١٩٨٢ م. (٨٥ صفحة).

٧ ـ دار العلم بطرابلس في القرن الخامس الهجري ـ طبعة دار الإنشاء للصحافة والطباعة والنشر ـ طرابلس ١٤٠٢ هـ./١٩٨٢ م. (٩٦ صفحة).

٨ ـ وثائق المحكمة الشرعية بطرابلس (من تاريخ لبنان الاجتماعي والاقتصادي والسياسي) ـ السّجلّ الأول (١٠٧٧ ـ ١٠٧٨ هـ./ ١٦٦٦-١٦٦٧ م.) بالإشتراك مع د. خالد زيادة وفردريك معتوق ـ منشورات معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية، طرابلس ١٩٨٢.

٩ ـ البدر الزاهر في نُصْرة الملك الناصر (محمد بن قايتباي) (٩٠١-٩٠٤ هـ./١٤٩٥-١٤٩٩ م.) يُنسب إلى ابن الشحنة ـ دراسة وتحقيق مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس ـ طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٣ هـ./١٩٨٣ م. (١٨٢ صفحة).

١٠ـ القول المستظْرَف في سفر مولانا الملك الأشرف (رحلة قايتباي إلى بلاد

الشام) (٨٨٢-١٤٧٧ هـ.) ـ تأليف القاضي بدر الدين أبي البقاء محمد بن يحيي بن شاكر بن عبد الغني المعروف بابن الجيعان (٨٤٧-٩٠٢ هـ.) ـ دراسة وتحقيق مخطوطة الأسكوريال بمدريد، ومخطوطة دار الكتب المصرية، ومصوّرة تورينو بإيطاليا ـ طبعة جرّوس برس، طرابلس ١٩٨٤ (١٩٤ صفحة).

١١ـ موسوعة علماء المسلمين في تاريخ لبنان الإسلامي ـ (عبر أربعة عشر قرناً هجريًا) ـ القسم الأول في ٥ مجلّدات ـ تراجم العلماء من الفتح الإسلامي حتى سنة ٤٩٩ هـ.

- المجلّد الأول (٥٠٩ صفحات) تراجم حرف الألف.
- المجلّد الثاني (٤٠٧ صفحات) من حرف ب ـ ط.
- المجلّد الثالث (٤٢٩ صفحة) حرف العين.
- المجلّد الرابع (٣٧٥ صفحة) من حرف غ ـ م (محمد بن محمد).
- المجلّد الخامس (٣٤١ صفحة) من م ـ ي طبعة المركز الإسلامي للإعلام والإنماء، بيروت ١٤٠٤ هـ./١٩٨٤ م.

١٢ـ معجم الشيوخ ـ تأليف أبي الحسين محمد بن أحمد بن جُمَيع الغسّاني الصيداويّ (٣٠٥-٤٠٢ هـ.) دراسة وتحقيق مخطوطة جامعة ليدن بهولنده، وبذيله:

- المنتقى من المعجم، بانتقاء محمد بن سند (٧٤٩ هـ.) مخطوطة الظاهرية بدمشق.
- حديث السكَن بن جُمَيع المتَوَفّى سنة ٤٣٧ هـ. ـ مخطوطة الظاهرية بدمشق.

طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان، طرابلس ١٤٠٥ هـ./١٩٨٥ م. (٥٥٠ صفحة)

الطبعة الثانية ١٤٠٧ هـ./١٩٨٧ م.

١٣- شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام - تأليف قاضي مكة تقيّ الدين محمد بن أحمد بن علي الفاسي المالكي (٧٧٥-٨٣٢ هـ.) - تحقيق وفهرسة - طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٥ هـ./١٩٨٥ م.
- المجلّد الأول (٦١٦ صفحة)
- المجلّد الثاني (٦١٨ صفحة).

١٤- الفوائد العوالي المؤرَّخة من الصّحاح والغرائب - للقاضي أبي القاسم علي بن المحسّن التنوخي (توفي سنة ٤٤٧ هـ.) بتخريج الحافظ أبي عبدالله محمد بن علي الصوري (توفي سنة ٤٤١ هـ.) - دراسة وتحقيق الجزء الخامس من مخطوطة الظاهرية بدمشق - طبعة مؤسسة الرسالة، بيروت، ودار الإيمان، طرابلس ١٤٠٦ هـ./١٩٨٥ م. (٢٢٥ صفحة)
- الطبعة الثانية ١٤٠٨ هـ./١٩٨٨ م.

١٥- ديوان ابن منير طرابلس، مهذّب الدين أبي الحسين أحمد بن منير بن أحمد بن مفلح الطرابلسيّ المعروف بالرّفاء (٤٧٣-٥٤٨ هـ.) - تقديم ودراسة وجمع وترتيب شعره - طبعة دار الجيل، بيروت، ومكتبة السائح، طرابلس ١٩٨٦ م. (٣٤٨ صفحة).

١٦- المنتخب من تاريخ المنبجي، لأغابيوس (محبوب) بن قسطنطين المنبجي أسْقُف منبج (من أهل القرن ٤ هـ.) - دراسة وتحقيق القسم الخاص بتاريخ المسلمين من الكتاب المعروف بـ «العنوان» - طبعة دار المنصور، طرابلس ١٤٠٧ هـ./١٩٨٦ م. (١٧٣ صفحة).

١٧- الفوائد المُنْتقاة والغرائب الحِسان عن الشيوخ الكوفيّين، انتخبها الحافظ أبو عبدالله محمد بن علي الصوريّ (٣٧٦-٤٤١ هـ.) على: أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن بن عبد الرحمن العلوي (٣٦٧-٤٤٥ هـ.) - دراسة وتحقيق مخطوطة الظاهرية بدمشق.

وبذيله:
«فوائد في نقد الأسانيد» للحافظ الصوري، مخطوطة المتحف البريطاني.
طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ./١٩٨٧ م. (١٧٣ صفحة).

١٨- السيرة النبويّة - تأليف أبي محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب المعافريّ المتوفّى سنة ٢١٣ أو ٢١٨ هـ. - تحقيق وتخريج وفهرسة:
- المجلّد الأول (٤٤٠ صفحة)
- المجلّد الثاني (٤٤٨ صفحة)
- المجلّد الثالث (٣٦٠ صفحة)
- المجلّد الرابع (٣٧٤ صفحة).

طبعة دار الكتاب العربي، بيروت ١٤٠٨ هـ./١٩٨٧ م.

١٩- تاريخ الأنطاكي (المعروف بصلة تاريخ أوتيخا) - تأليف يحيى بن سعيد بن يحيى الأنطاكي (توفي ٤٥٨ هـ./١٠٦٦ م.) - تقديم وتحقيق وفهرسة -
وبذيله:
«المنتقى من تاريخ الأنطاكي» -
صدر عن مؤسّسة جرّوس برس، طرابلس ١٤٠٩ هـ./١٩٨٩ م. (٥٧٦ صفحة).

٢٠- لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الأموية (١٣-١٣٢ هـ./٦٣٤-٧٥٠ م.) - سلسلة دراسات في تاريخ الساحل الشامي - صدر عن مؤسّسة جرّوس برس، طرابلس. ١٤١ هـ./١٩٩٠ م. (٣٣٥ صفحة).

٢١- لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الإخشيدية (١٣٢-٣٥٨ هـ./٧٥٠-٩٦٩ م.) - صدر عن مؤسّسة جرّوس برس،

طرابلس ١٤١٢ هـ./١٩٩١ م. (سلسلة دراسات في تاريخ الساحل الشامي).

* * *

وصدر بتحقيق المؤلّف

من «تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام»

للحافظ المؤرّخ شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز المعروف بالذهبيّ المتوفّى سنة ٧٤٨ هـ. عن مخطوطات: آيا صوفيا باستانبول، ومخطوطة حيدر أباد الدكن بالهند، ومخطوطة دار الكتب المصرية، ومخطوطة «المنتقى من تاريخ الإسلام» لابن المُلّا، بالمكتبة الأحمدية بحلب. طبعة دار الكتاب العربي، ببيروت، وهي تباعًا على الحوادث والوَفَيَات:

١ ـ المغازي (٨٢١ صفحة) صدر ١٤٠٧ هـ./١٩٨٧ م.

٢ ـ السيرة النبويّة (٧٠٤ صفحات) صدر ١٤٠٧ هـ./١٩٨٧ م.

٣ ـ عهد الخلفاء الراشدين (١١ـ٤٠ هـ.) ـ (٨٠٣ صفحات) صدر ١٤٠٧ هـ./١٩٨٧ م.

٤ ـ عهد معاوية بن أبي سفيان (٤١ـ٦٠ هـ.) ـ (٤٣٩ صفحة) صدر ١٤٠٩ هـ./١٩٨٩ م.

٥ ـ حوادث ووَفيات (٦١ـ٨٠ هـ.) ـ (٦٦٩ صفحة) صدر ١٤١٠ هـ./١٩٩٠ م.

٦ ـ حوادث ووَفَيَات (٨١ـ١٠٠ هـ.) ـ (٦٥٦ صفحة) صدر ١٤١١ هـ./١٩٩٠ م.

٧ ـ حوادث ووَفَيَات (١٠١ـ١٢٠ هـ.) ـ (٥٨١ صفحة) صدر ١٤١٠

هـ./١٩٩٠ م.

٨ - حوادث ووَفَيَات (١٢١-١٤٠ هـ.) - (٦٣٩ صفحة) صدر ١٤٠٨ هـ./١٩٨٨ م.

٩ - حوادث ووَفَيَات (١٤١-١٦٠ هـ.) - (٧٧١ صفحة) صدر ١٤٠٨ هـ./١٩٨٨ م.

١٠- حوادث ووَفَيَات (١٦١-١٧٠ هـ.) - (٦٦٤ صفحة) صدر ١٤١١ هـ./١٩٩٠ م.

١١- حوادث ووَفَيَات (١٧١-١٨٠ هـ.) - (٥١٨ صفحة) صدر ١٤١١ هـ./١٩٩٠ م.

١٢- حوادث ووَفَيَات (١٨١-١٩٠ هـ.) - (٥٧٦ صفحة) صدر ١٤١٠ هـ./١٩٩٠ م.

١٣- حوادث ووَفَيَات (١٩١-٢٠٠ هـ.) - (٦١١ صفحة) صدر ١٤١١ هـ./١٩٩٠ م.

١٤- حوادث ووَفَيَات (٢٠١ - ٢١٠ هـ.) - (٥٧٣ صفحة) صدر ١٤١١ هـ./ ١٩٩١ م.

١٥- حوادث ووَفَيَات (٢١١ - ٢٢٠ هـ.) - (٥٦٢ صفحة) صدر ١٤١١ هـ./ ١٩٩١ م.

١٦- حوادث ووَفَيَات (٢٢١ - ٢٣٠ هـ.) (صفحة) صدر ١٤١٢ هـ./١٩٩١ م.

١٧- حوادث ووَفَيَات (٢٣١ - ٢٤٠ هـ.) - (٥٣٤ صفحة) صدر ١٤١١هـ./١٩٩١ م.

١٨- حوادث ووَفَيَات (٢٤٠ - ٢٥٠ هـ.) - ٦٧٧ صفحة) صدر ١٤١١ هـ./١٩٩١ م.

١٩- حوادث ووَفَيَات (٢٨١ - ٢٩٠ هـ.) - (٤٥٤ صفحة) صدر ١٤١١ هـ./١٩٩١ م.

٢٠- حوادث ووَفَيَات (٢٩١ - ٣٠٠ هـ.) - (٤٣٢ صفحة) صدر ١٤١١ هـ./١٩٩١ م.

٢١- حوادث ووفيات (٣٥١-٣٨٠ هـ.) - (٨٦٤ صفحة) صدر ١٤٠٩ هـ./١٩٨٩ م.

٢٢- حوادث ووَفَيَات (٣٨١-٤٠٠ هـ.) - (٥٣٤ صفحة) صدر ١٤٠٩ هـ./١٩٨٨ م.

وتحت الطباعة ويصدر قريباً

٢٣- حوادث ووَفَيَات (٢٥١-٢٦٠ هـ.)

٢٤- حوادث ووَفَيَات (٢٦١-٢٨٠ هـ.)

٢٥- حوادث ووَفَيَات (٣٠١-٣١٠ هـ.)

٢٦- حوادث ووَفَيَات (٣١١-٣٢٠ هـ.)

٢٧- حوادث ووَفَيَات (٣٢١-٣٣٠ هـ.)

٢٨- حوادث ووَفَيَات (٣٣١-٣٤٠ هـ.)

٢٩- حوادث ووَفَيَات (٣٤١-٣٥٠ هـ.)

٣٠- حوادث ووَفَيَات (٤٠١ - ٤١٠ هـ.).

يصدر للمؤلف

★ **تاريخ ابن سباط (صدق الأخبار)** - تأليف حمزة بن أحمد بن سباط الغربي المتوفّى بُعَيْد ٩٢٦ هـ./١٥٢٠ م. - دراسة وتحقيق مخطوطة المكتبة الوطنية بباريس، ومخطوطة مكتبة الفاتيكان، ومخطوطة مكتبة الجامعة الأمريكية ببيروت.

(الموجود الجزء الثاني منه فقط)، ويصدر على هذا النحو، عن جرّوس برس، طرابلس:

- الجزء الأول: من حوادث سنة ٥٢٦ هـ. حتى نهاية الدولة الأيوبيّة.
- الجزء الثاني: من قيام دولة المماليك البحرية حتى نهايتها.
- الجزء الثالث: من دولة المماليك البرجية إلى نهاية الكتاب بحوادث سنة ٩٢٦ هـ./١٥٢٠ م.

★ **الكامل في التاريخ** - تأليف عزّ الدين أبي الحسن علي بن محمد بن محمد المعروف بابن الأثير المتوفّى سنة ٦٣٠ هـ. - تصحيح وتوثيق.

يصدر عن: دار الكتاب العربي، بيروت، على هذا النحو:

- الجزء الأول: تاريخ الرسل والأنبياء قبل الإسلام.
- الجزء الثاني: العهد النبويّ وعهد الخلفاء الراشدين.
- الجزء الثالث: العهد الأموي - القسم الأول، من قيام الدولة الأموية حتى وفاة الخليفة عبد الملك بن مروان.

- الجزء الرابع - العهد الأموي - القسم الثاني، من خلافة الوليد بن عبد الملك حتى نهاية الدولة الأموية.
- الجزء الخامس - العهد العباسي - العصر العباسي الأول (عصر النفوذ الفارسي) من خلافة أبي العباس السفاح حتى نهاية عهد المأمون.